الشباب المصرى المعاصر

وأزمة القيم

د. نادية رضوان

الهيئة المصرية العامة للكتاب

Bibliotheca Alexandrina
0121721

الشباب المصري المعاصر وأزمة القيم

دراسة عن بوادر ومحاور أزمة الشباب

ثلاث دراسات تتبعية لمجموعة من الشباب
الفترة من ١٩٨٤-١٩٩٤

د. نادية رضوان



مقدمة المؤلفة

يتضمن هذا الكتاب ثلاث دراسات تتبعية ، تدور حول مجموعة معينة من الشباب (خمسة من الذكور ، وخمسة من الاناث) ، حيث بدات الدراسة الأولى سنة ١٩٨٤ (صدرت طبعتها سنة ١٩٨٦) عندما كان هؤلاء الشباب طلابا فى السنوات النهائية بكلياتهم ، وحيث كانوا يقفون بين مفترق الطريق ، بين كونهم لا زالوا تحت جناحى اسرهم نفسيا وماديا ، وبين كونهم على أعتاب حياة جديدة تتسم بالغموض والابهام ، والتى عليهم أن يؤكدوا من خلالها ذواتهم وشخصياتهم ، وبالتالى كانت مشكلاتهم وهمومهم فى هذه الفترة تدور حول غموض وابهام الصورة التى ستكون عليها حياتهم المستقبلية .

أما الدراسة الثانية ، فقد تمت فى الفترة من ١٩٨٤ — ١٩٨٩ (صدرت طبعتها سنة ١٩٩٠) على نفس المجموعة من الشباب ، للتعرف على اهتماماتهم وهمومهم ومشكلاتهم فى فترة ما بعد التخرج من الجامعة ، ومواجهة العالم الخارجى ، بعيداً عن حماية ووصاية الأسرة ، حيث دارت معظم هذه الاهتمامات والهموم والمشكلات حول قضية الاختيار للزواج ، وما نالوه من نجاح أو فشل فى مجال العمل .

أما الدراسة الثالثة ، فقد تمت فى الفترة من ١٩٨٩ — ١٩٩٤ ، حيث تحولت قضايا هؤلاء الشباب — الذين تم زواجهم جميعا عدا حالة واحدة من الذكور — عن بؤرة الاهتمام بذواتهم ، الى الاهتمام بذوات الآخرين من اعضاء اسرهم الجديدة ، وبالتالى اتخذت مشكلاتهم وقضاياهم فى هذه المرحلة سمة جديدة ، وابعادا جديدة كل الجدة .

وقد جاءت نتائج هذه الدراسة لتشير الى ان همـــوم الشبـــاب ومشكلاته فى كافة المراحل ليست الا انعكاسا لهموم المجتمع المصرى ومشكلاته ، كما أنها نتاج للصراعات الدائرة بين القيم الثقافية التقليدية للمجتمع المصرى ، وبين التغيرات البنائية التى طرأت عليه فى العقود الأخيرة .

نادية رضـــوان

مارس ١٩٩٦

اهـداء

الدراسة الأولى (١٩٨٤)

الطبعة الأولى ١٩٨٤

الى :

ابنتى شيرين بالسنة الأولى بالمرحلة الجامعية ٠

يا من لازالت عيناها تعكس أحلاما وردية ٠٠٠

ماذا فى الطوق لكى تصبح أحلامك أبدا أزلية ٠٠٠

وابنى أشرف بالسنة النهائية بالمرحلة الجامعية ٠

يا من ارتسمت فى عينيه هموم الجيل وأشجانه ٠٠

مازال أمامك طاقة نور ٠٠

مازال هنـاك بصيص أمل ٠٠

اهــداء

الدراسـة الثانيـة (١٩٨٤ ـ ١٩٨٩)

الطبعة الثانية (١٩٩٠)

الى كل شاب على أرض مصر الطيبة :

ان كانت عينك لم تلمح   للآن بصيصا من نــور
وكيانك دومــا مغتربا   ويلفك حس المقهــور
فاصبر يا ولدى فقريبــا   فقريبــا ينبلج النـــور

اهــداء

الدراسـة الثالثة (١٩٨٩ ـ ١٩٩٤)

الطبعة الثالثة (١٩٩٦)

الى كل شاب من أرباب الأسر الجديدة :

يا من امتدت أحـلامك	لذوات أخرى سوى ذاتك
وهموم الأسرة قد أضحت	هى محور فكرك وحياتك
أدعو لك ربى أن تهنـأ	ببنينك دومـا وبنـاتك

مقدمة الدراسة الأولى

(١٩٨٤)

نشأت البدايات الأولى لفكرة هذا البحث من خلال مناقشة جادة وواعية بين مجموعة من الشباب المثقف فى أحد الأنديــة الاجتماعيــة الرياضية بمدينة القاهرة ، وكان النقاش يدور بين تأييد من جــانب الكثرة لوجهة النظر التى تدعو الى هجرة الشباب الدائمة الى بعض الدول المتقدمة ، وبين معارضة من جانب الاقلية لهذه الفكرة .

ويستند أصحاب وجهة النظر الأولى الى أن الشباب فى ظــل الأنظمة السياسية المعاصرة ، قد أصبح جيلا مغتربا يفتقــد مشاعر الانتماء التى تربطه بالبنية الاجتماعية ، وذلك فى ضوء التغيرات البنائية التى طرأت على المجتمع دون أن يصاحبها أية عمليات تخطيطية أو تنظيمية أو توفيقية لاحتياجات الشباب الآنية أو المستقبلية ، ومن ثم فقد اتسمت نظرتهم المستقبلية فى ظل تلك الأوضاع بأنها نظرة تشاؤمية قاتمة . هذا بالاضافة الى ما تتيحه لهم وسائل الاتصال المختلفة من عقد المقارنات بين المجتمع المصرى والمجتمعات المتقدمة ، ومن ادراك بأن هناك عوالم غير عالمهم يقترن فيها التقدم الحضارى والتكنولوجى بالأهمية المتعاظمة للفرد ، واحترام حقوقه الانسانية ، وتوفير حاجاته الأساسية والثانوية ، بل والارتفــاع الملحوظ فى مستوى الخــدمات التى تقدم اليه ، طالما التزم هذا الفرد بانجاز مهامه وأدواره وواجباته حيال المجتمع الذى ينتمى اليه ، ذلك فى الوقت الذى زاد فيه الشعور بضآلة اهمية الفرد فى المجتمع المصرى ، وعدم قدرة مؤسسات الدولة المختلفة على مواجهة وتلبية ادنى حاجاته الضرورية الى جانب تهمش القيم الاجتماعية نتيجة لانعكاسات آليات السوق العالمى ، وتعاظــم اهمية دور القيم المادية فى تحديد مكانة الفرد فى المجتمع ، وبالتــالى تعاظم هذا الدور فى تلبية احتياجات الأفراد ، ومتطلباته الأســاسية

والثانوية ، والاتجاه المتزايد نحو السلوك الاستهلاكي الترفي الذي لا يستطيعون مجاراته من قريب أو بعيد ، مما انعكس على أفراد المجتمع عامة ، وعلى فئة الشباب خاصة بالشعور بالحرمان والضآلة ، والافتقار الى العدالة الاجتماعية والتوازن الاجتماعي .

وعلى الجانب الآخر ، كانت هناك وجهة النظر المعارضة ، والتي ترى أن المستقبل يحمل في طياته أحتمالات وامكانيات التغيير والاستقرار ، وأن الأمر يحتاج الى مزيد من الصبر والانتظار ، وأن هناك دوراً هاما ينتظر من الشباب القيام به ، باعتباره كل المستقبل ، بالنظر الى ما يستطيع كل منهم القيام به من التغيير أو التعديل أو التطوير . وتعتمد وجهة النظر تلك على أن تخلي الشباب عن جماعاتهم أو مجتمعهم خلال المراحل الصعبة أو المحن التي يمر بها المجتمع ، ليست الا حلولا فردية ، ونزعات هروبية ، تتسم بالأنانية والفردية . اذ لا تؤدي الى أي نوع من التعديل أو الاصلاح ، وانما تؤدي الى تفكك البناء الاجتماعي ، حيث يعتمد المجتمع الى حد كبير على فئة الشباب في عمليات البناء والتنمية والتقدم ، كما يعتمد كذلك على عمليات الاصلاح والاحلال التي لا تقوم الا على أكتاف هذه الفئة الثائرة المتمردة على الأوضاع القائمة المتردية .

وعلى الرغم من أن كلا من وجهتي النظر تحمل في طياتها جانبا كبيرا من الصحة ، الا أن الفريقين قد التقيا عند خط واحد يشير الى وطأة المعاناة التي يعايشونها ، رغم أن أوضاعهم الاجتماعية الإقتصادية ترتفع الى حد كبير عن مثيلاتها بين أغلبية فئات الشباب الأخرى . ومن ثم فقد انعكست هذه المعاناة على فريق منهم بصورة سلبية ، تمثلت في محاولات هروبية من الواقع المطروح عن طريق الهجرة ، على حين انعكست على الفريق الآخر في صورة محاولة للتكيف والمواءمة المؤقتة ، انتظارا للفرصة التي قد تسنح للتمرد على هذا الواقع وعدم الانصياع له

ومن خلال أمثلة هذه المناقشات بدأت تتضح أبعاد أزمة الشباب المصري المعاصر ، وكذلك بوادرها ومحاورها . فقد نشأت البوادر الأولى لهذه الأزمة في الفترات التالية لثورة يوليو سنة ١٩٥٢ ، نتيجة اتجاه الدولة نحو التوسع في القروض الخارجية ، وتوجيه جانب كبير من اقتصادياتها المحدودة الى التسليح والصناعات الحربية الثقيلة ، مما مثل عبئا على كاهل الاقتصاد المصري ، وحيث أدى بالتالي الى الانخراط في سلسلة متعاقبة من الديون والقروض لأحداث عملية التوازن الاقتصادي

- . وقد ادى خلل السياسات الاقتصادية ، الى عدم القدرة على الاستثمار الأمثل لهذه الديون ، حيث اعتمدت على المشروعات التنموية التي يمثل النقد الأجنبي المكون الرئيسي فيها ، والتي لم تستطع عوائدها تغطية المبالغ المنفقة عليها ، او تسديد جزء من الديون المقترضة ، ذلك في الوقت الذي لم تلتزم فيه السياسة الاقتصادية للدولة بتحقيق خططها الخمسية سواء بالنسبة لزيادة الناتج القومي ، او بالنسبة للارتفاع بمستوى الخدمات فى الدولة من حيث التعليم والاسكان والصحة والمرافق والمواصلات ، وما الى ذلك من خدمات حيوية تمس المصالح الآنية المباشرة للأفراد ، أو مصالحهم واحتياجاتهم المستقبلية ، خاصة فى ضوء الزيادة السكانية التي كانت متوقعة والتي ابتلعت الجانب الأكبر من موارد التنمية ، دون أن يصاحبها اية سياسة مخططة لمواجهة هذه الزيادة ، سواء بالنسبة لتوفير احتياجاتها الأساسية ، أو بالنسبة للاستفادة منها كرأس مال بشري فى العمليات التنموية .

وقد تعرضت الدولة لمجموعة من النكسات التنموية ، نتيجة للنكسات الايديولوجية التى تبنتها السياسة العامة للدولة فى مراحلها المختلفة ، والتى كان من آخر مظاهرها الاتجاه نحو سياسة الانفتاح الاقتصادى ، الذى مثل فى البداية احلاما وردية بالنسبة لقطاعات المجتمع عامة ، ولقطاع الشباب بصفة خاصة ، حيث مثلت أوهام سياسة الانفتاح وما صاحبها من حملات دعائية واعلانية مكثفة امكانية تحقيق الاحلام والآمال التى عاشت طويلا فى الصدور ، فيما يختص بالانتعاش الاقتصادى ، وارتفاع مستوى المعيشة ، وتأمين المستقبل ، واذا بتلك الأحلام وقد تبددت على صخرة الواقع والحاضر المعاش اذ لم تخدم سياسة الانفتاح الاقتصادى الا مصالح السوق العالمى من جهة ، ومصالح فئة قليلة من العناصر الطفيلية من جهة أخرى . وقد ساهمت سياسة الانفتاح الاقتصادى الى حد بعيد فى تغيير المفاهيم القيمية للمجتمع ، بحيث تحولت قيم العلاقات الاجتماعية من قيم علاقات بين افراد الى قيم علاقات بين اشياء وماديات .

وقد كان لانعكاس الأزمات التنموية والايديولوجية على بناء النسق القيمى للمجتمع ، رد فعل حاداً على الشباب المصرى المعاصر ، باعتباره فئة من الفئات المكونة للبناء الاجتماعى ، حيث مثلت تلك الانتكاسات محاور ازمة الشباب وذلك لاتصالها الوثيق بصميم وجوده وحاجاته الآنية اليومية ، وكذلك لاتصالها الوثيق بغموض وقتامة الصورة المستقبلية ، حيث ادى تردى الأوضاع السكنية والصحية والاقتصادية

والتعليمية والمهنية ، الى شعور الشباب بأزمة العدالة الجتماعية وعدم التوازن الاجتماعى .

وتمثل أزمة العدالة الاجتماعية ، وعدم التوازن الاجتماعى المحاور الأساسية لازمة الشباب المصرى المعاصر ، حيث انعكست أنماط الحياة اليومية المتردية على مشاعر الشباب وعلى نظرتهم التشاؤمية للمستقبل وتمثل الأوضاع السكنية السيئة محورا هاما من محاور أزمة الافتقار الى العدالة الاجتماعية ، الى جانب الارتفاع الصارخ فى أسعار الوحدات السكنية التى لا تتلاءم مع الدخول المحدودة ، ومع الأجور شديدة التواضع ، مما انعكس على هذه الفئة فى صورة تشاؤم حاد ويأس من امكانية القدرة على الاستقلال الاقتصادى عن الأسرة ، وتكوين أسر جديدة لهم ، هذا بالاضافة الى الانخفاض الواضح فى مستوى الخدمات الصحية الحكومية ، والارتفاع الهائل لأسعار الخدمات الصحية الخاصة ، حيث تحول مفهوم الاشتغال بالطب من مفهومه الانسانى الآدمى السائد من قبل الى مفهوم تجارى بحت يسعى الى تحصيل أكبر عائد ممكن من الربح على حساب فئات المجتمع الكادحة فى أسوأ حالاتها وهى حالة المرض ، وذلك بتاثير انعكاسات السوق التى تفرض أسعارها على الأجهزة الطبية التكنولوجية بالاضافة الى ارتفاع مستويات الانفاق الذى فرضته هذه السوق ، وارتفاع مستويات المعيشة ، والاتجاه نحو الاستزادة من السلع الاستهلاكية والترفيه .

كذلك يمثل انخفاض مستوى العملية التعليمية بكافة مستوياتها محورا آخر من محاور أزمة الشباب ، وخاصة بالنسبة للمرحلة الجامعية ، اذ لم يصاحب عمليات التوسع فى انشاء الجامعات الاقليمية ، والتوسع فى قبول الاعداد المتزايدة من الطلاب أية سياسة توسعية فى توفير الامكانيات المادية المثلة فى قاعات المحاضرات المناسبة ، وتوفير الأجهزة والوسائل التكنولوجية المكملة للعملية التعليمية ، والرعاية الصحية للطلاب ، والمكتبات ، وسائر الخدمات النوعية الأخرى . هذا بالاضافة الى عدم التوسع فى توفير الامكانيات البشرية المثلة فى الموازنة بين اعداد الطلاب واعداد أعضاء هيئة التدريس ، خاصة فى ضوء انعكاسات آليات السوق العالمى التى تحدد المستخرج المطلوب من النفط فى الدول النفطية ، وارتفاع معدلات طلب هذه الدول لأعضاء هيئة التدريس المصريين بهدف تحقيق سياساتها التنموية التى ترتبت على ارتفاع عائدات النفط .

ويعد اختيار المهنة وما يرتبط بها من أجور ودخول منخفضة لا تمكن الشباب من مواجهة أدنى احتياجاتهم ، محورا آخر من محاور أزمة

الشباب فالتوزيع الجزافى لخريجى الجامعات ، لا يراعى المبدأ الأساسى الخاص بوضع الشخص المناسب فى المكان المناسب ، مما ينتج عنه اهدار لقدرات وامكانيات الشباب ، وتحويل هذه القدرات والطاقات بسبب البطالة المقنعة الى اتجاهات سلبية حيال قيمة العمل ، ومن ثم الى عدم قدرة الشباب على تحقيق هوياتهم من خلال العمل المنتج والخلاق ، هذا بالاضافة الى تدهور الأسس التى يتم بها اختيار الأشخاص لشغل مكانات وظيفية بعينها ، حيث لم تعد امكانيات الشخص وقدراته الخاصة هى المحك الأساسى فى عمليات هذا الاختيار ، وانما تدخلت مجموعة أخرى من العوامل والقيم السلبية ، التى أصبح تقييم الفرد يتم من خلالها ، مثل القدرة المادية ، أو الاتصالات الشخصية التى يكون للوساطة والمحسوبية الدور الأول فيها ، مما أدى بالشباب الى الشعور بعدم العدالة الاجتماعية ، وتهمش القيم التى تحكم علاقات الأفراد التفاعلية .

وقد أدت أزمة العدالة والتوازن الاجتماعى الى قيام ازمة ثقة بين الشباب وبين مؤسسات الدولة ، اذ ادرك الشباب ان الشعارات التى ترفعها الأنظمة الحاكمة ، والتى على شاكلة الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية ، ورفع المعاناة عن كاهل الشعب ، والصحوة الكبرى ، وما الى ذلك من شعارات ، ما هى الا لغة الساسة التى يقومون عن طريقها باحتواء الموقف السياسى ، وانها لا تعدو كونها تخديرا لمشاعر أفراد المجتمع ، اذ لا يصاحب هذه الشعارات اتجاهات تطبيقية واقعية لها ، بحيث تنعكس اثارها على أفراد المجتمع بوجه عام ، وعلى فئة الشباب باعتباره جزءا من هذا المجتمع .

وقد انعكست ازمة الثقة فى مؤسسات الدولة على مشاعر انتماء الشباب وولائهم للمجتمع . فاذا كان هناك بعض الشباب قد انجرفوا فى تيار القيم المادية والقيم السلبية الجديدة التى طرأت على المجتمع ، بهدف المواءمة بين احتياجاتهم ، وبين الطرق والوسائل التى يمكن عن طريقها تحقيق هذه الاحتياجات ، بحيث اتسمت اتجاهاتهم بالنزوع الى التفاعل مع العلاقات النفعية والمادية ، وتهميش قيمة العلاقات البنائية بين الأفراد ، مما انعكس بدوره على النسق القيمى ، وعلى كافة الأبنية والأنساق الاجتماعية الأخرى ، فاننا نجد على الطرف الآخر مجموعة من الشباب الذى انعكست عليه أزمة القيم وعلاقات السوق بصورة حادة ، اذ لم يستطيعوا التكيف والتلاؤم والانصياع لتلك المعايير لأسباب قد تختلف من فرد الى آخر ، مما أدى بهم الى أن يكونوا جيلا مغتربا فى مجتمع مغترب ، مما انعكس بالتالى على مشاعر انتمائهم للمجتمع ، باعتباره عالما منفصلا عنهم ، لم يقم بواجباته الأساسية

حيالهم ، ومن ثم فعلية الا ينتظر منهم اى قدر من الاستجداد او القدرة على التفاعل مع مشكلاته او قضاياه .

واذا كانت فئة شباب اليوم هي نصف الحاضر وكل المستقبل ، فان الخسارة التي سيواجهها المجتمع على المدى القريب ممثلة في اغتراب هذه الفئة ستنعكس انعكاسا سلبيا على كافة العمليات التنموية والتطورية التي يحتاج فيها المجتمع الى كل طاقات وامكانيات افراده . ومن ثم فان ازمة الشباب المصرى المعاصر ليست أزمة آنية او مؤقته ، وانما هي ازمة لها صفة الاستمرارية والدوام . ويحتاج الأمر الى تخطيط عاجل وتعديل شامل لخططات الدولة وسياساتها الاقتصادية، بحيث تتمكن من استعادة ثقة الشباب وتبديد مشاعر اغترابهم ، عن طريق تحقيق التوازن والعدالة الاجتماعية الاقتصادية ، وعن طريق كسر حدة انعكاسات آليات السوق العالمي ، بتوجيه سياستها التنموية الوجهة التي تتفق مع امكانيات وموارد الدولة الاقتصادية ، وبما يتفق مع الخصائص الموضوعية للمجتمع المصرى .

مقدمة الدراسة الثانية

الفترة من ١٩٨٤ ــ ١٩٨٩

اخرجت الطبعة الأولى لهذه الدراسة سنة ١٩٨٦ ، بعد أن استغرق اعدادها ما يقرب من السنتين ، وقد اشتملت على دراسة حالة لمجموعة من الشباب الجامعى ممن كانوا فى السنوات النهائية بالمرحلة الجامعية.

وقد كان الهدف المحورى لهذه الدراسة ، التعرف على اثر التغيرات البنائية ونظم الانتاج على صيغ العلاقات الاجتماعية والانساق القيمية ، وذلك فيما يتصل ببعض القضايا ذات الاتصال الوثيق بمشكلاتهم الآنية او المستقبلية .

وتكشف لى أثناء تفريغى وتحليلى لاجابات الحالات ، ان هذه الاجابات تثير بدورها مجموعة أخرى من التساؤلات التى تخدم الهدف المحورى للدراسة ، ولكن طرحها فى ذلك الحين كان يعد اجراء سابقا لأوانه . ومن ثم خطر لى أن استكمل هذه الدراسة بأخرى تتبعية ، وذلك بعد فترة زمنية مناسبة تكفل الوصول الى اجابات ــ اكثر نضجا واتصالا بالواقع المعاش ــ عن التساؤلات الجديدة المثارة .

وقد أشرت فى الطبعة الأولى (*) الى عزمى اجراء دراسة اخرى تتبعية لمدة خمس سنوات ، للتعرف على أنماط مشكلات مرحلة ما بعد التخرج من الجامعة ، وكيفية مواجهتها ، وكذلك التعرف على مدى التغير الذى سيطرأ على اتجاهات الحالات ومثلهم وقيمهم .

فمن المتفق عليه أن هناك تغيرا كبيرا قد طرأ على صيغ العلاقات الاجتماعية والأنساق القيمية ، باعتبار أن التغيرات البنائية ونظم الانتاج تؤدى الى علاقات السوق ، وهذه بدورها تحول العلاقات بين الناس الى علاقات بين اشياء ، ومن ثم تتغير صيغ العلاقات الاجتماعية،

(*) انظر : نادية رضوان ، الشباب المصرى المعاصر وأزمة القيم ، دراسة عن بوادر ومحاور ازمة الشباب ، المطبعة الفنية الحديثة سنة ١٩٨٦ ، ص ٦٧ .

وكذلك الأنساق القيمية ، مما يعنى أن التغيرات الحضـارية الحاليـة التى طرأت على المجتمع المصرى ، ما هى الا انعـكاس لنظم الانتاج التى تأثرت بالاقتصاد العالمى وبالسوق الراسمالى .

ومن هذا المنطلق برز فى الدراسة التتبعية تساؤلان أساسيان تم بلورتهما على النحو التالى :

التساؤل الأول :

ما هى صيغ العلاقـات الاجتماعية والأنساق القيمية الجديدة التى عكستها آليات السوق على المجتمع ، وأثر هـذه الانعـكاسات على مستقبل الشباب العملى والمهنى .

التساؤل الثانى :

ما هى اهم انعكاسـات آليات السـوق عـلى القيم الخـاصة بالاختيار للزواج .

وقد بلغ عدد حالات الدراسة الأولى عشر حالات ، الا اننى فقدت ــ الى حد ما ــ خلال اجراء الدراسة التتبعية الراهنة خطوط الاتصال مع ثلاث حالات منهم . الأولى لحالة فتاة تزوجت بعد تخرجها من الجامعة بوقت قصير ، وسافرت مع زوجها الذى كان يعمل بالسعودية منذ سبع سنوات ، وفقدت بسفرها تماما أى فرص أخرى للقاء أو حتى المراسلة .

أما الحالة الثانية ، فهى حالة شاب كان يعمل فى أحد الفنادق منذ أن كان طالبا فى الجامعة ، ثم سافر الى فرنسا فى منحـة دراسية للحصول على « دبلوم فى الطهى » ، الا أنه لم يرجع منذ ذلك الحـين الى مصر ، بسبب تخلفه عن أداء الخدمة العسكرية ، وهو متزوج حاليا بفتاة فرنسية ويعمل فى أحد المطاعم الكبيرة فى باريس .

أما الحالة الثالثة ، فهى حالة شاب تمكن بعد تخرجه بفترة قليلة من الالتحاق بوظيفة فى أحد البنوك ، وكان مرتبطا بفتاة من نفس مستواه الاجتماعى ، الا أن عجزه عن الحصول على المسـكن اللائق أدى الى فسخ خطبتهما ، ويعمل هذا الشاب حاليا بالكويت كمدرس للغة الفرنسية ، رغم انه على حد قوله وكما جاء على لسانه فى الدراسة السابقة : « أنا باكره مهنة التدريس جداً » .

وعلى الرغم من أن صلتى بالحالتين الأخيرتين لازالت قائمـة ، الا اننى استبعدتهما من دراستى الحالية ، بسبب عدم جدوى اخضاعهما لمتطلبات الدراسة نظراً لبعدهما عن الواقـع الاجتماعى الاقتصـادى الذى تعايشه الحالات السبع الباقية .

وأود أن اشير هنا — باعتبار ان هذا يعد اجراء هاما من الاجراءات المنهجية التى راعيتها فى الدراسة — الى اننى حرصت حتى بعد انتهاء لقاءاتى مع الحالات فى الدراسة السابقة ، على الابقاء على العلاقة الحميمة التى ربطتنى بهم من جراء تعدد مرات اللقاء ، بل والعمل على توطيد أواصرها (*) مما كان يدفعنى الى الاتصال بهم فى المناسبات المختلفة ، حتى وصل الأمر الى أن اصبح بيتى مفتوحا لهم ، بصفة شبه دورية — فى لقاءات فردية — لتقديم بعض أوجه النصح والمشورة، وكذلك تقديم بعض الخدمات التى كان يتيسر لى القيام بها ، مما يسر لى مهمة الحصول على المعلومات التى كنت أسعى اليها بصورة دقيقة وتلقائية وصادقة ، ومما ملأنى بالحماس لاجراء مزيد من الدراسات التتبعية اللاحقة لهذه الحالات ، لتناول قضايا قيمية أخرى جديدة تتعلق بمراحل حياتهم المستقبلية خلال السنوات الخمس القادمة .

وقد تكشف لنا من خلال الدراسة التتبعية ، بعض جوانب فشل العملية التعليمية فى مرحلة الدراسة الجامعية وما قبلها ، ومدى انعكاس ذلك على الأوضاع المهنية للخريجين . حيث لم تهدف السياسة التعليمية تدعيم الجوانب الابداعية والقدرات والمهارات الشخصية ، وانما انحصر دورها فى عمليات متتالية من التلقين ، وتسخير الذاكرة لعمليات الحفظ والاستظهار ، مما ترتب عليه فشل نسبى ، فى اعداد وتكوين الكوادر الفنية اللازمة للعملية الانتاجية التنموية .

وقد أدى ذلك ببعض الشباب الى العمل فى مجالات ابتعدت بهم عن مؤهلاتهم وتخصصاتهم خلال مرحلة الدراسة الجامعية وكأنما كانت هذه المرحلة مجرد دوره تثقيفية لم يبق من آثارها بعد التخرج شىء يذكر .

(*) عانيت فى بعض مراحل توطيد علاقتى بالحالات من شعور بالغ بالذنب حيث راودنى الشعور باننى استغل — بطريقة لا اخلاقية — علاقتى بهم ، حيث اقوم بتشريح حياتهم وشخصياتهم واسرارهم ، وابعثر خصوصياتهم لتحقيق أهدافى الخاصة ، وأننى لا أختلف فى ذلك كثيرا عن ذوى الدوافع المادية والنفعية ، الذين يطأون باقدامهم أى قيم متعارف عليها وهم بسبيل تحقيق مصالحهم الخاصة .

الا أننى كنت اعود مرة أخرى لألتمس العذر ، حيث اؤكد أن الهدف من هذه الدراسة هو هدف علمى بحت ، بالاضافة الى أننى لا اشير من قريب أو بعيد الى ما قد يكشف القناع عن شخصياتهم سواء بالنسبة للقارىء العادى أو للمتخصص ، الى جانب أننى بدات بالفعل ومنذ عدة سنوات أشعر شعورا مخلصا وحقيقيا أننى أهتم بهم فى كثير من الأحيان كاصدقاء مقربين ، بغض النظر عن المنفعة العلمية التى أحققها من وراء علاقتى بهم ، كما انهم كانوا يعلمون انهم ضمن بعض الحالات التى استعين بها فى دراساتى .

كذلك فان قضية عمل المرأة ، لم تعد حاليا تشغل الفتاة بنفس الدرجة التى كانت تشغل النساء فى الجيل السابق . حيث كان يمثل العمل لهن رمزا لتحطيم القيود التى عاقت تحررهن لآلاف السنين ، ومن ثم فان مشاعر الطمأنينة بأن حق العمل قد أصبح حقا مقررا ، جعلها تتهاون الى حد ما فى سعيها نحو استخدام هذا الحق ، بالاضافة الى أن الاعباء التى تقع على كاهل المراة العاملة المتزوجة ، والتى لا يقاسمها فيها الرجل جعلتها تنزع الى اختيار الأعمال المهنية السهلة ، اذا كان لابد من العمل ، أو ان تترك العمل جانبا وتتفرغ لمسئولياتها كأم وزوجة وربة بيت .

ويمثل انخفاض الأجور وكذلك صعوبة الحصول على العمل المناسب محورا من محاور أزمة الشباب ، فالوظيفة التقليدية بالنسبة لبعض الأفراد تمثل نوعا من الأمن المادى بسبب استمراريتها . وبسبب تأمينها لمستقبلهم الا انها أصبحت عزيزة المنال بسبب ارتفاع معدل البطالة من جانب وعدم حاجة المؤسسات الى مزيد من البطالة المقنعة من جانب آخر ، مما دفع بالبعض منهم الى الهجرة ، على حين اتجه البعض الآخر الى الأعمال الحرفية أو الى الاعمال التى لا تتصل أساسا بتخصصهم الجامعى .

كذلك تمثل الوساطة او المحسوبية محورا هاما من محاور ازمة الشباب ، حيث رسخ النظام الاجتماعى المتخلف هذه المفاهيم ، بحيث أصبح من المستحيل أحيانا ان ينجز الفرد مصلحة تخصه — مهما كانت حقا له — دون الاستعانة بواحد من أصحاب النفوذ أو السلطة لانجاز مصلحته ، أو الحصول على حقه ، مما خلف لدى الشباب الشعور بالحرمان والظلم .

وتمثل القيم السلبية فى مجال العمل ، ازمة كبرى من ازمات الشباب لا تمتد آثارها الى فئة الشباب العامل فقط ، وانما تمتد ايضا للمجتمع ككل ، حيث تعانى هذه الفئة — بوصفها فئة منتجة لا يحقق لها موقعها من الانتاج الاشباع الكافى — من انخفاض واضح فى فى الدخول وبصورة لا تكاد تكفى حاجاتهم الضرورية ؛ على حين تتزايد فى نفس الوقت

السلع الترفيهية والكمالية والاستهلاكية فى السوق المحلى . فهى فئة فى وضع متدن اقتصاديا واجتماعيا ، ومن ثم فعليها البحث عن وسائل اخرى للعيش لتحقق التوازن المنشود بين انخفاض الدخل وارتفاع اسعار السلع ، فيلجأ البعض منهم الى التفنن فى عمليـة التهرب من الضرائب ، أو التوصـل مع بعض موظفى الضرائب الى حلول وسط تخدم مصلحة الطرفين من جانب ، وتسيىء الى المصلحة العامة للدولة فى جانبها الآخر ، على حين يلجأ البعض الآخر الى العديدمن الطـرق الملتوية لتحقيق اى شكل من أشكال الكسب غير المشروع ، كل حسب حاجته ، وكل حسب مقدرته ، ويستخدمون فى ذلك أشكالا عديدة من الرشوة السافرة او المقنعة ، المعنوية أو المادية . وتتدرج درجـات الكسب غير المشروع بكل شكل من أشكاله بدءاً من خمسة وعشرين قرشا يأخذها جندى المرور للتغاضى عن مخالفة مرورية ، لتصل الى عدة آلاف من الجنيهات للتهرب من الضرائب ، أو الحصول على بعض الاعفاءات الجمركية ...... الى آخر هذه القائمة .

واذا كانت رياح التغير الهوجاء التى هبت على سـماء المجتمع المصرى فى السنوات الأخيرة ، قد اقتلعت من الجذور العديد من القيم التقليدية الراسخة ، فهى فى ذلك لم تفرق بين القيم المادية الاقتصادية التى توجه سلوك الأفراد لبعض أوجه الكسب غير المشروع لتحقيق مصلحة آنية أو عاجلة ، وبين القيم المتعلقة بالاختيار للزواج تلك القيم التى استقرت منذ آلاف السنين ، والتى لا تتعلق بالجوانب المادية ، ولكنها تتعلق بالمشاعر والجوانب العاطفية والعلاقات الزوجية ، والتى لا تتصف بالآنية ، ولكنها تتصل بكل جوانب الحياة المستقبلية .

فقد يكون من المفهوم أو المقبول — وان كان من غير المقبول بصورة مطلقة — أن تؤدى انعكاسات السوق العالمى وعوامل التغير الاجتماعى الى تغيرات بنائية فى المجتمع المصرى ، وان تؤدى هذه بدورها الى انعكاسات مماثلة على نسق القيم ، وذلك بسبب الخلل الذى أصاب هيكل الاقتصاد المصرى ، بدءا من صدور قانون استثمار المـال المصرى والأجنبى والمناطق الحرة رقم ٤٣ لسنة ١٩٧٤ معدلا بالقانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٧٧ .

وقد يكون من المفهوم ان تتدنى القيم التى تتعلق بالرغبة فى الاثراء السريع ، أو الكسب غير المشروع ، أو السرقات المقنعة ، أو الرشوة او الوساطة والمحسوبية ، فكلها رغم كونها قيما سلبية ، الا أنها قيم يلبى الأفراد عن طريقها حاجتهم المادية الملحة التى فرضهـا عليهم الواقع الاجتماعى الاقتصادى .

فحيث ان احتياجات الأفراد تتدرج وتختلف فى قوة الحاحها باختلاف مكاناتهم ، وانتماءاتهم الاقتصادية والاجتماعية ، وكذلك وفقا لتصوراتهم الخاصة ، فان القيم السلبية أيضا تتدرج وتختلف فى قوة الحاحها باختلاف الأفراد أنفسهم .

وبالتالى ، فان سلوك الأفراد الذى يتضمن قيمة معينة — باعتبار ان القيم هى موجهات للسلوك — يختلف ايضا من فرد الى آخر ، فهناك المستورد الذى يقوم باستغلال حاجة الأفراد لسد جوعهم ، بعقد الصفقات المشبوهة لاستيراد المواد الغذائية التى انقضت مدة صلاحيتها ولم تعد تصلح للاستخدام الآدمى ، والذى يقوم « باستغفال » المستهلك — مما يشير الى تخلى الحكومة عن دورها فيما يختص بفحص هذه المواد ، وتحليلها واختبار صلاحيتها — بوضع بطاقة جديدة تشير الى استمرار مدة الصلاحية .

وهناك المقاول الذى يقوم باستغلال حاجة الأفراد الملحة للمسكن، والاستفادة التى لا حدود لها من ازمة الاسكان المستحكمة — مما يشير الى تخلى الحكومة عن دورها فى تقدير الزيادة السكانية التى كانت متوقعة منذ عشرات السنين ، والتخطيط لمواجهتها — بابتزاز مدخرات الأفراد على أحسن الفروض ، ان لم يكن تعريض حياتهم للخطر ببناء العمارات التى تتهاوى قبل أن يجف عرق من قاموا بتملك وحداتها .

وهناك من يمارس يوميا سرقة الجماهير الكادحة بل وسرقة الدولة وبصورة علنية « وقحة » ، دون أن تمتد له يد القانون ، كسماسرة الانفتاح الاقتصادى ، وتاجر الجملة وتاجر التجزئة ، والمحامى ، والطبيب ، والحرفى ...... الخ — مما يشير الى تخلى الحكومة عن دورها فى ضبط الأسعار ، والعمل بنظم ضرائبية محكمة .

وهناك الموظف الذى يتسلل من دروب التعقيدات الادارية ، ودهاليز البيروقراطية ، الى طرق الكسب غير المشروع واللجوء الى الرشوة لحل ازمته المالية — مما يشير الى تخلى الحكومة عن دورها فى تبسيط الاجراءات وتطوير نظم الادارة من جانب ، والى تخلف دورها فيما يختص بتدنى الأجور والذى لا يحفظ ماء وجه أى موظف ، خاصة فى ظل التهاب الأسعار وسعارها من جانب آخر .

وهناك صاحب النفوذ ، الذى يتخذ من مكانته ونفوذه وسطوته — او الكارت الذى يحمل اسمه بحروف ذهبية — سوطا يلهب به كل من فى يده أمر منحه ميزة ليست حقا له او لاقاربه او اصدقائه او معارفه ، مثال ذلك تعيين شخص ما فى وظيفة ما لا تؤهله امكانياته الحصول

عليها ، والوساطة فى اختيار أماكن التجنيد والتى يسهل فيها قضاء فترة التجنيد أسميا ، والوساطة لتجاوز اجراءات معينة فى صفقة معينة ، الى آخر تلك القائمة الطويلة التى تدخل كلها — تحت مسمى الوساطة — فى دائرة الرشوة والكسب غير المشروع سواء كان ماديا أو كان معنويا .

واذا كانت الظروف الاقتصادية فى المجتمع المصرى قد أفرزت قيما مادية متدنية فيما يتعلق بظاهرة الاتجاه نحو الاثراء السريع أو عن طريق استغلال السلطة والنفوذ — فانه قد يكون مفهوما كما سبق أن أشرت . الا أنه من غير المفهوم أو المقبول ، أن تنحدر القيم الروحية الى هذا الدرك فيما يختص بالاختيار للزواج ، اذ لم يعد من المستغرب حاليا أن تتوارى كل القيم الجمالية والأخلاقية والروحية أمام سطوة القيم المادية .

فالرجل فى نظر بعض الفتيات المقبلات على الزواج ، لم يعد يساوى أكثر ما يساويه ثمن الشقة . ويرتفع ثمن الرجل ، اذا كانت الشقة رحبة فاخرة ، ويزداد ثمنه أكثر ، اذا كان لديه سيارة ، ويعلو ثمنه أكثر اذا كانت السيارة فارهة ، ثم أكثر انا كان دخله مرتفعا ، ثم أكثر وأكثر اذا كانت الشبكة التى يقدمها شبكة ماسية ، ثم يتوالى ثمنه فى الارتفاع بقدر عدد قراريط الماس التى تحتويها الشبكة .

وكذلك الحال بالنسبة للفتاة ، فهى فى نظر بعض الشباب لم تعد تمثل أكثر من صفقة ، لابد وان يخرج منها كطرف رابح . لم تعد للروابط الروحية والعاطفية ما كان لها من ثقل ، وغدا الزواج المبنى على الحب نوعا من الوهم ، وضربا من الرفاهية « على حد قول احدى الحالات » وأصبح وزن التوافق النفسى والعاطفى أثرا بعد عين .

ولكن ، علينا أن نقول كلمة حق ، وهى ان القيم النبيلة والأصيلة التى رسختها العقائد السماوية فى الوجدان ، والتى هى الأصل فى شموخ وعظمة الانسان المصرى ، لم تغرب كلها من سماء مجتمعنا المصرى المعاصر . وان كانت التيارات القيمية المادية الحالية قد عصفت لفترة من الزمن ببعض القيم التقليدية ، فان جوهر الانسان المصرى يؤكد انها لا تعدو أن تكون سحابة صيف ، لابد لها يوما وان تنقشع .

مقدمة الدراسة الثالثة

الفترة من ١٩٨٩ ــ ١٩٩٤

وهكذا مرت سنوات عشر ، منذ البدايات الأولى لهذه الدراسة التتبعية حيث قدر لدراستى الثالثة ان تخرج الى النور ، والتى آمل ان تحمل الى المهتمين بقضايا الشباب وهمومه ، بعض الملامح والجوانب الجديدة ، التى لم يسبق لى طرحها أو التطرق اليها فى الدراستين السابقتين المتضمنتين فى هذا الكتاب ، فقد حملت السنوات العشر الماضية معها الى حالات الدراسة ، العديد من الأحداث والتغيرات التى غيرت مجرى حياتهم ، وانعكست على قيمهم وأفكارهم وأحلامهم وطموحاتهم ، اذ لم تعد ذواتهم فقط هى محور اهتماماتهم وهمومهم ، بل امتدت لتشمل مفردات أسرهم الجديدة ، حيث تم زواج حالات الدراسة جميعا عدا حالة من الذكور ، وحيث امتلأت حياتهم بأنماط جديدة من القيم والأحلام والآمال ، وكذلك المشكلات والهموم .

وقد أشرت فى مقدمة الدراسة الثانية ، الى حرصى على استمرار العلاقة الحميمة التى ربطتنى بحالات الدراسة منذ سنة ١٩٨٤ ، وهو ما حرصت على القيام به ، مما أدى الى تطوير علاقتى بهم ؛ لتصبح اكثر حميمية ، فهى أقرب الى علاقة الأم بأبنائها .

وكنت فى دراستى السابقة ، قد أسقطت ٣ حالات من حالات الدراسة بسبب سفرهم الى الخارج من أجل العمل ، الا أننى حرصت على التتبع الدائم لأخبارهم ، ومعرفة مجريات حياتهم ، من خلال اتصالى الدورى بذويهم احيانا أو من خلال خطاباتى المتبادلة معهم ، واثناء أجازاتهم فى مصر . وقد عادت حالتان من بين هذه الحالات للاقامة الدائمة فى مصر حاليا ، حيث تناولتهم بالدراسة مرة اخرى خلال دراستى الثالثة ، وحيث وجدت أن حياتهما قد تعرضت للعديد من التغيرات التى تعد انعكاسا للتجارب والخبرات والأحداث التى مروا بها خلال غربتهما ، وخلال معايشتهما لبعض الثقافات المغايرة للمجتمع المصرى مما أضفى نوعا من الطرافة والجدة على هاتين الحالتين . الا أنه من الجدير بالذكر ، ان حالات الدراسة الأخرى ، قد تعرضت ايضا للعديد

من الاحداث والتجارب والخبرات ، التي كان من اهمها على الإطلاق ، تحول همومهم وقضاياهم ومشكلاتهم عن بؤرة ذواتهم الشخصية ، لتمتد وتشمل ذوات الآخرين والممثلة فى شركاء الحياة والابناء — وذلك بعد زواجهم — مما أثرى دراستنا بمجموعة من القضايا الجديدة التى لم نتطرق الى دراستها من قبل ، ومن ذلك على سبيل المثال ما يلى :

١ — مكانة القيم التقليدية فى حياة الأسرة الجديدة :

وقد تناولت القيم الاجتماعية للأنماط الاحتفالية فى حياة الأسرة ، واثر المتغيرات البنائية على بناء هذه القيم ، والممثلة فى أنماط حفلات الزفاف ، وكيفية قضاء الأيام التالية للزفاف ، والتى تعد أهم الفترات العمرية فى حياة الزوجين ، بوصفها المواجهة الأولى لنمط الحياة المشتركة والخطوة الأولى لانصهار شخصيتى الزوجين فى بوتقة توافق نفسى ووجدانى واحدة .

وقد تبين لنا أن القيم المادية قد انعكست انعكاسا كبيراً على الأنماط الاحتفالية بالمناسبات العديدة فى حياة الأسرة ، بحيث يمكن القول ، بان هذه الاحتفالات فى الفترة الحالية ، قد اصبحت ذات صبغة طبقية ، فقد أصبحت حفلات الزفاف وأعياد الميلاد ضربا من المباريات بين كبار رجال الأعمال والثراء فى الوقت الذى تعانى فيه الغالبية العظمى من أفراد المجتمع ، من صعوبة مواجهة أدنى المتطلبات المادية للحياة اليومية .

كذلك فقد تم التعرف على القيم والاتجاهات الخاصة بالمتابعة الطبية فى مراحل الحمل والولادة ، والطقوس الخاصة بميلاد الطفل ، واحتفالات « السبوع » ، وختان الأطفال ، وأيضا أنماط الاحتفالات بأعياد الميلاد واعياد الزواج ، ومدى تشابه أو اختلاف هذه القيم مع القيم الثقافية التقليدية ، وأنماط التغيرات التى طرات عليها نتيجة بعض التيارات القيمية الوافدة والحديثة التى تعرضت لها بنية المجتمع .

٢ — اثر المتغيرات البنائية على المشكلات الأسرية ذات الجذور الذاتية والشخصية :

وقد تناولت فى هذا الموضع ، المشكلات الخاصة بالاتجاهات الوالدية ، من حيث تقبل الأبوين للطفل الأول (البكر) ومشكلة الطفل الوحيد ومشكلة العقم فى حياة الزوجين ، وكذلك قضية تمركز اهتمامات الزوجة حول امومتها ومدى ما يثيره ذلك من مشاعر الغيرة فى نفس الأب . كما تم تناول المشكلات الخاصة بالتوتر والصراع بين الزوجين ، وما يتصل منها بالصراع على السلطة داخل الأسرة ، ومكانة المرأة

فيها ، وتوزيع الأدوار بين الزوجين وصراع هذه الادوار ، وكذلك المشكلات الخاصة بالفروق الفردية بين الأزواج ، وأثر هذه الفروق على توافق الزوجين ، كالفارق فى العمر ، واختلاف درجة التعليم والفوارق الطبقية الاجتماعية ، والعلاقة بالأهل ، ومشكلة تعدد الزوجات ، كما تناولنا بالدراسة المشكلات الخاصة بالتوتر الجنسى والعاطفى بين الزوجين وأثرها على الاستقرار النفسى والعاطفى لهما .

٣ ـ اثر المتغيرات البنائية على المشكلات الأسرية ذات الجذور المجتمعية :

وقد تم فى هذا الموضع ، تناول المشكلات الاقتصادية التى يعانى منها الشباب وأسرهم الصغيرة ، وكيفية مواجهة ضغوط الحياة المادية، وكذلك العوامل البنائية التى أدت الى هذه المشكلات ، خاصة وان بعض حالات الدراسة قد عانت من شكل او آخر من اشكال البطالة ، أو التوترات فى مجال العمل .

هذا وقد تناولنا مشكلة التطرف الدينى والارهاب ، حيث كانت هذه الظاهرة من اهم الظواهر الاجتماعية السلبية التى ظهرت فى المجتمع المصرى فى السنوات الأخيرة ، حيث انعكست نتائج العمليات الارهابية على صناعة السياحة فى مصر ، والتى انعكست بدورها على افراد المجتمع ، ومن بينهم حالات الدراسة ، ممن تاثرت حياتهم بهذه الأحداث ، الى درجة فقدان البعض منهم لوظائفهم نتيجة الاستغناء عنهم .

وقد خرجنا من هذه الدراسة التتبعية الثالثة ، بنتيجة مؤداها أن حياة الشباب وأفكارهم وقيمهم تتأثر الى اقصى حد بمعطيات الواقع الاجتماعى ، والتى كان من أهمها وأخطرها تهمش الحدود التى ترسم ملامح الطبقة الاجتماعية فى مصر ، ونشأة طبقة راسمالية جديدة لا تستند الى علم أو قيم أو عمل جاد ،ولكنها تتمتع بالنفوذ المادى والسلطوى . ووفقا لمعطيات الواقع ، فقد حملت هذه المعطيات للبعض خيراً كثيراً ، وانفتاحا فى المال والجاه والسلطة ، كما حملت للبعض أيضا احمالا من الهموم والمعاناة والصراع ، فى ظل محاولات دائبة مستمرة من جانب الطائفة الأخيرة ، للتأقلم مع الواقع والتعايش معه تارة ، ومحاولات تغييره . والتمرد عليه تارة أخرى .

الدراسة الأولى

سنة ١٩٨٤

الباب الأول

الشباب وبوادر الأزمة

نحو إطار نظري

الفصل الأول

الشباب المصرى بين السياق التاريخى والسوق العالمى

الشباب وواقع المجتمع المصرى قبل ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ :

ان فهم واقع الشباب باعتباره جزءا من المجتمع ، يقتضى منا تناول هذا الواقع من خلال علاقته بالمجتمع الذى ينتمى اليه ، ، حيث ان هذا القطاع لا يعيش بمعزل عن هذا المجتمع . وبالمثل فان واقع المجتمع المصرى لا يمكن ان يتم فهمه الا من خلال علاقته بالنسق العالمى الذى هو جزء منه ، حيث يرتبط هذا المجتمع بعلاقات تأثير وتأثر مع المجتمع العالمى فى كافة مجالات الحياة سواء منها المجالات الاقتصادية أو الثقافية أو السياسية أو الاجتماعية . هذا بالاضافة الى أن الشباب لا يقف عند حد كونه جزءا من النسق العالمى ، وانما هو أيضا جزء من التاريخ ، حيث كانت هناك علاقات تأثيرية متبادلة ، أثرت على الشباب خلال الحقب والمراحل التاريخية التى تعاقبت على المجتمع .

ويحفل التاريخ المصرى بالعديد من الشواهد التاريخية التى تشير الى ان الشباب المثقف كان هو الطليعة التى قادت الحركات التحررية، ومن خلفهم سائر فئات الشباب من العمال والفلاحين ، وهى صورة مشابهة ومكررة لكل صور النضالات ضد القوى الاستعمارية فى مجتمعات العالم الثالث . حيث تكون تلك الفئة أقدر الفئات ادراكا للمتغيرات التى تطرأ على الانساق البنائية للمجتمع ، وذلك نتيجة لردود الافعال التى يولدها الوعى الاجتماعى والتطور الفكرى الذى تعكسه العملية التعليمية ، حيث يؤدى بهم هذا الى ادراك انواع الصراع الدائر فى المجتمع الذى يعيشون فيه .

كذلك فان فئة الشباب تكون أكثر فئات المجتمع ميلا الى التمرد على ما هو كائن ، وذلك من خلال أزمته فى البحث عن الهوية ، حيث يفضى به هذا التمرد الى رفض ما هو قائم بحثا عما هو أفضل . هذا بالاضافة الى ان فئة الشباب تكون فى مقدمة فئات المجتمع التى تعلن بصورة ثورية مباشرة عن اتجاهاتها الرافضة ، كما تعلن بصورة مباشرة أيضا عن انماط التغيير الذى ترغب فيه وتسعى من أجله .

وعلى الرغم من ان التاريخ القومى لأى دولة هو تاريخ متصل الحلقات الا أن حلقات التاريخ المصرى بحكم اختلاف تأثير العوامل الداخلية والخارجية فيه ، كانت متصلة أحيانا وشبه منفصلة أحيانا اخرى ، بحيث كانت تمر بالمجتمع فترات تاريخية مزدهرة تعبر عن التفاعلات الداخلية فى المجتمع ، على حين كانت تتوارى هذه التفاعلات لفترة زمنية معينة ، وان كان هذا التوارى لا يعنى انعدام أو اختفاء التفاعل ، بقدر ما يعنى كونه نوعاً من الكمون الظاهرى تحينا لفرص وصور أخرى من صور التفاعل .

وتعد الثورة الشبابية لطلاب الأزهر ابان الحملة الفرنسية على مصر من أولى الثورات الشبابية فى تاريخ مصر الحديث ، والتى كانت احتجاجا ورفضا لأعمال العنف والمظالم التى اتسم بها الاحتلال الفرنسى ، وتمردا على سياسة نابليون فيما يختص بجمع الضرائب من الشعب واثقال كاهله بها .

وقد ظهرت بوادر هذه الحركة مباشرة بعد اعدام الفرنسيين لمحمد كريم حاكم الاسكندرية ، وكان من نتيجة تلك الثورة ان تم اعدام العديد من افراد الشعب ، كما اعدم ثلاثة عشر طالبا وعالما ، بالاضافة الى اعدام الطالب سليمان الحلبى فيما بعد لاغتياله كليبر وأعدم معه ثلاثة آخرون من طلاب الأزهر (١) . وقد انعكست الثورة التى قادها الطلاب على باقى افراد الشعب ، بحيث امتدت الى مختلف مناطق الوجه البحرى وكذلك الصعيد (٢) .

ومما لا شك فيه ، ان تاريخ التحضر فى مصر الحديثة بدا منذ وصول الحملة الفرنسية ، وذلك بسبب ادخال نابليون الآلات الحديثة فى مجال بعض الصناعات مثل صناعة المدافع والسفن والآلات الحربية، ومصانع البارود والقبعات والبيرة ودبغ الجلود ، وادخال نظام الطباعة والصحافة فى مصر ، وانشاء المحاجر والمعازل الصحية والمستشفيات ، وانشاء الشوارع الجديدة العريضة التى تحفها الاشجار ، بالاضافة الى اهم الأعمال التى قام بها نابليون فى تلك الفترة وهى انشاء المجمع العلمى المصرى من العلماء الفرنسيين الذين اصطحبهم معه ، والذى كان من أهم نواتجه كتاب « وصف مصر » الذى سجل بالصور كل ما كانت عليه أحوال مصر فى هذا العهد ، وكذلك فك رموز حجر رشيد (٣) .

على ان ما قام به نابليون فى مصر من تطوير وتحديث وتصنيع لم يكن الا شكلا من أشكال انعكاسات آليات السوق العالمى ، اذ لم يحمل بين طياته اهدافا موجهة لخدمة الشعب المصرى او الثقافة المصرية ،

او التنمية الاقتصادية ، وانما كان يخدم مصالح نابليون الذاتية ومصالح أفراد الحملة ، كما كان يخدم مصالح فرنسا السياسية والاقتصادية كميدان جديد لنشاطها التجارى ، باعتبار ما كان مخططا له من استمرار الاحتلال الفرنسى لمصر ، واتخاذها مركزا لمقاومة امتداد نفوذ البريطانيين فى الهند والشرق .

واذا تناولنا بالتحليل الخلفيات التاريخية للثورات الشبابية والشعبية ضد الاحتلال الفرنسى ، فاننا نجد أن السبب المباشر فيها يرجع لأعمال العنف والظلم التى اتسم بها الاحتلال الفرنسى ، أو لمشاعر القهر من جراء الوقوع تحت وطأة هذا الاحتلال ، فقد كان الشعب أصلا يرزح تحت وطأة حكم المماليك ، وتحت محاولات الدولة العثمانية فرض سلطانها على مقاليد الحكم فى مصر ، ومن ثم فلم يكن الاحتلال أو أعمال العنف من المظاهر المستحدثة التى مهدت لهذه الثورات ، وانما يرجع السبب الأساسى فيها الى العوامل الاقتصادية المتمثلة فى فرض ضرائب اجبارية على طوائف الشعب وخاصة التجار منهم لمواجهة تكاليف الصراع مع بريطانيا ، مما جعل الشعب ينوء تحت ثقل هذه الضرائب ، التى تمس صميم رزقه واحتياجاته اليومية ، والتى هى نتاج لعمله وعرقه وجهده ، وهى نفس العوامل التى أدت مرة ثانية الى قيام مواجهة بين علماء الأزهر وطلبته وبين محمد على .

فقد لجأ محمد على الى فرض ضريبة على الأراضى الموقوفة لخدمة المساجد والسبل والخيرات ، كما فرض ضريبة على الأوسية التى كانت ملكا خاصا للملتزمين ، والتى كانت معفاة من الضريبة أصلا ، ولما كان فرض هذه الضرائب الجديدة يصيب اول ما يصيب المشايخ والعلماء باعتبارهم من بين كبار الملاك وجمهور المنتفعين بالأوقاف والمستحقين لها ، لذلك فقد لجأ علماء الأزهر الى تشجيع موجة التذمر العام ، وعمدوا الى الأسلوب المألوف الذى اثبت فاعلية فيما مضى ، وهو ايقاف الدروس والاحتشاد بالجامع الأزهر ، مما أدى بمحمد على الى خفض هذه الضرائب الى النصف (٤) .

وتعد انجازات محمد على فى مجال الصناعة وتغيير وسائل الانتاج بالاستعانة بالنموذج الغربى ، والخبرة الأجنبية ، من اهم العوامل التى ادت الى بناء الدولة الحديثة فى مصر والعالم العربى ، حيث تمثل ذلك فى انشاء عشرات المصانع لصناعة الصابون والكتان ومعامل السكر ومدابغ الجلود ، الى جانب المعاملات التجارية مع الدول الأجنبية ، وتعميم زراعة القطن طويل التيلة ، بالاضافة الى اهتمامه بايفاد البعثات العلمية الى اوربا لخدمة بعض الصناعات والعلوم الأجنبية ، وارساء دعائم التعليم فى مصر .

— كذلك من العوامل التى أدت الى بناء مصر الحديثة ، تلك العوامل التى تتصل بالنمو الحضرى وخاصة بالنسبة لمدينة الاسكندرية ، التى تطورت فى فترة قصيرة نسبيا من قرية ، لتصبح ثانى أكبر مدينة فى مصر بأسرها . الا ان عملية « التمدين» كانت من أهم العمليات التى أدت الى التباين الاجتماعى الاقتصادى بين افراد قبائل البدو نتيجة للتنمية الزراعية التى أدت الى الاستيطان ، كما أدت الى تفكك مجتمع القرية نتيجة للتحول من رى الحياض الى الرى الدائم ، ومن اقتصاد الضرورة الى انتاج المحاصيل النقدية ، علاوة على التطور الذى حدث فى الملكية الفردية الكاملة للأراضى ، اما طوائف الحرف فى المدينة ، فانها قد اختفت نتيجة لتدفق البضائع الأوربية ، وتزايد اعداد الأوربيين المقيمين فى مصر ، علاوة على التحول الذى حدث فى نظامها التجارى مع نمو المدن (٥) .

ويمثل نمو المدن المستقبل التطورى لأى مجتمع من المجتمعات الانسانية ، حيث يصاحب عمليات نمو المدن عمليات من التطور الاقتصادى والاجتماعى ، اذ تتكون فيها انماط جديدة من الانتاج ، وافرع جديدة من العلوم التطبيقية ، كما تتوفر فيها الفرص التعليمية ، وتتعدد فيها مجالات الاختيار لنوعية المهنة ، مما يؤدى الى تطوير القيم الثقافية (٦) .

وحيث أن نمو المدن فى الدول النامية يكون أساسا بمثابة تكوين روابط قوية يتم من خلالها توجيه الاقتصاديات القومية لخدمة القوى الاستعمارية ، ذلك انها تمثل حلقة اتصال بين الصفوة المحلية والعالم الخارجى ، أكثر مما تمثل قاعدة اقتصادية موجهة لخدمة الاقتصاد القومى (٧) لذلك ، فان نمو المدن فى ظل محمد على ، مثلها فى ذلك مثل مدن الدول النامية ، لم يكن نتيجة تطور اقتصادى ذاتى حققته مصر فى تلك الحقبة ، بقدر ما كان نتيجة لتطور اقتصادى وجه لخدمة الصفوة الحاكمة فى مصر ، والمثلة فى محمد على وأسرته وتابعيه من جهة ، وفى الدولة العثمانية التى لم يتمكن محمد على من الانسلاخ عنها من جهة اخرى ، على أن ذلك لا ينفى أن فترة حكم محمد على هى البداية الحقيقة لتاريخ مصر الحديث ، حيث خرجت مصر من عزلتها التى فرضتها عليها قرون من الحكم العثمانى ، لتتفاعل من جديد مع التيارات العالمية .

وقد كانت للثورة فى مجال الزراعة فى مصر علاقة هامة بالتحضر فيها ، مثلها فى ذلك مثل علاقة الثورة الصناعية بالتحضر فى دول الغرب، حيث خلق التحول من رى الحياض الى الرى الدائم اقتصادا تجاريا جديداً أخرج مصر من الاطار المحلى الى الاطار العالمى (٨) .

ولم تنج مصر فى عصر عباس من النفوذ الأجنبى ، على الرغم من أن سياسته كانت تهدف التخلص من الأجانب . اذ نجح الانجليز فى ترجيح مشروعاتهم الخاصة بجعل مصر مركز مرور للتجارة الشرقية والهندية ، وتسهيل ارتباط انجلترا بمستعمراتها فى الهند ، على مشروع الفرنسيين الخاص بحفر قناة السويس ، فاقنعوا عباس باشا برصف الطريق من السويس الى القاهرة ، كما مدوا الخط الحديدى بين القاهرة والاسكندرية (٩) .

وقد استهل سعيد الحكم بعد مقتل عباس بالاستغناء عن كل بطانة عباس التركية ، واتخذ له حاشية من المصريين ، كما قام بتعيين المصريين فى وظائف الادارة العليا ، كما اسقط عن الفلاحين الضرائب المتأخرة ، ووزع الأراضى على الفلاحين ليصبح لهم الحق فى رهنها أو بيعها . الا أن حب سعيد للاوربيين والفرنسيين بصفة خاصة فاق حبه للمصريين ، اذ أعطى امتياز شق قناة السويس لفردينان دى لسبس ، حيث صاحبه أولى بدايات سياسة القروض الأجنبية لدفع الأقساط المستحقة عليه من ثمن أسهم قناة السويس ، وبلغ هذا الدين ٢٫٤٠٠٫٠٠٠ جنيه ، وكان عليه أن يسدد الدين فى مدة ثلاثين سنة ، حيث بلغ مجموع الأقساط فى النهاية بعد اضافة الديون الى ٧٫٩٣٠٫٠٠٠ جنيه .

وعلى الرغم من ان الخديو اسماعيل يرجع له الفضل فى العديد من المشروعات ذات الطابع الحضارى فى مصر ، مثل انشاء دار الآثار ، ومصلحة البريد ، وانشاء مجلس الشورى ، وانشاء دار الأوبرا ، وتمهيد شارع الهرم ، وانشاء دار الكتب ، وانشاء الكبارى والجسور ، وفتح مجالات التعليم ، وتجميل القاهرة بانشاء العديد من القصور والميادين والتماثيل لتحويل القاهرة الى عاصمة تشبه باريس ، وتأسيس الجمعية الجغرافية ، والتوسع فى انشاء السكك الحديدية ، وكذلك انشاء النهضة المسرحية والموسيقية والغنائية والصحفية — على الرغم من كل تلك الانجازات ، الا أن اسماعيل سار على نهج سلفه سعيد من حيث الالتجاء الى القروض الأجنبية ، وان فاق معدلات الأخير بصورة هائلة ، حيث لجا خلال حكمه الى ثمان قروض . حيث استدان فى سنة ١٨٦٤ أول هذه القروض وقيمته ٥٫٧٠٤٫٢٠٠ جنيه انجليزى بفائدة حقيقية مع الاستهلاك تصل الى ١٢٪ ، ورهن فى مقابل هذا القرض ضرائب الأطيان بمديريات الدقهلية والشرقية والبحيرة لسداد اقساطه . وقد انفق هذا القرض على انشاء العديد من القصور وشراء اراض للأمراء .

أما القرض الثانى ، فقد بلغت قيمته ٣٠٠ر٣٨٧ر٣ جنيه ، وقـام فى مقابل هذا الدين برهن ٣٦٥ الف فدان من أملاكه ، وكان هذا الدين بسبب تراجع القطن بعد انتهاء الحصار على القطن الأمريكى بسبب الحرب الأهلية الأمريكية ، حيث لم يتمكن الملاك والفلاحين من تسديد ديونهم للدائنين والمرابين ، وذلك فى مقابل أن يسددوا هذا الدين له خلال سبع سنوات بفائدة قدرها ٧٪ .

أما القرض الثالث ، فقد بلغت قيمته ٣ ملايين جنيه ، مقابل رهن ايرادات السكك الحديد ، وكان الهدف من هذا القرض هو دفع جزئه الاكبر كرشوة للباب العالى لتعديل نظام الوراثة ، بحيث يجعل الولاية من بعده لابنه ، وليس للأكبر من أسرة محمد على بصفة عامة .

أما القرض الرابع ، فقد بلغ ٠٠٠ر٨٠٠ر٢ جنيه ، وقد انفق على تجديد حديقة الأزبكية ، وبناء دار للتمثيل ، ومضمار لسباق الخيل ، وبناء قصور عابدين والقبة والزعفران والجيزة والقصر العـالى ، وسراى مصطفى باشا برمل الاسكندرية .

وقد بلغت قيمة القرض الخامس ٠٠٠ر٠٨٩ر١١ جنيه ، بسـعر فائدة ٦١٪ ، وقد خصص لسداد هذا الدين ايرادات الجمارك وعوائد الكبارى وايراد الملح ، ومصائد الأسماك ، وقد انفق اسماعيل باشا نحو مليونى جنيه من هذا القرض كرشوة للسلطان ورجاله ، كما انفق جزء منه لاتمام قصوره وتأثيثها ، بالاضافة الى النفقات الباهظة على حفلات افتتاح قناة السويس .

وقد بلغت قيمة القرض السادس ٨٦٠ر١٤٢ر٧ جنيها بضمـان اطيانه الخاصة المتبقية ، ولم يدخل خزينة الحكومة سوى خمسـة ملايين جنيه ، أما باقى المبلغ فقد كان بمثابة عمولة .

وقد تعدت قيمة القرض السابع كافة معدلات القروض السابقـة حيث بلغ ٣٢ مليون جنيه ، وهو ما يسمى بالقرض المشئوم ، الذى لم يدخل منه للخزانة سوى ٠٠٠ر٧٤٠ر٢٠ جنيه ، وذلـك بدعـوى تخصيصه لتسديد الديون السائرة التى كانت قد بلغت فى ذلك الوقت ٣٥ مليونا من الجنيهات ، ولم ينفق هذا الدين على سداد الديون السابقة التى زعم انه سيخصص لتسديدها .

أما القـرض الثامن ، فقـد بلـغ ٠٠٠ر٥٠٠ر٨ جنيه ، ورهنت وزارة نوبار باشا التى كان من بينها وزير انجليزى للمالية وآخـر

فرنسى للاشغال — الأطيان التى تنازل عنها أفراد الأسرة الخديوية ومقدارها ٤٢٥ر٧٢٩ فدان ، وعهد بادارتها الى لجنة دولية مؤلفة من ثلاثة أعضاء ، انجليزى وفرنسى ومصرى ، ولم تكن شروط هذا القرض الجديد أحسن حالا من القروض السابقة اذ لم يدخل الخزانة المصرية منه سوى ٥٠٠ر٩٩٢ر٥ جنيه . وقد سددت الوزارة بهذا القرض بعض أقساط الديون وفوائدها . ولم تدفع مليما واحداً منه لمرتبات الموظفين المتأخرة .

ولم تتوقف سياسة اسماعيل لفرض النفوذ الأجنبى على مصر عن طريق الديون ، انما تعدى ذلك الى انشاء المحاكم المختلطة ، وعين لها قضاة من الأجانب الذين ترشحهم دولهم (١٠) .

ومن خلال ذلك العرض الموجز لتاريخ الديون والقروض الأجنبية فى مصر بدءاً من عصر سعيد واسماعيل ، نلاحظ وضوح انعكاسات آليات السوق العالمى ، وسيطرة النموذج الغربى على الاقتصاد المصرى بصورة خاصة وعلى بناء المجتمع بصفة عامة . فمع ادخال بعض الصناعات الأجنبية وتغيير نمط الانتاج من نمط تقليدى الى نمط تابع ، تزايد النفوذ والوجود الأجنبى فى مصر . ومع بدايات سياسة الديون تضاعف هذا النفوذ حيث لم يقتصر على السيطرة على الموارد الاقتصادية للدولة وتوجيهها لخدمة مصالح الدول الأجنبية ، انما تعدى ذلك الى توجيه السياسة العامة للدولة وفقا لمصالح هذه الدول .

واذا تناولنا أوجه انفاق هذه الديون التى جلبت على مصر تصاعد النفوذ الأجنبى ما أودى بها الى الوقوع تحت سيطرة الاحتلال المباشر فيما بعد ، فاننا نجد أن هذه الديون لم توجه جميعها بصورة أساسية لخدمة المصالح المباشرة للمجتمع المصرى ، أو مصالح أفراده ، كما لم توجه الى برامج التنمية والتصنيع لمسايرة النهضة الصناعية فى الدول الأوربية الغربية ، انما وجه الجانب الأكبر منها لتعزيز وتوطيد دعائم الأسرة الحاكمة عن طريق تعديل نظام الوراثة ، حيث قام اسماعيل باغراق الباب العالى بالمنح والهبات لتعديل هذا النظام طمعا منه فى امتداد سلطان أسرته ونفوذها على مقاليد الحكم فى مصر الى الأبد .

كذلك فقد تم انفاق جزء من هذه الديون فى سبيل وسائل الرفاهية، وبناء الأمجاد الشخصية لطبقة الأمراء والحكام من أفراد أسرته وأتباعه ، وذلك بهدف استمالتهم ، وضمان تأييدهم له فى سياسته الداخلية والخارجية التى كانت تخدم مصالحهم بشكل مباشر بقدر ما كانت تخدم مصالحه الخاصة .

وبالمثل ، فقد تم توجيه جزء من هذه الديون فى سبيل امجاد اسماعيل ونزواته الشخصية ، وتحقيق طموحاته الذاتية فى التشبه بالحكام فى الدول الأوربية ، ومسايرة أوضاعهم المظهرية والشكلية ، دون النظر فى مدى اختلاف خصائص المجتمع المصرى وامكانياته الاقتصادية عن تلك التى فى هذه الدول — فلم يكن بناء الأوبرا الا وسيلة لاظهار عظمة اسماعيل عند افتتاح ضيوف مصر لقناة السويس ، ولم يكن انشاء شارع الهرم الا من اجل استخدامات هؤلاء الضيوف ، مع ما صاحب ذلك من بذخ واسراف فى الانفاق على الحفلات التى اقيمت بمناسبة افتتاح القناة ، رغم الأعباء الاقتصادية والديون التى كان يرزح تحتها الاقتصاد المصرى ، والتى كانت لها انعكاساتها البالغة السوء على أفراد المجتمع . كذلك فقد كان انشاء الميادين والتماثيل والعديد من المشروعات التى تم انشاؤها فى عصر اسماعيل ، بهدف تحقيق نزواته الخاصة واظهار مدى عظمته الشخصية ، وتحقيق طموحه فى التشبه بالدول الأوربية ، حيث بلغ به الأمر الى انشاء دار الكتب ليس من أجل النهضة الفكرية والثقافية لمصر فى حد ذاتها ، وانما كانت عملا تنافسيا لدار الكتب التى كانت موجودة فى باريس فى ذلك الوقت .

وبالرغم من حجم الانجازات الكبيرة فى عهد اسماعيل ، الا أن الاسراف والسفه فى الانفاق على مجده الشخصى وتوطيد أركان حكمه وحكم أسرته ، جعله ينساق وراء تحقيق مطامعه باستخدام مختلف وسائل القمع التى مارسها ضد أفراد المجتمع ، وخاصة الفلاحين ، وارهاق كاهلهم بمزيد من الضرائب لمواجهة أوجه انفاقه ، بحيث استنفذت متطلباته المادية مدخراتهم وناتج عملهم فى سبيل طموحاته الخاصة التى امتدت الى حد السعى لتوسيع أرجاء مملكته ممثلة فى حملاته على الصومال والحبشة .

كذلك فقد لجأ اسماعيل من اجل تحقيق مطامعه الشخصية الى استخدام كافة السبل والوسائل التى تحقق له هذه المطامع سواء ما اتصل منها بتمهيد المداخل لامتداد سيطرة النفوذ الأجنبى على مصر عن طريق القروض والديون الخارجية ، أو عن طريق تعيينه لبعض الوزراء الأوربيين ، أو عن طريق انشائه للمحاكم المختلطة ، حيث ادت تلك الوسائل فى النهاية الى التدخل الأجنبى المباشر فى صورة الاحتلال البريطانى ، وهو ما يلقى ظلالا كثيفة وقاتمة ، تتوارى خلفها كل الانجازات التى تمت فى عصره .

وبما أن الشباب هو جزء من تاريخ المجتمع المصرى ، وذلك بسبب العلاقات التاثيرية المتبادلة بينهما ، وبما أن تاريخ المجتمع المصرى،وخاصة فيعصر اسماعيل ارتبط ارتباطا وثيقا ومباشراً بنسقالسوق العالمى ، فان حركة الشباب لم تتوارى فى تلك الحقبة ، وخاصة بين فئة المثقفين منهم ، اذ كانوا على وعى وادراك لأنواع الصراع الدائر فى المجتمع ، ومدى انعكاسات هذا الصراع على مختلف ابنيته ، حيث كان ذلك نتاجا لردود الأفعال التى خلقها الوعى الاجتماعى والتطور الفكرى المترتب على التوسع فى الحركة التعليمية . ومن ثم فقد أدى اسراف اسماعيل فى القروض الأجنبية وافساحه المجال لتدخل وسيطرة النفوذ الأوربى على مختلف عناصر البناء الاجتماعى والسياسى للمجتمع المصرى ، الى تحرك روح التمرد والمعارضة للأوضاع القائمة بين فئات الشباب المثقف .

فقد ظهرت بوادر روح المعارضة فى مجلس الشورى ، على يد نواب كانوا فى الأصل من تلاميذ جمال الدين الأفغانى ، الذين تشبعوا بآرائه وتعاليمه السياسية . وكان الأفغانى قد لعب دوراً خطيراً فى حياة بلاده ، حيث وصل الى منصب الوزير الأول ، ولكن الاستعمار الانجليزى طارده بالدسائس لما عرف عنه من محاربة الاستعمار الأوربى الذى بدأ يهدد شعوب الشرق الاسلامى كلها . وعندما وصل الى مصر ، كانت شهرته قد سبقته اليها ، فتوافد طلاب الأزهر الى بيته ، وشرعوا يستمعون لمحاضراته التى كانت تتناول العديد من الموضوعات فى ضوء آخر معطيات العلم الأوربى الحديث ، مما كان له اكبر الأثر فى تشكيل افكار وتطلعات هؤلاء الشباب (١١) .

وتعد ثورة الضباط فى عصر اسماعيل مؤشراً لمعاناة افراد المجتمع عامة ، والشباب خاصة من الأوضاع التى كانت سائدة فى عصره ، حيث كان من بين اجراءات وزارة المالية الأوربية لتدبير المبالغ اللازمة لسداد ديون الدائنين ، ان فصلت ضباط الجيش بالجملة ، فأحالت الى الاستيداع ٢٥٠٠ ضابط من ضباط الجيش ، فى الوقت الذى كان فيه *هؤلاء الضباط ينتظرون دفع رواتبهم المتاخرة ، والتى جاوزت عشرين* شهراً . وبلغ من استهانة الحكومة بهم ، أن كلفتهم بتسليم اسلحتهم الى ثكنات العباسية بدلا من تسليمها الى وحداتهم ، فاجتمع من هؤلاء الضباط نحو ٦٠٠ ضابط ، وقاموا بمظاهرة قاصدين وزارة المالية ، يتبعهم لفيف من طلبة المدرسة الحربية وحوالى الفى جندى حيث قاموا بضرب نوبار باشا رئيس الوزراء ووزير المالية الانجليزى ، وحبسوهما فى وزارة المالية — وكان من نتيجة تلك الثورة ان اقيلت وزارة نوبار

باشا ، وتم تشكيل وزارة جديدة برئاسة محمد توفيق الذى استبقى الوزيرين الأوربيين . وقد اسرع وزير المالية الانجليزى لتهدئة الشعور العام بأن اقترض من احد البنوك الانجليزية مبلغ ٤٠٠ الف جنيه لدفع مرتبات الضباط المتأخرة ، كما اصدر المجلس العسكرى الذى شكل لمحاكمة زعماء الحركة قراره ببراءة جميع من اشتركوا فيها (١٢) .

وهكذا نرى انه فى الوقت الذى كان فيه اسماعيل يبدد أموال الدولة فى سفه واسراف لارضاء نزواته وأمجاده الشخصية ، انما كان ذلك على حساب فئات المجتمع الكادحة ، حيث ادى سفهه واسرافه الى قصور موارد الدولة عن دفع رواتب الضباط لمدة عشرين شهرا ، بل وصل الأمر بالحكومة الى الاتجاه نحو فصل ٢٥٠٠ ضابط ، مما يشير بصورة ضمنية الى التوجيهات السياسية الأجنبية لاضعاف الجيش المصرى ، باعتبار أن هذا العدد يمثل ثقلا للتعداد العام للجيش المصرى . هذا بالاضافة الى ما تعنيه ثورة الضباط التى انضم اليها اعداد كبيرة من طلاب المدارس والجنود ، من انها كانت مؤشراً للضغوط والمعاناة التى وقع تحت وطأتها أفراد المجتمع ، الذين كانوا يتحينون الفرصة للتعبير عن رفضهم لما هو قائم وتمردهم عليه .

واذا كان لتعاليم جمال الدين الأفغانى اكبر الاثر فى ظهور روح المعارضة فى مجلس الشورى ، حيث فرضت مدرسته الفكرية طابعها على احداث مصر الاجتماعية والسياسية ، فان الاتجاهات الفكرية والوطنية والعلمية لمحمد عبده ورفاعة رافع الطهطاوى ومحمد فريد وعبد الله النديم ، بلورت الوعى السياسى لدى الفئات المثقفة من شباب هذا الجيل .

ويمثل موقف الشباب المصرى من الثورة العرابية ذلك الوعى السياسى الذى أخذت ابعاده فى التبلور والوضوح .. فقد انقلبت مصر مسرحا للخطباء فى كل مجتمع وناد ، حتى فى المساجد . وكان عبد الله النديم (خطيب الثورة) كثيراً ما يصطحب معه طلبة المدارس ، وبعد خطبته يقدم أحدهم الى الجمع ليخطب بجانبه . وكان عرابى والبارودى وغيرهم من زعماء الثورة يحضرون الى هذه الحفلات ويتصدرونها . وكان مطلبهم الأساسى فى ذلك الوقت هو اسقاط الوزارة وتاليف مجلس للنواب والمطالبة بالدستور . وقد انتهت تلك الثورة باستجابة الخديو بتاليف وزارة محمود سامى البارودى ، التى تم فيها تعيين احمد عرابى وزيراً للبحرية والحربية ، وتكوين مجلس النواب ، واعلان الدستور فى ٨ فبراير سنة ١٩٨٢ (١٣) .

واختفت الحركات الشبابية الوطنية من على سطح الأحداث لسنوات عدة بعد الاحتلال البريطاني الذى تم عن طريق تواطؤ الخديو توفيق مع انجلترا ، وذلك بعد فشل العرابيين فى ايقاف القوات البريطانية ، واختفاء عبد الله النديم لمدة تسع سنوات كاملة ، وان كانت العناصر الوطنية لم تترك اية فرصة تلوح لها دون أن تندد بالاستعمار ، ورفض السيطرة الأجنبية ، ولكن الحركة والوعى القومى عادا الى الظهور مرة أخرى بعودة عبد الله النديم والتقائه بمصطفى كامل ، ليأخذ اتجاها جديداً لا يتمثل فى الثورة على فساد الحكام بصورة مباشرة كما كان الحال فى عصر اسماعيل ، وانما يتمثل فى ثورات متفرقة على الاحتلال البريطانى ، وما ترتب عليه من استنزاف موارد الدولة الاقتصادية لمصلحة الاقتصاد البريطانى ، فكانت ثورة على التبعية بكل اشكالها وصورها ، ومن ثم فقد كانت الروح الوطنية القومية هى السمة الغالبة لحركات الشباب فى الفترة التالية للاحتلال البريطانى .

وتعد أزمة الشباب فى تلك الفترة انعكاسا لازمة المجتمع المصرى المكبل بقيود التبعية وسيطرة السوق العالمى . حيث تتسم علاقة الفرد بالمجتمع بانها علاقة ديناميكية تفاعلية مستمرة ، وان المجتمع ما هو الا حقيقة موضوعية لابعاد تاريخية وسياسية واجتماعية وثقافية ، تشكل فى النهاية النمط السوى للعلاقات التبادلية بين الفرد والمجتمع ، وبين المجتمع والفرد من خلال ما يقوم به هذا المجتمع من اشباع لحاجات الفرد الاجتماعية والاقتصادية والنفسية ، وكذلك من خلال الأدوار التى يقوم بها الفرد للمحافظة على استقرار البناء الاجتماعى وبقائه — ومن ثم فان تشرزم الثورات الشبابية فى السنوات التالية للاحتلال البريطانى لا تعنى ان فئة الشباب كانت تقف موقفا سلبيا من الأحداث التى تدور حولهم ، وان عدم اتخاذهم موقفا نقديا صريحا يعنى تكيفهم مع ما هو واقع بالفعل ، انما كان يعنى انه كان انتظارا وتحينا للفرص السانحة — من خلال المواقف والأزمات التى كانت تنشأ بين قوى الاحتلال وبعض القوى السياسية الوطنية الحاكمة — ليقوم الشباب بالتنفيس عن انفعالاتهم ، والتعبير عن رفضهم للأوضاع القائمة ، وكذلك التعبير عن قلقهم الذى يعيشونه ، والذى يتستر تحت تقوقعهم واستسلامهم الظاهر .

وقد لجأ شباب المثقفين الى اعلان رفضهم للسياسة العامة للدولة فى صورة رفضهم ونقدهم للأوضاع التعليمية المتردية ، حيث تمثل هذا الرفض فى مظاهراتهم فى يناير سنة ١٩٠٦ من أجل تقييد سياسة التعليم فى مصر ، والتى وضعها لهم الاحتلال البريطانى — ثم تلاها فى نوفمبر

سنة ١٩٠٨ أول مظاهرة منظمة فى تاريخ الحركة القومية المصرية ، عندما هتف طلاب مدرسة الحقوق مطالبين بالاستقلال أثناء اقامة عرض للجيش البريطانى فى ميدان عابدين — وفى مارس سنة ١٩٠٩ ، قامت مظاهرة كبرى ، جمعت عدة آلاف من الشباب من طلبة المدارس العليا والأزهر وطوائف التجار والصناع ، احتجاجا على تقييد حرية الصحافة ، وتجددت المظاهرات لعدة أيام ، حتى تصدت لهم قوات البوليس لقمع حركة المتظاهرين ، وكان الهدف الأساسى للشباب وراء المناداة بحرية الصحافة ، توفير القنوات التى يستطيعون من خلالها المناداة بالدستور . وقد تابع الطلاب مظاهراتهم من أجل الحصول على الدستور حتى تم اعلانه فى نوفمبر سنة ١٩١٤ (١٤) .

وقد كان انشاء نادى المدارس العليا ، الذى جمع بين طلبة المدارس وخريجيها ، مؤشرا لعدم تكيف الشباب المصرى مع واقع المجتمع فى تلك الحقبة ، ومن ثم كان اتجاههم نحو تأسيس هذاالنادى بدافع من الرغبة فى تكوين مجتمع خاص بهم ، يستطيعون عن طريقه خلق ثقافة خاصة بهم ، تمثل عملية احلال لعدم تكيفهم مع المجتمع ، حيث يستطيعون من خلال هذه الثقافة وهذا المجتمع اثبات وايجاد ذواتهم وهوياتهم ، بالاضافة الى ما يمثله هذا النادى بالنسبة لهم كاحدى القنوات التى يستطيعون من خلالها التعبير عن آرائهم وافكارهم وتطلعاتهم . وقد كان نتيجة لامتزاج الطلبة بشباب الخريجين ، أن بدات فى الظهور اشكال من عمليات التواصل الفكرى والعقلى ، التى ساهمت فى توجيه الحركات القومية التحررية التى مهدت للاستقلال بعد ذلك بنحو خمسين عاما .

وقد لعب نادى المدارس العليا دوراً كبيراً فى انشاء الحركة التعاونية ، حيث قام رئيس هذا النادى سنة ١٩١٠ بتأسيس أول جمعية تعاونية زراعية ، واعتبر نادى المدارس العليا أول بيئة نشأت فيها هذه الدعوة التى استتبعها بعث النهضة الاقتصادية فى مصر ، كما قام بانشاء مدارس الشعب الليلية للفقراء والعمال ، وتطوع طلاب النادى المنتمين الى الحزب الوطنى لتدريس مختلف المواد للعمال (١٥). ومن ثم ، فان دور شباب نادى المدارس العليا لم يقف عند حد التفاعل مع الحركات والأفكار القومية التحررية ، والاتجاه نحو العمل السياسى فقط ، انما أمتد هذا الدور ليشكل حركة ثورية اقتصادية ، تهدف الى أرساء دعائم اقتصاد زراعى حر ، كمحاولة للتخلص من بعض اشكال التبعية الاقتصادية ، وسيطرة السوق العالمى . كما امتد هذا الدور أيضا ليأخذ شكلا من اشكال التنمية الاجتماعية التى تسعى الى محو

امية الفقراء والعمال الذى اغفل النظام الاجتماعى والسياسى للدولة حقهم فى التعليم والتثقيف ، كما اغفل أهمية هذا الجانب فى دفع عجلة التنمية ، ودعم بناء المجتمع ، باعتبار أن السياسات التنموية الإقتصادية لا يمكن أن تتم بمعزل عن السياسات التنموية الاجتماعية .

وقد بدأت حركات الشباب بعد فرض الحماية البريطانية على مصر فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ ، تأخذ ابعاداً جديدة لها ، حيث لم تقف عند حد الاحتجاج على الأوضاع السياسية التابعة ، بل تعدتها الى الاحتجاج على عدم توافر مقومات العدالة الاجتماعية ، وكان السلطان حسين قد لجأ الى منح رتب الباشوية والبكوية لكثير من الأعيان وكبار الموظفين ، رغبة منه فى استمالتهم اليه ، وعدم معارضتهم للنظام القائم ، فى الوقت الذى قامت فيه الحكومة باضطهاد اعضاء الحزب الوطنى ، واعتقال الكثيرين منهم ونفى البعض الآخر (١٦) .

وقد كان فرض الحماية على مصر ، وما صاحبها من استنزاف لموارد مصر الاقتصادية ، من اهم العوامل التى ساهمت فى تحالف فئة الشباب مع سائر فئات المجتمع الأخرى فى ثورة سنة ١٩١٩ ، حيث تخلقت مجموعة من العوامل التى تفاعلت فيما بينها لتفرز أكبر ثورة عرفها التاريخ المصرى الحديث .

فقد كانت ثورة سياسية لانها كانت ثورة على الحماية التى أعلنتها بريطانيا على مصر ، والتى كان من نتائجها اشتراك مصر فى حرب لم يكن من المفروض أن تكون طرفا فيها وهى الحرب العالمية الأولى ، وهى ثورة اجتماعية بسبب رفض فئة الشباب المثقف خاصة وسائر فئات الشعب عامة انماط واساليب القهر التى كانت تمارسها السلطة العسكرية التى فرضت الاحكام العرفية على البلاد ، مما جعل موضوع تاليف الوفد المصرى واعتقال سعد زغلول الشرارة التى اندلعت بسببها الثورة ، بالاضافة الى الرقابة التى وضعتها الحكومة على الصحف ، الى جانب اساءة الجنود الانجليز معاملة المصريين أصحاب البلاد الأصليين ، وهى ثورة اقتصادية بسبب صور الاستغلال والاستنزاف التى تعرضت لها موارد الدولة الاقتصادية والتى انعكست على سائر افراد المجتمع .

فقد كانت اسعار القطن قد هبطت هبوطاً شديداً بعد الحرب ، وتوقفت البنوك عن عمليات التسليف ، كما أن الضغط الاقتصادى على مصر خلال الحرب مثل عبئا على كاهل المصريين ، حيث وضعت جميع موارد الدولة لخدمة هذه الحرب ، الى جانب قيام الحكومة بمنح ثلاثة

ملايين ونصف مليون جنيه لبريطانيا فى سنة ١٩١٧ ، على حين كانت البلاد فى أشد الحاجة الى مثل هـــذا المبلـــغ للانفـــاق على مرافـــق الدولة (١٧) .

ومن أهم ملامح ثورة سنة ١٩١٩ ، والتى تميزها عن كافة الحركات الشعبية والشبابية القومية التى قامت فى المراحل السابقة ، اشتراك الأطفال والنساء فيها ، فقد كانت أول صورة من صـــور المشاركـــة النسائية السياسية ومن ثم فقد كانت أولى الخطوات التى تبنت فيها المراة ادوارا جديدة ، والتى ترتب عليها العديد من الحركات النسائية التحررية فيما بعد .

ويشير احد المراقبين الأجانب الى ان اطفال المدارس فيما بين العاشرة والثانية عشرة ، قد ساهموا فى تلك الثورة ، بارسال برقيات احتجاج الى وزير التعليم ، والى رئيس الوزراء ، كما شكـــا بعض اصحاب الحرف من عدم تمكنهم من السيطرة على بناتهم ، اذ كن أكثر عنفا وثورة من البنين (١٨) .

ولم تقتصر ثورة ١٩١٩ على المدن الكبرى فقط ، وانما انتشرت بين سائر المدن الصغرى ، وامتدت الى القرى والكفور ، اذ شعـــر افراد الشعب ولأول مرة فى تاريخ مصر ، أن القضية التى تحركهم لم تكن ذات بعد واحد ، وانما ذات أبعاد متعددة ، انعكست آثارها على افراد المجتمع بأسره ، كما أنها لم تكن قضية تخص فئة بعينها ، وانما تخص كل الفئات . الى جانب أنها لم تكن قضية تتصل باقليم أو منطقة أو مدينة بذاتها ، وانما تتصل بكل ركن قصى من اركان مصر ، ومن ثم فقد كانت ثورة ١٩١٩ تجميعا لكل القوى والفئات ، وهى وان لم تكن قد حققت الاستقلال ، الا أنها كانت المقدمـــة الحقيقيـــة لثورة سنة ١٩٥٢ ، على الرغم من الفاصل الزمنى الذى يفصل بين الفترتين .

وتمثل ثورة ١٩١٩ على وجه الخصوص ، وسائر الثورات الشعبية المصرية بشكل عام تعارضا واضحا مع بعض المفاهيم التى كانت سائدة عن استسلام واذعان الشعب المصرى للظلم والقهر ، والتى تتضح فى احد الأحاديث نقلا عن المقريزى اذ يقول : عندما خلق الله جميع الاشياء فانه اعطى لها قرينا ، فقال العقل سوف أذهب الى سوريا ، وعندها قال التمرد وانا سوف اذهب معك . وقال الفقر أنا ذاهب الى الصحراء، وعندها قالت الصحة وانا ساجيىء معك . وقال الثراء انا ذاهب الى مصر وعندها قال الاذعان وانا سوف اذهب معك .

ويتناقض ذلك مع تلك الشواهد التاريخية للحركات الثورية الشعبية فى تاريخ مصر ، والتى شملت فى اغلب الأحيان فئة الشباب بزعامة وقيادة المثقفين منهم ، بل ان الشواهد تشير الى خطأ ما أشيع عن اذعان الفلاح المصرى لمظاهر القمع والظلم ، ويدل على ذلك ثورات الفلاحين فى مصر فى الفترة من عام ١٧٧٨ الى ١٩٥١ ، حينما تمرد الفلاحون جميعا وفى وقت واحد فى منطقة طهطا على دفع الضرائب . ونجاح أحد الفلاحين فى تعبئة نحو ٤٠ الف رجل من القرويين فى محافظة قنا سنة ١٨٢١ للثورة على الحكومة .. وثورة الفلاحين فى المنوفية ضد ابتزاز موظفى محمد على للأموال ، وضد التجنيد الاجبارى للخدمة العسكرية . الى جانب الاضطرابات التى حدثت بين فلاحى (أبو تيج) فى عصر اسماعيل بسبب نظام السخرة . كما لم يكن اشتراك الفلاحين فى ثورة ١٩١٩ موجها فقط ضد الانجليز ، انما كان موجها أيضاً ضد كبار ملاك الأراضى . وكذلك ثورة الفلاحين فى سنة ١٩٣٦ فى احدى قرى كفر الزيات لاعتراضهم على استيلاء أحد البنوك على احدى العزب المرهونة . هذا الى جانب ثورات الفلاحين فى بعض قرى محافظة الغربية والشرقية والدقهلية سنة ١٩٥١ عندما ازدادت ايجارات الأرض فجأة بسبب ازدهار القطن ، علاوة على عدم وجود الاستقرار العام من الناحية السياسية والاجتماعية (١٩) .

وعلى هذا ، فان الشعب المصرى لم يستسلم خلال تاريخه الطويل ، ولم يذعن لعمليات القمع والقهر التى كانت تمارس ضده ، وانما كانت الظروف والعوامل الداخلية أحيانا ، والخارجية فى أحيان كثيرة ، اقوى وأكبر من قدرات الشعب المحدودة للتصدى لعمليات القمع والقهر بصورة سافرة ، فكان يتحين الفرص والظروف التى تسنح له ، لمواجهة تلك العمليات .

وقد اتخذت الحركات الشبابية بعد ثورة ١٩١٩ ، ابعادا أخرى جديدة ، اذ كان النمو الرأسمالى الذى وقع فى مختلف الميادين قد ضخم من صفوف الفلاحين المصريين والعمال الزراعيين والصناعيين بصورة مغايرة عن ذى قبل ، فبدأ التمايز الطبقى يمتد فى المدينة والريف أيضا ، ولم تعط هذه الأوضاع الجديدة دفعة قوية فحسب للحركة الوطنية فجعلتها تتصاعد بسرعة ، بل جعلتها فى جوهرها تكتسب مضمونا جديداً أيضا ، فلم تعد القضية التى تكافح من أجلها فقط هى جلاء القوات البريطانية ، ووضع حدود لسلطات الملك الدستورية ، بل اصبح المطلوب وان كان بصورة غامضة فى أحيان كثيرة ، هو التخلص من الارتباط بالاستعمار البريطانى ، واحلال السيطرة المصرية محل الأجنبية على مفاتيح الاقتصاد (٢٠) . ومن ثم فقد اشتد ساعد الحركة

التحررية بتأثير الفئة المثقفة من الشباب ، حيث ركزت على الاستقلال، والغاء السيطرة الاستعمارية ، وعلى هذا الأساس وجهت جهودها نحو تحقيق بعض الانجازات التى تمهد لانجاز هذا الهدف ، مثل النضال من أجل العمل على اعادة دستور سنة ١٩٢٣ ، والاحتجاج على معاهدة سنة ١٩٣٦ ، والعمل على اسقاط الحكومات التى تمالىء سلطات الاحتلال لاحلال حكومات جديدة تعمل من أجل المصالح الذاتية لأفراد الشعب ، كاسقاط حكومتى النحاس والنقراشى لاتخاذهما سياسة الحكم المطلق استنادا الى تأييد الانجليز لهما . وقد تطورت تلك الحركات الى المطالبة بالجلاء والمناداة باسقاط الحكم الملكى ، حيث اتخذت شكلا جديداً من اشكال المقاومة الفعلية والمواجهة المباشرة مع قوات الاحتلال ، واستخدام العنف والاغتيالات السياسية فى سبيل تحقيق تلك المطالب (٢١) .

وعلى هذا ، فقد كانت ثورة سنة ١٩٥٢ ، آخر حلقات الصراع مع قوى الاحتلال والتدخل الاستعمارى المباشر . وكذلك مع مختلف انظمة الحكم الفاسدة ، الذين تحالفوا فيما بينهم على توجيه السياسة الداخلية والخارجية لخدمة مصالحهم الخاصة ، وعملوا على توطيد وتدعيم الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المتردية للأغلبية الساحقة من أفراد المجتمع ، بحيث تظل فى حالة من التخلف تعوقها عن ادراك ابعاد الواقع المطروح ، وحتى لا تتفاعل فيما بينها لمحاربة ومصارعة الأشكال المتعددة للفساد والاستغلال — الا أن عملية الوعى التى تولدها العمليات التعليمية ، والانفتاح على الثقافة الغربية ، جعلت فئة المثقفين عامة والشباب منهم خاصة ، يدركون الأبعاد المختلفة لحقيقة المشكلة المصرية . حيث ادركوا أن الاستعمار بسيطرته على النظم السياسية الداخلية ، قد اتبع خطة محكمة لابقاء المجتمع المصرى فى حالة من التبعية الفكرية والاقتصادية ، كما أدركوا أن الاستعمار يعمل على ابقاء الشعب فى حالة من الجهل والأمية ، حيث لم تسع النظم التعليمية الموضوعة الى وضع اية برامج تهدف القضاء على الأمية فى المجتمع . بل ان المناهج الدراسية كانت توجه لتدعيم سياسة الدول الاستعمارية ، بحيث تحرم الأفراد من ادراك واستيعاب أبعاد الثقافة الحقيقية ، حتى لا يشعروا أن لهم حقوقا مسلوبة وحريات مضيعة وكرامة اذلها الاستعمار — كذلك فقد ادركوا ان الاستعمار قد سعى الى تحطيم عمليات التنمية الديمقراطية السليمة ، وبالتالى فقد كان سببا فى تأخر وتدهور الحياة السياسية والنيابية الصحيحة فى المجتمع المصرى، حيث صدر الدستور فى ظل الاحتلال البريطانى الرسمى معطيا حقوقا واسعة للسلطات التنفيذية ، كحل البرلمان ، وتعيين نصف اعضاء

مجلس الشيوخ ، كما كانت الوظائف العليا فى أدارات الدولة وكذلك قيادات البُوليس والجيش فى ايدى بعض افراد سلطات الاحتـــلال ، او من الممالئين له .

كما ادركت الفئة المثقفة من الشباب المصرى ، اتجاهـــات السوق العالمى للسيطرة على اقتصاديات البلاد ، وابقائها فى حالة دائمة من التبعية الاقتصادية ، وذلك حتى بعد الغاء الامتيازات الأجنبيـــة ، اذ كان هذا الالغاء من الناحية الشكلية فقط ، حيث ظل الاقتصاد الزراعى والصناعى والتجارى وحتى قيام ثورة ١٩٥٢ ، يخدم المصالح الأساسية للاحتكارات الاقتصادية المختلفة ، حيث كانت الراسمالية المحلية الساعية الى ايجاد مكان لها ، فى اساسها وجذورها من نفس نوع الراسماليـــة الأجنبية المسيطرة ، ومن ثم تحالفت مصالح الراسمالية الضعيفـــة والراسمالية الاقطاعية بتبادل أوجه المنفعة مع الراسمالية الأجنبيـــة والاستعمار ، والعمل على استنفاذ كافة موارد الدولة الاقتصادية ، وذلك على حساب الأغلبية الساحقة من قطاعات المجتمع .

الشباب وواقـــع المجتمع المصرى بعد ثورة يوليـــو سنـــة ١٩٥٢ — بوادر الازمـــــة :

اذا كان الشباب المصرى قد لعب دوراً بارزاً وحيويا فى الحركات التحررية التخلص من الاستعمار البريطانى وضرب الاحتكارات الأجنبية بصورها المباشرة ، فان دوره فى المراحل اللاحقة لا يقل اهمية وفعالية ، حيث كان هو نقطة البدء فى التحول الحضارى ، ومحاولة الخلاص من اسر التخلف والتبعية الاقتصادية للانطلاق فى ركاب العمليات التفاعلية للتحضر والتحديث ، وذلك بروح من التفاؤل والأمل فى مستقبل افضل له وللأجيال التالية ، فقد تطورت الأهداف القومية بعد الثورة وتبلورت فى السعى نحو رفع مستوى معيشة افراد ، وتحقيق العدالة الاجتماعية عن طريق التقريب بين طبقات المجتمع ، والعمل على ضمان السيادة القومية والاستقرار السياسى ، واقرار الحياة الديمقراطية الصحيحة والارتفاع بمستوى الانتاج ، وتوجيه الاقتصـــاد المصرى لصالح البناء الاجتماعى بعيداً عن عوامل التبعية وسيطرة السوق العالمى .

الا أن تفاعلات السياسات الداخلية ، والصراعات الدوليـــة ، وتاثيرات السوق العالمى لم تؤد الى تحقيق الأهداف القومية للثورة الا فيما يختص بالتخاص من السيطرة الاستعمارية المباشرة ، حيث أدت تلك التفاعلات الى احداث خلل واضح فى برامج التنمية والتحديث ، وما واكبها من عمليات خلط وعدم استقرار فى السياســـات الاجتماعية

والاقتصادية ، مما ادى الى حدوث خلل واضح فى النسق الاجتماعى انعكس بدوره على النسق القيمى للمجتمع ، كما انعكس اثره بالتالى على الشباب الذى كان يحلم ويطمح ويأمل فى صبر ومعاناة فى مستقبل اكثر رفاهية واستقرارا ، فاذا به فى مواجهة حادة مع واقعه المؤلم ، حيث يرى تهاوى احلامه واحدا بعد الآخر ، لتهاوى علاقاته التفاعلية مع النسق الاجتماعى والثقافى والاقتصادى والقيمى للمجتمع . ومن هنا تبدأ ازمة الشباب .

فقد اتجه معظم الشباب بمختلف فئاتهم الى تسليم قيادهم للقيادة السياسية الجديدة ، والتى تمثل اول قيادة مصرية خالصة منذ انتهاء حكم كليوباترا ، وتبلورت قيم الشباب فى ذلك العصر فى التخطيط والتصنيع ، ومختلف العمليات التنموية الاجتماعية والاقتصادية بهدف الاستخدام الأمثل للموارد البشرية والاقتصادية ، وذلك ايمانا منهم بوطنية القيادة السياسية الصادقة ، وثقتهم المطلقة فى قدرتها على تحقيق كافة أهداف الثورة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتنموية ، الا ان الصراعات السياسية الدولية ، وسيطرة السوق العالمى ادى الى عدم استقرار السياسة الداخلية والخارجية للدولة ، مما انعكس بدوره على نسق البناء الاجتماعى .

ويمثل العدوان الثلاثى على مصر ، مظهرا من المظاهر التاثيرية للصراعات الدولية ، وكذلك انعكاسات السوق العالمية ، فبالاضافة الى ما مثله هذا العدوان من استنزاف لموارد الدولة البشرية والاقتصادية ، فقد كان مؤشراً لضرورة اتجاه سياسة الدولة نحو تكوين وتسليح جيش مصرى قوى لتامين حدود مصر ومصالحها ، والذى كانت قد بدأت بالفعل فى تكوينه قبل وقوع هذا العدوان . ومن هنا بدا التاريخ يعيد نفسه ، حيث لم يكن لدى مصر الفائض النقدى للحصول على الأسلحة ، وبذلك بدات اولى خطوات سياسة الديون والقروض التى اتبعها الخديو اسماعيل فى القرن الماضى ، والتى أوقعت مصر فى سلسلة من مختلف اشكال التبعية ، والتى انتهت بالاحتلال البريطانى لمصر .

وعلى الرغم من ان الاتجاه الى القروض يعنى فى حد ذاته ارتفاع معدلات الانفاق عن مستوى الامكانيات الانتاجية والاقتصادية المتاحة للدولة ، وان ذلك يمثل عبئا على مواردها ، ينعكس على امكانياتها فى مواجهة تكاليف التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، وهو نفس ما حدث فى عصر اسماعيل ، وما حدث ايضا بعد الثورة ، الا ان مقتضيات الالتجاء الى القروض والديون الخارجية اختلفت تماما فى هاتين الفترتين، وان تشابهت فى بعض نتائجها . فبينما قام اسماعيل بتوظيف جانب

كبير من هذه الديون ، لارضاء نزواته الشخصية ، وتوطيد دعائم حكمه ، وشراء نظام توريث الحكم ، اتجهت قيادة الثورة الى التركيز على بناء وتسليح الجيش ، حيث فرضت الصراعات والسياسات الدولية على مصر دخولها فى ثلاث حروب ضخمة خلال العشرين سنة التالية للثورة . مما يعد مؤشراً هاما لأهمية الاتجاه نحو التسليح من منظور قيادات الدولة ، بغض النظر عما مثله هذا الاتجاه من عبء على كاهل الاقتصاد المصرى ، وعلى أفراد المجتمع ، اذ تم بناء هذا الجيش وتسليحه على حساب العديد من المشروعات الانتاجية والتنموية الأخرى التى تمس حاجات الشعب الأساسية .

وتتضح أبعاد آثار السوق العالمى على التاريخ المصرى وعلى اقتصاديات البلاد فى احدى خطب جمال عبد الناصر عندما قال « انكم تعلمون أن الأسلحة الثقيلة تتحكم فيها الدول الكبرى ، وان الدول الكبرى لن ترضى ابداً أن تمول تسليح الجيش بالأسلحة الثقيلة الا بشروط واشتراطات ، وانكم تعلمون اننا رفضنا هذه الشروط . ورفضنا هذه الاشتراطات ، لأننا نحرص على الحرية الحقيقية ونحرص على السياسة المستقلة ، ونحرص على أن تكون لمصر سياسة مستقلة قوية ، حتى نخلق من مصر شخصية جديدة مستقلة ، تخلصت فعلا من الاحتلال ، وتخلصت فعلا من السيطرة الأجنبية بكل معانيها »(٢٢).

واذا كان جمال عبد الناصر ، رفض ان يقوم تسليح الجيش المصرى فى مقابل شروط تفرضها الدول الأجنبية — وهو موقف وطنى لا شك فيه — بحيث اتجه الى اتمام عملية التسليح عن طريق تشيكوسلوفاكيا ، وذلك على أساس تجارى بحت ، الا أن الاتجاه نحو سياسة القروض مثلت شكلا آخر من أشكال التبعية — كما أن الاتجاه نحو التسليح اقترن بتوجيه جانب كبير من اقتصاديات الدولة الى الصناعات الحربية الثقيلة ، التى لم تكن تسمح بها الامكانيات والموارد الاقتصادية المحدودة ، مما مثل عبئا على كاهل الاقتصاد المصرى ، وادى بالتالى الى الانخراط فى سلسلة متصلة من مختلف انواع الديون والقروض لأحداث عملية التوازن الاقتصادى ، والتى لم تتمكن الدولة من سداد معظمها ، حيث تبلورت أزمة الديون فى النهاية لتكون حجر الزاوية فى الأزمة الاقتصادية التى عايشتها مصر فى أوائل الثمانينيات .

فقد بدأ الاستثمار الاقتصادى فى أعقاب الثورة وئيداً ، بسبب انشغالها بالصراعات الداخلية والخارجية ، وشهدت الخمسينيات فترة من التعايش السلمى مع القطاع الخاص ، ومحاولة تشجيع الاستثمار الأجنبى ، ومع ذلك حدثت زيادة ملحوظة فى الاستثمار الصناعى الحكومى

قبل سنة ١٩٥٧ ، واطردت زيادته خلال برامج التصنيع ١٩٥٧ — ١٩٦٠ واصابت الخطة الخمسية الأولى ١٩٦٠ — ١٩٦١ — ١٩٦٤ — ١٩٦٥ قدراً كبيراً من النجاح ، وتحقق تقدم ملحوظ فى معظم القطاعات الاقتصادية ، وفى الخدمات ، رغم تصاعد الزيادة السكانية ، وحربى السويس سنة ١٩٥٦ ، واليمن سنة ١٩٦١ ، وكارثة محصول القطن سنة ١٩٦١ ايضا ، والمشكلات الادارية المترتبة على التحول من اقتصاد راسمالى احتكارى الى نظام يقوم على التأميم الشامل لقطاع الأعمال المنظم ، فضلا عن مشكلات المصادرة والحراسات ، وصعوبة اعداد رجال الادارة العليا ، ومن ثم خلقت الخطة الطموح فى مجالى الانتاج والخدمات ، مع الانفاق المتزايد على الدفاع ، ضغوطا تضخمية ادت بدورها الى عجز متواصل فى ميزان المدفوعات . وبعد سنة ١٩٦٦ ، لم تجد خطط الاستثمار طريقها الى حيز التنفيذ ، ولم تتحقق زيادة تذكر فى الدخل القومى بسبب اعباء حرب ١٩٦٧ ، واستمرار اعباء التسليح بعدها ، فضلا عن تفاقم الضغط السكانى الذى اكلت معه ثمار التنمية ، وزيادة الاستهلاك الخاص والعام ، وتصاعد اعتمادات خفض تكاليف المعيشة ، الى جانب استمرار التضخم الكامن، واختلال ميزان المدفوعات ، وما استتبعه من زيادة الديون الخارجية وخاصة قصيرة الأجل ، وقصور موارد العملات الأجنبية عن الوفاء باحتياجات الخطة ، والنفقات الخارجية للدولة وخدمة الدين . ومن ثم لم تكن الاستثمارات فى أوائل السبعينيات تزيد كثيراً عما كانت عليه فى اواخر سنى الخطة الخمسية الأولى ، وربما انخفض رقمها (٢٣) .

واذا كنا قد تعرضنا فى السطور السابقة لحرب سنة ١٩٦٧ فى سياق الحديث عن خطط الاستثمار والدخل القومى ، فان العلاقة القائمة بين هذه الحروب وبين فئة الشباب تقتضى منا وقفة قصيرة . فقد داومت مختلف اجهزة الدولة على تعبئة الشعور القومى ، من حيث التأكد على تمتع مصر بالجيش القوى ، والتأكيد على قيمة العمل والديمقراطية السياسية والاجتماعية ، والتنمية الشاملة ، كما أخذت فى التلويح بالكثير من الوعود البراقة والمستقبل المشرق ، ومن هنا بدأ الشباب فى تخطى الماضى ، والعمل من أجل الحاضر ، والبحث عن مستقبله مثله فى ذلك مثل سائر شباب العالم فى كل مكان . وكانت هزيمة ١٩٦٧ هى الصدمة الكبرى التى افاق على اثرها كل شباب مصر ليبحثوا عن هويتهم ، وعن مستقبل هذه الهوية . ومن ثم فقد كانت حركة البحث عن الهوية هى اساس الحركة الشبابية فى سنة ١٩٦٨ ، والتى بداها العمال فى حلوان ، واكمل مسيرتها شباب الجامعات .

وتعد أزمة الشباب فى البحث عن الهوية ، انعكاسا لأزمة الهوية على مستوى المجتمع ، فمصر بعد تأكيدها لارادتها المستقلة ، ونجاحها فى سعيها الدائم وراء الاستقلال ، والخروج من اسر التبعية والاعتماد على الغرب ، بدأت تبحث عن هويتها بين انتمائها الأفريقى والعربى والاسلامى ، متحدة مع بعضها تارة ، ومنفصلة عن غيرها تارة اخرى ، وهى فى كل ازمة تعاود احياء الأزمات السابقة ، فتقيد الحريات والانفتاح ، ثم تسحبها اذا ما أفلت العيار وزادت القلقلة ، وفى كل أزمة تظهر التيارات الثورية المختلفة ، سواء كانت فى اتجاه اليسار أى السعى نحو التغيير الى المستقبل ، أو اليمين ، أى السعى نحو التغيير الى الماضى ، وفى الوسط نجد الواقع الذى يقاوم التغير (٢٤) . فكلما تضاربت العناصر التى ينبنى على أساسها الشعور بالهوية ، وكلما أصبح المستقبل غامضا بالنسبة للفرد فى محاولاته لتحقيق هويته ، كلما ازدادت صعوبة هذه المهمة ، وخاصة بالنسبة للمجتمعات التى تتغير بسرعة ، فمن أهم الوظائف الأساسية لتشكيل الهوية : خلق الشعور بالذات ، بحيث يتمكن الفرد من اقامة حلقات اتصال بين الماضى والحاضر والمستقبل (٢٥) .

ومن ثم فقد كانت محاولة الشباب البحث عن هويته ، هى جماع حركة عمال حلوان سنة ١٩٦٨ ، احتجاجا على الأحكام المخففة التى صدرت ضد بعض من تسببوا فى هزيمة سنة ١٩٦٧ ، حيث تصدت لها قوات البوليس ، مما نتج عنه تضامن تلقائى من طلاب الجامعات فى صورة مظاهرات صاخبة كانت المطالب الأساسية للشباب فيها تنحصر فى المطالبة بحرية الرأى والصحافة داخل الجامعة ، وممارسة الحياة النيابية السليمة ، وابعاد المخابرات عن الجامعات ، والتحقيق فى حادث عمال حلوان ، وتوضيح حقيقة ابعاد قضية الطيران المتعلقة بهزيمة سنة ١٩٦٧ ، والتحقيق فى انتهاك حرمة الجامعات ، واعتداء الشرطة على الطلبة (٢٦) .

ومن خلال تلك المطالب التى تم تلخيصها على النحو السابق ؛ نرى ان الشباب يعكس أزمة المجتمع المصرى منذ قيام الثورة وحتى تاريخ النكسة ، وذلك من خلال انعكاسها عليهم انفسهم . ولكن بما أن الشباب ، وخاصة الطلاب ، هم الفئة الوحيدة من فئات الشعب التى تتسم بالاقدام على التمرد ، والاعلان الصريح عن اتجاهاتها الرافضة، فقد ادت تراكمات السنوات الطويلة من الصبر والأذعان ، المقرون بالقمع احيانا ، واقتران هذه التراكمات بمشاعر الخزى والعار لهزيمة حرب ١٩٦٧ ، الى تفجر الموقف على هذا النحو الذى يعبر عن وجود الوعى

بين فئات الشعب عامة ، وبين الشباب بصفة خاصة . الأمر الذى يتعارض مع التسليم بالمقولة التى تذهب الى اننا كنا مجردين من الارادة وحرية الاختيار ، واننا فقدنا الوعى لأن ساحراً نومنا ، ونوم احكم حكمائنا تنويما مغناطيسيا ، وسار بنا فى مسارات لا ترضى بها الأرض ولا السماء ، واننا لم نسترد وعينا الا بعد ان مات الساحر فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ ، ثم خرج من المسرح آخر أعوانه فى ١٥ مايو سنة ١٩٧١ (٢٧) .

وفى الحقيقة لم يكن هناك وعى مفقود طوال تلك السنوات التالية للثوره وانما كان هناك وعى كامل لكل ما يجرى من أحداث ، سواء اقترن هذا الوعى بممارسات النظام السياسى للقهر والضغوط ، او اقترن بالايمان والتصديق على كل ما كان يجرى — وان الحركة العماليه والطلابية ١٩٦٨ ، لهى دليل على عدم فقدان هذا الوعى بل تأصله ورسوخه ، وانه كان ينتظر الفرصة السانحة للظهور والتعبير عن وجوده ، ومن ثم فقد اتسمت تلك الحركة بأنها كانت حركة رفض واعية لكل ما جرى وما كان يجرى من احداث ، فقد أصيب افراد المجتمع عامة ، وفئة الشباب خاصة ، بنوع من خيبة الامل ومشاعر المراره ، نتيجة الهزيمة التى منيت بها مصر فى حرب سنة ١٩٦٧ ، حيث ادركوا حجم الحسابات الخاطئة التى تعاظمت فى فترة ما بعد ثورة سنة ١٩٥٢ ، ومنها تجربة الوحدة المصرية السورية ، والاشتراك فى حرب اليمن ، وتوجيه الجانب الأكبر من اقتصاديات الدولة ومن الديون الخارجية لعمليات التسليح .

وتعد احداث الحركات الطلابية سنة ١٩٧٢ و ١٩٧٣ ، امتدادا لتلك الحركة السابقة ، ففى سنة ١٩٧٢ ، بدأ القلق يأخذ بخناق الشباب نتيجة لعدم وفاء الحكومة بالتزامها القومى تجاه تحرير الأرض، بعد أن أعلن رئيس الجمهورية اكثر من مرة أن عام ١٩٧١ هو عام الحسم ، ثم عاد مرة أخرى بعد سنة من تاريخ هذا الاعلان وعدم نشوب الحرب ، ليعلن أن الجو السياسى العالمى قد خيم عليه الضباب وأن هناك عدم رؤية ، وان كان قرار الحرب لا رجعة فيه . وتبلور ذلك القلق فى مظاهرات شملت معظم الجامعات المصرية ، حيث تصدت قوات الأمن لهذه الحركة ، وحيث دخل المسئولون ومن بينهم رئيس الجمهورية فى حوار مع التيارات الطلابية لتوضيح ابعاد الموقف السياسى ، اذ ارجعوا قرار تأجيل الحرب لموقف أمريكا من امداد اسرائيل بالفانتوم ، وان أمريكا اضافت للسلاح الاسرائيلى خلال يناير سنة ١٩٧٢ ما يزيد على ثلث قوته الأصلية . ولكن انقطاع الحوار بين المسئولين وبين ممثلى الطلاب افسح المجال لمشاعر القلق والتمزق بين

صفوف الشباب ، بحيث ادى ذلك الى الحركة الطلابية التالية فى أوائل عام ١٩٧٣، حيث انحصر مطلبهم الاساسى فى المطالبة بحرية الكلمة وطرح الحقائق على الشعب للبحث والمناقشة لكى يتحقق مبدأ المشاركة فى مواجهة هذه الحقائق .

وقد استطاع ممثلو الطلاب طرح قضية الوعى الذى لم يكن مفقودا ، والذى اقترن اما بالقهر أو الايمان بالأحداث الجارية ، والتى تمثلت فى دوافع تلك الحركة الأخيرة ، وذلك من خلال مقال مسهب بعنوان « اين المسئولية — دعوة الى نقاش مفتوح وصريح » وذلك فى جريدتهم صوت الجامعة بتاريخ ٨ يناير سنة ١٩٧٢ ، اذ جاء فيه ما معناه ان ما جرى فى الجامعة حلال عامى ١٩٧٢ و ١٩٧٣ ، انما كان مرده الرغبة المخلصة فى الحفاظ على مصالح مصر ، فقد حاول الطلاب فى مناسبات كثيرة ان يعبروا عن انفسهم ، وأن يساهموا بآرائهم وأفكارهم فيما يجرى داخل الوطن ، ولكنهم كانوا يجدون أنهم يدورون فى حلقة مفرغة ، تنتهى باصطدامات نقلب المحاولات الى شىء ما ضد الطلبة ، وأن هناك جسورا معطلة وغير قائمة بين خارج الجامعة وداخلها . ولو أن صحافة الدولة كانت تؤدى واجبها كما يجب ، وخاطبت شباب الجامعات بلغة الحقائق لما كانت هناك حاجة الى هذا السيل من صحافة الحائط التى يحاولون عن طريقها أن يقولوا ما بأنفسهم ، وهذا دليل على أن الشباب الجامعى « ضائع » ، وأنه فى حاجة الى معلومات وبيانات وانباء وآراء وتفسيرات ، وأنه لا يجد غذاءه الا على الحائط . ويتساءل الشباب ، هل كان يمكن لهم الاقبال على هذا الغذاء لو انه كانت هناك مائدة اخرى شأنها شأن الموائد التى تقدم عليها اخبار الممثلات ، ولاعبى الأراجوز » ، والملاهى الليلية ؟ . ان التحركات « المفتوحة » التى وقعت فى الجامعة فى أعقاب هزيمة يونية سنة ١٩٦٧ لم تكن الا صورة مصغرة « للتحركات المكشوفة » التى كانت تتفاعل داخل كل مصرى كبر أو صغر ، وهذا الشباب الذى رفع صوته مرة بعد أخرى ، لم يكن يعبر عن نفسه ، وانما يعبر عن أسرته المصرية الممزقة (٢٨) .

وتتشابه تلك الأزمة المعروفة بأزمة الفجوة بين الأجيال ، مع تلك التى بين الشباب والحكومة ، حيث يشعر الشباب بأن القائمين بأمور الدولة يعيشون زمنا غير زمانهم ، وانهم لا زالوا فى طور الوصاية من وجهة نظرهم ، وهو ما يرفضونه ويتمردون عليه ، اذ يرون أن المشاركة الفعلية فيما يدور من حولهم حق أصيل من حقوقهم ، وذاك لكونهم جزءاً من البناء الكلى للمجتمع ، وان تبعية هذا الجزء للكل ادت بهم الى التمزق النفسى والمعاناة ، وهم يدفعون ضريبة اللاسلم

واللاحرب ، والمتمثلة فى الضغط الاقتصادى الذى تحملــه الشـــعب راضيا ، أو زيادة عدد السنوات التى يجب عليهم قضاؤها فى صفوف الخدمة العسكرية بعد تخرجهم ، والتى لم يكن باستطاعة احد فى ذلك الوقت التكهن بعددها . هذا بالاضافة الى شعورهم الطبيعى بحقهم فى المساهمة بآراءهم وأفكارهم فيما يجرى داخل المجتمـــع ، أو على الأقل ايجاد القنوات الشرعية التى يقومون من خلالها بالتنفيس عن معاناتهم وآلامهم وتحقيق ذواتهم وهوياتهم ، وذلك من منطلق كونهم جزءاً من الحاضر ، كما انهم كل المستقبل .

وبانتهاء حرب سنة ١٩٧٣ ، وتحقيق العبور ، وتحرير جزء من الأرض المصرية المحتلة ، بدأت مرحلة من التحولات الجديدة فى عمليات التنمية . ومما لا شك فيه ، أن التصنيع هو جوهر التنمية الاقتصادية ، ولا سيما فى الدول الزراعية التى تعانى من الضغط السكانى بالنسبة للموارد ، كما هو الحال فى مصر .

واذا كان التصنيع هو جوهر عملية التنمية ، فليس معنى ذلك أن يكون الاهتمام بقطاع الصناعة على حساب قطاع الزراعة ، اذ ان نجاح التنمية الصناعية يعتمد على التنمية المتوازنة لجميع قطاعـــات الاقتصاد القومى ، وبصفة خاصة قطاع الزراعة ، فعن طريق تنميـــة هذا القطاع يمكن مواجهة الزيادة فى الطلب على الموارد الغذائية ، كما يؤدى الى زيادة الصادرات ومن ثم الحصول على النقد الأجنبى اللازم لاستيراد السلع الانتاجية والاستهلاكية ، كما ان ادخال برامج التحديث فى أسلوب الانتاج الزراعى ، والاعتماد على الميكنة الزراعية ، يؤدى الى توافر الأيدى العاملة اللازمة للتصنيع . ومـــن ثم فان الاهتمام بقطاع الزراعة يؤدى الى تحقيق زيادة كبيرة فى الناتج القومى دون الحاجة الى استثمارات ضخمة .

الا ان قطاع الزراعة لم يحدث فيه تغيير جذرى سواء فى التنظيم الاجتماعى للانتاج الزراعى ، أو العلاقات الانتاجية الزراعية ، وما يمكن قوله هو أن اشكالا جديدة لاستنزاف الفائض الزراعى قد حلت محل اشكال قديمة ، فقد ارتفعت ضريبة الاراضى ، وذلك نتيجة للسياسة التى وضعتها الحكومة فى اعادة النظر فى الضريبة الزراعية كل عشر سنوات وفقا لتطور انتاج ارض ، كما واصلت الحـــكومة سياســـة التوريد الاجبارى للمحاصيل بالأسعار التى تحددها ، والتى تقل فى جميع الأحوال عن اسعار السوق (٢٩) .

وقد ادى تحـــول السياســـة الاقتصـــادية خلال السنوات العشر الأخيرة (سياسة الانفتاح الاقتصادى) الى تشويه نمط الانتاج الزراعى

نتيجة تعايش نمط الانتاج التقليدى بجانب نمط الانتاج الحديث . كما ادى دخول نمط الانتاج الراسمالى (نمط التحديث الغربى) الى تهميش القطاعات التقليدية فى الانتاج ، حيث أن قطاعات معينة فحسب من اصحاب الحيازات الكبيرة والمتوسطة تمكنت من محاكاة ذلك النمط . كذلك فقد صاحبت فترة الانفتاح الاقتصادى انتشار القيم الاستهلاكية المصاحب بانتشار السلع المستوردة مما جعل الأسرة الريفية تعتمد اعتماداً كبيراً فى معظم الأحوال على تلك السلع على حساب الانتاج المعيشى ، وحلت قيم استهلاكية محل قيم انتاجية (٣٠) .

اما بالنسبة لمجال الصناعة ، فقد تراخت نسبة الاستثمارات فيما بعد سنة ١٩٦٧ ، حيث تغلب الكم على الكيف ، والتوسع فى مجالات عديدة فى وقت واحد مما لم يتح لأى منها الحصول على الموارد الأجنبية والمحلية الكافية لانجازها فى الأجل المطلوب ، واسرف المخططون فى الاستثمار فى القطاعات مكثفة راس المال فى الصناعات التى تعتمد الى درجة بعيدة على الاستيراد ، وكان ارتفاع المكون الأجنبى فيها حجر عثرة فى سبيل التوسع ، واتجه الاستثمار فى المقام الأول نحو انشاء صناعات جديدة ، واهمل لفترات طويلة تزويد المصانع القائمة باعتمادات التجديد والاحلال ، بل لقد اهمل احيانا تزويدها براس المال العامل . وقد ادى ارتفاع الاستهلاك الخاص والعلم بمعدلات تفوق زيادة الناتج المحلى الاجمالى ، مع تناقص الادخار ، الى ضغوط كبيرة على ميزان المدفوعات الجارية الذى ناهز العجز السنوى فيه مليارا من الجنيهات فى منتصف السبعينيات وتم تمويل العجز بمعونات وقروض من الدول الأجنبية والهيئات الدولية والأسواق المالية العالمية . وقد زاد الدين العام الخارجى المدنى والحربى الى نحو ١٢ بليون دولار فى سنة ١٩٧٦ ، اى ما يناهز ضعف الناتج المحلى ، واستخدمت القروض الجديدة فى تحويل الديون قصيرة الأجل وودائع الدول العربية الى ديون متوسطة الأجل (٣١) .

وبدءاً بصدور قانون أستثمار المال المصرى والاجنبى والمناطق الحرة رقم ٤٣ لسنة ١٩٧٤ معدلا بالقانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٧٧ ، بدا العد التنازلى لبقية الانظمة المجتمعية نحو الهبوط . فعلى المستوى الاقتصادى يتمثل ذلك فى الخلل البنيوى فى هيكل الاقتصاد المصرى وتحويله الى استهلاكى ترفى لصالح قلة لا تتجاوز ٥٪ من مجموع سكان مصر (٣٢) . كما انعكس ذلك على البنية الاجتماعية وعلى النسق القيمى ، حيث اكتسحت القيم المادية فى طريقها معظم القيم الايجابية الأخرى .

ويرجع الخلل الذى أصاب هيكل الاقتصاد المصرى .. الى أن الاتجاه نحو التنمية الصناعيـــة لم يسبقه ما يسميه « روستو » بمرحلة الانطلاق ، وهى المرحلة التى تتميز بانتشار التعليم ، وحيث يتم تعبئة المدخرات وزيادة معدلاتها من جهة ، وادخال تغيرات جـــذرية فى طرق ووسائل الانتاج عن طريق التجديد والابتكار من جهة أخرى ، اذ أن اجتياز مرحلة الانطلاق يؤدى الى الاتجاه نحو النضج الاقتصادى الذى يتميز بانتشار طرق ووسائل الانتاج الحديث فى جميع فروع النشاط الاقتصادى ، وفى هذه الفترة يوجه المجتمع نسبة من دخله الى الاستثمار تتراوح بين ١٠٪ ، ٢٠٪ ، مما يضمن زيادة الانتاج بنسبة تفـــوق معدل النمو السكانى دائما ، كما تتميز هذه الفترة بتحسن لا ينقطع فى التكوين الاقتصادى للمجتمع نتيجة التحسن المستمر فى طرق ووسائل الانتاج ، ونتيجة تزايد سرعة نمو الصناعات الجديدة ، وتباطؤ نمو الصناعات القديمة . كما يتوقف المجتمع عن استيراد جميع السلع تامة الصنع التى كان يستوردها خلال المراحل السابقة وتصدير الفائض من الانتاج الصناعى ، مما يؤدى الى زيادة حصيلة الدولة من العملات الأجنبية ، ومن ثم زيادة قدرتها على استيراد السلع الكمالية (٣٣) .

ومن خلال استعراضنا لمراحل التنمية الزراعية والصـــناعية فى مصر ، نجد أن المجتمع المصرى والهيكل الاقتصادى لم يمر بالمراحـــل المهيئة للانطلاق نحو التصنيع كما هو الحال بالنسبة لما تم فى الدول الصناعية المتقدمة ، حيث لم تنخفض نسبة الأمية بصورة واضحـــة ، وحيث ابتلعت الزيادة السكانية كافة موارد التنميـــة بالاضافـــة الى انخفاض معدلات الادخار ، الى جانب عدم وجود خطط تنموية صناعية ثابتة تغير من البنية الاقتصادية للمجتمع ، مما أدى الى اتسام التنمية الاقتصادية بأنها تنمية مشوهة ، اعتمدت احيانا على راسمالية الدولة فى الانتاج ، وذلك من خلال القطاع العام ، وهو من المؤسسات التى قتلت بحثا وتشخيصا لمشاكله من كل أجهزة البحث والدراسة والرقابة، والتى لازالت حتى الآن لا تجد الأساليب الكفيلة بتعزيز مسيرته من حيث الاستخدام الأمثل للقطاعات الموجودة ، وترشيد نظام العمل ، وتسليم المشروعات الخاسرة الى قيادات تتميز بالكفاءة والقدرة على الادارة الناجحة . كما اعتمدت التنمية الاقتصادية احيانا أخرى عـــلى انشاء صناعات كان المكون الأجنبى فيها عاليا ، والقيمة المضافة محليا قليلة نسبيا ، حيث ارتبط باستيراد الآلات والمواد الأولية والســـلع الوسيطة ، ومن ثم نتجت مشكلات النقد الأجنبى ، ونشأ عنه التوسع فى الاتجاه نحو القروض الخارجية . أما فى السنوات الأخيرة فقد اتجهت التنمية الاقتصادية مؤخراً الى اطلاق جماح انشطة راس المال الخاص

والأجنبى فى مجالات الأنشطة الاقتصادية مثلا فى سياسة الانفتاح ، التى مثلت فى البداية احلاما وردية بالنسبة لقطاعات المجتمع عامة ، ولقطاع الشباب بصفة خاصة ، حيث مثلت أوهام سياسة الانفتاح وما صاحبها من حملات دعائية واعلانية مكثفة ، امكانية تحقيق الأحلام والآمال الكامنة فى الصدور ، فيما يختص بالانتعاش الاقتصادى وارتفاع مستوى المعيشة ، وتدفق ملايين الدولارات على مصر ، واذا بهذه الاحلام وقد تهاوت صروحها العظام ، والتى شيدوها بعملهم وصبرهم وخيالاتهم ، واذا بتلك الاوهام وقد تبددت على صخرة الواقع والحاضر المعاش ، والذى ينبىء بمستقبل أكثر قتامة ، ومن هنا نشأت بوادر أزمة الشباب ، اذ لم نخدم سياسة الانفتاح الاقتصادى الا مصالح السوق العالمى من جهة ، ومصالح فئة قليله من العناصر الطفيلية التى تكونت منها فئة تمثل « البرجوازية الرثة » ، التى ساهمت بقدر كبير فى تحويل المفاهيم القيمية للمجتمع لتدور فى فلك كل ما هو مادى وكل ما هو محسوس ، بحيث تحولت قيم العلاقات الاجتماعية من قيم علاقات بين أفراد الى قيم علاقات بين أشياء .

وترجع أزمة التنمية الاقتصادية فى مصر كذلك بصفة عامة ، وأزمة سياسة الانفتاح الاقتصادية بصورة خاصة ، الى اننا قد اخذنا بالتصنيع دون أن نكون مهيئين للانتاجية التكنولوجية والفاعلية التكنولوجية والعقلانية التكنولوجية التى تحرك قوى المجتمع ، وذلك كما يذهب « هربرت ماركوز » (٣٤) .

ويرجع السبب فى الاخفاق فى الوصول بالعمليات الانتاجية ولو بنسبة ضئيلة الى ما وصلت اليه بعض الدول المتقدمة ، الى انفصال بعض القيم المصرية من العقلانية التكنولوجية والفاعلية التكنولوجية التى توجه قيم المجموعات الراسمالية فى مجال الصناعة والانتاج ، فالوقت كقيمة يرتبط ارتباطا وثيقا بالعملية الانتاجية فى تلك الدول ، كما أن التخطيط المبكر وعدم الارتجال من أبرز القيم التى وضعتها العقلانية الراسمالية الغربية ، فالعامل الأوروبى أو الأمريكى مطالب بالعمل مدة محددة من الساعات يوميا بحيث لا يقل انتاجه اليومى عن معدل معين من الانتاج المرسوم والمخطط . فاذا انخفض هذا الانتاج المرسوم والمخطط ، استقطعت قيمة فاقد الانتاج من أجره ، بل واصبح مهددا بفقدان عمله . وبالنسبة للتخطيط المبكر وعدم الارتجال ، فان العقلانية الراسمالية الغربية تربط ما بين التخطيط والحسابات الدقيقة المحكمة ، والمراقبة الصارمة ، وتقسيم العمل المدروس ، وتقييم كافة

مراحل الاداء ، والمتابعة المستمرة على طول مدى اى عملية انتاجية . وقد بلغ الأمر بمستوى التخطيط فى الولايات المتحدة الأمريكية الى حد التفكير فى كيفية قضاء وقت الفراغ بعد مائتى عام بين السكان الأمريكيين ، اذ يتوقع بعض الكتاب حدوث ثورة فى كيفية قضاء وقت الفراغ ، وان افراد مجتمع ما بعد التصنيع سوف يعملون فى المستقبل ثلاثة أيام فى الأسبوع ، وبالتالى فان وقت الفراغ سيمثل مشكلة بالنسبة للأيام الأربعة التالية (٣٥) ومن ثم فهم فى الدول المتقدمة يخططون للمستقبل البعيد المدى الذى يمتد الى قرنين كاملين ، على حين أننا فى مصر لا نولى عمليات التخطيط القدر الكافى من العناية والاهتمام باعتباره أهم العوامل المؤدية الى نجاح اية سياسة تنموية .

وتختلف العقلانية الراسمالية الغربية أيضا من حيث القدرة الفائقة على التنظيم والتنظيم والخبرة الادارية رفيعة المستوى ، فبقدر ما يصعب استخراج شهادة ميلاد أو وفاة او أية ورقة رسمية فى مصر ؛ نجد أن قصاصة صغيرة من الورق يكتبها المسئول فى اية دولة متقدمة كفيلة بانهاء كل الاجراءات المطلوبة فى اى مجال من المجالات . ذلك ان المجتمع الغربى يقوم على احترام الفرد واحترام وقته ، كما يقوم على الثقة فيه حتى يثبت العكس ، اما فى مصر ، فان الفرد مطالب بتقديم عشرات من الوثائق ليبرر مطالبه ، وعليه التردد احيانا عشرات المرات على عشرات المكاتب والادارات حتى تجاب هذه المطالب وقد لا تجاب ، وقد يرى البعض أن دقة الاجراءات الروتينية قضية هامة وحيوية فى مصر ، خاصة بالنسبة لما نقراه ونسمعه عن عمليات النصب والاحتيال التى تتم فى بعض الأحيان ، الا أن هذه العمليات وما شابهها ما هى الا افراز لتهمش القيم الاجتماعية نتيجة الانفتاح الاقتصادى ونتيجة التبعية للسوق العالمى ، دون أن يصاحبها تبعية فى العقلانية الراسمالية الغربية المتصلة بالتخطيط ، وقيمة الوقت ومرونة الاجراءات الادارية ، واحترام حقوق الأفراد .

هذا بالاضافة الى أن التنمية الاقتصادية ، لا يمكن أن تتم بمعزل عن التنمية الاجتماعية والثقافية . فالتنمية لا تقف عند حد استثمار الموارد الطبيعية أو تحسين أدوات الانتاج ، وانما تتركز بالدرجة الأولى فى زيادة طاقة الفرد الانتاجية ، حيث يعتمد ذلك على عوامل كثيرة متعددة ، فهى تعتمد على مدى الخدمات الصحية الميسرة من حيث العلاج وتوفير الدواء ، كما تعتمد على محو الأمية وانتشار التعليم ليتمكن الفرد من التعامل مع الآلات المعقدة والمتقدمة تكنولوجيا . والارتفاع بمستوى الخبرة فى المجالات الصناعية والزراعية . كما تعتمد

على مدى توفر الاسكان الصحى المريح ، وعلى وسائل المواصلات المنتظمة والآدمية ، وعلى العديد من المظاهر الحضارية التى تتصل بحاجات الأفراد اليومية ، بحيث نوفر لهم المناخ الصحى للعمليات التفاعلية التى تتم بين الفرد وبين كافة ابنية المجتمع .

وتتمثل التنمية الثقافية بمفهومها العام فى تنمية القيم الأصيلة لانقاذ الشباب المصرى من الانخراط مع القيم التى تدهورت ، والسلوكيات التى انحرفت ، اذ أنه فى مواجهة ثقافة عامة متدهورة ، لا يمكن أن يسود القانون أمام المستغلين الذين يقومون ببناء العمارات المتهاوية ، ويتاجرون فى اللحوم الفاسدة ، ويبيعون الوحدات السكنية مثنى وثلاث ورباع ، ويتقاضون من المبالغ الخارجة عن نطاق عقود الايجار ، أو هامش الربح المعتدل ما يصل الى مئات الألوف أو الملايين ، الى جانب العديد من الأنشطة غير المشروعة ، والتى يعد الارتفاع الجنونى لسعر الدولار فى السوق السوداء مقابل الجنيه المصرى مؤشرا لها ، حيث تسعى مثل تلك المشروعات والأنشطة الى تجميع كميات كبيرة من الدولارات من السوق بأى سعر فى وقت قصير نسبيا لتمويل صفقات بعينها ، وفى مقدمة هذه المشروعات الاتجار فى المخدرات والسموم البيضاء ، وهى بذلك تهدم وتخرب بوعى أو بدون وعى فى سبيل مصالحها المادية الاقتصاد القومى للدولة ، كما تهدم الموارد البشرية الانتاجية وفى مقدمتها قطاع الشباب .

ففى الجو العام الذى تعلو فيه المصالح المادية والفردية فوق المصالح الجماعية ، والذى ترتفع فيه قيمة « أنا » فوق « النحن » او فوق « الآخرين » فان وضع التسعيرة الجبرية لن ينفع ، ولن ينفع الغاؤها ايضا ، كما أن اللجوء الى تسعيرة ودية لن يمنع التجار الجشعين من استغلال المستهلكين . وفى الجو الذى لا يقيم فيه الآباء وزنا للاخلاق والتقاليد لا يمكن أن ننتظر من الشباب أن يقيم وزنا لها . وحينما ينفصل المدرس واستاذ الجامعة عن المجتمع الذى يعيشان فيه جريا وراء الدروس الخصوصية أو المبالغة فى أسعار الكتب الدراسية ، فليس من المتوقع أن يكون هناك صدى لما يقولانه فى نفوس تلاميذهما وطلابهما . فالشباب يقرأ ويرى ويسمع عن مقتضيات العصر الحديث الذى يعيشون فيه ، ذلك العصر الذى اتسم بالاستهلاك الترف ، وطغيان طوفان المتع الحسية ، وتقييم الأفراد من واقع مكاناتهم المادية . ومن ثم فهم بحاجة الى القدوة او المثل الأعلى الذى يصحح لهم مسار الواقع الاجتماعى ، ليأخذ بأيديهم ، ويتخطى بهم حدود الأزمة التى تأخذ بخناقهم ، والتى تنعكس على النسق القيمى للمجتمع بأسره .

الهوامش

١ ـ عبد الرحمن الرافعى ، عصر محمد على ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٥٨ ٠

٢ ـ أحمد حسين ، موسوعة تاريخ مصر ، الجزء الثالث ، دار الشعب ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٨٩٤ ٠

٣ ـ المرجع السابق ، ص ٨٨٩ ـ ٨٩٢ ٠

٤ ـ نفس المرجع ، ص ٩٢٧ ، ٩٢٨ ٠

٥ ـ ج٠ بير ، دراسات فى التاريخ الاجتماعى لمصر الحديثة ، ترجمة وتقديم عبد الخالق لاشين وعبد الحميد فهمى الجمال ، مكتبة الحرية ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، سنة ١٩٧٦ ، ص ٢٢٧ ص ٢٨٠ ـ ص ٣٠١ ٠

٦ ـ K. Ananichev, Environment. International Aspect, Progress publishers Moscow, 1976, p. 93.

٧ ـ السيد الحسينى ، المدينة ، دراسة فى علم الاجتماع الحضرى . سلسلة علم الاجتماع المعاصر . القاهرة ، سنة ١٩٨٠ ، ص ٤٧ ٠

٨ ـ احمد النكلاوى ، القاهرة ، دراسة فى علم الاجتماع الحضرى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٧٣ ، ص ٨٨ ٠

٩ ـ احمد حسين ، موسوعة تاريخ مصر ، الجزء الثالث ، مرجع سابق ، ص ٩٨٦ ٠

١٠ـ نفس المرجع ، ص ٩٨٢ ـ ص ١٠٤٠ ٠

١١ـ عبد الرحمن الرافعى ، عصر اسماعيل ، الجزء الثانى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٤٨ ، ص ١٣١ ٠

١٢ـ المرجع السابق ، ص ٢٣٢ ٠

١٣ـ أحمد حسين ، موسوعة تاريخ مصر ، مرجع سابق ص ١٠٦٩ ـ ص ١١٢٠ ٠

١٤ ـ عبد الرحمن الرافعى ، محمد فريد ، رمز الاخلاص والتضحية ، تاريخ مصر القومى من سنة ١٩٠٨ ـ ١٩١٩ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٥٥ ، ص ٩٦ ـ ص ١٤١ ٠

١٥ـ المرجع السابق ، ص ١٠٩ ٠

١٦ـ عبد الرحمن الرافعى ، ثورة ١٩١٩ ، تاريخ مصر القومى من ١٩١٤ الى سنة ١٩٢١ ، الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٥٥ ، ص ١٤ ٠

١٧ـ المرجع السابق ، ص ٥٩ ـ ٢١٩ ٠

١٨ـ Valentine Chirol, The Egyptian Problem, Macmillan and Co., London, 1920, p. 169.

١٩ـ ج٠ بير ، دراسات فى التاريخ الاجتماعي لمصر الحديثة ، مرجع سابق ، ص ٢١٧ ـ ٢٢٧ ٠

٢٠ـ أحمد صادق سعد ، صفحات من اليسار المصرى فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، سنة ١٩٧٦ ، ص ٢٦ ـ ٣٢ ٠

٢١ـ انظر :

ـ عبد الرحمن الرافعى ، فى أعقاب الثورة المصرية ، الجزء الثالث الطبعة الأولى ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، سنة ١٩٦٥ ، ص ١٦٥ ـ ص ١٨٤ ٠

٢٢ ـ سليمان الطماوى ، ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ بين ثورات العالم ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، سنة ١٩٦٥ ، ص ٣١٧ ٠

٢٣ـ على الجريتلى ، خمسة وعشرون عاما ، دراسة تحليلية للسياسات الاقتصادية فى مصر ، ١٩٥٢ ـ ١٩٧٧ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، سنة ١٩٧٧ ، ص ١٧ ـ ص ٢١ ٠

٢٤ـ محمد شعلان ، الاضطرابات النفسية فى الأطفال ، الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية ، القاهرة ، سنة ١٩٧٧ ، ص ٧٦ ، ص ٧٧ ٠

٢٥ـ Kenneth Kenston., Social Change and Youth, in the Challenge of Youth, Erik H. Erikson (ed.), Doubleday Anchor Book, New York, 1965, pp. 211-212.

٢٦ـ وائل عثمان ، أسرار الحركة الطلابية ، مطابع مدكور ، القاهرة ، سنة ١٩٧٥ ، ص ٢٢ ـ ص ٢٩ ٠

٢٧ـ لويس عوض ، اقنعة الناصرية السبعة ، دار القضايا ، بيروت ، السنة لم تذكر ، ص ٣١ ٠

٢٨ـ جريدة صوت الجامعة ، ٢٩ يناير سنة ١٩٧٣ ، « مقال بعنوان : أين المسئولية ، دعوة الى نقاش مفتوح وصريح » ٠

٢٩ـ محمود عودة ، الفلاحون والدولة ، سلسلة علم الاجتماع المعاصر ، العدد ٢٨ ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٧٩ ، ص ١٣٦ ـ ص ١٣٧ ٠

٣٠ـ فايزة عبد المنعم سليم ، الوضع الاجتماعى للمرأة الريفية فى مستويات مغايرة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، سنة ١٩٨٥ ، ص ٣٣٥ ٠

٣١ـ على الجريتلى ، خمسة وعشرون عاما ، دراسة تحليلية للسياسات الاقتصادية فى مصر سنة ١٩٥٢ ـ ١٩٧٧ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، سنة ١٩٧٧ ، ص ٢٩٢ ـ ص ٢٩٨

٣٢ـ محمد سيد حافظ ، الملامح الأساسية للنظام الاجتماعى فى مصر فى ظل الانفتاح الاقتصادى ، ندوة « النظام الاجتماعى العربى المعاصر ـ آفاق الثمانينات » ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، سنة ١٩٨٥ ، ص ٢ ٠

٣٣ـ على لطفى ، التنمية الاقتصادية ، دراسة تحليلية ، جامعة عين شمس ، القاهرة سنة ١٩٨٠ ، ص ٩٥ ـ ٩٧ ٠

٣٤ـ هربرت ماركوز ، الانسان ذو البعد الواحد ، ترجمة جورج طرابيشى ، منشورات دار الآداب ، بيروت ، سنة ١٩٧٣ ، ص ٨١ ـ ٨٢ ٠

٣٥ـ هيرمان كان وآخرون ، العالم بعد مائتى عام ، الثورة العلمية والتكنولوجية خلال القرنين القادمين ، ترجمة شوقى جلال ، سلسلة كتب ثقافية ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، سنة ١٩٨٢ ، ص ٣٢٢ ٠

الفصل الثانى

نسق الشخصية والتطبيع الاجتماعى للشباب

تتحدد شخصية الفرد وفقا لمجموعة من العوامل التى تتداخل فيما بينها لتكون مؤشرا على توافقه الاجتماعى مع نفسه ومع الآخرين ، او انعدام هذا التوافق .

ومن هنا ، فان الشخصية قد تتضمن كافة العوامل التى تجعل الفرد يدخل فى علاقات توافقية مع افراد الجماعات التى ينتمى اليها ، بحيث تتفق تصرفاته وأدواره واتجاهاته مع المعايير الموضوعة من قبل هذه الجماعات ، ومن ثم فانه يتمكن من تحقيق ذاته واثبات هويته . كما ان الشخصية ايضا قد تفتقر الى عوامل التوافق الاجتماعى مما يؤدى الى اعاقة الفرد عن الدخول فى علاقات توافقية مع الآخرين ، وبالتالى فان ذلك ينعكس عليه ، مما يؤدى به اما الى الدخول فى أشكال معينة من الصراع مع الآخرين ، أو أن ينحو الى العزلة والهروب ، أو الأنومية والاغتراب .

مكونات نسق الشخصية :

يتم تكوين الشخصية الانسانية من خلال علاقة الفرد بالآخرين وتفاعله معهم ، فهى ليست سوى انعكاسا لتصورات الآخرين ، وهى نتيجة للتفاعل الدائم المستمر بين الفرد والواقع ، وهى بذلك تتحدد وفقا لنوع المؤسسات الاجتماعية التى يرتبط بها الفرد ويتفاعل معها . وتتمثل تلك المؤسسات فى الأسرة ودورها فى عملية التطبيع الاجتماعى ، والمدرسة ، وعصبة اللعب ، والدين ، والوسائل الاعلامية ، حيث تكون ادوار كافة هذه المؤسسات امتدادا لدور الأسرة فى عمليات التطبيع الاجتماعى : ومن ثم فان نسق الشخصية يعتمد اعتمادا كليا على كافة العمليات التى تشمل نقل قيم المجتمع وأنساق الضبط الاجتماعى ، وتحديد أدوار واتجاهات الأفراد حيث يتم ذلك عن طريق التفاعل بين عمليات التكامل الاجتماعى التى تتمثل فى التكيف والمواءمة والانتماء والامتثال للقواعد الأخلاقية

وقد نزع بعض المنظرين الى تقسيم الشخصية الى نماذج متعددة، فمنهم من حدد نموذج الشخصية على أساس الصفات الجسمانية كالصحة والقوة والطاقة ، ومن ثم فهم يرون امكانية تمييز الصفات الخلقية للشخصية على أساس مظاهر الجسم . على حين اتجه بعضهم الى تحديد نموذج الشخصية على أساس الطبع ، وذلك على أساس أن افرازات الجسم الكيميائية يكون لها تاثير على نماذج الطبع فى الانسان ، ويقصد بها « الحالات المزاجية » ، ومن ثم فقد تم تقسيم هذا النموذج الى « الدموى » وهو السريع الانفعال ، والميال الى السرور . « والسوداوى » وهو الذى ينهار بسهولة ، وانفعاله بطىء ، وعميق وهادىء وغير ميال للسرور . و « الصفراوى » وهو العصبى الذى يغضب بسهولة وتأثره الانفعالى سريع وقوى وغير ميال للسرور . واللمفاوى « البلغمى » وهو المتبلد ، الضعيف الهادىء ، ذو الانفعال البطىء ، والميال للسرور (١) .

أما بالنسبة للشخصية من زاوية علم النفس ، فهى تنقسم الى نموذجين النموذج الأول هو الشخصية الانطوائية التى يميل صاحبها خاصة فى أوقات المحن الانفعالية والصراع النفسى الى الانسحاب واعتزال الناس ، كما يكون خجولا ، ويؤثر العمل فى عزلة . اما النموذج الثانى ، فهو الشخصية الانبساطية التى يميل صاحبها الى الاندماج فى الناس عندما يتعرض لمحنة ما ، ويبدو أكثر ميلا الى الاجتماع بالناس . كما يرى علماء النفس ، ان الشخصية بناء نفسى ، وان اتساع الهوة الفاصلة بين نمط البناء النفسى للأفراد هو احد الأسباب المساهمة بطريق مباشر فى تفكك كثير من المجتمعات الحديثة فانقسام المجتمع الى فئات متباعدة ، وازدياد صلابة الحواجز القائمة بينها ، واختلاف خبرات الحياة التى يلقاها ابناء كل فئة اختلافا كبيراً عن الخبرات التى يلقاها أبناء الفئات الأخرى ، قد ادى الى درجة من التباين فى الابنية النفسية بين ابناء هذه الفئات يصل الى درجة التعارض احيانا ، حتى أن الباحث فى السلوك الاجتماعى لم يعد يستطيع أن يغفل هذا التباين بين ابناء المدينة وأبناء الريف مثلا ، أو بين أبناء الطبقات الاجتماعية الاقتصادية المختلفة (٢) .

أما نسق الشخصية من وجهة نظر علم الاجتماع ، وكما حدد مفهومه كل من « بارسونز » و « شيلز » ، فهو نسق متكامل من الحاجات والاتجاهات التى تحدد اختيارات الفرد للبدائل المتاحة امامه فى المواقف الاجتماعية ، وتعمل على صياغة الأهداف التى يسعى الى تحقيقها ، ويوضحان أن هذا التعريف يتضمن التساند المتبادل بين الأعمال التى يقوم بها الفرد ، وخاصة حين تحكمها الاحتياجات والاتجاهات ، كما ان

السياسات التعليمية نظراً لعدم التكافؤ بين الامكانيات المادية المتاحة وبين اعداد الملتحقين بالتعليم ، مما انعكس بدوره على العملية التعليمية باكملها ، ممثلا فى تقلص وضيق الوقت المخصص للعمليات التعليمية فى عدد كبير من المدارس نتيجة لتقسيمها الى فترة صباحية واخرى مسائية ، هذا بالاضافة الى تكدس الفصول باعداد التلاميذ التى تفوق طاقتها على الاستيعاب ، مع عدم توافر التهوية والاضاءة الجيدة ، الى جانب انحسار المساحات المخصصة للافنية والملاعب ، وكذلك سوء او انعدام الوسائل الايضاحية والأجهزة العلمية المكملة للعملية التعليمية ، مع ما صاحب هذا كله من انخفاض مستوى كفاءة المدرسين ومستوى تأهيلهم العلمى والتربوى .

كذلك فان انحسار القيم الاجتماعية الايجابية امام المد الهائل للقيم المادية التى عكستها آليات السوق ، جعلت حق التعليم الجيد وقفا على مدارس اللغات أو المدارس الخاصة ذات المستوى الرفيع، حيث تستطيع هذه المدارس توفير المدرسين ذوى الكفاءات المتميزة عن طريق اغرائهم بالأجور والمكافآت المرتفعة التى لا تستطيع المدارس الحكومية توفيرها

واذا كانت العملية التعليمية فى مصر قد خضعت لآليات السوق نتيجة لعدم التكافؤ بين الامكانيات الاقتصادية للدولة وبين اعداد المنخرطين فى سلك التعليم ، فان هذه الآليات قد لعبت دوراً مماثلا على المستوى الفردى بالنسبة للمدرسين أنفسهم ، حيث فرض تيار القيم المادية الجارف ضرورة موازنة هذه الفئة بين حاجاتهم الاساسية وبين ارتفاع أسعار السلع والخدمات ، وذلك عن طريق الالتجاء الى الدروس الخصوصية واستنفاذ كل جهدهم وطاقتهم ووقتهم فيها ، حيث يؤدى ذلك الى قصور قدراتهم الذهنية والجسمانية عن انجاز أدوارهم التعليمية وبالتالى الى قصور مماثل بالنسبة لادوارهم التربوية الحيوية بالنسبة لعمليات التطبيع الاجتماعى وتكوين نسق الشخصية .

والتربية القيمية وعمليات التطبيع الاجتماعى ليست مجرد عبارات او شعارات يقراها التلميذ من خلال موضوعات الكتب والمناهج المدرسية وليست مجرد الفاظ تخرج من شفاه المدرسين والمسئولين فى المدرسة ، وانما هى عملية توافق وتواؤم بين ما يلقن للتلميذ من جهة ، وبين السلوك العملى والأفعال الايجابية التى يقوم بها القائمون على عمليات التربية والتعليم فى المدارس ، فاذا كان المدرس — هذا اذا حدث — يلقن التلميذ احترام الوقت ، واحترام حقوق الآخرين ، والالتزام بادائه لدوره كتلميذ ، والامتثال الأخلاقى والانصياع لمعايير

الجماعة ، فان ذلك يفقد معناه ومغزاه لدى التلميذ عندما يجد ان المدرس لا يلتزم بدخول الحصة فى موعدها المحدد ، وعندما يلجأ الى القاء درسة بطريقة آلية لا تفاعل فيها ، وعندما يقصر فى استخدام كافة الأساليب والوسائل الممكن أتباعها لتوصيل المطلومات الى تلاميذه ، وعندما يتعمد تخفيض درجات بعضهم أو الايحاء اليهم بانهم فى حاجة الى درس خصوصى عن طريقه أو عن طريق زميل آخر ، وعندما يتساهل أو يتغاضى عن غش تلاميذه فى الامتحان حتى لا تتأثر تقاريره بنتائج تلاميذ فصله ، وعندما يطلب من رئيس الفصل حفظ النظام لينصرف الى شأن من شئونه الخاصة ، وعندما يقوم بفرض أجر مرتفع مقابل دروسه الخصوصية كنوع من الاتاوة التى لا تميز بين القادر وبين من يقتطع هذا الأجر من رغيف عيشه .

ومن ثم فلم تعد المدرسة فى الحقبة الحالية قاصرة فقط عن اداء دورها التعليمى والتربوى ، بل اصبحت فى بعض جوانبها تمارس تأثيرات سلبية على عمليات التطبيع الاجتماعى ، وذلك عندما تتعارض سلوكيات وتصرفات القائمين على العملية التعليمية والتربوية باعتبارهم جماعة القدوة مع الالتزام والامتثال الأخلاقى للقيم والمعايير الاجتماعية.

واذا كانت ازمة التعليم وتخلفه — خاصة التعليم الجامعى كما سيتضح لنا فى سياق الدراسة تمثل محوراً هاما من محاور أزمة الشباب المصرى المعاصر ، فانما هى انعكاس منطقى وحتمى لتخلف المجتمع وتراجعه . ومن ثم فان الخروج من هذه الدائرة ، لا يمكن أن يتم الا من خلال ثورة كبرى فى نظام التعليم ومستوى ادائه ، اذ أن ذلك سينعكس مرة أخرى على كافة ابنية المجتمع

ثالثا : وسائل الاعلام :

ومع التسليم بأن لكل من الاسرة والمدرسة دوراً لا ينكر فى عمليات الضبط الاجتماعى ، ونقل قيم المجتمع ، فان هناك بعض المؤسسات الاجتماعية الأخرى التى تتدخل وتتفاعل وتؤثر فى هذه العمليات ، ومنها وسائل الاعلام ، حيث تقوم بدور فعال فى تغيير اتجاهات الأفراد وقيمهم وآرائهم ، وخاصة بالنسبة للتليفزيون كوسيلة اعلامية متاحة ذائعة الانتشار . ففى احدى الدراسات الأمريكية وجد ان متوسط عدد الساعات التى يشاهد فيها الأطفال التليفزيون فى مرحلة ما قبل دخول المدرسة تصل بين الأطفال فى نحو الثانية عشرة من العمر الى نحو ٣١ ساعة فى الأسبوع (١٥) ، ومن ثم فاننا نجد ان متوسط عدد الساعات التى يقضيها الطفل أمام التليفزيون تكاد تقترب من عدد الساعات التى

يقضيها فى فصول الدراسة ، كما نجد أن تاثيرها يفوق ما يتلقاه من خلال البرامج الدراسية والتربوية ، حيث تغلف الموضوعات التى تقدم على شاشات التلفزيون بجـو من الاثارة والترغيب مما يكون له تاثير كبير على عمليات التطبيع الاجتماعى ، ومما يكون له أيضا بعض الآثار والنتائج السلبية على هذه العملية ، عندما لا تكون برامج التليفزيون على درجة عالية من الكفاءة بحيث تراعى اختلافات الجماعات العمرية والنوعية ، وعندما لا تراعى تدعيم وغرس القيم الايجابية للمجتمع .

وعلى الرغم من الأهمية المتناهية لوسائل الاعـلام فى عمليـات التطبيع الاجتماعى ونقل قيم المجتمع الايجابية الى الأفراد ، الا أنها قد اصبحت فى السنوات الأخيرة بصورة بالغة الوضوح انعكاسـا لآليات السوق أو انعكاسا للواقع الاقتصادى الاجتماعى للمجتمع ، وفى ذلك يقول الحالة رقم (٩) : « وسـائل الاعـلام خصوصـا التليفزيون عامله ليه واللى زيى أزمة فى حياتهم .. نبقى متغديين ترديحى والا فتة عدس .. ونبص نلاقيهم بيطنوا عن السلع الغذائية المستوردة .. بيعتقدوا ان الاعلانات دى نوع من المنافسة لشركات أو مصانع تانية .. ومبيعرفوش انه نوع من المنافسة للفول والعدس والطعمية اللى هيه قوت أغلبية أفراد الشعب » .

ومن خـلال هذا الرأى يتضح تاثير وسـائل الاعـلام على تأكيد القيم المادية والاستهلاكية ، حيث تشكل تدريجيا لدى الأفراد الوعى بأهمية العلاقة بين قيمة الفرد ومكانته الاجتماعية وبين مقدار ما يستهلكه أو ما يقتنيه من موضوعات مادية ، كما أنها فى نفس الوقت تخلق لدى الطبقات غير القادرة شعوراً متزايداً بالقهر والحرمان ، مما قد ينعكس عليهم بمزيد من الشعور بانعدام التوازن والعدالة الاجتماعية ، كما قد يؤصل لديهم الشعور بالنقمة على تلك الفئة التى تمكنها امكانياتها من التمتع بتلك الموضوعات المادية التى لا يستطيعون هم الحصـول عليها ، حيث يؤدى ذلك بهم اما الى الاتجـاه نحو اتباع الأسـاليب المنحرفة لمجاراة هذه المظاهر المادية ، واما الى الشعور بالانفصـال عن الواقع والنزوع الى الهروبية والانومية والاغتراب .

كذلك فان وسائل الاعلام تلعب دوراً كبيراً فى محاولات تشـكيل وتكوين وعى الأفراد وفقا لمصالح النظام السياسى أو أصحاب المصالح الخاصة بالابقاء على النظام واستمراريته ، مما يترتب عليه مجموعـة من النتائج السلبية فيما يتعلق بالعمليات التربوية ، وفى ذلـك تقول الحالة رقم (٣) « أنا مش فاهمه ليه لما بيكون فيه حاكم معين ماسك البلد .. الناس بتوع وسائل الاعـلام كلها ما بيكونش ليها شغلانه الا

انها ترفعه السما .. واول ما يموت أو ينتهى .. كل الناس تبتدى تنتقد كل حاجة عملها .. ليه مليقاش فيه قيم عند الناس دول .. وليه بيغيروا جلدهم مع كل حاكم جديد أو نظام جديد » .

ومن هذا نرى ان وسائل الاعلام فى هذا السبيل تتخذ دورا سلبيا فى عملية التربية والتطبيع الاجتماعى للأفراد ، اذ يتكشف لهؤلاء الأفراد زيف وفساد الشعارات والادعاءات التى يرفعها النظام الحاكم وممثلوه والناطقون بلسانه ، والمدافعون عنه ، وذلك عندما يتكشف لأفـراد المجتمع انفصال الادعاءات والشعارات التى ترفعها وتؤكدها وسائل الاعلام عن الواقع الاجتماعى ، او عندمـا تنحسر تلـك الادعـاءات والشعارات أمام مد جديد لادعاءات وشعارات أخرى محدثة . ومن ثم يؤدى ذلك بالأفراد اما الى الايمان بضرورة التلون والتغير ومجاراة ومسايرة القيم والاتجاهات الجديدة مهما كان ذلك على حساب قيمهم واتجاهاتهم التقليدية ، واما يؤدى بهم الى الانخراط فى سلسلة متعاقبة من الصراعات والتوترات التى قد توجه الى الخارج فى حالات قليلة ، أو الى داخلهم كما يحدث فى أغلب الأحيان .

وبالمثل فان بعض الأفلام السينمائية فى ظل آليات السوق العالمى قد بدأت تلعب فى السنوات الأخيرة دوراً سلبيا بالغ الخطورة فى عملية التطبيع الاجتماعى وتكوين نسق الشخصية ، حيث أصبحت وسيلـة شديدة الفعالية فى تكوين وتأصيل القيم السلبية لدى كثير من الأفراد ، وفى ذلك يقول الحالة رقم (٦١) « عندك الأفلام .. ٩٠٪ منها ما بيدورش الا حوالين الجنس والمخدرات والخمارات .. وكأن أهل مصر كلهم عايشين فى كباريه كبير » .

فمما لا شك فيه ان الرأسمالية الجاهلة التى أفرزتها سياسـة الانفتاح الاقتصادى ، والتى أمسك بعض أفرادها بزمـام العمليات الانتاجية للافلام والمسرحيات ، قد اتخذت من المجال الفنى الاعلامى وسيلة لمضاعفة واستثمار رؤوس أموالها ، وذلك عن طريق تقـديم الانتاج الهابط المستوى الذى يدغدغ الحواس ويثير الغرائز ، وذلك طبقا ووفقا لمتطلبات السوق « وشباك التذاكر » ، حيث اصبحت الفئة المثقفة حاليا غير قادرة على مجاراة الارتفاع الهائل فى اسعار تذاكر السينما والمسرح ، وبالتالى انحصرت فئة المترددين على هذه الأماكن فى باقى فئة الرأسمالية الجاهلة او العمال الحـرفيين الـذين تمكنهم امكاناتهم المادية من مجاراة الأسعار الحالية .

رابعــا : جماعة الانـــداد :

أما بالنسبة لجماعة الانـــداد Peer group ، فان دورها يختلف الى حد كبير عن دور كل من الأسرة والمدرسة ، وكذلك وسائل الاعلام، فجماعة الانداد كما فريدريك الكن Fredrick Elkin تقوم عادة ببعض المهام التى لا تتيسر للمؤسسات الأخرى القيام بها ، خاصة فى فترات التغير الاجتماعى الحاد التى يمر بها المجتمع ، فعن طريق هذه الجماعة ، يكتسب الفرد الروح الاستقلالية ، كما يتطور لديــه الوعى بذاته وهويته ، نتيجة توجيه اهتماماته ونشاطاته الى أنماط جديدة تتفق مع وجهات نظر وتوقعات الجماعة التى ينتمى اليها (١٦) .

ويرى بارسونز Parsons ، أن جماعة الانداد هى اكبر مجال للحصانة من عمليات الضغط والتحكم التى يقوم بها الكبار ، حيث يتخلص الفرد من خلالها من كل من سلطتى الأسرة والمدرسة ، ويحل محلها ولاء جديد للجماعة ، والانصياع لمعاييرها (١٧) .

واذا كان لجماعات الانداد دور ايجابى فى تشكيل نسق شخصية الفرد ، الا أن لها بعض جوانبها السلبية ، حيث تؤدى الثقافة المشتركة السائدة بين افراد الجماعة ، والتقاء أفكارهم وآرائهم فى سمات متقاربة ومشتركة نتيجة لتقاربهم العمرى ، الى اتساع الفجوة بين هذا الجيل وجيل الكبار Adults ، وذلك لاختلاف المحددات الثقافية التى توجه أفكار وقيم كل منهم ، والتى ينتج عنها فى كثير من الأحيان ظاهرة صراع الأجيال .

واذا كنا قد رأينا أن مؤسسات التطبيع الاجتماعى التى سـبق ذكرها مثل الأسرة والمدرسة ووسائل الاعلام قد خضعت لآليات السوق، فاننا نجد أن جماعة الانداد كمؤسسة من مؤسسات التطبيع الاجتماعى قد خضعت لهذه الآليات أيضا . فالمراهق أو الشاب من خلال ارتباطه بجماعة الانداد ، ومن خلال انصياعه لمعاييرها وولائه لها ، يصـبح لزاما عليه للاحتفاظ بمكانته داخل المجموعة أن يجارى افرادهــا فى مظهرهم وسلوكهم وتجاربهم ، والتى قد تكون فى بعض الأحيان مظاهر وسلوكيات وتجارب سلبية من حيث تعارضها مع عمليات التطبيـع الاجتماعى ، وفى ذلك تقول الحالة رقم (١) « أنا عندى أصحاب فى الشلة بيدخنوا حشيش .. أنا جربته مرة واحـدة بس ما عجبنيش طعمه .. السجاير من غير حاجة طعمها أحسن .. أنا بادخن تقريبا من توجيهى » . ويقول الحالة رقم (٩) « الشلة بتاعتنا فيها اثنين بيدخنوا حشيش وحاجات تانية .. هنه صنايعية معاهم فلوس » .

ويقول الحالة رقم (٧) « عادة وقت الفراغ باقضيه مع أصحابى . احيانا بنلف بالعربيات ونعاكس البنات » . ويقول الحالة رقم (١٠) « بناجر الأفلام الجنسية وندور مين من الشلة أسرته مش موجودة فى البيت لأى سبب ونتفرج عليها عنده .. الأفلام دى غالية شوية انما بنشترك فى ثمنها » .

فدخول الشباب فى تجربة تدخين الحشيش أو الوصول الى حد التعاطى انما هو انعكاس لعاملين اساسيين ، أولهما أن مثل هـذا السلوك يأخذ فى البداية شكل السلوك الجماعى وليس السلوك الفردى وذلك فى اغلب الأحيان ، بمعنى ان الشاب الذى يقوم بتجربة تعاطى المخدرات لا يبدأ تلك التجربة من فراغ ، وانما تكون فى العادة نتيجة لمؤثرات وضغوط خارجية من اعضاء « الشلة » ، وجماعة الانداد التى ينتمى اليها ، أو نتيجة الرغبة فى محاكاة وتصرفات وسلوك اعضـاء الجماعة ، ومن هنا تتولد بعض التأثيرات السلبية لجماعة الانداد فيما يتصل بدورها فى عملية التطبيع الاجتماعى . أما ثانى هذه العوامـل فهى تخضع أولا الى الامكانيات المادية للشاب نفسه من جهة ، من حيث قدرته على مواجهة التكاليف المادية المرتفعة لشراء المخدرات ، كما تخضع ثانيا الى آليات السوق ، والتى تتصل باشتغـال بعض الأفراد بتهريب وجلب المخدرات بهدف الربح المادى السريع لمجـاراة الأوضاع المادية الاستهلاكية ، وتحقيق مكانة اجتماعية متميزة كانعكاس للامكانيات المادية المتاحة ، حتى وان كان ذلك على حسـاب صحـة وامكانيات المتعاطين المادية ، وعلى حساب المصلحة العامة للمجتمـع ككل .

كذلك فان تسكع مجموعة من الشباب بسيارة أحدهم ومعاكسـة الفتيات أو الدخول معهم فى علاقات غير سوية ، أو استئجارهم للافلام الجنسية ومشاهدتها فى غيبة اسر البعض منهم ، انما هو تأثير سلبى لجماعة الانداد ، حيث يسعى الشاب من خلال هذا السلوك فى البداية الى مجاراة أفراد الجماعة الآخرين ، وتأكيد عدم تخلفه عن نشاطاتهم وعن معاييرهم أو تجاربهم ، وبالتالى فان مثل تلك التجارب والسلوكيات تصبح من العمليات السلبية لجماعة الانداد فيما يتصل بدورهـا فى التطبيع الاجتماعى وتكوين نسق الشخصية ، كما أنها تعـد فى بعض الأحيان انعكاسا لآليات السوق . فالسيارة كموضوع مادى تجعل من عملية معاكسة الفتيات فى الشوارع عملية اكثر ايجابية وأكثر فعالية خاصة فى ظل تشجيع الشباب احدهم للاخر ، كذلك فان أفلام الفيديو الجنسية كموضوع مادى آخر بسبب ارتفاع اسعارها النسبى تجعل

من مشاهدة الأفلام الجنسية عملا غير فردى وانما عملا جماعيا — على الأقل فى المراحل الأولى — حيث يتم من خلال مساندة وتشجيع افراد « الشلة » أو المجموعة بعضهم للبعض الآخر ، ومن خلال مشاركتهم الجماعية لتوفير اجور هذه الأفلام التى أصبح اغراق السوق بها مؤشراً على انهيار القيم الاجتماعية والدينية ، حيث يتخذ منها المروجون لها والمشتغلون بها وسيلة للكسب المادى غير المشروع ، حتى وان كان هذا الكسب على حساب انهيار كافة القيم .

انماط عملية التطبيع الاجتماعى :

يقصد بعملية التطبيع الاجتماعى ، تلك العملية الاجتماعية الأساسية التى يصبح الفرد عن طريقها مندمجا فى جماعة اجتماعية من خلال تعلم ثقافتها ، ومعرفة دوره فيها . وطبقا لذلك فان هذه العملية تستمر مدى الحياة ، ويمر الطفل بفترة حرجة عندما يستدمج القيم والاتجاهات والمهارات والأدوار التى تشكل شخصيته ، وتؤدى الى اندماجه فى مجتمعه ، ولهذا تعد هذه العملية ضرورة لتكوين ذات الفرد ، وبلورة مفهومه عن ذاته كشخص . ويتم ذلك من خلال سلوك الآخرين واتجاهاتهم حياله ، وكذلك من خلال اداء الفرد للادوار الاجتماعية المختلفة التى تسند اليه ، مما يترتب عليه ظهور الذات الاجتماعية المتميزة بالنمو السليم . على أنه يمكن اعتبار ان اى نشاط يبذل لتعلم دور اجتماعى جديد يمكن الفرد من أداء وظيفته كعضو فى جماعة أو مجتمع ، بمثابة عملية تنشئة اجتماعية ، فالفرد الملتحق بالجامعة أو بقوة الشرطة او الجيش أو بناد رياضى ، أو باية جماعة اجتماعية أخرى يتعلم من خلالها قيما واتجاهات وعادات وادوارا اجتماعية جديدة ، يعد مندمجا فى عملية التنشئة الاجتماعية ، ومن ثم يمكن النظر الى هذه العملية على انها عملية مستمرة يمكن أن يمر بها الشخص خلال مراحل حياته المختلفة حتى مراحل العمر المتأخرة .

وتتعدد عمليات التطبيع الاجتماعى التى تساهم فيها مجموعة المؤسسات الاجتماعية التى سبق الاشارة اليها ، والتى تتمثل فى الأسرة والمدرسة ووسائل الاعلام ، وجماعات الانداد ، حيث تقوم هذه المؤسسات مشتركة احيانا ومنفصلة أحيانا أخرى ، بتأصيل قواعد السلوك الاجتماعى ، ونقل العمليات الثقافية والقيمية إلى الأفراد . وتتمثل هذه العمليات فيما يلى : —

اولا : الضبط الاجتماعى :

ويعد الضبط الاجتماعى Social Control ، وسيلة اجتماعية أو ثقافية تفرض عن طريقها قيود منظمة ومتسقة نسبيا على السلوك الفردى بهدف التوصل الى مسايرة الفعل للتقاليد وانماط السلوك ذات الأهمية والفعالية ، من حيث اداء الجماعة لوظائفها وادوارها على نحو مستقر ، وقد تعتمد الصورة الأساسية للضبط الاجتماعى على موافقة الفرد أو تأييده لمستويات السلوك التى حددتها المعايير وتوقعات الدور بوصفها صائبة أو ملائمة، وبناء على ذلك، فان عملية التنشئة الاجتماعية واستدماج المعايير الاجتماعية والقيم ، توفر المصادر اللازمة لعمليات الضبط الاجتماعى الايجابى .

وينطوى الضبط الاجتماعى الرسمى على انساق السلطة ، والقوانين ، والقواعد واللوائح التنظيمية ، التى تحدد المكافآت (تنظيم الجزاءات الايجابية كالشهادات والدرجات العملية ، والجوائز ، والميداليات ، والمكافآت المالية) أو العقوبات (كالجزاءات السلبية المنظمة ، التى تتمثل فى الاعدام ، او الحبس او الطرد ، وهذا فى مقابل عدم الامتثال والمخالفة) ، ويمكن أن يكون الدين فى هذا الصدد من العوامل التى تسهم فى نسق الضبط الاجتماعى الرسمى . ويتكشف الضبط الاجتماعى غير الرسمى فى صور مختلفة كالراى العام او الموضة ، وكفرض الجزاءات غير الرسمية كالثناء او السخرية . وقد عرف المصطلح فى كثير من الأحيان على اساس أن هدف الضبط الاجتماعى يتمثل فى النظام Order ، وفى تدعيم القيم الاجتماعية ، وعدم الاستغلال او الاحتكار او احراز المكاسب الذاتية التى يحظى بها من هم فى مراكز القوة . على انه ينبغى ملاحظة ان قيم المجتمع قد تعكس احتياجات الطبقة الحاكمة أو الصفوة ، أو اية جماعة ثقافية أو عنصرية سائدة ، ولذلك قد يكون الضبط الاجتماعى موجها نحو تدعيم المصالح الخاصة (١٨) .

وقد تعددت التفسيرات الخاصة بمفهوم الضبط الاجتماعى ، بدءاً بالتفسير المبسط ، القائل ان كل حياة اجتماعية ترتكز بالضرورة على شىء من التنظيم ، وان كل تنظيم يتضمن بالضرورة نوعا من الضبط ، وايضا بالفكرة القائلة بان الضبط الاجتماعى يتضمن معنى التدخل والسلطة والقوة والسيطرة ، او بانه يعنى الارشاد والاشراف والتوجيه ، أو بالمقولة التى تذهب الى ان الضبط لا يتضمن فقط التنظيم ، بل وايضا التخطيط ، سواء فى ذلك التخطيط الاقتصادى او التخطيط الاجتماعى .. وما الى ذلك من تفسيرات ، والتى من اهمها

تفســـير بـــريلى Brealy ، حيث يرى أن الضبط الاجتماعى لفظ عام يطلق على تلك العمليات المخططة أو غير المخططة ، التى يمكن عن طريقها تعليم الأفراد ، أو اقناعهم ، أو حتى اجبارهم على التواؤم مع العادات وقيم الحياة السائدة فى الجماعة ، اى ان الضبط الاجتماعى يوجد حيث تحاول اى جماعة من الجماعات ان تحدد سلوك اى جماعة اخرى أو التحكم فيه ، أو تعمل على توجيه وضبط سلوك أعضائهـــا هى نفسها ، أو حين يؤثر أحد الأشخاص فى استجابة الآخرين (١٩) ، فالضبط الاجتماعى يعمل اذن من وجهة نظره على ثلاثة مستويـــات مختلفة من جماعة على جماعة أخرى ، ومن جماعة على أعضائها هى نفسها ، ومن فرد على أفراد آخرين ، وهــذا يتضمن بالضرورة أن الضبط الاجتماعى يوجد حين يكون الشخص مضطراً او مدفوعا للعمل تبعا لمشيئة الآخرين ، بغض النظر عما اذا كان ذلك يتفق مع مصالحه الخاصة أو لا يتفق . ولكن ليس معنى ذلك أن كل رغبة للسيطرة على الآخرين تدخل فى انساق الضبط الاجتماعى ، أو تعتبر جزءاً منها ، ذلك ان الهدف الذى يهدف اليه الضبط ، انما تحدده فى آخر الأمـــر القيم والعادات السلوكية العامة السائدة فى الجماعة ذاتها .

وتلعب كل من الأسرة والمدرسة ووسائل الاعلام وجماعات الانداد دوراً كبيرا فى غرس قيم الضبط الاجتماعى ، الذى يشكـــل عنصراً اساسيا من العناصر التى يتكون منها البناء العام للثقافة السائدة ، فالى جانب ما تنهض به هذه المؤسسات الاجتماعية فيما يتعلق بعملية التطبيع الاجتماعى الخاص بنقل التراث والقيم والعـــادات والتقاليـــد السائدة ، والقواعد السلوكية المتعارف عليها ، فانها تقوم أيضا بنقل مفاهيم القاعدة القانونية المعبرة عن ثقافة المجتمع .

ودور الأسرة فى حث أعضائها للامتثال لقواعد المجتمع ، والمتمثلة فى القانون والتشريعات المختلفة ، لا يتطلب من رب الأسرة سوى قدراً من الوعى بأهمية عدم الانحراف عن تلك القوانين ، لما يترتب عنه من حالات الخلل الاجتماعى أو التفكك الاجتماعى التى تصيب بناء المجتمع من جراء الانحرافات المختلفة . على أن دور رب الأسرة فى حث أفرادها للامتثال لقواعد المجتمع المتمثلة فى القانون والتشريعات ، لا ينبغى أن يقوم على الجبر والالزام دون اتاحة الفرصة للأفراد للنقد والمناقشـــة الجادة الموضوعية ، وانما ينبغى ترشيد أفكارهم وليس تكبيلها (٢٠) .

واذا كان حث اعضاء الاسرة على الامتثال لقواعد المجتمع يعـــد واحدا من أهم ادوار كل من الأسرة والمدرسة ، الا ان رياح التغير التى طرات على البناء الاجتماعى فى السنوات الأخيرة أفرزت تعارضا واضحا فيما يختص بانجازات هذا الدور ، حيث اصبحت وسائـــل

النفاذ من الثغرات القانونية ، وانتشار الرشوة والوساطة وطرق التلاعب والتحايل على القانون من اكثر السمات بروزاً فى الحقبة الحالية ، بحيث أخذت هذه الأشكال غير القانونية تلعب دوراً شديد الخطورة فى عدم الامتثال لقواعد المجتمع وقوانينه وتشريعاته .

وفى ذلك تقول الحالة رقم (٢) « المشكلة فى البلد دلوقتى فى موضوع الواسطة .. كل حاجة ماشية بالواسطة والمعرفة » . ويقول الحالة رقم (٩) « علشان تمشى حالك لازم يكون عندك واسطة .. يا اما تدفع رشوة .. طيب لما انا أكون واحد غلبان ويمارس على واحد قوى ضغوط مختلفة علشان ادفع له رشوة انا اصلا مش قادر عليها .. طيب ما انا حاستغل فى يوم من الأيام قوتى او سلطتى علشان ابتز الى اضعف منى » . ويقول الحالة رقم (١٠) « علشان الواحد يمشى حاله او يخلص مصالحه لازم يفقد ضميره علشان يعامل الناس زى ما بيعاملوه » .

ومن خلال هذه الآراء يتضح لنا مدى الخلل الذى طرأ على صيغ العلاقات الاجتماعية وعلى عمليات الضبط الاجتماعى ، حيث اصبح عدم الامتثال القانونى هو سبيل الأفراد لقضاء حاجاتهم أو الحصول على حقوقهم ، بل تعدى الأمر ذلك الى حد ان أصبح عدم الامتثال للقواعد القانونية للمجتمع يعد مؤشراً لمدى « شطارة » الفرد « وفهلوته » طالما أن هذه « الشطارة » أو « الفهلوة » هى السبيل الى قضاء مصالحه الخاصة ، حتى ولو كان ذلك على حساب حقوق ومصالح الآخرين ، أو على حساب انساق الضبط الاجتماعى ومعاييره .

وتشكل الشائعات شكلا من أشكال الضبط الاجتماعى التى تؤدى بدورها الى تماسك الجماعة، ففى دراسة «لاندا جوكانو» Landa Jocano التى اجريت على أحد الأحياء الحضرية المتخلفة وجد أن التزام الناس بمعايير سلوكية معينة خاصة بهم ، ترتبط ارتباطا وثيقا بالجزاءات التى تعمل على الابقاء على هذه المعايير واستمراريتها ، وان الشائعات واحدة من اشكال هذه الجزاءات (٢١) . وعلى هذا فان الشائعات تعد فى بعض الأحيان من اشكال الضبط الاجتماعى التى تعمل على بقاء النسق الاجتماعى وتماسكه ، وخاصة بين المجموعات التى تتمسك بالمعايير والقيم التقليدية ، حيث يستمد الأفراد مكاناتهم من واقع مدى اتفاق سلوكياتهم وسمعتهم مع المعايير السائدة فى الجماعة .

ولكن فى ظل سيطرة الاتجاهات الفردية وسيادة روح المصالح الخاصة على المصالح الجماعية نتيجة لعلاقات السوق ، وفى ظل تفكك العلاقات الاجتماعية خاصة فى الأحياء الحضرية ، لم تعد للشائعات تلك القوة وهذا الدور التقليدى الذى مارسته طويلا فى عمليات الضبط الاجتماعى ، حيث امتد نفوذ أصحاب القوى الشرائية الى حد شراء صمت الأفراد وقمع الشائعات فى بعض الأحيان ، أو انعدام مشاعر المبالاة والاكتراث للشائعات اعتمادا على السطوة المادية ونفوذ الثراء فى كثير من الأحيان ، وحيث أصبح الأفراد لا يستمدون مكاناتهم من خلال انصياعهم لمعايير الجماعة او للقواعد القانونية للمجتمع ، بقدر ما يستمدونها من حجم الموضوعات المادية التى يستطيعون تملكها او السيطرة عليها ، أو اخضاعها لمصالحهم الخاصة ، والتى تمكنهم بالتالى من التحكم فى مصالح ومصائر الآخرين .

ويرى بارسونز Parsons أن هناك ميكانزما هاما لعمليات الضبط الاجتماعى الذى يسميه بالمؤسسة التانوية Secondary institution ويضرب لذلك مثلا بالاتجاه نحو الرياضة او الرقص ، أو اقامة العلاقات مع الجنس الآخر ، فالشباب من خلال ممارستهم لأنشطة ثقافة الشباب ، ومن خلال علاقاتهم مع أفراد جماعتهم يمرون بعمليات تطوير انفعالية تنتهى بهم الى احتلال مكانة مماثلة لمكانات الكبار Adults حيث يصل الشباب من خلال هذه العمليات الى مرحلة النضج العاطفى ، وذلك عندما يبدأ فى تحمل وانجاز بعض المسئوليات التى لا تتيسر له فى ظل السلطة الأبوية (٢٢) ومن ثم فان ثقافة الشباب على الرغم مما تحتويه احيانا من بعض عوامل الانحراف ، تعد ميكانزما لبناء النماذج السلوكية للأفراد ، وهى بالتالى تعد صمام الأمان للنظام الاجتماعى عندما تشتد الضغوط على الشباب من قبل الكبار .

ويعد الدين وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعى ، وخاصة بالنسبة للمجتمعات التى تستمد اعرافها وتقاليدها من القيم الدينية ويتفق كل من كنجزلى دافيز Davis والبرت مور Morre فى اهمية الدين فى تحقيق التكامل الاجتماعى ، اذ يريان أنه اذا ما حاولنا التعرف على أهمية الدين ، فيجب أن نعترف بالحقيقة التى مؤداها أن المجتمع الانسانى يحقق وحدته من خلال القيم والأهداف المشتركة التى يؤمن بها أفراده ، وعلى الرغم من أن هذه القيم والأهداف ذاتية الطابع ، الا انها تمارس تأثيراً هائلا على سلوك الأفراد ، لذلك فان اداء المجتمع لوظائفه كنسق ، يتطلب ارتباط افراده بهذه القيم والأهداف ، فالمجتمع العلمانى كأى مجتمع آخر بحاجة الى نسق

عرفى ، يضمن التعبير عن المشاعر ، وينظم كل النشاطات المتصلة بالفشل والموت والكوارث (٢٣) .

وعلى هذا فان الدين يعد ميكانزما هاما من ميكانزمات الضبط الاجتماعى غير الرسمى ، حيث تحدد القيم الدينية انماط السلوك والتصرفات التى تتفق والقواعد والمعايير والتعاليم الدينية ، والتى تكون فى كثير من الأحيان أكثر فعالية وايجابية من تلك القواعد القانونية التى تحكمها قوانين الضبط الاجتماعى الرسمى ، اذ يكون الضبط الاجتماعى الدينى نابعا من داخل الفرد نفسه ، وليس مفروضا عليه من سلطة خارجية ، كما أن الخوف من العقاب الالهى يكون أكثر حدة فى كثير من الأحيان من الخوف من العقوبات التى يفرضها القانون .

وبالنظر الى الدور الهام الذى يلعبه الضبط الاجتماعى عن طريق الدين او المعايير والقيم السائدة كمؤشرات لعمليات هذا الضبط ، الا أن وسائل الضبط الاجتماعى غير الرسمى تختلف من مجتمع الى آخر ، وكذلك داخل المجتمع الواحد ، وذلك بتاثير التغيرات الاجتماعية التى تطرا على بناء المجتمع ، والتى تختلف درجة تأثيرها من قطاع الى آخر ، بسبب اختلاف ظاهرة التخصص فى تقسيم العمل . فنجد أن القرية أو المجتمعات الصغيرة التقليدية داخل المدينة تستمد تماسكها الاجتماعى من خلال عمليات الضبط الاجتماعى غير الرسمى ، الذى يتمثل فى الاتجاه نحو نبذ الفرد ونشر الشائعات حوله ، والسخرية منه والتشهير به ، عندما يخرج عن معايير الجماعة . على حين تتضاءل فعالية هذا الضبط داخل المدينة ، حيث تنخفض درجة مستويات التماسك التقليدية ، والروح الجماعية المترتبة على القرابة او الجيرة او الشعور بالمسئولية الجماعية ، وحيث يضعف كل من العرف والتقاليد كوسائل من وسائل الضبط الاجتماعى التقليدية ، وذلك لتغلب الروح الفردية على الروح الجمعية بسبب ما يؤدى اليه تقسيم العمل والتخصص ، الى الارتكاز أو الاعتماد على العلاقات الرسمية أو التعاقدية . وعلى الرغم من اهمية وسائل الضبط غير الرسمية كوسيلة من وسائل المواءمة بين سلوك الفرد والانماط السلوكية والثقافية السائدة ، الا أنها قد تؤدى فى بعض الأحيان الى الاخلال باهدافها الأساسية ، عندما توجه اساليب هذا الضبط الى الوجهات غير السليمة ، وعندما يجد الفرد ان تصرفاته الشخصية وحياته الخاصة وتحركاته تعد عليه بالواحدة ، فان ذلك قد يؤدى به احيانا الى النزوع الى اللامعيارية واللامبالاة بوسائل الضبط الاجتماعى غير

الرسمى . وتجاهل الثقافة السائدة ، وذلك بهدف التحلل من تلك القيود التى تكبل حريته ، حيث يؤدى هذا التحلل تدريجيا الى تحلل النسق القيمى والبناء الاجتماعى ككل .

كذلك فان الدين كوسيلة من وسائل الضبط الاجتماعى ، يتعارض فى احيان كثيرة مع بعض انماط السلوك والاتجاهات الجديدة الدائرة فى المجتمع .

وفى ذلك يقول الحالة رقم (٦) « من يوم ما وعيت وانا والحمد لله باصلى وباعرف ربنا واحاول انى ابعد عن اى نوع من المعصية .. انما الاغراء للمعصية بيخش علينا جوه بيوتنا .. اى اعلان فى التلفزيون بيعلن عن حاجة هايفة لازم يحشوا فى الوسط علاقة بين راجل وسيم جداً وست جميلة جداً .. الكلام ده كويس فى دولة مافيهاش دين قوى زى الاسلام .. انما فى مصر .. ده بيتعارض مع القيم اللى اتربينا عليها » .

فعلى حين نجد أن القيم الدينية فى مصر تعمل على تنميط السلوك الجنسى للأفراد فى مسارات معينة بالاضافة الى مختلف الأساليب والنظم والقوانين ووسائل الضبط الاجتماعى ، بحيث يقضى الأفراد فترة طفولتهم ومراهقتهم وأحيانا فترة من شبابهم ، وقد أحيطوا بسياج من التكتم والعزلة عن اسرار الجنس حيث لا تقوم الأسرة بدور مميز فى هذا المجال ، وحيث لا تعرف التربية الجنسية السليمة على ايدى متخصصين طريقا لها فى المدارس ، ذلك فى الوقت الذى تمتلىء فيه دور السينما بالأفلام الهابطة ، التى يكون الجنس والاستمتاع الحسى محاورها الأساسية ، وتتنافس شركات الدعاية عن طريق كافة وسائل الاعلان فى اغراق المشاهد فى فيض من الاعلانات المغلفة بجو من اثارة الغرائز والمشاعر الجنسية ، والتى تكون عوامل الجذب والاغراء بين الرجل والمراة قاسما مشتركا فيما ، مما يؤدى فى النهاية الى وقوع المراهقين والشباب فى دائرة من الصراع بين القيم الدينية التى جبل عليها ، وبين تلك الأخرى التى تقتحم حياته .

ثانيا : تحديد الأدوار :

— ولا تقف مهمة مؤسسات التطبيع الاجتماعى عند حد توجيه افعال الأفراد عن طريق الضبط الاجتماعى الى تلك التى تتفق وتوقعات الآخرين ، وانما تمتد الى تحديد الأدوار Roles ، التى يمكن للأفراد

القيام بها ، والتي يمكن من خلالها انجازهم للعمليات التي تتفق وتوقعات هذا الدور . فالقيم الأخلاقية Morals والحسية Esthltic والنفعية Utilitarian والدينية Religoins كما يذهب « روبرت نسبت Robert Nisbet ، تتفق كلها في كونها عناصر للثقافة ، ونتاجا للتراث الاجتماعي ، وانها انماط من التصرفات الانسانية . وعلى الرغم من اعتبارها عناصر ثانوية بالنسبة لعلاقتها بالتطبيع الاجتماعي للفرد في مراحل معينة ، الا أن القيم والمعايير تكون متلازمة وغير منفصلة ، ومتفاعلة مع سلوك الفرد من واقع أدواره ومكاناته . فالمعايير والقيم تنعكس على الشخصية ، كما تتشكل الشخصية من واقع المعايير والقيم (٢٤) .

وينظر عادة الى الدور أو الأدوار التي تسند الى الفرد كما يرى بلوشر Blocher ، على انها المظهر الدينامي لتفاعل الفرد مع النسق الاجتماعي ، ومع توقعات الآخرين (٢٥) .

ويتم الدور كما يرى« دويتش مورتون Deutsch Morton و « روبرت كراوس Robert Krauss عن طريق ثلاثة محكات اساسية مترابطة ، وهي أولا : مجموعة التوقعات التي يتوقعها الآخرون ، وهو ما يعرف بالدور المتوقع ، وثانيا : ما يدركه شاغل المكانة الاجتماعية مما يجب أن يكون عليه سلوكه عند تفاعله مع شاغلي المكانات الأخرى ، ويسمى هذا الدور بالدور الذاتي ، وثالثا : السلوك الفعلي الذي يقوم به شاغل المكانة أثناء تفاعله مع الآخرين ، وهو ما يعرف بالدور الفعلي(٢٦) .

ويميل « فريدريك الكن Fredreck Elken ، الى ربط الدور بمجموعة من الحقوق والواجبات التي تفرضها المكانة الى يشغلها الفرد ، حيث يرى أن الدور هو السلوك المتوقع من الشخص الذي يحتل مكانة معينة ، وان عمليات التفاعل بين الفرد والآخرين تتم من واقع معرفة الفرد للحقوق والالتزامات المرتبطة بهذه المكانة ، فسائق التاكسي من حقه أن يأخذ اجره في مقابل قيادته للسيارة الى المكان الذي يريد الفرد التوجه اليه ، والطبيب من حقه أن يسأل عن اعراض المرض بكل تفاصيله ، وعليه الالتزام بالعلاج ، وبالمثل ، فان سلوك الدور هو الشيء المتوقع من المدرس والتلميذ والأب وابن ، والموظف والعامل ، كل منهم له مكانات متعددة ، وهي التي تحدد سلوكه المتوقع في مواقف معينة (٢٧) .

وتذهب ميريـــام بابانك « Miriam Papaniic » ، الى أن الأطفال يكتسبون معظم أدوارهم الخاصة بالسلطة ، الى جانب سائر أدوارهم النوعية من الوالدين ، وقد خرجت بهذه النتيجة من بحث لها أجرته على عينة تضم مجموعة من المراهقين من الجنسين ، ومجموعــة من الآباء ، حيث وجدت أن الاتجاهات والقيم المتعلقة بنمايز الأدوار تنعكس على الأبناء وخاصة فيما يتعلق بضرورة أن يكون دور الفتى مميــزاً وواضحا عن دور الفتاة ،كما يتميز أبناء الأسر التى يتسم دور الأب فيها بالسيطرة بميلهم بدورهم الى اتخاذ الأدوار المسيطرة (٢٨) .

وهكذا نرى أنه رغم اختلاف نظريات الباحثين عن الدور ، الا أنهم يتفقون جميعاً فى مدى اهتمامهم بمفهوم الدور ، اذ نجد ان كلا منهم قد تناوله من زاوية متصلة بوجهة نظرة الخاصـة ، وان اتفقوا جميعا فيما بينهم فى أنه مجموعة من الأفعال التى تتفق مع مركز محدد أو مكانــة معينة للفرد ، وانه لا ينفصل عن كل المكونات الثقــافية والقيميــة والاجتماعية والشخصية للفرد ، وأن عمليات التفــاعل التى تتم بين الفرد والآخرين ، تتم من واقع الالتزام بالحقوق والواجبات التى تميز المكانات التى يشـغلها كل منهم .

واذا كان الفضل فى تحديد الأدوار النوعية للأفراد كوسيلة من وسائل التطبيع الاجتماعى ، يرجع الى الأسرة ، فان دور المدرسة ، وكذلك جماعات الانداد والمؤســسـات الاجتماعية الأخرى لا يقل أهمية فى هذا الصدد ، حيث يبدأ الفرد من خلال هــاتين المؤسـستين ، فى القيام بدور أو بمجموعة من الأدوار الجديدة ، فهو من خــلال دوره كتلميذ أو طالب أو من خلال عضويته فى احدى الفرق الرياضية أو الموسيقية أو الثقافية ، تتحدد له مجموعة من الواجبات والالتزامات التى تتفق مع معايير أفراد الجماعة الآخرين ، ومن ثم فان التزامــه بتحقيق توقعات الآخرين يحمل فى طياته مفاهيم التطبيــع الاجتماعى التى تشكل نسق الشخصية ، حيث يعنى ذلك احترام الوقت والالتزام به ، والقدرة على التاثير والتفاعل مع الآخــرين ، والشـــعور بالروح الجماعية ، وتقلص الروح الفردية ، ومن ثم فان ذلك يؤدى الى تكوين الهوية أو الذات ، وبالتالى الى تحقيق النسق النموذجى لشخصية الفــرد .

الا ان انحسار الدور التربوى لمؤسسات التطبيع الاجتماعى المتمثلة فى كل من الأسرة والمدرسة وجماعة الانداد كما أشرنا من قبل ، نتيجة لعلاقات وآليات السوق ، قد أدى الى انحسار مماثل فى دور هـــذه

المؤسسات فيما يتصل بتحديد وتوضيح الأدوار النوعيـــة للأفراد ، بحيث تتفق انجازات هذه الأدوار مع توقعات الآخرين وفقا للمعـــايير السائدة فى المجتمع ، ففى ظل عدم انجاز البالغين من آباء ومدرسين وساسة لأدوارهم بالصورة المثلى ، وفى ظل ما يصاب به الشباب من خيبة أمل فى هؤلاء القدوة من البالغين عندما لا تتفق أعمالهم وسلوكياتهم وتصرفاتهم وانجازاتهم مع المعايير السائدة او مع ما هو متوقع منهم ، فان ذلك ينعكس بصورة أو باخرى وبطريقة سلبية على انجـــازات هؤلاء الشباب لادوارهم الوظيفية الآنية أو المستقبلية ، حيث ينعكس ذلك بالتالى على البناء الاجتماعى .

ثالثا : تحديد وتغيير الاتجاهات :

تمتد تأثيرات مؤسسات التطبيع الاجتماعى الى تحـــديد وتكوين وتغيير اتجاهات الأفـــراد Attitudes ، بحيث يؤدى ذلك الى التفاعل مع مظاهر التغير التى قد تطرأ على البناء الاجتماعى ، وقد تعـــددت المفاهيم الخاصة بالاتجاه ، حيث يعرفه « بوجاردس Bogardes » على أنه الميل الذى ينحو بالسلوك قريبا من عوامل البيئة أو بعيداً عنها، ويضفى عليها معايير موجبة أو سالبة تبعا لانجذابه لها أو نفـــوره منها (٢٩) . على حين يعرفه « ج. البرت Albert » ، على أنه حالة استعداد عقلى وعصبى تنتظم عن طريق الخبرة ، وتؤثر بصورة دينامية على ادراك الموضوعات والمواقف التى ترتبط بهـــا (٣٠) ، كما يعرفه « فاريس Faris » ، على أنه الميل للفعل أو الاتجاه نحو ضرب معين من ضروب النشاط ، ويمكن أن نطلق عليه ميلا أو استعدادا أو انحيازا (٣١) .

اما « روجر براون Roger Brown » ، فهو يرى أن الاتجاه له دائما محاور يرتكز عليها ، وقد تكون هذه المحاور شخصا أو جماعـــة او امه ، وهكذا ، فان الاتجاه يكون موجها نحو ما سماه « كـــرتش Krech » و « كرتشفيلد Crutchfield » موضوعا ايجابيا . كذلك فان الاتجاهات تحتوى على بعد تقييمى ، فهى تعكس علاقة تاثيرية بين الشخص وبين الموضوع الاجتماعى ، والذى يمكن قياسه بمدى اتصاله بما هو مرغوب أو مكروه (٣٢) .

اى ان الاتجاه هو السلوك السلبى او الايجـــابى تجـــاه بعض الموضوعات المعينة ، حيث يعتمد ذلك على مدى ادراك الفرد لهـــذه الموضوعات ومدى استعداده للاستجابة لها بصورة منظمة ، عـــن

طريق ما يحصل عليه الفرد من خبرة خلال العمليات التفاعلية التى تتم من واقع عضويته فى الأسرة أو عضويته فى جماعة معينة . ويكون الفرد بصورة دائمة هدفا لعمليات مختلفة من التأثير الاجتماعى لتغيير اتجاهاته ، وقد تأتى هذه العمليات من داخل الأسرة أو المدرسة أو جماعة الانداد بوصفهم المؤسسات الرئيسية فى عملية التطبيع الاجتماعى ، كما تأتى بصورة أكبر من خلال وسائل الاعلام المختلفة ، حيث تستطيع أن تؤثر فى كثير من الأحيان على اتجاهات الأفراد حيال بعض القضايا التى ربما تكون قد استقرت طويلا فى وجدانه . وعلى سبيل المثال ، فاننا نجد أن اتجاهات عدد كبير من افراد المجتمع الأمريكى حيال قضية التفرقة العنصرية قد تغيرت بعد مشاهدتهم للفيلم السينمائى « الجذور The Roots » . كما أن اتجاهاتهم نحو المجتمع المصرى قد تغيرت بعد زيارات الرئيس أنور السادات المتكررة للولايات المتحدة الأمريكية ، خاصة بعد اعلان اتفاقية كامب ديفيد وما صاحبها من حملة اعلامية واعلانية ضخمة ، حيث تم توضيح الكثير من المفاهيم الغامضة أو السلبية التى كانت تدور حول مصر والصراع العربى الاسرائيلى (٣٣) ، والقاء الضوء على بعض الجوانب المشرقة فى المجتمع المصرى ، مما خفف من حدة النظرة المتدنية الى مصر كمجتمع متخلف لا وزن له على الساحة العالمية ، ومما أدى بالكثير من افراد المجتمع الأمريكى الى تغيير آرائهم واتجاهاتهم فما يتعلق بذلك الجانب .

وقد لعبت وسائل الاعلام فى المجمع المصرى مؤخراً دوراً مماثلا ، وان كان أكثر خطورة ، حيث أدت الى تغيير اتجاهات ومفاهيم أفراد المجتمع حيال بعض القيم الاجتماعية الايجابية ، وذلك نتيجة لسيطرة آليات السوق العالمى ، وسياسة الانفتاح الاقتصادى ، حيث قامت بعملية احلال لهذه القيم ، بمجموعة جديدة من القيم السلبية ، المثلة فى الاتجاه نحو القيم المادية والفردية ، وكذلك الاتجاه نحو الانماط الاستهلاكية الترفيهية ، بحيث أصبح هذا النمط مؤشرا للمكانة الاجتماعية التى يحتلها الفرد فى البناء الاجتماعى ، مما ترتب عليه تهمش واضح فى النسق القيمى للجتمع . وكذلك البناء الطبقى .

وفى ذلك يقول الحالة رقم (٩) « الناس دلوقتى مابقالهاش قيمة الا بكمية الفلوس اللى معاها أو بالواسطة المسنودة عليها » . ويقول نفس الحالة وهو يعقب على الأوضاع المتردية للمرافق الصحية بالمنزل الذى يسكنه مع أسرته « كل اللى الواحد شايفه ده .. وبعدين تلاقى جايبينلك اعلان فى التلفزيون عن الأدوات الصحية المستوردة بيقول « تخلص من حمامك القديم .. انسفه نسفا » .. هو فين الحمام الأول

ويعدين نبقى ننسفه .. طيب قبل ما انسف الحمام وبعدين أجدده .. انسف الشارع الأول واصلحه علشان البنى آدميين تمشي زى البنى آدمين » .

وتقول الحالة رقم (٥) « احنا كنا بنعتبر نفسنا أحسن طبقات البلد .. انما الكام سنة الأخرنيين دول خلوا الواحد يحس انه صفير قد النملة .. ليه صديقات كنت أحسن منهم ميت مرة ايام ثانوى .. دلوقتى راكبين مرسيدس وانا باروح الكلية محشورة فى الاتوبيس » .
ويقول الحالة رقم (٧) « المعايير اتقلبت .. وبقى اللى بيكونوا أعلى طبقة فى المجتمع دلوقتى مجموعة من الجهلة أو الحرامية أو المهربين ».

رابعا : التكامل الاجتماعى :

تلعب مؤسسات التطبيع الاجتماعى دوراً كبيراً فى عمليات التكامل الاجتماعى **Social integration** ، باعتبار أن التطبيع الاجتماعى فى حد ذاته هو نقل بعض العمليات الاجتماعية للفرد ، بحيث يستطيع

أن يتشكل اجتماعيا مع مقتضيات البيئة الاجتماعية التى يحيا فيها . ومن ثم فان التكامل الاجتماعى يعد جماع تلك العمليات الاجتماعية التى تتسق ومعايير المجتمع ، والتى تتمثل فى الامتثال الأخلاقى والتلاؤم أو التكيف ، والانتماء .

فالامتثال الأخلاقى يعد واحداً من عمليات التكامل الاجتماعى . ويقصد بكلمة اخلاق **Morality** مجموعة العادات والآداب ومن ثم يعد الامتثال الأخلاقى انصياعا من جانب الفرد لتبنى هذه العادات التى تطابق المعايير السائدة فى مجتمع ما . والآداب المرعية ونماذج السلوك (٣٤) . ويرى فرويد أن الأب عندما يستخدم سلطة العقاب ، فان ذلك يؤدى الى نبذ الغرائز من جانب الطفل ، حيث تحدد له هذه السلطة ما هو مسموح به وما هو ممنوع ، وما يسميه الطفل « حلوا » أو « خبيثا » يصبح فيما بعد وعندما يحل المجتمع والأنا الأعلى مكان الآباء ، خيراً أو شراً بالمعنى الأخلاقى (٣٥).

اى ان الامتثال الأخلاقى يعنى سلوك الفرد المتوائم مع الجماعة التى ينتمى اليها ، والعمل وفقا للقيم والمعايير الخلقية السائدة بها . وحيث ان القيم الاجتماعية التى تقبلها جماعة من الجماعات قد ترفضها جماعة اخرى تعيش فى نفس المجتمع ، وحيث ان تلك القيم تتغير من وقت لآخر وفقا لما يتعرض له المجتمع من تغير وتطور ، فان ذلك يعنى

انه لا توجد معايير سائدة عامة يشارك فيها الأفراد بصورة جمعية ، ولكن الفرد عندما يرغب فى المواءمة أو التلاؤم مع الجماعة التى ينتمى اليها ، فان عليه ان يمتثل للمعايير السائدة بينها .

الا ان الخلل الذى طرأ على البناء القيمى للمجتمع فى السنوات الأخيرة جعل من الامتثال الأخلاقى ضربا من ضروب المثاليات التى لا تتفق مع الواقع المعاش ، حيث امتد هذا الخلل الى الكثير من القيم الاجتماعية حتى بالنسبة لما يتصل منها باسمى القيم الانسانية . وفى ذلك يقول الحالة رقم (٩) « صحيح الدكاترة الكبار لازم يرفعوا اجورهم .. انما يوصل انه يبيع الخمس دقائق للمستعجل بـ ٨٠ جنيه ؟ .. ده مستعجل لأنه مريض وتعبان وبيتألم وعايز حد يلحقه .. اللى بيحصل ده فى عرف ربنا مش حرام وبس .. انما ده سرقة عينى عينك » . ويقول نفس الحالة « انا ضد الدروس الخصوصية لأن ما فيهاش اخلاق ولا ضمير .. انا أعرف ان الدكتور أو حتى المعيد عليه واجب والتزام أخلاقى لازم يأديه .. لما كل واحد يحاول يهبش من التانى دى تبقى غابة بقى .. الواحد بيتعقد كل ما يسمع عن انهيارات الأخلاق والضمائر » .

اما بالنسبة لعملية التلاؤم Accomodation باعتبارها احدى عمليات التكامل الاجتماعى ، فهى عملية اجتماعية وظيفتها تقليل أو تخفيف الصراع ، وهى عملية تكيف اجتماعى تؤدى الى وقف الصراع بين الجماعات ، عن طريق التدعيم المؤقت أو الدائم للتفاعل السلمى ، ويشير المصطلح بما يتضح منه من مضمون سيكولوجى الى السلوك الفردى او الى السلوك الجماعى . كما ان التلاؤم يعنى التوافق مع مواقف الصراع . من خلال تجنب كافة مظاهر العداء . ويرى كل من « بارك Park » و « بيرجس Burgess » ، ان التلاؤم يعتبر قاعدة التنظيم الاجتماعى ، فتكون المنافسة مثلا هى أساس النظام الاقتصادى . ويكون الصراع أساس النظام السياسى ، والتمثيل قاعدة النظام الأخلاقى (٣٩) .

ومن اهم العوامل التى تؤدى الى عدم تلاؤم السلوك مع مقتضيات الواقع ، حماية الآباء الزائدة للأبناء ، وعدم تبرير السلوك الاجتماعى السلبى للأبناء ، فالفرد بحكم قوانين الضبط الاجتماعى يميل ميلا فطريا الى السلوك الاجتماعى الذى يتلاءم وقيم المجتمع ، الا انه يجنح أحيانا الى السلوك السلبى كوسيلة للتغلب على بعض الصعاب والعقبات التى تتعارض مع بعض متطلباته ، واذا ما حدث ونجح فى تحقيق متطلباته وحاجاته عن طريق هذا السلوك دون أن يتعرض للنقد أو

العقاب ، فان ذلك يكون دافعا للاستمرار فى هذا السلوك اللا إجتماعى، خاصة اذا جنحت الأسرة الى التستر على هذا السلوك رغبة منها فى حمايته ، ومن أمثلة ذلك ، عدم اهتمام الوالدين بتعليم الابن التفرقة بين ما يمتلكه وما يمتلكه الآخرون من افراد الأسرة كخطوة اولى ، حيث ان التراخى فى نقل تلك العملية التعليمية للأبناء يؤدى تدريجيا الى تراخى القيم الاجتماعية الخاصة بملكية الآخرين ، والتى قد تتطور من مجرد اخذ الابن ما لا يخصه من داخل منزله ، الى اخذ ما لا يخصه من زملائه والمحيطين به ، حتى تصل فى النهاية الى دائرة أوسع وأشمل تنتهى بالسرقة المباشرة ، أو الاختلاس أو الاتجاه نحو ابتزاز من يتعاملون معه ، او الالتجاء الى تقاضى الرشوة فى حالة توليه اى نوع من العمل فى اى قطاع للخدمات .

وعلى الرغم من اهمية التلاؤم والتكييف فى عملية التكامل الاجتماعى ، الا أنه فى بعض الأحيان يكون له وجهه الآخر السلبى ، وذلك عندما يقف الشباب موقفا سلبيا من المجتمع ، حيث لا يتخذون بالرغم من معاناتهم موقفا نقديا صريحا ، وحيث يتقبلون واقعهم على علاته ، ويعملون على التكيف معه كما هو واقع بالفعل ، اذ يشكل هذا الموقف بالنسبة لهذه الفئة موقفا خطيراً لهم ، وبالنسبة للمجتمع بنفس القدر الذى يشكله موقف المتمردين والثائرين من الفئات الأخرى من الشباب ، ان لم يكن بصورة اكبر ، اذ يؤدى موقف الفئة الأولى الى جمودهم وتقوقعهم واستسلامهم الظاهر بحيث يوجهون انفعالاتهم وثوراتهم الى الداخل ، على حين أن موقف الفئة الثانية ان لم يؤد الى بعض عمليات التغيير الاجتماعى بما يتفق والمصالح العامة المشتركة ، الا أنه يكون وسيلة للتنفيس عن انفعالاتهم وقلقهم الذى يعيشونه بصورة صحية .

وقد كان من تأثيرات التغيرات البنائية التى طرات على المجتمع المصرى فى السنوات الأخيرة بصورة عامة وعلى النسق القيمى بصورة خاصة ان أصبحت فئة الشباب تجد صعوبة كبرى فى عملية المواءمة أو التكيف مع الأوضاع الجديدة المتردية ، وتسعى الى خلق ظروف أخرى أكثر مواءمة لها ، وفى ذلك يقول الحالة رقم (٧) « احتمال كبير انى أهاجر لأوربا أو امريكا .. لأن الفرد هناك بيتعامل على انه بنى آدم له قيمته .. كل حاجة هناك ماشيه زى الساعة .. كل جهاز حكومى أو خاص بياخد منك قرش بيديلك بداله خدمة تساوى عشرة قروش .. هنا الواحد بياخد قد ما بيدى ... هنا الواحد بيدى دايما وما بياخدش حاجة » . ويقول الحالة رقم (٩) « عايز بقى أطلع على وش الدنيا

واعيش مع الناس اللى فوق .. بحلم واقـوم وانا احـلم انى أروح بلد عربى أو اهاجر على استراليا أو أمريكا » .

وتعتبر مشاعر الانتماء عاملا آخر من عوامل التكامل الاجتماعى ، فالفرد لا ينتمى الى رقعة بعينها من الأرض ، اذ يستوى فى ذلك الانسان والحيوان ، وانما مايميز انتماء الانسـان هو ذلك الضرب من الانتمـاء الثقافى الذى يدخل به الفرد فى مجموعة متكاملة من الأفكار والقيـم والأعراف والتقاليد ، وهـو ينمو فى ظلهـا ويحيا بهـا ، فهى تسرى فى حناياه على مدى ايام عمره ، حتى تتحول لديه الى وجـود غيـر محسوس ، ومن خلال ذلك يصبح الفرد منتميا الى المكان والى المجتمع الذى تسوده تلك الأفكار والقيم والأعراف والتقاليد .

وتعد قضية الانتماء ، احدى مظاهر الأزمـة لدى الشباب المصرى فى الوقت الحاضر ، وذلك فى ظل تعارض وتصارع القيم ، وفى ظـل عدم تمكنه من التعرف على هويته وذاته .

وتتضح ازمة الانتماء لدى الشباب فى قول الحالة رقم (٨) « البلد بقت مقسومة طبقتين .. طبقة صغيرة آخده خير البلد كله .. وطبقة كبيرة اما عايشين بالعافية زى حالتنا .. يا اما مش عايشين خالص وهمه اغلبية الشعب .. أما الاقى الدولة بتعاملنى على انى بنى آدم وليه حقوق كمواطن .. وتطبق اللى موجود فى الدستور .. ابقى افكر انى اقف جنبها حتى لو اضطريت انى اقلع الهدوم اللى عليه » .

ـــ ويقول الحالة رقم (٩) « رئيس الوزارة فى بيان الحكومة نازل وعود رائعة وخلابة .. وكلام كثير زى اللى طول عمرنا بنسمعه وماشفناش منه حاجة لحد دلوقت .. احنا حنقعد نضحى لحد امتى .. كل واحد دلوقتى بيقول ياللا نفسى .. انا شخصيا هانتهز أول فرصة واسيب البلد دى » .

ويقول الحـالة رقم (٦) « فيه كـلام كتير قـوى مابقـالوش ولا اى رد فعل عندى .. سمعنا من أيـام ماكنـا فى ابتـدائى عن الديمقراطية .. والحرية .. والمساواة .. والعدالة الاجتماعية .. والاشتراكية .. وحاجات كتير قوى بقيت اتلخبط من كترتها » .

وقد شارك فى خلق هذه الأزمة شعور الشباب بعجز مؤسسات الدولة عن حمايتهم من الفئة الطفيلية التى اصبحت تتحكم فى مقدرات الدولة الاقتصادية ، بل والسياسية ، وذلك من جـراء انعكاسـات آليات السوق العالمى ممثلة فى سياسة الانفتاح الاقتصادى ، وما نتج

عنها من سيادة الأخلاق النفعية والمصالح الفردية ، على حساب الأخلاق والقيم الأصيلة والمصالح الجمعية

كذلك فقد ادى عدم التزام الدولة بايديولوجية ثابتة لا تتغير بتغير الساسة والحكام ، وكذلك بتبنيها لمجموعة من الشعارات التى لا تعدو كونها صياغات لغوية تبرر بها بعض مواقفها او سياستها دون أن تتجاوز ذلك الى مرحلة التطبيق الفعلى لها الى فقدان الشباب للقيم التى ترسخ مشاعر الانتماء للمجتمع ، بالاضافة الى الشعور بعدم توافر العدالة الاجتماعية التى تؤمن للفرد حاضره كما تؤمن له مستقبله، اذ اصبح تهمش صورة المستقبل بالنسبة للشباب واحدا من محاور أزمة الشباب المصرى المعاصر ، ومن ثم فقد انعكست هذه الأزمة بصورة سلبية على مشاعر انتمائهم للمجتمع .

الهـــــــــوامش

١ ـ ارنست هلجارد ، مختارات من علم النفس ، ترجمة عبد الرحيم عجاج ، سلسلة الألف كتاب ، عدد ١٥٤ ، دار الطباعة الحديثة ، القاهرة ، سنة النشر لم تذكر ، ص ١٥٧ ـ ١٦٣ ٠

٢ ـ مصطفى سويف ، الأسس النفسية للتكامل الاجتماعى ، دار المعـــارف بمصر ، القاهرة ، سنة ١٩٦٠ ، ص ٣٠٢ ٠

٣ ـ عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، الهيئة المصرية العـامة للكتاب ، الاسكندرية ، سنة ١٩٧٩ ، ص ٣٢٧ ٠

٤ ـ السيد الحسـينى ، نحو نظرية اجتماعية نقدية ، سلسلة علم الاجتماع المعاصر ، الكتاب الحادى والخمسون ، القاهرة سنة ١٩٨٢ ، ص ١٤٢ ٠

٥ ـ Bernard S. Phillips S. Phillips, Sociology, Social Structure and change, Macmillan Company, New York, 1970, p. 105.

٦ ـ Peter worsly et al. (eds), Introducing Sociology, Penguin Books, London, 1978, p. 180.

٧ ـ Ibid., p. 182.

٨ ـ Edith Buxbaum, understanding your child, Grove press, Inc., New York, 1962, p. 40.

٩ ـ Fredrick Elkin, The child and Society, Random House, New York, 1966, pp. 4-5.

١٠ ـ S.N. Eisenstadt, Archtypal Pattern of youth, in The Challenge of youth,, Erik H. Erikson (ed.), Doubleday Anchor Book, New York, 1965, pp. 29-30.

١١ـ سامية الساعاتى ، الدور الوظيفى للزوجين فى الأسرة المصرية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، قسم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، سنة ١٩٧٢ ، ص ٢٨ ٠

١٢ـ عزت حجازى ، الشباب المصرى ، والمشكلات التى يواجهها ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب ، الكويت ، سنة ١٩٧٨ ، ص ٥٢

١٣ـ الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، الكتاب الاحصائى السنوى لجمهورية مصر العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٨٢ ، ص ٢٨ ٠

١٤ ـ محمود أبو النيل ، علم النفس الاجتماعي ، دراسات مصرية وعالمية ، الطبعة الثانية ، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية ، القاهرة ، سنة ١٩٧٨ ، ص ٥٢٩ ـ ص ٥٣٠ .

١٥ـ Mary Jo Bane, Here to stay : Parents and children, in Family in Transition, Edited by Arlen S. Sholnick and Jermo H. Sholnick, Little Brown and Co. Toronto, 1983, p. 123.

١٦ـ Fredrick Elken, The Child and Society, Op. ciCit., pp. 52-65.

١٧ـ Talcott Parsons, Youth in the context of American Society in the challenge of youth, Erick H. Erikson, (ed.), Doubleday Anchor Book, New York, 1965, p. 130.

١٨ـ عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ٤١٨ .

١٩ـ أحمد أبو زيد ، البناء الاجتماعي ، مدخل لدراسة المجتمع (الانساق) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثالثة ، الاسكندرية ، سنة ١٩٧٩ ، ص ٤٢٠ .

٢٠ـ عاطف أحمد فؤاد ، الانحراف عن القاعدة القانونية بين المسئولية الأسرية والرؤية الاجتماعية ، مركز دراسات المرأة والتنمية ، جامعة الأزهر ، الكتاب السادس ، سنة ١٩٧٧ ، ص ٢٥ ـ ٢٧ .

٢١ـ Landa Jacano, Slum as a way of life, A sudy of Coping Behaviour in an urban Envinorment, Phillipin University Press, Quezon City, 1976, pp. 57-66.

٢٢ـ Talcott Parsons, The Social System Routledge and Kegan Paul Ltd., London, 1970, p. 205.

٢٣ـ السيد الحسيني ، نحو نظرية اجتماعية نقدية ، مرجع سابق ، ص ١٤٥ـ١٤٦ .

٢٤ـ Robert A. Nisbet, The Social Bond, Alfred A. Knopf, New York, 1970, p. 332.

٢٥ـ Donald H. Blocher, wanted : a Science of Human Effectiveness, in Foundation of Guidance and Counseling, C.E. Smith and O.G. Mink (eds.). J. B. Lippincott Co., New York, 1969, p. 219.

٢٦ـ Deutsch Morton and Robert Krauss. Theories in Social Psychology, Basic Books Inc., Library of Congress, 1965, pp. 173-180.

٢٧ـ Fredrick Elken, The child and society, op. cit.,8 p. 8.

٢٨ـ Miriam L. Papanek, Authority and sex Roles in the Family, Journal of Marriage and the Family, No, 1969, pp. 88-96.

٢٩ـ عبد الباسط حسن ، أصول البحث الاجتماعي ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٥١٣ .

٣٠ـ لويس كامل مليكه ، سيكولوجية الجماعات والقيادة ج ٢ ، مطبعة التقدم . القاهرة ، سنة ١٩٧٣ ، ص ٤٠٨ .

٣١ـ محمود عودة ، أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي ، دراسة ميدانية في قرية مصرية ، دار المعارف ، سنة ١٩٧١ ، ص ١٥٧ .

٣٢ـ Thomas D. Beisecker and Dona W. Parson, The Process of social influence, Englewood Cliffs New Jersey, 1972, p. 3.

٣٣ـ Nadia Radwan, Youth and value Developmen, The 30th Anniversary Conference of the Council of International Programs, U.S.A., Cleveland, August, 1985, p. 4.

٣٤ـ مصطفى فهمي ، سيكلوجية الطفولة والمراهقة ، مكتبة مصر ، القاهرة ، سنة ١٩٧٩ ، ص ٢٧٧ .

٣٥ـ سيجموند فرويد ، اليهودية في ضوء التحليل النفسي ، ترجمة عبد المنعم الحنفي ، مطبعة الدار المصرية ، سنة ١٩٧٢ ، ص ٢٣٤ .

٣٦ـ عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ١٤ .

الباب الثانى

الشباب ومحاور الأزمة

نحو إطار إجرائى وتطبيقى

الفصــــــــل الثالث

الأطــر الاجرائيــة للدراســة

أهــداف الدراسة وتساؤلاتها

حيث أن الهدف المحورى لهذه الدراسة ، هو السعى نحو التعرف على اثر التغيرات الحضارية ونظم الانتاج على صيغ العلاقات الاجتماعية، والانساق القيمية . فقد انبثق من هذا الهدف المحورى مجموعــة من الاطروحات والقضايا التى تعد مدخلا لهذه الدراسة ، وتتناول بعض هذه القضايا أنماط واشكال التغيرات الحضارية التى طرأت على المجتمع المصرى ، والتى ما هى الا انعكاس لنظم الانتاج التى تاثرت بالاقتصاد العالمى وبالسوق الراسمالى ، على حين يتناول البعض الآخر من هــذه القضايا ، مدى التغير الذى طرا على صيغ العلاقــات والانســاق القيمية ، باعتبار أن التغيرات الحضارية ونظم الانتاج تؤدى الى علاقات السوق ، التى تتحول بمقتضاها العلاقات بين الناس الى علاقات بين أشياء ، ومن ثم تتغير صيغ العلاقات الاجتماعية ، وكذلك الانســاق القيمية .

هذا بالاضافة الى بعض القضايا الأخرى التى تتعلق بفئة الشبــاب أنفسهم ومدى الآثار الناجمة عن تغير صيغ العلاقات الاجتماعيــة ، والانساق القيمية للمجتمع ، وذلك باعتبارهم يمثلون وحدة من وحدات المجتمع ، وبالتالى فهم يمثلون جزءا من الكل ، حيث يتأتى ذلك من واقع العلاقة الديناميكية التفاعلية بين الفرد والمجتمع ، أو بين الجزء والكل.

وقد تم بلورة كافة القضايا المتعلقة بهذه الدراسة فى صورة مجموعة من التساؤلات التى سنحاول الاجابة عنها من خلال الواقع المطروح ، ومن خلال التراث السوسيولوجى ، بالاضافة الى التحليل المتعمق لبعض الحالات الممثلة لفئة الشباب ، حيث تمثل هذه الفئة فى المجتمع المصرى ثقلا عدديا لا يستهان به ، اذ تمثل الفئة العمرية الواقعة بين ١٥ — ٢٤ سنة من واقع تعداد سنة ١٩٧٦ ما يقرب من ٧ مليون نسمة (١) .
وقد جاءت هذه التساؤلات على الوجه التالى :

١ ــ ما هى صيغ العلاقات الاجتماعية والانساق القيمية الجديدة التى عكستها آليات السوق العالمى على المجتمع ، وأثر هذه الانعكاسات على فئة الشباب ؟

٢ ــ ما هى الأنماط المعيشية ، والاتجاهات السلوكية الاستهلاكية المترتبة على التفاوت فى توزيع ناتج الدخل القومى ، وما هو موقف الشباب من تلك الأنماط والاتجاهات ؟

٣ ــ ما هى اهم مشكلات الشباب المرتبطة بانعكاسات السوق العالمى على الخدمات الصحية المتاحة فى المجتمع ؟

٤ ــ ما هى اهم مشكلات الشباب التى عكسها نظام السوق العالمى على النظام التعليمى ؟

٥ ــ ما هى الرؤية المستقبلية للشباب لابعاد التوازن الاجتماعى ، التى ترتبط بالامكانيات المادية المتاحة ، وارتفاع الأسعار ؟

٦ ــ ما هى مشكلات الشباب المستقبلية فيما يتصل باختيارات المهنة، واثر تغير صيغ للعلاقات الاجتماعية على هذه الاختيارات ؟

٧ ــ ما هو دور وسائل الاعلام فى التوجيهات القيمية القائمة على تاثير آليات للسوق العالمى . واثر هذه التوجيهات على فئة الشباب ؟

٨ ــ ما هو أثر تهمش شعارات وايديولوجيات الدولة على النسق القيمى للشباب ؟

٩ ــ ما هى اتجاهات الشباب حيال مفهوم العدالة القانونية فى ظل ازمة الثقة فى مؤسسات الدولة ؟

١٠ ــ ما هو دور البيروقراطية والرشوة فى تهمش مثاليات وقيم الشباب ؟

١١ــ ما هى الأثار الناجمة عن عدم قدرة مؤسسات الدولة على احتواء الشباب ، ومدى انعكاس ذلك على اساليب قضاء وقت الفراغ ؟

١٢ ــ ما هو مدى انعكاس ازمة الثقة القائمة بين الشباب وبين مؤسسات الدولة على انتماءاتهم ومشاعرهم تجاه المشكلات القومية للمجتمع .

الشباب والقيم الاجتماعية كموضوع للدراسة :

بما أن الدراسة التى بين أيدينا تهدف الى التعرف على اثر التغيرات الحضارية ونظم الانتاج على صيغ العلاقات الاجتماعية والانساق

القيمية ، وأثر انعكاس هذه التغيرات على الشباب المصرى المعاصر ، فقد كان علينا أن نتعرض بشيء من التفصيل للملامح والسمات التى تحدد تلك الفئة التى سوف نتناولها بالدراسة والتحليل ، الى جانب التناول العلمى للقيم الاجتماعية من مختلف منظورات مدارس علم الاجتماع ، وذلك لتحديد الجوانب الأساسية التى سوف نخصصها لدراستنا الحالية .

اولا : مرحلة الشباب وملامحها وحدودها :

يرجع الاهتمام بفئة الشباب الى كونه طرفا فى اى قضية تتصل بعمليات التغير والتفاعل الاجتماعى داخل كافة التيارات الاجتماعية فى كل المجتمعات الانسانية .

ويختلف تحديد فترة الشباب باختلاف النظرة الموضوعية لمختلف العلوم التى اهتمت بهذا الجانب ، حيث يرجع هذا الاختلاف الى اختلاف المقاييس والمعايير التى يتم الاعتماد عليها فى تحديد هذه الفترة ، حيث يرى البعض أن النمو الجنسى والفسيولوجى هو المحك الأول فى هذا التصنيف ، على حين يرى البعض أن النمو النفسى هو اهم هذه المحكات ، فى الوقت الذى يركز فيه البعض الآخر على أهمية تغير الانساق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، وما يترتب عنه من تغيير فى الأدوار الاجتماعية ، حيث يتوقف على هذه التغيرات تحديد الفئة العمرية التى تسمى بمرحلة الشباب .

فيستند البيولوجيون كما يذهب محمد شعلان الى الجوانب العضوية والفيزيقية التى تحكم نمو واكتمال الوظائف الفسيولوجية الظاهرة والكامنة ، فالشاب من الناحية البيولوجية يكتمل نموه فى فترة قصيرة ، ويستطيع أن ينجب وان يعمل اسوة بأبيه ، الا ان التقدم الحضارى والتكنولوجى أطال فى فترة الاستعداد فى مرحلة الدراسة ، واضاف مرحلة التخصص فى اختيار المهنة ، وهى مرحلة التعليم العالى التى قد تستمر من عامين الى خمسة عشر او عشرين عاما ، والشباب بهذا يؤجل ممارسة حياته الجنسية الكاملة (بمعنى الزواج والانجاب) وهو لهذا يعلق او يوقف نشاطه حتى يتم استعداده للممارسة ، وهو توقف بين مرحلتى الطفولة والرشد ، ولعله يمثل نقطة تحول جذرية فى حياة الانسان من مرحلة تتسم بالطابع السلبى فى مواجهة متطلبات المجتمع ، الى مرحلة يأخذ هو خلالها الجانب الايجابى ويساهم فيها مع المجتمع فى تكوين الجيل القادم (٢) .

واذا تركنا الحديث جانبا عن التحولات الفسيولوجية والجسمانية التى تتميز بها مرحلة الشباب ، حيث لا يوجد ثمة خلاف كبير حول طبيعة

التحولات التى تطرأ على الشخص بعد مرحلة البلوغ ، وحول انعكاس هذه التغيرات الفسيولوجية والتحولات البيوكيمائية على الفرد من الناحية النفسية ، والتى تنعكس بدورها على توافقه الاجتماعى ، حيث تؤدى هذه التغيرات الجسمية الى ايقاظ الوعى بالشعور بالذات ونمو القدرات العقلية والادراكية ، وتغير الميول والهوايات ، حيث يؤدى ذلك التحول الى التفكير والمناقشة والنقد لكافة القيم والمثل والأفكار والمبادىء التى يقدمها له عالم الكبار.

ويستند علماء النفس فى تحديد فترة الشباب الى مدى اكتمال الذات ، ومدى مواءمة الشخص مع الواقع فى ادراك حاجته الوجدانية والادراكية ، حيث يعرف الشباب فى موضع بانه حالة نفسية مصاحبة تمر بالانسان ، وتتميز بالحيوية ، وترتبط بالقدرة على التعلم ومرونة العلاقات الانسانية وتحمل المسئولية (١٣) — وتعرف مرحلة الشباب فى موضع آخر على انها المرحلة التى ينتقل فيها الشخص من مرحلة كان يعيش فيها داخله فى تعارض مع خارجه ، الى مرحلة يصبح فيها هو جزء من الخارج (أى المجتمع) الذى يتعارض مع داخل الآخرين ، ومن مرحلة كان فيها المفعول به الى مرحلة يصبح فيها هو الفاعل (٤) .

اما بالنسبة لعلماء السكان ، فهم يرون أن التوزيع العمرى هو متغير اجتماعى وثقافى يكون له عظيم الأثر فى التنظيم الاجتماعى للشعب وحياته ، ولذلك فان كل مجتمع يصنف سكانه بطريقة ما ، حيث يبتدع انماطا ثقافية ، أى نظما من المعتقدات والاتجاهات تبرر ما يتطلبه من كل مجموعة عمرية باعتبارها متطلبات ضرورية وحتمية من الناحية البيولوجية (٥) ، وهذا يوضح ما أشار اليه على ليله من أن هناك من علماء الديمجرافيا من يؤكد أن فئة الشباب هم من تحت العشرين دون تحديد لنقطة البداية ، والى أن هناك من يحددون تلك السن بانها الواقعة بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين ، أو انهم من يقعون بين سن الخامسة عشرة والثلاثين على ما يذهب الآخرون(٦) ، فلا يعتمد هذا التقسيم على مجرد وجهات نظر بحتة لا تبرير لها ، وانما يرجع الى اختلاف ما يبتدعه كل مجتمع من انماط ثقافية وحضارية تفرض على الفرد متطلبات أو انجازات بعينها .

فالفترة العمرية ، التى تحدد الشباب ، هى مرحلة الانتقال من الطفولة الى احتلال مكانة البالغين Adults والتى يتمتع فيها الفرد بالعضوية الكاملة للمجتمع ، حيث تكون قد تكونت لديه الامكانيات التى تؤهله للقيام بالأدوار Roles التى يقوم بها الكبار ، ولكنه فى نفس الوقت لا تتوفر فيه كفاءات الكبار التى تؤهله للعضوية الكاملة فى

المجتمع ، انما هى مرحلة الاستعداد للدخول فى عالم الكبار Adult World . (٧)

كما أن الشباب كما يذهب زخنازاروف وزملاؤه Zachnazarof يمثلون فئة اجتماعية Social category وليس طبقة Class وذلك لأنهم لا يشغلون وضعا مستقلا فى الانتاج الاقتصادى ، وانما هم فى مجموعهم أولئك المتخصصون ذوو الكفاءات العالية الذين سيشغلون فى المستقبل مراكز الانتاج المادى والعلمى والتطبيقى والثقافى والصحى ، وادارة الدولة والمجتمع (٨) . فى الوقت الذى يرى فيه ماكس فاجنر Max Wagner أن الشباب يشكل ظاهرة عالمية من حيث كونها ظاهرة بيولوجية ، الا أنها مع ذلك تشكل جزءاً من الظاهرة الثقافية للمجتمع ، وذلك من حيث اختلاف التعريفات الخاصة بكل فئة عمرية على حدة ، وكذلك من حيث الاختلافات بين الفئات العمرية بعضها وبعض (٩) .

أما ايزنشتات Eisenstadt ، فهو يرى أن كل كائن انسانى يمر خلال مراحل مختلفة من الفئات العمرية ، وفى كل مرحلة يكتسب كما يستخدم امكانيات عقلية ونفسية وبيولوجية مختلفة ، وفى كل مرحلة من هذه المراحل يقوم بانجاز أدوار ومهام مختلفة من خلال علاقاته مع الآخرين ، فهو يتحول من كونه طفلا الى أن يصبح أبا ، ومن كونه تلميذاً الى أن يصبح معلما ، ومن شاب طائش الى راشد ناضج بالغ ، وينتهون جميعا فى النهاية الى مرحلة الشيخوخة . وهذه المراحل المتطورة للقوة والقدرات تختلف من مجتمع الى آخر باختلاف المحددات الثقافية ، والعلاقات التبادلية والنشاطات العامة ، وكذلك الى تقسيم العمل داخل المجتمع ، كما تختلف ايضا فى ضوء الادراك الحسى لمفهوم الذات فى ضوء احتياجات الأفراد السيكلوجية (١٠) .

وقد اتجه البعض الى تعريف الشباب على أساس زمنى أو وفق مراحل عمرية محددة ، وحيث تبدأ المرحلة الأولى من ١٢ — ١٥ سنة ، وتتميز باحتياجات الفرد الى بعض الفرص للكشف عن قدراته وامكانياته وذلك لاكتساب مهارات جديدة ، كما يسعى للاشتراك فى جماعات يتحمل فيها جانبا من المسئولية الى جانب احتياجه الى فرص تكوين علاقات اجتماعية مع الكبار ، أما المرحلة الثانية فهى المرحلة العمرية من ١٥ — ١٨ سنة ، ويتميز فيها الفرد بظهور نموه البدنى وقوته الجسمانية ، وولائه الواضح للجماعة التى ينتمى اليها لاثبات ذاته ، كما يتميز بظهور العوامل الانفعالية أما المرحلة الثالثة فهى المرحلة العمرية من ١٨ — ٢٢ سنة ، وتتميز بالنضج الاجتماعى والبدنى بعد مراحل التوجيه والتدريب فى المراحل السابقة ، الى جانب القدرة على

تحمل مسئوليات اكبر منها فى المراحل السابقة ، اما المرحلة السنية الأخيرة فهى من ٢٢ ــ ٢٨ سنة وتتميز بالقدرة على التحكم فى الرغبات والمصالح الشخصية فى سبيل المصلحة العامة والقــدرة على التكيف الاجتماعى مع تحمل الالتزامات المختلفة ، وكذلك القدرة على حسب الآخرين والعمل على اسعادهم (١١) .

اما عزت حجازى ، فهو يرى أن مرحلة الشباب هى تلك المرحلة التى تبدأ بتخطى مرحلة الحلم أو اكتمال النضج الجنسى الذى يحدث فى سن الخامسة عشرة او قبلها بقليل والتى تمتد الى سن الخامسة والعشرين أو ما حولها ، حيث أن هذه الفترة العمرية هى التى تحدث عندها تحولات هامة فى حياة الفرد ، فعندما يترك التعليم بعد استكماله عادة ويلتحق بعمل دائم ويتزوج ، أو يسعى الى تحقيق ذلك عــلى الأقل ، فهو يترك (فترة الطلب) ويبدأ حياة الراشدين Adult hood حيث ينزل الى معترك الحياة ويرتبط بالعديد من المؤسسات التى يتعامل معها الراشدون ، ويتغير تبعا لذلك تصوره لذاته وللآخرين والمجتمع ، واتجاهاته نحوهم وسلوكه معهم . ويرفض عزت حجــازى تقســيم مرحلة الشباب الى فترتين ، فترة شباب مبكر تنتهى عند سن العشرين أو قبلها ، وفترة شباب متأخر تغطى السنوات الباقية حتى الخامســة والعشرين ، فمثل هذا التقسيم الذى يقوم على أساس فكرة بــلوغ سن « الحقوق المدنية » هو من التصنيفات الشائعة فى التراث الأجنبى والأوربى الغربى والأمريكى بخاصة ، لا نجد له داعيا فى المجتمعــات الغربية التى لا يمثل فيها هذا الانتقال نقطة تحول هامة (١٢) .

اما مانعنيه بالشباب فى دراستنا الراهنة بصورة عامة فهى تلك الشريحة التى تقع ما بين جماعتى المراهقة والراشدين ، وهى الفترة التى يكتمل فيها النضج الجنسى والوظــائف الفسيولوجية الظــاهرة والكامنة ، ويتم فيها تيقظ الوعى بالشعور بالذات ، ونمو القدرات العقلية والادراكية التى تمكنه من بلورة آرائه الاستقلالية الناضجة ، كما أنها تلك الفترة التى تتسم باعداد الفرد لاحتــلال مكانتــه بين الراشدين ، والتى يسند فيها اليه مجموعة متكاملة من الأدوار التى عليه انجازها وفقا لتوقعات ومعايير الآخرين .

ونظراً لما ادى اليه النظام المعاصر من تقسيم العمل كنتيجة للثورة العلمية والتكنولوجية ، وارتباط ذلك بالتاهيل الدراسى او التــدريب بالنسبة للأفراد كوسيلة تؤهلهم لاستكمال ادوارهم فى العملية الانتاجية الى التأخر النسبى لعملية الاستقلال الاقتصادى للشباب ، واطــالة فترة الاعتماد فى هذا الصدد على الأسرة ، بالاضافة الى ارتباط تأخر

الاستقلال الاقتصادى بتأخر الانفصال عن الأسرة ، وتأخر سن الزواج وتكوين اسرة جديدة مستقلة ، فان ذلك يؤدى الى عدم اكتمال ادوار الشباب بالصورة التى تجعلهم ينتمون كلية الى عالم الكبار .

ومن ثم ، فان مرحلة الشباب ــ وهو ما اخذنا به فى هذه الدراسة ــ هى تلك المرحلة التى تقع بين مرحلة المراهقة والتى تبدأ من سن الثامنة عشرة ، وتنتهى فى نحو الخامسة والعشرين أو بعدها بقليل ، عندما يستقر الاستقلال الاقتصادى للشباب . بعد الانتهاء من فترة التدريب أو التأهيل الدراسى ، وعندما يتمكن الشاب من القيام بأدوار البالغين فيما يختص بالأدوار المتعلقة بالعمل أو المهنة .

وعلى الرغم من أن تحديد بداية مرحلة الشباب بسن الثامنة عشرة، وتحديد نهايتها بالخامسة والعشرين أو بعدها بقليل ، وذلك من واقع المحددات الأساسية التى سبق الاشارة اليهـا والتى تميز بين فئة الشباب وكل من فئتى المراهقين والكبار فان ذلك لا ينطبق بصورة كاملة على قطاع كبير من شباب الريف ، وكذلك على بعض فئات الشباب فى المدينة ، حيث لا يكون لعامل التعليم عادة فى حياتهم أى دور يذكر ، اذ تتجه الغالبية منهم الى العمل فى الزراعة أو الحرف فى سن مبكرة نسبيا ، كما انهم قد يتجهون الى الزواج وتكوين اسرة بعد مرحلة البلوغ مباشرة أو بعدها بقليل وقبل أن يتخطوا مرحلة المراهقة .

الا ان طبيعة الدراسة الحالية ، أملت علينا لاعتبارات عديدة تحديد فئة الشباب على النحو الذى أشرنا اليه ، والتى تضيق نطاق فئة الشباب التى ستخضع للدراسة فى حدود الشباب المثقف ، اذ أن تناولنا لفئة المثقفين من الشباب جاءت من منطلق كونها الفئة الأكثر ادراكا للتفاعلات الدائرة فى المجتمع ، وللعلاقات القائمة بين التغيرات الحضارية وبين الانساق القيمية ، هذا بالاضافة الى ان الخصائص الأساسية لتلك الفئة تجعلها عرضة لانعكاس آثار التغيرات الحضارية عليها بصورة أكثر حدة من فئات الشباب الأخرى .

القيم الاجتماعية :

تتصل دراستنا الحالية اتصالا وثيقا بقضية القيم الاجتماعية Social Values فى مصر ، وما تعرضت له تلك القيم من تغيرات فى ظل انعكاسات السوق العالمى . اذ تعرض البناء الاجتماعى بوجه عام، ونسق القيم بوجه خاص الى مجموعة من التغيرات التى ترجع الى علاقة التبعية وفتح الأبواب لرؤوس الأموال الأجنبية نتج عنها تهميش Margnnalization القيم التقليدية واحلال قيم سلبية جديدة أثرت

على قطاعات كبيرة من الشعب بصورة عامة ، وعلى نسق القيم بصفة خاصة .

وتاتى اهمية التعرض لتحديد المفاهيم والاطر المتصلة بالقيم من واقع ان اى مجتمع وهو الموضوع الأساسى الذى تدور حوله دراسات علم الاجتماع يعد المصدر الأساسى للقيم الخاصة به ، كما أن السياق العام للنسق القيمى هو الذى يشكل العلاقات بين الأفراد بعضهم وبعض بالصورة التى تتفق ومعايير الجماعة .

وتذهب المادية التاريخية كما يشير كونستانتينوف الى أن حياة المجتمع المادية هى المعطية الأولى ، أما الوعى والأفكار والنظريات « اى القيم » فهى المعطيات الثانية ، اى انها انعكاس لشروط الحياة المادية ، الا انها تمارس ايضا رد فعل على تطور حياة المجتمع المادية وعلى الوجود الاجتماعى (١٣) .

وينظر الى الأخلاق كما يذهب افاناسييف Afanasyev

على انها عنصر من عناصر الوعى الاجتماعى ، وهى ترتبط الى حد كبير بالبناء الأساسى للمجتمع ، اذ انها تعبر عنه ، وانها تجميع لكل مستويات وقواعد السلوك فى المجتمع ، حيث تعكس آراء الناس عن العدل ، والظلم ، والخير ، والشر ، والشرف ، وعدم الشرف ، وهذه القواعد السلوكية لا تفرض بحكم القانون ، ولكن عن طريق العادات الاجتماعية والتربية التى يحكمها الراى العام (١٤) .

ومن ثم فان هذا يعنى أن الأفكار والمذاهب والايديولوجيات تقوم على اساليب الانتاج ، وعلاقات الانتاج ، وبالتالى فان تطور المجتمع يعنى تطور التكوينات الاقتصادية والاجتماعية ، وان هذه التكوينات تمثل وحدة جدلية بين الأساس والبناء الفوقى حيث يمثل الأساس اسلوب الانتاج وعلاقات الانتاج فى المجتمع ، على حين أن البناء الفوقى يترتب على هذا الأساس ويرتبط به . اى ان كل مرحلة معينة من تطور قوى الانتاج كما يذهب هربرت ماركوز تتضمن بالضرورة تجميعا معينا للناس فى عملية الانتاج الاجتماعى ، اى علاقات انتاج محددة ، وبالتالى تركيب محدد للمجتمع باسره ، لكن حالما نعرف تركيب المجتمع ، فلن يكون صعبا علينا أن نفهم أن طبيعة هذا التركيب ستنعكس على سيكلوجية الناس باكملها ، على عاداتهم ، وسلوكهم ، ومشاعرهم ، وافكارهم ، وطموحهم ، ومثلهم العليا بصورة تتكيف مع طريقة الناس ، ومع اسلوب حصولهم على العيش . بمعنى أن سيكلوجية

المجتمع دائما ما تتلاءم مـــع اقتصاده ، ودائما ما تتجـــاوب معــــه ، وتتحدد به (١٥) .

ويشبه شخنازاروف منظومة علاقات الانتاج بالهيكل العظمى الذى يعطى المجتمع وحدته وكماله ، أما علاقات الناس الايديولوجية فهى تغلف الهيكل العظمى باللحم والدم ، وتشكل معه كائنا عضويا اجتماعيـــا متطورا ، وبما أن الحياة الاجتماعية متعددة الأشكـــال ، فلا يمـــكن ارجاعها الى الاقتصاد فقط ، وانما هى ترابط معقـــد من العـــلاقات الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والحقوقية . وغيرها من العلاقات بين الناس ، واذا كانت الآراء والأفكار والنظريات الاجتماعية أفكاراً طليعية فانها تعجل بالتطور الاجتماعى ، على حين أن الأفكار الرجعية تعوق هذا التطور ، ومن ثم فان البناء الفوقى الايديولوجى يؤثر تأثيراً فعالا فى كافة أشكال المجتمع الاقتصاديـــة والسياسيـــة والأخـــلاقية والقانونية ، حيث يتخلل هذا التأثير المتبادل الأساس الاقتصادى الذى يسمح بفهم المنطق القانونى للتطور الأجتماعى (١٦) .

أما عن القيم من منظور الاتجاه الوظيفى ، فان تغير النسق القيمى عند بارسونز Parsons يتم عن طريق شكلين أساسيين ، الشكل الأول ــ وهو الذى تأتى فيه عوامل التغير من خارج المجتمع ، مثل تأثر الولايات المتحدة بالتغيرات التى طرأت فى بريطانيا بعد التصنيع ، وكما يحدث حاليا بالنسبة للمناطق المتخلفة ، والشكل الثانى ــ هو الذى يحدث عندما لا يسمح النموذج الثقافى للمجتمع بقبول التغير من مصدر خارجى ، وانما عليه أن يستمده من داخل المجتمع ذاته ، ويرى أن المظاهر الدينية للنسق الثقافى هى الأساس فى هذا التغير (١٧) . ويميز بارسونز بين ثلاثة أنماط من الانساق الثقافية وهى ، انســـاق الأفكار والمعتقدات ، وانساق الرموز التعبيرية مثل الفن ، وانساق التوجيهات القيمية (١٨) .

واذا كان ميرتـــون Merton قد عارض بارسونز بالنسبة لمقولة الأخير التى تذهب الى أن استيعاب واستدماج القيم الدينية يسهم فى تدعيم تكامل البناء الاجتماعى ، وأن المجتمع الحديث أكثر اتفاقا مع القيم المسيحية اذا ما قورنت بمجتمعات أخرى خلال فترة زمنية سابقة وذلك بسبب الجهود الحديثة الرامية الى مكافحة الفقر والمرض والعجز حيث اعتبر الدين سندا وظيفيا فى مواجهة التفكك الاجتماعى باعتبار أن الدين مصدر اشباع لحاجة أساسية من حاجات المجتمع ، حيث نجد أن مرتون يرى أن الدين وان كان وسيلة لتحقيق التضامن الاجتماعى بين أفراد المجتمع ، وبالتالى يلعب دوراً وظيفيا فى هذا المجال ، الا أن الانسانية

عبر تاريخها قد شهدت حروبا وثورات من أجل الدين ، وبالتالى فان هذا الدور قد يدخل ضمن « المعوقات الوظيفية » واتخذ السيد الحسينى نفس خط ميرتون فى معارضته لما ذهب اليه بارسونز ، اذ يرى أن بارسونز قد تجاهل قضية أساسية هى أن بعض القيم التى ظن انها تؤدى الى التضامن قد تكون مصدراً للصراع كما هو الحال بالنسبة للحرب الأهلية بين البروتستانت والكاثوليك فى ايرلندا الشمالية (١٩) ، الا أن تحليل السياق التاريخى للأحداث يشير الى أن هذه الصراعات والحروب الأهلية بين البروتستانت والكاثوليك فى ايرلندا كما اشار السيد الحسينى ، وكذلك ما استشهد به ميرتون من حروب وثورات شهدتها الانسانية عبر تاريخها ، وكذلك ما تشهده الآن الساحة العربية فى لبنان، والحرب الايرانية العراقية ، انما يرجع فى المقام الأول الى الصراعات السياسية الخارجية والداخلية ، والى الأطماع الشخصية التى تسعى لتحقيق نوع من السيطرة لخدمة مصالح خاصة ، ولكنه لا يرجع الى المضامين القيمية للتوجيهات الدينية ، اذ أن الدين كان ولا يزال هو اهم الأسانيد الوظيفية فى مواجهة التفكك الاجتماعى .

ويرى مارتن ليبزت Martin Lipset بناء على تحليلات فيبر أن هناك فارقا بين العقلانية Rationality التى تتضمن احكام الوعى للأهداف القيمية الغائية،بين العقلانية الوظيفية Funtional retionality التى ترجع للوسائل التى يتم بها تحقيق هذه الغايات ، فالمجتمعات تحتاج الى الوسائل الفعالة التى تحقق بها الأهداف القيمية الغائية التى تؤمن بها ، وهى التى تعتمد فى النهاية على الفعل الاجتماعى (٢٠) .

أما برين أورفيل Brin Orville فيرى أن اتصاف الجماعة بأنها منظمة ، ذلك التنظيم الذى يتحدد بدرجة التفاعل بين الأفراد ، فانه يتحقق عندما تأخذ الجماعة بأشكال المعايير القانونية التى تحدد بدورها سائر الأفعال التى يقوم بها اعضاء الجماعة تجاه بعضهم البعض ، وكذلك بينهم وبين الجماعات الأخرى ، أى عندما تكون هذه المعايير فاعلة وملزمة لسلوك الأشخاص الفاعلين (٢١) وعلى هذا فان الاجراء المنهجى لفهم الفعل عند بارسونز يجب أن يبدأ من النسق القيمى Value system فى مجتمع معين وفى وقت معين ، بحيث يمكن تصنيف هذه القيم الى انماط معينة بهدف تأسيس العلاقات التطويرية Genetic relationships على أن يتم ذلك بدرجة كبيرة من الحذر حتى لا يتم هذا التصنيف من واقع قيم الفرد الخاصة (٢٢) .

ويرى رالف لنتون Ralf Linton أن الروح الخاصة بالجماعة هى التى تمد أشكال النسق الاجتماعى بالقوة التى تتمكن بها من التعبير عن نفسها .

وان هـــذا النسق ما هو الا الظاهرة الثقافيـــة التى توجـــه سلوك الأفراد فيما بينهم كمجموعة ، وفيما بين هذه المجموعة والمجتمع ككل ، كما يرى ان المراكز القطبية فى انماط السلوك المتبادلة تتكون من مجموعة الواجبات والحقوق الموزعة على اصحاب هذه المراكز ، ومن خلال هذه المراكز ، يؤدى الدور بطريقة ديناميكية تحددها الاتجاهات والقيم التى يفرضها المجتمع (٢٣) .

ويضرب رايت ميلز مثالا بالمجتمع الأمريـــكى ، من حيث أن الوعى الطبقى لا يأخذ سمة واحدة فى المجتمع ، فالناس فى الطبقـــة المنخفضة او المتوسطة يختلفون من حيث القيم والخبرات والاهتمامات ، على حين ان الناس فى الطبقة العليا يتفقون من حيث تلـــك القيم والخبـــرات والاهتمامات بسبب قلة عددهم ، ووعيهم ببعض، فالحقيقة السيكلوجية بالنسبة لأصل وتعليم الطبقة العليا ، وكذلك انواع مهنهم ، يتحقق من خلالها المعنى السيكلوجى لكلمة وعى الطبقة Class Consciousness اى انه يتحتم على افراد الطبقة الواحدة ان يتقبلوا الاشياء المتعـــارف عليها فى الدائرة التى يحيون فيها (٢٤) .

وتذهب البنائية الوظيفيـــة كمـــا يشـــير بيتر بلاو Peter Blau الى أن التقدم الصناعى التكنولوجى يؤدى الى التغير الاجتماعى عن طريق تغير البناء العقائدى ، فالثورة الصناعية هى التى أدت الى بناء اجتماعى اكثر تحضراً ، بفضل الهجرة من الأماكن الريفية الى الحضرية ، والفضل الحراك المهنى من الأعمال الزراعية الى الأعمال الصناعية ، والذى ساعد على تغير البناء العقائدى ، وهذا يحدث كنتيجة لمحاولـــة تغيير الناس نفسهم عقائديا عندما تتغير أوضاعهم Positions لتلائم الحركات الاجتماعية الجديدة (٢٥) .

ولا يمكن فى راى دوركايم ان تقوم للمجتمع قائمة دون خلق القيم والمثل العليا ، حيث ان تلك القيم والمثل ، هى الأسس الوجودية التى يستند اليها المجتمع لتحقيق وجوده ، وتحقيق تطوره ، اذ ان الكائن العضوى ليس جسما بلا روح ، حيث يستمد روحه من روح المجتمع الخالقة للقيم والمثل العليا ، والتى هى فى حد ذاتها توليفات اجتماعية من الأفكار والمبادىء الجمعية ، فالقيم ليست مجرد تصورات عقلية مجردة او قوالب جامدة ، وانما هى بالضرورة ذات طابع دينامى لما وراءها من قوى جمعية تساندها وتدعمها (٢٦) .

ومن خلال هذا العرض لمجموعة الاتجاهات الفكرية والنظرية للمدارس الأساسية فى التنظير الاجتماعى ، نجد ان البنائية الوظيفية قد تضمنت بعض الاتجاهات المحافظة ، وذلك على اساس عدم تمكنها من تحليل بعض النقاط الهامة التى تؤثر فى البناء الاجتماعى ، فهى تذهب الى ان بواعث واهداف الأفعال الاجتماعية تتحدد بسيكلوجية الأفراد التى تتحدد بالتالى بمجموعة من القيم المطلقة ، وتنفى العوامل والأسباب المادية ، كما أنها لم تتناول توزيع القوة فى المجتمع ، والذى يستند الى العامل الاقتصادى ، وامكانية حدوث تغييرات اجتماعية راديكالية فى المجتمع ، حيث تناول بارسونز التغير الاجتماعى من خلال تشبيهه للنسق الاجتماعى بالجسم ، فالطفل لا يبقى طفلاً ، ولكنه ينمو ويتغير ، وكذلك المجتمع ، فانه ينمو ويتغير ولكن بصورة نسبية حيث لا يتحول الى نوع آخر من المجتمع — وهى وان كانت قد ركزت على اثر التقدم الصناعى التكنولوجى فى احداث التغير الاجتماعى عن طريق تغير البناء العقائدى ، وان الثورة الصناعية أدت الى بناء اجتماعى أكثر تحضرا فهى قد قللت من شأن قوة تأثير التقدم الصناعى والتكنولوجى فى احداث هذا التغير ، اذ يتناقض ذلك مع ما حدث فى المجتمع الأمريكى نفسه خلال القرنين الماضيين ، حيث ادى التقدم التكنولوجى والحضارى الى تغييرات جذرية فى البناء الاجتماعى الأمريكى ، حيث تحول من ولايات تابعة لانجلترا وفرنسا ، الى دولة مستقلة وولايات متحدة ، وحيث تحول النسق الاقتصادى من الاقتصاد التقليدى القائم على الزراعة والرعى ، الى اقتصاد متطور قائم على الصناعة والاستخدام التكنولوجى . وانعكست بالتالى هذه التحولات الجذرية فى الأبنية السياسية والاقتصادية على الانساق القيمية للمجتمع ، فتنفسخت القيم الدينية ، ولم يعد لها أى دور فى الضبط الاجتماعى ، وانقلبت معايير المكانات الاجتماعية التقليدية لتحل محلها أخرى تعتمد على مدى ما يملكه الشخص من قوة مادية ، وتلاشت الروح الجمعية التى كانت تربط ما بين الأفراد من المهاجرين الأوائل للتغلب على قسوة الطبيعة البدائية ، وضد هجمات أصحاب الأرض الأصليين من الهنود الحمر ليحل محلها النزوع الى الفردية وتغلبت المصالح الخاصة على مصالح الآخرين ، وتلاشت القيم الخاصة بعفة الرجال والنساء ليظهر بدلا منها الحرية الجنسية بكل اشكالها وأبعادها ، وتحول الزواج والأسرة من نظام اجتماعى يؤدى الى تماسك البناء الاجتماعى الى الفصل بين تكوين الأسرة خارج نظام الزواج وبين امكانية استمرار البناء الاجتماعى .

أما بالنسبة للمادية التاريخية ، ومن حيث مقولتها الخاصة بأن العامل الاقتصادى هو القوة التى تعبر عن نفسها فى وعى الناس بطرق

شتى ، وان سلوك الناس يصدر عن اهداف ودوافع ايديولوجية قد تبدو بعيدة تماما عن العوامل الاقتصادية الا انها فى الحقيقة ليست الا تعبيرا عنه وانعكاسا له . فان ذلك يبدو متسقا الى حد ما مع ما يشهده واقع المجتمع المصرى فى الحقبة الحالية ، وان كان يختلف من حيث أن المادية التاريخية كنظرية قد تبلورت فى ظل ظروف اجتماعية واقتصادية معينة كما انها كانت انعكاسا لانحيازها للطبقة العاملة . على حين أن التحولات التى قد طرأت على البناء الاجتماعى فى السنوات الأخيرة قد تميزت بمجموعة من الملامح التى تتفق تاريخيا وخصوصيات المجتمع المصرى .

فقد شهد المجتمع المصرى مؤخرا بعض التغيرات الحادة التى اثرت على النسق القيمى نتيجة لانعكاسات السوق العالمى وعلاقات التبعية الاقتصادية ، ومن ثم فان هذه التغيرات اتسمت ببعض المتغيرات التى تتفق والخصائص والظروف الموضوعية للمجتمع المصرى . هذا بالاضافة الى أن النسق الدينى لا زال يمثل محورا أساسيا فى عمليات الضبط الاجتماعى ، الى جانب أن القيم الاجتماعية وخاصة فى الريف والأحياء المتخلفة فى الحضر — والتى تمثل الثقل السكانى فى مصر — لازالت تستمد قوتها من خلال العادات والتقاليد ومختلف وسائل الضبط الاجتماعى التى تمارس ضغوطا لا نستطيع أن نقلل من شأنها فى توجيه افعال الافراد بالطريقة التى تتفق ومعايير الآخرين .

وترجع ازمة القيم فى الوقت الراهن — بالاضافة الى كونها أثرا لانعكاسات السوق العالمى — الى انخفاض مستوى الوعى المرتبط بتهميش العلاقات التفاعلية بين النسق الثقافى وبين النسق الاقتصادى . فالثقافة ليست مجرد مجموعة من العلوم التى تلقن فى المدارس والجامعات ، كما انها ليست مجموعة من الفنون التى يستغرق الحديث عنها صفحات الصحف والجرائد وسائر وسائل الاعلام المختلفة ، انما هى مجموعة القيم المستمدة من الدين والآداب والفنون ، وكذلك مجموعة الأفكار والايديولوجيات التى يصاحبها سلوك فعلى من الساسة القدوة للعمل بهذه الأفكار والايديولوجيات التى تتمثل فى كلمات كالحرية والديمقراطية والعدل والمساواة والفضيلة . ففى مواجهة ثقافة عامة متدهورة لا يمكن بناء الانسان الذى يعد من اصعب المهام البنائية ، فانجاز مشروع كبناء السد العالى أو نفق أحمد حمدى أو بناء عشرات الجامعات يكن أن يتم فى خلال عدة شهور ذا ما توافرت الامكانيات المالية والفنية والبشرية ، اما بناء الانسان فهو يحتاج الى سنوات واجيال ، والى تضافر جهود الساسة والاقتصاديين والقائمين بالعملية التعليمية والتربوية على مختلف مستوياتها ، وكذلك الى سائر مؤسسات

خدمات الدولة ، والى أصحاب العقول المفكرة والخيال المبدع وهو ما لم يلق أى نوع من الاهتمام او الرعاية طوال السنوات الثلاثين الماضية ومن ثم وفى غمار تهمش النسق الثقافى الذى صاحبه تهمش فى النسق الاقتصادى كما أوضحنا فى الفصل الأول ، أصبحت الساحة خـالية امام الفئة الطفيلية المستغلة الناتجة عن الانفتاح الاقتصـادى لتمارس انواعا من الضغوط والنشاطات المشبوهة والتى انعكست نتائجها على بعض الفئات الأخرى من أفراد الشعب الذين لم يجدوا فى ثقافتهم ووعيهم ما يقيهم الانحـدار فى مزالق تلك الأساليب والقيم السلبية .

طريقة دراسة الحالة :

يذهب عاطف غيث الى أن طريقة دراسة الحالة هى طريقة دراسة الظواهر الاجتماعية من خلال التحليل المتعمق لحالة فردية ، قد تكون شخصا ، أو جماعة ، أو حقبة تاريخية ، او مجتمعا محليا أو مجتمعا كبيرا، أو أى وحدة أخرى فى الحياة الاجتماعية.وتقوم هذه الطريقة على افتراض أن الحالة المدروسة يمكن ان تصلح نموذجا لحالات اخرى مشابهة،أو من نفس النمط ، ولذلك فمن الممكن عن طريق التحليل المتعمق ان نتوصل الى تعميمات قابلة للتطبيق على حالات اخـرى تنـدرج تحت نفس النموذج(٢٧).وترجع اهمية هذه الطريقة من وجهة نظر جورج تيودرسون George Theodorson الى انها تزودنا بفرص التحليل المكثف لتفاصيل عديدة متميزة والتى تفوق كافة الطرق الأخرى (٢٨) .

وحيث اننا فى هذه الدراسة نسعى الى التعرف على اثر التغيرات الحضارية ونظم الانتاج على صيغ العلاقات الاجتماعـية والانسـاق القيمية ، واثر انعكاس هذه التغيرات على الشباب المصرى المعاصر ، فقد فرضت علينا طبيعة هذه الظاهرة استخدام طريقة دراسة الحالة ، باعتبار أن الشباب هم وحدة اجتماعية من المنظور الكلى والشـامل للمجتمع ، وأن فهم اثر التغيرات فى العلاقات الاجتماعية والانسـاق القيمية على الشباب — على الرغم من امكانية تحقيقه الى حد ما ، عن طريق دراسة واستكشاف كافة التغيرات التى طـرات على المجتمع المصرى ، وكذلك التحولات البنائية للسيـاق التاريخى والسـياسى والاقتصادى والاجتماعى والقيمى ، والسعى نحو الفهم المتعمق للمجتمع من خلال التحليل والوصف الدقيق لبناءاته ، وهـو ما سـعت اليه الدراسة فى بعض جوانبها — فرض علينا نتيجة لطبيعـة الدراسـة التكاملية عدم اغفال اهمية دراسة الشباب كوحدات فى البناء الاجتماعى، باعتبار أن فهم سلوك الشباب واتجاهاته وادواره وقيمه ، هى المحكات

الأساسية لفهم تاثير التغيرات الحضارية ونظم الانتاج على صيغ العلاقات الاجتماعية والانساق القيمية ، واثر انعكاس هذه التغيرات على الشباب .

وحيث أن الشباب كما عرفناه فى دراستنا الراهنــة ، بأنه تلــك الشريحة الاجتماعية الممثلة فى مرحلة جيلية تشمل كافة الشباب فى كافة قطاعات المجتمع رغم اختلاف طبيعتها وخصائصها بين الريف والحضر ، وبين المتعلم والأمى ، فان التغيرات التى تطرأ على النسق الاجتماعى ، انما تنعكس بصورة او بأخرى على كافة الشرائح والقطاعات الشبابية ، وليس على فئة محددة بذاتها .

الا ان تناولنا بالدراسة التحليلية المتعمقة لقطاع محدد ومعين من الشريحة الاجتماعية الشبابية ، وهو قطــاع المثقفــين من الشباب ، جاء من واقع الفرضية الأساسية التى تذهب الى ان الشباب المثقف هو اكثر القطاعات ادراكا لتلك العلاقات القائمة بين تغير صيغ العلاقــات الاجتماعية والانساق القيمية وبين التغيرات الحضارية ونظم الانتاج ، كما انهم أكثر القطاعات تاثراً بهذه التغيرات ، الى جانب أنهم يمثلون طلائع المستقبل التى لا يمكن اغفال دورها فى العمليــات التنمويــة والسياسية ، باعتبارهم الركيزة الكبرى فى تغيير بناءات المجتمع ، من واقع ادوارهم الوظيفية ومكانتهم فى البناء الأساسى للمجتمع .

خصائص حالات الدراسة :

مثل لى اختيار حالات الدراسة صعوبة كبيرة فى بداية الأمر ، اذ كنت أرغب فى أن تكون حالات الدراسة ممثلة لكل قطاعات الشباب سواء شباب المثقفين او العمال او الفلاحين . الا ان طبيعة الدراسة المتعمقة لا تتيح فرصة التوسع فى اخضاع اعــداد كبيرة للدراســة التحليلية ، بقدر ما تتيحها فرص الدراسة الميدانية الامبريقية . هذا بالاضافة الى ان العديد من جوانب الدراسة التى تم وضع خطوطهــا الأساسية فى البداية ، ما كانت تتاثر كثيراً ببحث حالات متعمقة للشباب فى كل من قطاع العمال والفلاحين حيث انها تقوم بتحليل مجموعة من الجوانب التى تتصل اتصالا وثيقا ومباشراً بجيل الشباب المثقف ، الذى تؤهله خصائصه وطبيعة تكوينه الفكرى ، لأن يكون اكثر تاثراً بالتغيرات الحضارية ونظم الانتاج التى طرأت على صيغ العلاقات الاجتماعيــة والانساق القيمة . كما أنه من خطل القول ان نذهب الى ان الفئــة الشبابية بوجه عام ذات ملامح وسمات مشتركة وشاملــة ، باعتبار

ما يربط بينهم من خصائص فسيولوجية أو عمرية . اذ أن القضايا والمواقف تختلف من جماعة شبابية الى اخرى وفقا لاختلاف خصائصها الأساسية والعامة ، وبالتالى فان شباب الريف يختلف عن شباب البادية ، كما يختلف كل منهما عن الشباب من العمال ، ويختلف هؤلاء جميعا عن الشباب المثقف . فالشباب المثقف هم غالبا ما يكونون محور المواجهة فى كل المواقف التى تنعكس على المجتمع ، وهم الفئة القادره على الدخول فى حالات من الصراع والرفض للثقافات التقليدية التى يتبناها عالم الكبار ، وهم الفئة التى عادة ما تتصدر الحركات الثورية التحررية لقدرتها على الدخول فى العديد من اشكال الصراعات مع السلطة التشريعية .

وعلى هذا فقد تم اختيار حالات الدراسة من بين طلاب السنوات النهائية فى مرحلة الدراسة الجامعية ، حيث تتضح وتتبلور أزمات ومشاكل فئة الشباب المثقف فى تلك المرحلة ، كما تكون هذه الفئة أكثر معايشة لمجموعة القضايا والمشكلات التى يواجهها الشباب فى مرحلة التعليم الجامعى ، كما أنها تكون أكثر الفترات التى يكون فيها الشباب عرضة للصراع ، حيث تتسم بكونها الفترة التى يتهيأ فيها الشباب لترك التعليم ، استعداداً للقيام بمجموعة اخرى من الأدوار التى تدخلهم عالم الكبار ، ومنها الانضمام الى قوة العمالة المنتجة ، والاتجاه نحو الاستقلال الاقتصادى والنفسى عن الأسرة ، ونحو الزواج وتكوين أسر جديدة . ومن ثم فان الشباب فى تلك المرحلة يكونون عرضة لانعكاسات الصراعات التى تدور من حولهم ، كما يكونون أكثر ادراكا لنوعية وانماط هذه الصراعات .

وحيث أن شباب الجامعات بصفة عامة يشتركون فى مجموعة كبيرة من الخصائص العمرية والتعليمية ، الى جانب خضوعهم لمجموعة متشابهة من الظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التى يعكسها بناء المجتمع بما يحتويه من مختلف أنواع الانساق والمؤسسات ، فقد كان اختيار الحالات من هذه الزاوية لا يشكل صعوبة ما ، حيث تم اختيارهم من بين طلاب جامعة عين شمس باعتبارها واحدة من الجامعات التى تتشابه فى مناهجها وامكانياتها وظروفها مع سائر الجامعات الأخرى . وحيث أن الجامعة تضم عشر كليات ، ست منها تندرج تحت ما يسمى بالكليات النظرية ، على حين تندرج الأخرى تحت ما يسمى بالكليات العملية ، فقد رؤى أن يتم اختيار عشرة من الذكور والاناث من الكليات العشر . وقد تم تحديد بعض الخصائص الواجب توافرها فى هذه الحالات فبالاضافة الى اختيار الحالات من بين طلاب السنوات

النهائية . روعى أن تكون الحالة مقيمة مع الأسرة بصفة مستمرة . وذلك لتأثير التفاعلات الداخلية الأسرية على أنواع المشكلات والأزمات التى يمر بها الشباب ، كما روعى عند اختيار هذه الحالات أن يكون لها أخ أو أخت على الأقل ، وذلك لاختلاف طبيعة الحياة الأسرية بين الأسرة التى تضم ابنا وحيداً ، وتلك التى تضم أكثر من ابن .

أما بالنسبة للكيفية التى تم بمقتضاها اختيار خمس من الاناث وخمسة من الذكور من الكليات المختلفة ، فقد تم تقسيم الكليات الى كليات عملية وأخرى نظرية ، وتم اجراء اختيار عشوائى عن طريق « القرعة » بالنسبة لكل تقسيم لتحديد الكليات التى سوف يتم اختيار كل من الجنسين منها . وبناء على ذلك فقد انتهت عملية الاختيار بتحديد كل من كلية التجارة والحقوق والبنات والطب والزراعة لاختيار الاناث منها ، وتحديد كل من كلية الآداب والألسن والتربية والهندسة والعلوم لاختيار الذكور منها .

أما بالنسبة لعملية اختيار الحالات من بين آلاف الطلاب فى السنوات النهائية بالكليات المختلفة ، فقد تم عمل قرعة بين اقسام كل كلية لتحديد القسم الذى سوف يتم الاختيار منه ، وذلك بالنسبة للكليات التى بها أكثر من قسم .

وبعد الانتهاء من تحديد الأقسام ، تم الاطلاع على كشوف الأسماء بالنسبة لطلاب السنة النهائية ، وكان قد سبق لى معرفة وجود بعض الأقسام فى بعض الكليات لا يزيد عدد طلابها كثيراً عن ٢٠ طالبا ، ومن ثم رأيت أن يتم اختيار الحالات وفقا لرقم (١٠) فى جداول كشوف الأسماء ، وعندما كنت أجد أن رقم (١٠) لا تتوفر فيه الخصائص الأساسية من حيث النوع أو الاقامة مع الأسرة ، أو حجم الأسرة ، فقد كنت انتقل الى الرقم أو الأرقام التالية والتى يتوفر فيها هذه الشروط .

وقد تمت بعض المقابلات مع الحالات فى منزلى بناء عن رغبة الحالات نفسها عدا حالتين من الذكور وثلاث من الاناث . حيث تم بعضها فى مكاتب رعاية الشباب ، على حين تم البعض الآخر فى كافتيريا الجامعة.

وقد تميزت معظم مقابلاتى مع الحالات بتعددها وبتكرارها أكثر من مرة ، اذ كانت تتسم المقابلة الأولى بصفة عامة واللحظات الأولى بصفة

خاصة بنوع من التردد والشعور بالاغتراب من جانب الحالة ، الا انني سرعان ما كنت اعمل على ازالة هذه المشاعر بالتبسط معهم في الأحاديث، والتحدث ابتداء من أسرتي وعن بعض جوانب حياتي الخاصة ، مما كان له كبير الأثر في تهاوي مشاعر الاغتراب التي كانت تعوق تفاعلهم معي ، ومن ثم يبدعون في التعبير عن آرائهم وافكارهم ، وبلا ادنى تردد او خجل حتى اثناء التعرض لبعض الموضوعات الشخصية والحساسة.

الهــــــوامش

١ ـ الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، الكتاب الاحصائى السنوى ، سنة ١٩٨٢ ، ص ٣٦ .

٢ ـ محمد شعلان ، الاضطرابات النفسية فى الأطفال ، الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية ، القاهرة ، سنة ١٩٧٧ ، ص ٧٣ .

٣ ـ عبد الخالق علام وآخرون ، رعاية الشباب مهنة وفن ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، سنة ١٩٦٢ ، ص ٤٠ .

٤ ـ محمد شعلان ، الاضطرابات النفسية فى الأطفال ، مرجع سابق ، ص ٧٣ .

٥ ـ وارين تومسون ودافيد جلاس ، مشكلات السكان ، ترجمة راشد البراوى ، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ، سنة ١٩٦٩ ، ص ٩٠ .

٦ ـ على ليله ، العالم الثالث ، مشكلات وقضايا ، سلسلة علم الاجتماع المعاصر ، الكتاب السابع والخمسون سنه النشر لم تذكر ، ص ٢٥٧ .

٧ ـ Paul B. Horton, Chester L. Hunt, Sociology, McGrow-Hill Co., New York, 1964. p. 99.

٨ ـ Shachnazarof et al., Man, Science and Society, Progress Uublishers. Moscow, 1966, p. 140.

٩ ـ Max Wegner Greek Masterwork of Art, traslated by Charlot La Ruc George Braziller New York 1961 p. 24.

١٠ ـ S. N. Eisenstadt., Archtypal Pattern of Youth, in the Challenge of Youth, Erik H. Erikson (ed.) Doubleday Anchor Book, New York, 1965, pp. 29-30.

١١ ـ تقرير عن أعمال المجلس الاعلى لرعاية الشباب فى الفترة من ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ ، مطبعة مخيمر ، القاهرة ، سنة ١٩٥٩ ، ص ١٥٢ ـ ص ١٥٣ .

١٢ ـ عزت حجازى ، الشباب العربى والمشكلات التى يواجهها ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، سنة ١٩٧٨ ، ص ٥٨ .

١٣ ـ كونستانتينوف ، دور الافكار التقدمية فى تطوير المجتمع ، دار دمشق للطباعة والنشر ، الطبعة الثانيه ، سنة ١٩٧١ ، ص ٧٨ ـ ٨٥ .

١٤ ـ V. Afanasyev, Marxist Philosophy, a popular outline, Progress Publishers, Moscow, 1968, p. 336.

١٥ ـ جورج بلتخانوف ، تطور النظرة الواحدية للتاريخ ، ترجمة محمد مستجير مصطفى ، سلسلة السياسة والمجتمع ، دار الطليعة ، بيروت ، سنة ١٩٧٥ ، ص ١٣٦ .

١٦ ـ shachnazarof et al, man science and society, op. cit., pp. 2775.

١٧ ـ T. Parsons, Theories of soiety, The free press of Clencoe, New York, 1961, p. 74.

١٨ ـ سمير نعيم . النظرية فى علم الاجتماع ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، سنة ١٩٧٩ ، ص ٢٠٤ .

١٩ ـ السيد الحسينى ، نحو نظرية اجتماعية نقدية ، سلسلة علم الاجتماع المعاصر ، الكتاب الحادى والخمسون ، القاهرة ، سنة ١٩٨٢ ، ص ١٤٥ ـ ١٤٧ .

٢٠ ـ Saymour Martin Lipset, Social Structure and Social Change, in approach to the study of social structure, Peter M. Blau ed.), open book, London, 1976, p. 190.

٢١ ـ Orville G. Brin, Jr., and Stanton Wheeler, Socialization after childhood. Jéhn Wiley and Sons, Inc., Sydney, 1966.

٢٢ ـ 23. Arun Sahay, sociological-Analysis, Routledge and Kegan Paul, London, 1972, p. 141.

٢٣ ـ Ralph Linton, The Study of Man, appleton Century Co., New York, 1936, pp. 105-115.

٢٤ ـ C. Wright Mills, The Power Elite, Oxford University Press, New York ,1976, p. 283.

٢٥ ـ Peter M. Blau, Parameter of soial structure, in approaches to the study of social structure, Peter M. Blau (ed.), Open book, London, 1976, p. 31, 283.

٢٦ ـ George A. Theodorson and Achilles G., Theodorson a Modern Dictionary of sociology. Barnes and Noble Books, New York, 1969, p. 38.

٢٦ ـ نبارى محمد اسماعيل ، علم الاجتماع والايديولوجيات ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٧٩ ، ص ٧٣ .

٢٧ ـ عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، سنة ١٩٧٩ ، ص ٤٦ـ٤٧ .

الفصل الرابع

الشباب ومحاور أزمة العدالة الاجتماعية الاقتصادية

التغير الاجتماعى وازمة الشباب :

ترجع ازمة الشباب الى مجموعة من العوامل التى ترجع الى تغير العلاقات الاجتماعية نتيجة التغيرات الحضارية ونظم الانتاج ، والتى انعكست على كافة الأنساق القيمية ·

وتختلف الأزمة التى نحن بصدد تناولها بالدراسة ، عن تلك الأزمة التى يواجهها الشباب فى فترة المراهقة ، والتى تترتب على الانتقال من مرحلة الطفولة الى مرحلة الشباب · فأزمة الشباب الحالية نتجت عن معايشة الشباب لمجموعة من النكسات التنموية والأيديولوجية[٧] حيث ادت تفاعلات آليات السوق العالمى المثلة فى سياسة الانفتاح الاقتصادى الى خلل واضح فى البرامج التنموية للدولة، نتيجة لعدم استقرار السياسة الاقتصادية لها ، مما انعكس بدوره على تهميش القيم الاجتماعية ، نتيجة لتراجعها أمام المد المتزايد للقيم المادية وما صاحبها من اتجاهات استهلاكية ترفيه ·

كما تتمثل النكسات الأيديولوجية فى عدم وضوح أيديولوجيا المجتمع ، وتغيرها من حين الى آخر وفق التغيرات التى تطرأ على مجريات السياسة العامة للدولة ، وكذلك وفقا لتغير الساسة والحكام · بالاضافة الى ازمة الهوية التى مازال المجتمع المصرى يمر بها ، من واقع عوامل الشد والجذب بين الانتماءات العربية فى بعض الأحيان ، والانتماءات الغربية فى احيان اخرى ، ومن ثم فان ازمة الشباب المصرى المعاصر ، لا تقتصر على كونها انعكاسا لأزمة المجتمع المصرى ، وانما هى ايضا انعكاس لأزمة المجتمع العربى ككل .

ويلخص سعد ابراهيم تلك الأزمة ، فى أن شريحة سكان الوطن العربى من جيل متوسطى الأعمار ، عايشت منذ ربع قرن ، أحلاما وآمالا، حيث كان الوطن العربى يشهد مدآ ثوريا تحرريا قوميا على كل المستويات، واذا بهذه الأحلام وقد تهاوت صروحها العظام التى شيدوها بخيالهم

وعروقهم ودمائهم وحناجرهم كما تتهادى بيوت من ورق ، وبهذا فان الصورة القاتمـة للحـاضر ما هى الا نتـاج لماضى مشرق ٠ (١)

ويأتى تأثير الاقتصاد العالمى على الأوضاع المحلية ، ليس فقط من واقع انتاج بعض الوحدات كالمصانع والشركات ، التى يكون مكون النقد الأجنبى فيها عاليا ، وانما يتأتى هذا التأثير من خلال امتداده الى الحياة نفسها ٠ ففى المناطق الحضرية المكتظة بالسكان ، وخاصة الفقيرة منها ، تتحول تلك المناطق الى مناطق استهلاكية للسلع الرأسمالية ، ومنتجة للأيدى العاملة والسـلع الرأسماليـة التى يفرضـها السـوق الرأسمالى ، حيث يبدو هذا التأثير بوضوح من خلال النتائج المترتبـة عنه ، والممثلة فى نمو علاقات السوق ، التى يصاحبهـا زيادة فى معدلات الاستهلاك ونبذ الثقافة والقيم التقـليدية ، حيث ترتب على ذلك خلق أوضاع ثقافية ومادية جديدة فى وحدات المعيشة ، والتى امتدت من المناطق الحضرية الى المناطق الريفية ٠

وقد ترتب على ذلك ان دخلت السلع الجديدة الى حياة الأفراد ، واصبحت ذات قيمة عالية من خلال الدعاية والاعلانات ، وتزايد التعاملات النقدية مع نمو العلاقات الاقتصادية ، وبدأت القيم الاستهلاكيـة لدى الأفراد تحل محل قيم أخرى تقليدية ، حيث يعيش الناس فى أوضـاع ثقافية ومادية جديدة تغير من عالمهم المحلى ومن معاييرهم التقليدية ، وكذلك من انساق القيم الخاصة بهم ، فمع اغراق السوق بمختلف السلع ، يتبنى الأفراد ثقافة استهلاكية جديدة تتضاءل فيها قيمة الفرد اذا لم يشارك الآخرين عملية الاستهلاك ٠ وتتحول العلاقات بين الأفـراد الى علاقات بين اشياء ، حيث يصبح الاستهلاك قيمة فى حد ذاته ، وعاملا مكملا لسياق الثقافة الشعبية ، ورمزا لكل الحاجات اليومية ، سواء منها الأخلاقية او الاقتصادية ٠ (٢)

وتعد سياسة الانفتاح الاقتصادى ظاهرة من مظاهر النكسـات التنموية ، والتى أدت الى تهميش العلاقات الانسانية ، نتيجـة للنكسات الأيديولوجية التى تبنتها السياسة العامة للدولة فى مراحل سابقة ٠ فقد قامت الدولة كما يشير لويس عوض فى عصر جمال عبد الناصر بدور الراسمالى المستثمر الذى يئول اليه فائض قيمة العمل الناتج عن العمال والفلاحين والتجار والوسطاء ، فمنع تصدير العمالة المصرية ، ومنع التصدير والاستيراد الا تحت اشراف الدولة أو عن طريقها ، كمـا أمم تجارة أهم المحاصيل الزراعية المنتجة فى مصر وهو القطن ، وبذلك أصبح فائض القيمة من هذا الاستثمار العام لا يوجه بالقدر الكافى للخدمات العامة فى صورة الاهتمام بالتعليم والصحة والاسكان والمرافق والمواصلات

والتخطيط للمستقبل فى ظل الزيادة السكانية المتوقعة . وانما اتجهت الدولة الى استثمار عمل وموارد الشعب فى الانفاق على تمجيد الدولة فى صورة حروب وفتوحات · (٣)

وتعد المشكلات الاجتماعية التى تتمثل فى ازمة الشباب المصرى المعاصر ، ثمنا للتغير الاجتماعى الذى طرا على البناء السياسى والاقتصادى والقيمى فى السنوات الأخيرة ، حيث يرى أوجبرن Ogburn ، صاحب نظرية الهوة الثقافية Culture log أن التغير الاجتماعى يرجع الى اختلافات طبيعة الثقافة المادية Material Culture والثقافة التكيفية Adaptive Culture ، حيث تتمثل فى الأولى المساكن والمصانع والآلات والمواد الخام . وما الى ذلك من الموضوعات المادية والمحسوسة . على حين تتمثل الثانية فى الوسائل التوافقية والتكيفية مثل العادات والمعتقدات والفلسفات والقوانين والقيم · وعلى حين ان الثقافة المادية تتغير بسرعة كبيرة ، الا ان الثقافة التكيفية لا تتغير بنفس السرعة ، وانما تسير فى ركاب الثقافة المادية ، وهذا يحدث فى ظل التغير الاجتماعى (٤) . التى تهدف الى بقاء المجتمع واستمراريته . وعندما تتدخل الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية ، حيث يتسم بأن علاقته بالأفراد وعلاقة الأفراد به ، ما هى الا علاقة ديناميكية تفاعلية مستمرة . وبالتالى فان الحقائق الموضوعية للمجتمع تشكل فى النهاية النمط السوى للعلاقات التبادلية بين الفرد والمجتمع ، وبين المجتمع والفرد ، من خلال ما يقدمه هذا المجتمع من اشباع لحاجات الفرد النفسية والاجتماعية ، وكذلك من خلال الأدوار التى يقوم بها الفرد للمحافظة على بقاء النسق الاجتماعى واستمراريته ·

والعلاقة المثالية التبادلية بين الفرد والمجتمع ، هى علاقة توازن وانسجام ، حيث يفى المجتمع لأفراده بكافة احتياجاته ، وحيث يقابل الفرد ذلك بقدر مناسب من الامتثال للقواعد والقيم والمعايير الاجتماعية التى تهدف الى بقاء المجتمع واستمراريته · وعندما تتدخل الظروف السياسية والاقتصادية والتشكيلات الاجتماعية فى عدم وفاء المجتمع بمختلف احتياجات الأفراد أو معظمها ، فان النتيجة الحتمية لعدم هذا الوفاء ، تتجه لأن تؤثر على قدرة هؤلاء الأفراد بوعى أو بدون وعى على الامتثال والانصياع للقواعد والمعايير والقيم الاجتماعية للمجتمع · ومن هنا ينشأ الصراع · ومن هنا تنشأ الأزمة ·

وقد كان لانعكاس الأزمات التنموية والأيديولوجية على بناء النسق

القيمى للمجتمع رد فعل حاد على الشباب المصرى المعاصر ، باعتبارهم شريحة أو فئة من الفئات المكونة للبناء الاجتماعى ، فالفرد يكون فى العادة عضوا فى مجموعة من الجماعات الاجتماعية ، فهو عضـو فى أسرة معينة وفى جماعة دينية معينة ، وفى جماعة تعليمية أو مهنية أو ترفيهية معينة ، ولما كان الفرد يميل دائما الى تحقيق تكامله الاجتماعى عن طريق التوفيق بين القيم الموضوعية والمعايير المتعارف عليها والسـائدة فى المجتمع ، فأن حدة اختلاف هذه القيم والمعايير وتعارضها يكون مؤشرا لحدة الصراع الناشيء عن هذا التعارض ·

فالطفل فى سنواته الأولى يتلقى ويتشبع من خلال الأسرة ومن خلال الكبار ، ومختلف مؤسسات التطبيع الاجتماعى ، بالقيم التى تحبذ الصدق والصراحة ومساعدة الغير ، ويتعلم معنى الخير ومعنى الشر ، فالخير هو ما يلقى الاستحسان من الكبار ويسمحون به ، والشر هو ما ينهى عنه هؤلاء الكبار ولا يسمحون به . وفى مرحلة المراهقة ، تتغير نظرة المراهق بصورة كبيرة للخلق والمعايير الأخلاقية ، حيث يبدأ فى مناقشة تلك المعايير واصدار حكمه عليها ، كما يكون قادرا على ان يسوق من الأسباب والحجج ما يؤيد به وجهة نظره فى صحة اعتقاده ونظرته للأمور ، كما تكون لديه القدرة على تكوين مثل عليا ذاتية ، خاصة به تتبلور فى شكل صيغ اخلاقية عامة تحكم سلوكه وتوجه انفعاله . وفى مرحلة الشباب ، وعندما تزداد مدارك الشاب اتساعا ، ويزداد فهمه للمجتمع والواقع المحيط به ، يتكشف له ان مثله التى اختطها لنفسه ، ليست الا وهما خاصا به ، وتبدأ بوادر الشك فى كافة المثاليات والأخلاقيات التى كان يدين بها ، ويتكشف له الواقع بكل متناقضاته وصراعاته . ومن هنا يبدأ الصراع . ومن هنا تنشـأ الأزمة ·

وتتمثل محاور ازمة الشباب فى مجموعة من المتغيرات والعوامل التى تتصل بصميم وجوده وحاجاته الانسانية الآنية ، كما تتصل بصورة اساسية بغموض وقتامة الصورة المستقبلية ، حيث تتمثـل الحاجات المتصلة بحاضر الشباب ومستقبله فى الشعور بالعدالة الاجتماعية عن طريق التوازن الاجتماعى الذى تهمش فى ظل علاقات السوق ، والتى تشمل الأوضاع السكنيـة والصحية والاقتصادية والتعليمية والمهنية ، حيث تردت هذه الحاجات فى السنوات الأخيرة بصورة ملحوظـة بالنسـبة لغالبية افراد المجتمع ، كما تتمثل فى حاجات الشباب الوجدانية والفكرية والنفسية ، التى تساعده على تحقيق ذاته ، ومعرفة حقيقة وابعاد هويته ·

الشـباب وازمة التوازن الاجتماعي :

يقرر الاسلام ان تحقيق التوازن الاجتماعي ، يتم عن طريق التوازن بين افراد المجتمع فى مستوى المعيشـة وفى مستوى الدخل ، والتوازن فى مستوى المعيشـة معناه ان يكون المال موجودا لدى افراد المجـتمع · ومتداولا بينهم الى درجة تتيح لكل فرد أن يحيا فى مستوى معيشـة مماثل للاخرين ، مع الاحتفاظ بدرجات متفاوتة داخل هذا المستوى الواحد ، وليس بصورة شديدة التناقض كالتناقضات الصارخة بين مسـتويات المعيشـة فى المجتمع الرأسمالى (٥) ولكن وعلى الرغـم من كوننا دولـة شعارها العلم والايمان ، فان أبسط مقتضيات هذا التوازن لم تجد طريقها الى افراد المجتمع المصرى ، حيث ادى التفاوت الصارخ فى توزيع الدخل القومى ، وما صاحبه من نكسات تنموية ، الى وجود طبقتين من الأفراد ، هما طبقة الأغنياء ، وطبقة الفقراء ، وتتميز الأولى بالارتفاع الصارخ فى مستويات المعيشـة ، وارتفاع النفقات المخصصة لشراء السلع الكمالية والترفيهية ، وارتفاع مستوى الرفاهية · بينما تتميز الثانية بعدم القدرة على مواجهة ادنى الاحتياجات اليومية ، سواء من حيث الغذاء الصحى الملائم ، أو من حيث نمط الاسكان الآدمى ·

وتتضح الصورة فى حديث الحالة رقم (٦) وهو يعمل فى أحد الفنادق الى جانب الدراسة اذ يقول « مبلغ ٥٠ الف جنيه مابقاش يساوى مصاريف حفلة زواج فى اى فندق من الفنادق الكبيرة فى مصر ·· ومافيش فندق كبير فى مصر الا وقاعاته كلها محجوزة كل يوم لأفراح من النوع ده ·· أنا باستغرب .. اللى يدفع ٥٠ ألف جنيه فى ٣ أو ٤ ساعات .. يبقى عنده كام مية الف جنيه والا كام مليون جنيه ·· ده حتى ٥٠ الف جنيه مبلغ كبير قوى الواحد ما يعرفش يعده ·· انما اهى الدنيا حظوظ ·· ناس بتصرف ٥٠ الف جنيه على ليلة ·· وناس زى حالاتى بتشوف المر علشان ٨٠ جنيه فى الشهر كله » ·

وعلى الطرف الآخر تقول الحالة رقم (١) ، وهى تنتمى لأسرة شديدة الثراء نتيجة الانفتاح الاقتصادى « انا زهقت من العربية المرسيدس ١٩٠ ·· دى بقالها عندى سنة كاملة ·· وعلشان كده بابا جاب اللى السنة دى BMW ·

ومن خلال ذلك نرى أن الواقع يتحدث عن نفسه ، فعلى الرغم من أن الحالة رقم (٦) والحالة رقم (١٠) ينتميان الى مجتمع واحد ، وجامعة واحدة ، وفئة عمرية واحدة ، الا أن التفاوت الصارخ الناتج عن اختلاف المستوى الاقتصادى ، نتج عنه تفاوت صارخ فى نوعية المشكلات التى

يتعرض لها كل من الحالتين ، ونوعية الحاجات التى تعد حاجات أساسية من وجهة نظر كل منهما ، فعلى حين نجد أن الحالة رقم (٦) يجأر من المعاناة التى يتعرض لها من جراء عمله فى الفندق والذى يتقاضى عنه ٨٠ جنيها شهريا ، فى الوقت الذى يقوم فيه البعض بالانفاق على المظاهر فى سفه واسراف ، فاننا نجد أن الحالة رقم (١) تشكو من اضطرارها الى أستخدام سيارتها الخاصة لمدة سنة كاملة دون أن تستبدلها بأخرى أكثر حداثة ، ومن ثم فان هذا يعنى أن مشكلات الشباب تعتبر مشكلات ذاتية الطابع ، حيث لا تختلف فقط بالنسبة للريف والحضر ، أو من حيث الأمية والتعليم ، بل ومن حيث اختلاف المستويات الاقتصادية والاجتماعية التى أصبحت سمة من سمات المجتمع فى الوقت الحالى .

ويشير على لطفى الى أن الأرقام الخاصة بمتوسط دخل الفرد لا توضح حقيقة المشكلة توضيحا كاملا ، ففى تقدير سنة ١٩٨١ ، بلغ نصيب الفرد فى مصر من اجمالى الناتج القومى بالدولار الأمريكى ٤٦٠ دولار . على حين بلغ فى الكويت وهى أعلى معدلات لها فى العالم ١٧٢٧٠ دولار . (٦) اذ يرى أن مثل هذه الأرقام لا تمثل سوى « متوسطات » ، أى متوسط دخل الفرد الذى ينتج من قسمة الدخل القومى على عدد السكان ، لذلك فعند تحليل الأرقام الخاصة بمتوسط دخل الفرد ، لابد أن نأخذ فى الاعتبار حقيقة هامة ، الا وهى التفاوت الصارخ فى توزيع الدخل القومى فى أغلب الدولة النامية (١٧) . وبعبارة أخرى ، فان متوسط دخل الفرد يفترض ضمنا المساواة المطلقة بين جميع الأفراد فى مختلف الأعمار وفى مختلف الطبقات ، وهو افتراض غير واقعى فى أى مجتمع ، كما انه يكون أكثر تضليلا فى مجتمع مثل المجتمع المصرى ، يتميز بعدم العدالة فى توزيع الدخل القومى ، بالاضافة الى مؤشرات أخرى كثيرة اتضحت من بحث الحالات ، حيث نجد أن الحالة رقم (١) تتقاضى مصروف جيب شهرى مقداره ٣٠٠ جنيه ، وهو ما يوازى ثلاثة أرباع نصيب الفرد المصرى من اجمالى الناتج العام خلال سنة بأكملها ، وتتضح المفارقة الصارخة ، اذا علمنا أن هذا المبلغ مخصص للنفقات الخاصة جدا ، حيث يكون خارج نطاق كافة احتياجاتها العامة مثل الملابس وتكاليف الكتب الجامعية والدروس الخصوصية ، وبنزين السيارة أو اصلاحها . كما انه قابل للزيادة فى حالة احتياجها لمزيد من النقود ، وتقول الحالة رقم (١) عن أوجه صرف هذا المبلغ « ده يا دوب بيكفينى بالعافية .. وعادة على نص الشهر أروح لبابا وأقول له شنطتى بردانة عايزة تدفى .. فيروح مطلع لى ٥٠ أو ١٠٠ جنيه . أنا أصلى باموت فى الفسح والخروج .. وكل

يوم والثاني اروح لحمام السباحة ·· او اتغذى في اوتيل من الأوتيلات الكبيرة ·· وطبعا ماباحبش اروح لوحدى ·· فاعزم معايا اثنين او ثلاثة من الشلة .. الفلوس زى العصافير .. بتطير من ايدي مش عارفة ازاى » ·

وفى مقابل هذا السلوك الأهوج فى اسلوب الانفاق ، نجد أن نصف هذا المصروف الشخصى ، يغطى نفقات اسرة باكملها وهى اسرة الحالة رقم (٢) اذ تقول « بابا طلع على المعاش وبياخد ١٤٠ جنيه فى الشهر ·· ومع أن اخواتى كلهم بيشتغلوا انما مابيرضاش ياخد اى مساعدة ·· اولا لأن مرتباتهم صغيرة ·· وثانيا لأن لازم يكونوا مستقبلهم علشان يقدروا يتجوزوا ·· وبابا بيقول كفاية انهم يتحملوا مصاريفهم الشخصية ·· الـ ١٤٠ جنيه تكفينا بالعافية ·· انما اهى ماشية والحمد لله » ·

وبعقد مقارنة سريعــة بين الحالتين ، يتضح لنا مدى السفه وسطحية التفكير لدى الحالة رقم (١) ، والذى ادى اليه تدفق الأموال بين يديها وبين يدى اسرتها ، بحيث اصبح يوجه الى اشكال مستحدثة من انماط الحياة الترفيه التى تبتلع المبلغ المخصص للمصروفات الشخصيــة ، وبحيث تلجا الى التمرد والشكوى من ان هذا المبلغ لا يغـطى مطالبهـا الخاصة ، وأن النقود « تطير كالعصافير » على حين نجد على الجانب الآخر ان هناك اسرة مكونة من ست افراد لا يتعدى دخلها الشهرى باكمله نصف هذا المبلغ ، كما نجد انه رغم المعاناة الاقتصادية التى تعتصر الأسرة الا ان الابنة تستسلم للأمر الواقع وتحمد الله عليه ·

ويعيش الشباب من الجنسين من الطبقات الوسطى والدنيا عالما لا يستطيعون السيطرة عليه من قريب او بعيد ، فهم وعائلاتهم يعانون من وطاة التضــخم المـرتفع الذى يـكاد ان يعتصرهم اقتصــاديا ، اذ لا يستطيعون ان ينالوا نصــيبهم من تلك الأموال وهى تتبــدد فى ســفه واسراف من حولهم · الى جانب شعورهم بضــآلتهم عندما يعجزون عن مسايرة الاتجاهات الاستهلاكية السـائدة ، والذى يترتب على تدنى مكانتهم فى اعين الآخرين لعدم قدرتهم على هذه المسايرة . وتقول الحالة رقم (٥) « احنا دايما بنشترى حاجتنا من الجمعية بتاعة ضباط الجيش ·· انما ماما احيانا بتحب تشترى لحمة بوفتيك من عند الجزار ·· وفى مرة رحت معاها ·· وكان فيه واحد لابس جلابية بلدى زى المعلمين عمال يقول للجزار ١٠ كيلو من الحتة دى ·· وعشرة من دى ·· وعشرة من دى ·· وكانت عربيته المرسيدس واقفة بره ·· والعمال حطوا اللحمة في العربية ·· وبعدين دفع يمكن اكثر من ٢٠٠ جنيه ·· ووزع حوالى ١٠ جنيه بقشيش .. وكان كل العمال مشغولين بخدمة الراجل ده .. وبعدين لما

خلص ومشى ٠٠ ماما طلبت من الجزار كيلو بوفتيك بس حتة حلوة ٠٠
وراح الجزار باصص لها حتة بصة غريبة ٠٠ وماردش عليها ووزن لها اللحمة ٠٠ ولما ماما دفعت ٢٥ قرش للعامل اللى لف اللحمة ٠٠ قلبها فى ايده ٠٠ وماقالش حتى متشكر ٠٠ الحقيقة دى كانت أول مرة أحس فيها ان الفقر مر ٠٠ ومن ساعتها مادخلتش عند جزار تانى » ٠

وعلى الرغم من أن اسرة هذه الحالة تعد من الأسر ذات الدخول المرتفعة نسبيا بالمقارنة ببعض اسر الحالات الأخرى ، الى جانب ان الأسرة تحتل مكانة مهنية جيدة ، حيث كان الأب يعمل لواء بالقوات المسلحة ، الا ان التطورات التى طرأت على النسق القيمى ، ادت الى تهميش الطبقة الاجتماعية ، بحيث أصبح المؤشر المادى هو المحك الأساسى فى تحديد المكانات الطبقية ، كما أصبح هذا المؤشر وما يترتب عليه من قدرات شرائية ، من أهم المؤشرات التى توجه تعاملات وسلوك الأفراد ٠

ويمثل انخفاض مستوى الأجور فى مصر ازمة حقيقية فى حياة الشباب المصرى ، حيث يؤدى هذا الانخفاض الى عدم القدرة على مواجهة الحاجات الضرورية الآنية والمستقبلية ، فى الوقت الذى يرى فيه القدرة المادية الفائقة التصور لدى طبقة الانفتاح الاقتصادى ، التى غالبا ما تكون نتيجة لبعض الوسائل والطرق غير المشروعة ، والتى من أبرزها عمليات التلاعب والتهرب الضرائبى ، مما ينعكس على الشباب بصورة حادة وقاسية فى صورة الشعور باللامساواة والظلم الاجتماعى ، بل والاتجاه احيانا نحو مسايرة تلك الأوضاع السائدة ، وتتشكل تلك الصورة من خلال قول الحالة رقم (٩) « انا طول عمرى ماشى بمثاليات واخلاقيات عالية .. انما فى ظل الى الواحد شايفه دلوقت .. حسيت انى كنت غلط. وانى مش ممكن اقدر اعيش فى مجتمع وانا متخلف عنهم ٠٠ والا حابقى فى آخر القاع .. أحيانا باتصور انى فى يوم من الأيام حاشتغل بالتهريب او فى المخدرات علشان ابقى زى الناس ٠٠ واحيانا بارجع لمثالياتى واقول انا لازم اما اهاجر لأمريكا او استراليا علشان احس انى بنى آدم ٠٠ او انى اسافر بلد عربى أعمل قرشين ٠٠ علشان أحس انى بقيت قريب من الناس اللى حواليه » ٠

ويصور هذا القول مدى ما يتعرض له الشباب من صراع بين القيم والمثاليات التى تطبع بها ونشأ عليها ، وبين تلك القيم الوافدة التى تفرض نفسها عليه ، حيث يؤدى هذا الصراع فى بعض الأحيان الى الانحراف بهدف التفاعل ومجاراة هذه القيم السلبية ، رغبة منه فى تحقيق التوازن الاجتماعى ، والمواءمة والتكيف مع المعايير التى تفرض نفسها على المجتمع ولو كان ذلك على حساب المبادىء والمثاليات التى نشب عليها ٠

كما يؤدى هذا الصراع فى أحيان اخرى الى تكوين ميول هروبية من تلك الأوضاع التى لا يستطيع مسايرتها ، حيث تاخذ تلك الميول الهروبية اشكالا متعددة لها ، منها الاتجاه نحو التقوقع والانغلاق والعزلة ، او الاتجاه نحو الانومية او اللامعيارية ، او البحث عن مجالات جديدة فى مجتمعات اخرى قد تحقق له بعض الحاجات التى عجز مجتمعه الأصلى أن يزوده ويوفرها له .

ويمثل غموض المستقبل وعدم مؤاءمة الامكانيات الاقتصادية مع الاحتياجات اليومية ، او الاستقلال المادى للتمكن من الزواج وتكوين اسرة جديدة محوراً آخر من محاور أزمة الشباب ، حيث يتضح ذلك فى قول الحالة رقم (١٠) « صحيح احنا حالتنا دلوقتى كويسة والحمد لله ٠٠ وعايشين مرتاحين ٠٠ انما المشكلة ان كل الدخل بيتصرف أول بأول علينا وعلى البيت ٠٠ يعنى مافيش اى حاجة للمستقبل ٠٠ انا صحيح لما اتخرج ممكن اشتغل فى الورشة بتاعة بابا ٠٠ انما مهما اشتغلت حاحوش كام ٠٠ يعنى عشان اكون مستعد للجواز ٠٠ حاحوش كام علشان اقدر اشترى او اأجر شقة وادفع مهر وتكاليف الجواز اللى مالهاش آخر ٠٠ يعنى انشاء الله كده على مايبقى عندى خمسين والا ستين سنة يادوب اكون عملت قرشين اقدر اتجوز بيهم » ٠

وبالاضافة الى ما تشير اليه هذه الحالة من عدم ثقة الشباب فى المستقبل ، الا انها تشير ايضا الى نظرة الشباب التشاؤمية الاستسلامية فى عدم امكانية التغلب على الصعوبات المادية التى صاحبت ارتفاع مستوى الأسعار ، كما تشير ايضا الى الاحباطات التى فرضتها عليه حقيقة الواقع المصرى فيما يختص بالارتفاع الخيالى لأثمان وايجارات المساكن والتى تفوق قدرات وطاقات الأغلبية الساحقة لأفراد المجتمع ٠

وقد أدى الحراك الاجتماعى المشوه نتيجة الانفتاح الاقتصادى الى افراز طبقة جديدة نتجت عن ارتفاع معدلات دخول بعض الأفراد من طبقات او شرائح اجتماعية متعددة ، ممن تمكنوا من تحقيق ثروات كبيرة بالطرق المشروعة او غير المشروعة ، مما ادى الى تهميش الطبقة الاجتماعية فى المجتمع المصرى ، وتشويه السمات الأساسية التى كانت تتحدد وفقا لها ، وقد وضع كل من فاريس **Faris** ونسبت **Nisbet** تصورا جديدا لمفهوم الطبقة الاجتماعية يختلف الى حد ما عن المفاهيم الشائعة بين مدارس علم الاجتماع ٠ اذ يريان ان الطبقة الاجتماعية هى مجموعة من الناس التى تتشابه فى مكانتها الاجتماعية ، ولكل طبقة ثقافتها الفرعية ، وتتركز الطبقة الاجتماعية على مكانات اجتماعية اقتصادية فى المجتمع ، بما فى ذلك الثروة والدخل والمهنة والتعليم وتقدير

الذات ، والمهابة Prestige المتوارثة ، وكذلك نظرة الآخرين لها ، الا انهما يريان أن اصطلاح الطبقة الاجتماعية فى الوقت الحاضر لم يعد مفهوما ذا قيمة ، حيث يريان عدم وجود حدود أو تقسيمات معينة بذاتها يمكن عن طريقها تقسيم المجتمع الى طبقات · فالشخص قد ينتمى الى طبقة معينة وفقا لمعيار محدد بذاته ، على حين ينتمى فى نفس الوقت الى طبقة اخرى وفقا لمعيار آخر ، وتبعا لذلك فان اعضاء طبقة معينة يختلفون فيما بينهم من واحد الى آخر ، مما لا يجعل هناك أى معنى لمفهوم الطبقة · (٨)

ويبدو أن نسبت Nisbet وفاريس Faris قد اقتربا الى حد كبير من وصف الطبقة الاجتماعية كما هى موجودة حاليا فى المجتمع المصرى ، اذ كان لكل من التعليم ونوع المهنة وحتى وقت قريب دور بارز فى تحديد الانتماءات الطبقية ، ولكن فى ظل سيطرة السوق العالمى تهمش كل من هذين العاملين فى ضوء سيادة العامل المادى ـ وينعكس ذلك التهميش الذى لحق بكل من التعليم والمهنة نتيجة الانفتاح الاقتصادى على فئة الشباب التى كانت تنتمى فى وقت ما الى الطبقة العليا او المتوسطة ، حيث يتضح ذلك فيما يذهب اليه الحالة رقم (٧) « أنا لحد قريب جداً كنت حاسس ان احنا من اعلى طبقة فى البلد .. بابا وماما اساتذة جامعة ·· وعندنا حوالى ٢٥ فدان ماجرينها لناس ·· وعايشين فى فيلا بتاعتنا ·· وعندنا شقة فى اسكندرية بنصيف فيها ·· انما دلوقتى لما باعمل مقارنة بينا وبين سكان الفيلا اللى جنبنا ·· باحس ان احنا بالنسبة ليهم ولا حاجة ·· الراجل اللى اشترى الفيلا كان سباك ·· وبعدين دخل فى عمليات المقاولات .. دلوقتى بقى مليونير .. هوه عنده ٤ عربيات واحنا عندنا اثنين ·· هوه بيسافر يصيف فى اوربا واحنا لسه بنصيف فى اسكندرية .. هوه كل يوم والثانى عامل حفلة بيكلفها ألف .. واحنا لما بنعمل حفلة عيد ميلاد بنقعد نحسب حتتكلف كام ·· المعايير انقلبت ·· وبقى اللى بيكونوا اعلى طبقة فى البلد دلوقتى مجموعة من الجهلة أو المهربين » ·

وتعكس الحالة (٧) حقيقة الأوضاع المتردية فى المجتمع المصرى ، حيث جرفت الامكانيات المادية فى طريقها كافة المؤشرات الطبقية الأخرى ، وحيث لم يعد للتعليم مهما كان مستواه ، أو المهنة مهما بلغت مستوياتها الفنية قيمة تذكر فى ظل سطوة العوامل المادية ·

واذا كنا نجد أن هناك بعض الشباب كنتيجة للانفتاح الاقتصادى قد اهلتهم امكانياتهم المادية للاستمتاع بالترف والرفاهية بأقصى درجاتها

وانحرافاتها ، فإننا نجد على الطرف الآخر الأغلبية المطحونة من القاعدة الكبرى للمجتمع من الشباب الذين يعانون من قصور إمكانيات اسرهم المادية عن الوفاء بحاجاتهم الضرورية كتوفير السكن الملائم للأسرة ، وتوفير الرعاية الصحية لهم . حيث يتضح ذلك من اقوال الحالة رقم (٩) « انا ساكن فى عين شمس ·· يمكن عمرك ماروحتى هناك ولا حتروحي ·· البيت بتاعنا فى حارة ·· والحارة غرقانة صيف شتا فى المجارى ·· الشارع مش مسفلت ومع المجـاري بتبقى معجنة ·· الناس حطه قوالب طوب علشان تعدى من عليها علشان ماتغرزش فى الطين .. ومع كده يمكن كل يوم هدومى بيطرطش عليها الطين .. الشـارع مالوش رصيف لأن لما بنوا المساكن بنوها بالقدرة وبقوة الدراع ·· فالناس لازم تمشى فى وسط الشارع ·· وبتبقى نكبة لو عربية عدت فى الشارع وفيه حد ماشى ·· لأن ده معناه انهم لازم يستحموا بالطين ·· ده الشارع بتاعنا ·· ودى الحتة بتاعتنا ·· البيت عبارة عن حاجة بيقولوا عليها بيت ·· انما هيه أصلا الظاهر كانت معمولة للمواشى ·· وحصل خلط بينـا وبين المواشى ·· والبيت خمس ادوار ·· واحنا ساكنين فى الدور الرابع ·· وعلشان الواحد يطلع وينزل كل يوم من غير ماينكسر فيه حاجة لازم يقعد يقرا الفواتح علشان ربنا يسلم لأن السلالم متاكل نصها ·· المهم الشـقة عبارة عن أودتين وصـالة . الصـالة أقل من ٣ متر x ٣ . انما ربنا مبحبحها ·· بنمشى فيها كتير فبتوسع ·· فعاملينها أودة صالون وسفره وانتريه ومكتب ·· ماما واخواتى البنات بينامو فى أودة ·· وانا وبابا واخواتى الصبيان فى الأودة الثانية وفى الصالة ·· المشكلة مش فى اننا بنام زى السردين ·· انما المشكلة ان الشقة على مناور وتبقى ضلمة كحل فى عز الظهر ·· فلازم النور يفضل منور طول النهار ·· دى لوحدها مشكلة ·· لأن فاتورة الكهرباء كل شهر بتعمل لينا ازمة فى البيت ·· وخصوصا دلوقتى بعد ما رفعوا اسعار الكهرباء على كل الناس الصالح والطالح ·· الغنى والفقير ·· اصل البلد فيها عدل جامد فلازم كل حاجة تتوزع على الناس بالعدل ·· بيقولوا انهم قسموا استهلاك الكهرباء لشرايح ·· احنا لا عندنا فيديو ولا تكييف ولا مكنسة كهربا ·· انما ربنا حكم علينا ان نور الشـقة يفضل منور من سـاعة ما نصحى من الفجر لحد آخر الليل.. يمكن علشان كده همه اعتبرونا شريحة عليا ·· ننتقل بقى على المطبخ والحمام ·· المطبخ ده مشكلة سهلة ·· على الأقل يكفى أمى تقف براحتها وهى بتطبخ ·· انما تبقى مشكلة لو حد مننا حب ياخد حاجة من المطبخ ·· لأن أمى لازم تخرج من المطبخ علشان التانى يقدر يدخل ·· المشكلة بقى اللى بجد عندنا هيه الحمام .. ده حكايته حكاية .. هوه صحيح حمام بلدى متر فى متر وفيه دش ·· انما المشكلة اولا ان الدش ده ديكور لأن

المية مابتطلعش لحد فوق الا بعد الساعة ١٢ بالليل ·· ويادوب تنزل فى حنفية الحمام ·· وأمى بقى شغلانتها انها تملى الاطشاط والحلل والجرادل طول الليل علشان تستخدمها بالنهار ·· انما المشكلة الثانية بقى ·· ان علشان الواحد يحب يستحمى ضرورى نعلن حالة الطوارىء فى البيت ·· لأن كل الحاجات اللى مليانة ميه فى الحمام لازم نخرجها فى الصالة والمطبخ علشان نوسع مكان ·· طبعا مشكلة الميه دى حاجة ثانوية ·· أما الحاجة الأساسية بقى أن مواسير الصرف الصحى الخارجية ضاربة فى الحيطة بتاعة البيت كله ·· والحيطان مليانة شروخ ·· وكل مانشترك مع السكان ونصلحها تضرب تانى ·· انا خايف ييجى يوم ما اصحاش فيه لأن البيت ممكن يقع فى أى لحظة ·· كل اللى الواحد شايفه ده ·· وبعدين تبصى تلاقى جايبينلك اعلان فى التليفزيون عن الأدوات الصحية المستوردة بيقول « تخلص من حمامك القديم ·· انسفه نسفا ·· هوه فين الحمام الأول وبعدين ابقى أنسفه .. طب قبل ما أنسف الحمام وبعدين أجدده . انسف الشارع الأول وأصلحه علشان البنى آدمين تمشى زى البنى آدمين » ·

ويعد الشاب صاحب تلك الحالة رغم المعاناة الواضحة التى تبينت من خلال حديثه ، من اكثر الحالات تميزا بين من قابلتهم من الشباب على الاطلاق ، اذ ان طريقته التهكمية الساخرة ، وتغليفه للمواقف الدرامية بأسلوبه الكوميدى،ماهى الا محاولةلاخفاء ضياعه وراء ستار من البشاشة والابتسامة التى ترتسم على وجهه ، ويحاول ان يتكيف ولو ظاهريا مع الواقع المؤلم الذى يعيشه المجتمع المصرى ، حيث تفصل الفجوة الحضارية داخل المدينة بين اقلية تسكن الفيلات والشقق الفاخرة فى الأحياء الراقية ، واغلبية تسكن الحوارى والأزقة فيما يسمى تجاوزا مساكن أو شققا فى الأحياء الشعبية تماما كما تفصل الفجوة الحضارية بين المدينة والقرية المصرية ، ان لم يكن بصورة اكثر حدة ·

وان كان ذلك الوضع المتدنى لحالات الاسكان والمرافق العامة فى معظم المناطق الحضرية المتخلفة يعد تضاربا صارخا بالنسبة لبعض الأحياء الأخرى ، فان ذلك يعنى أن هناك فصلا تعسفيا من قبل الدولة حيال الفئات السكانية الحضرية : حيث تركز اهتماماتها ، وترتفع بمستوى خدماتها النسبى فى احياء دون اخرى . فنادرا ما يحدث أن تتقاعس أجهزة الدولة عن القيام بواجباتها وحشد قواها المتواضعة اذا ما حدث أن طفحت المجارى او اذا انفجرت ماسورة مياه فى احد الشوارع الجانبية فى المناطق الحضرية التي تعد من المناطق الراقية مثل مصر الجديدة أو الزمالك او جاردن سيتى او المهندسين ، وخاصة بالنسبة لتلك

الأحياء التى يسكنها بعض الوزراء وكبار الدولة ، ونادراً ما تغمض أعينها عن احد المنازل الآيلة للسقوط فيها ، او تترك شارعا وقد امتلأ بالحفر والمطبات والأخاديد ، وذلك نتيجة لأن امثال هذه المناطق تحشد بفئة السكان الذين هم بالدرجة الأولى الحكام أو الساسة أو القائمون على شئون الدولة ، وذووا الوظائف العليا بها ، او ممن لهم القدرة على توصيل اصوات احتجاجهم ومطالبهم الى أجهزة الدولة فى حالة حدوث ما يستوجب تدخلها . اما فى المناطق الحضرية المتخلفة ، فانه قد تمر عدة شهور مع شكاوى السكان المستمرة حتى تنهض أجهزة الدولة فى تثاقل لترميم احد الشوارع او اصلاح بعض المرافق ، وحتى فى حالة استجابة هذه الأجهزة لتلك الأعمال ، فانها عادة ما تكون بصورة شكلية أو سطحيــة ، وليست اصلاحات جذرية أو أساسية ، بحيث لا يكاد يمر عدة أشــهر أو عدة أسابيع حتى تعاود الظاهرة الحدوث مرة أخرى ، وتعود الفئات السكانية للمعاناة من التفرقة فى معاملة اجهزة الدولة من جديد بالاضافة الى معاناتها الأصلية مثلها فى ذلك مثل العديد من فئات المجتمع الأخرى من عدم التوازن الواضح فى كافة الحقوق والمقدرات والافتقار الواضح الى العدالة الاجتماعية .

واذا كانت الجوانب الايكلوجية الخاصة بالمسكن تمثل محورا من محاور أزمة الشباب ، حيث تتصل بقضية عدم العدالة الاجتماعية ، فانها ايضا تنعكس على العلاقات الاسرية داخل الأسرة ، بل وتؤدى الى تفكك العلاقات الاجتماعية ، حيث تشير نتائج احدى الدراسات التى أجريت على احدى المناطق الحضرية المتخلفة ، الى ان اضطرار أفــراد أسرة كاملة او اسرة ممتدة احيانا الى المبيت فى غرفة واحدة ، يؤثر تأثيرا واضحا على عملية التنشئة الاجتماعية ، وايضا على تفاعل العلاقــات داخل الأسرة . فالطفل يستمع منذ نعومة أظافره الى الخلافات الدائرة بين الأم والأب ، وبين الأخوة والأخوات ، كما يستمع الى تلك الخــلافات الدائرة خارج أسرته فى الشقة أو الغرفة المجاورة ، التى لا يفصل بينها وبين مسكنه سوى جدار واحد ، هــذا علاوة على مشــاهدته لبعض السلوكيات التى كان يجب الا يراها لو كان بالمكان متسع بحيث يخصص مكان لمبيت الأطفال على الأقل . وتشير نفس الدراسة الى انه نظراً لقدم المبانى والمساكن وسقوط بعضها ، فان المرافق العامة قد وصــلت الى حالة واضحة من السوء ، ولا تمر ايام حتى تخرج مواسير الصرف الصحى ما بها الى نهر الطريق ، او تسد بالوعة احد المنازل ، لتطفح المياه وتشغل الطريق، او تثقب واحدة من مواسير المياه، لتفسد جدار الجار . . وهكذا . . ولا شك أن كل ذلك يسبب مشكلات كثيرة وواضحة ، وينتج عنــه كثرة

الشجار حول تلك الموضوعات ، وشعور السكان بعدم الانتماء والأنانية ، ويضعف الإحساس بالجماعة ، حيث يصابون بحالة من اللامبالاة · (٩)

ويؤدى عدم توافر المساكن الصحية ، ولا سيما تلك التى لا تتوافر بها المياه الجارية ودورات المياه الى انخفاض المستوى الصحى ·· حيث يشير على لطفى الى ان الأمراض ذات الصلة بالمغائط تشترك فى خاصية واحدة ، وهى انها من أصل مشترك وهو تلوث الطعام او التربة او المياه بنفاية الانسان · فاذا كانت المياه غير صالحة للشرب أو غير متوافرة بصورة كافية للصحة العامة الشخصية والصرف الصحى ، فان الأمراض المعوية تنتشر بسهولة اكبر ، وعلى هذا تنتشر الدوسنتاريا والأمراض المعدية التى لا تصيب فقط البالغين بكثير من الأمراض ، وانما غالبا ما تكون سببا فى وفاة الأطفال الرضع والأطفال الصغار الذين يعانون من سوء التغذية · (١٠)

وتعد ازمة الاسكان محورا من محاورا أزمة الشباب ، حيث ترجع تلك الأزمة بالدرجة الأولى الى استغلال وجشع بعض الأفراد ، ومتاجرتهم بهذه الأزمة لتحقيق ارباح خيالية على حساب عرق الكادحين من افراد المجتمع ، ودليلنا على ذلك هذا السيل المنهمر من الاعلانات فى الصحف اليومية عن آلاف الشقق التى تم بناؤها ، والتى لم يتم استغلالها لعدة سنوات لحل ازمة الاسكان ، انتظارا للاتجار فيها وبيعها لمن يستطيع دفع اثمانها التى تفوق قدرات القاعدة العريضة من ابناء المجتمع ·

كذلك فان هذه الأزمة الاسكانية ترجع ايضا الى تراخى الحكومة فى السنوات الماضية عن التوسع فى عمليات البناء بالقدر الكافى الذى يتلاءم مع زيادة الطلب على المساكن ، سواء بالنسبة لاحلال مساكن جديدة محل المساكن التى تهدمت أو الآيلة للسقوط ، او بالنسبة للأسر الجديدة التى تسعى الى ايجاد مساكن لها ·

وتنعكس هذه الأزمة على الاناث من الشباب بنفس القدر الذى تنعكس به على الذكور ، حيث تقول الحالة رقم (٥) « أهم حاجة فى الشخص اللى حيتقدم لى ان يكون عنده شقة كويسة ، وبعد كده اقدر افكر فى باقى الشروط اللى انا حطاها فى ذهنى » · وتقول الحالة رقم (٣) « أول حاجة بابا فكر يعملها ليه انا واخواتى انه باع الأرض اللى كانت عندنا وكمل على ثمنها وبنى لكل واحد مننا احنا التلاتة شقة ، لأن الواحدة مش ضامنة انها تلاقى عريس كويس وفى نفس الوقت عنده شقه » ــ ويقول احد الذكور وهو الحالة رقم (٦) « الحل الوحيد انى الاقى عند العروسة شقة ·· أو انى حتى أسكن معاها عند أهلها ·· ·· او عند أهلى ·· لأن الشقة

اللى فى مستوى شقة اهلى ثمنها دلوقتى مش اقل من ٣٠ أو ٤٠ الف جنيه ·· والحل الأخير انى انسى حكاية الجواز دى علشان اريح بالى » - ويقول الحالة رقم (٨) « انا وخطيبتى متفاهمين جدا ·· مش مهم الجهاز ولا المهر ولا الشبكة ولا الحاجات دى ·· انا جمعت اللى اهلى واهلها مخصصينه للجواز وبندور على شقة ·· انما المشكلة ان المبلغ اللى معانا مايكفيش شقة تمليك حتى ولا فى عزبة النخل .. وفى نفس الوقت ما اقدرش اأجر شقة فى مكان شعبى بعد ما عشت انا وخطيبتى فى المعادى طول عمرنا ·· وعلشان اسكن بالايجار فى مكان معقول ·· يبقى لازم ادفع كل المبالغ اللى معانا مقدم ·· وتتبقى بعد كده مشكلة دفع الايجار اللى حيوصل مش اقل من ١٥٠ جنيه فى الشهر .. وحتى لو اشتغلت انا وهى شغلانة كويسة .. حيكون مرتبنا قد أيه يعنى علشان أقدر ادفع المبلغ ده كل شهر » .

وتعكس تلك الآراء ابعاد ازمة الشباب بالنسبة للنظرة المستقبلية للزواج وتكوين الأسرة ، حيث يجد البعض منهم حلا لها عن طريق الأهل ، على حين يبقى الجزء الأكبر منهم تائها فى خضم الغموض الذى يحيط بتلك الأزمة · وعندما تفرض مشكلة ازمة الاسكان نفسها على الشباب ، فانها تفرض بالتالى ابعادا جديدة لكيفية حلها ، حيث نجد أن كلا من الجنسين يضع نصب عينه هذا البعد المادى الجديد فى علاقته المستقبلية بالجنس الآخر ، اذ لم تعد المحكات السابقة لتقليديه فى الاختيار للزواج هى المحكات الأكثر ايجابية بالنسبة لكل منهم ، حيث اصبح العامل المادى محكا أساسيا فى هذا الاختيار ، والذى يتمثل فى امكانية اى من الطرفين توفير السكن المناسب ، مما يعنى ان طغيان القيم المادية قد امتد ليشمل حتى اكثر العلاقات الشخصية والانسانية حساسية وتمييزا وبعدا من المادية ، وهى العلاقات الزواجية ·

ومن المعروف ان المشكلة السكانية فى مصر ترتبط الى حد كبير بالمسار الاقتصادى للدولة ، فقد اشار رئيس الوزراء فى بيان الحكومة امام مجلس الشعب فى ١/١٢/٨٥ ، الى ان العجز الاجمالى خلال العشرين سنة الماضية يقدر بحوالى مليون وحدة سكنية ، على حين يقدر الطلب الذى يستجد سنويا بنحو ٢٠٠ الف وحدة سكنية سنويا ، وعلى ذلك فان تغطية المشكلة السكانية فى الخطة الخمسية القادمة والتى تقدر بـ ٢ مليون و ٤٠٠ الف وحدة يقتضى انشاء ٤٠٠ الف وحدة سكنية سنويا — ويصعب على الفهم كيف تتقدم الحكومة على أن تقطع على نفسها عهدا امام مجلس الشعب بتوجيه الاهتمام نحو انشاء ٤٠٠ الف وحدة سكنية ، وحل ازمة الاسكان التى تمتد جذورها الى نحو عشرين سنة

مضت في فترة زمنية لا تتجاوز الخمس سنوات ، رغم ما نعرفه جميعاً عن الأزمات الاقتصادية التى تواجهها مصر ، وعن قضية الديون الأجنبية الواجب سدادها ، الا اذا كان هذا العهد الذى قطعته الحكومة على نفسها ، على شاكلة الوعود التى مجتها الآذان ، وضاقت بها النفوس طوال السنوات السابقة ٠

واذا انتقلنا الى محور آخر من محاور أزمة الشباب ، التى تتصل بتبنى الدولة لصالح افراد المجتمع ، والذى يتصل اتصالا مباشرا بالسياسة الاقتصادية للدولة ، وهو انخفاض مستوى الخدمات الصحية ، لوجدنا أن المؤشرات الاحصائية تشير الى حدة انخفاض هذا المستوى ٠ فمن المعروف ان المستوى الصحى لدولة ما يقاس بعدد السكان لكل طبيب ، وكذلك يقاس بنسبة عدد السكان الى اعداد الأسرة بالمستشفيات ٠

ففى مصر يبلغ عدد السكان لكل طبيب ١٥١٦ مواطنا ، على حين ينخفض هذا العدد فى روسيا مثلا الى ٣٦٣ مواطنا ، وكذلك الحال أيضا بالنسبة لعدد الأسرة بالمستشفيات ، حيث نجد أن نسبة عدد السكان بالنسبة لعدد الأسرة فى مصر هو ٤٦١ مواطنا لكل سرير ، على حين ينخفض فى السويد الى ٦٦ مواطنا ٠ (١١)

ويؤثر انخفاض المستوى الصحى تاثيرا سلبيا على الناحية الاقتصادية ، ولعل اخطر هذه الآثار السيئة انخفاض الانتاجية ، فمن جهة يؤدى انتشار الأوبئة المتوطنة الى ضياع طاقة انتاجية كبيرة على المجتمع ، ومن جهة اخرى فان انخفاض المستوى الصحى يضعف من الطاقة الانتاجية للأفراد وينهك قواهم نظرا لعدم قدرتهم على العمل المستمر وكثرة تغيبهم . وتشير التقديرات الى أن مرض البلهارسيا فى مصر يؤدى الى خفض معدل الانتاجية بمعدل ٣٣٪٠ (١٢)

ويرجع قصور الخدمات الصحية بالدرجة الأولى الى اتجاهات سياسة الدولة نحو التصنيع والتنمية وما صاحبه من انتكاسات ، بالاضافة الى اعباء التسليح ، ادت الى قصور واضح فى مجال الخدمات الأخرى ومنها الخدمات الصحية ٠ فعلى الرغم من وجود العديد من المستشفيات الحكومية التى من المفروض أن تمتد خدماتها بالمجان الى سائر أفراد المجتمع ، الا أن قصور هذه الخدمات جعلها قاصرة على قطاع محدود من هؤلاء الأفراد ٠ وفى ذلك يقول الحالة رقم (٦) « بابا كان اصيب فى حادثة ونقلته عربية الاسعاف على مستشفى الدمرداش ــ وماعرفناش بالحادثة إلا تانى يوم ٠٠ ولما رحنا هناك ٠٠ قررنا انه لازم يخرج ونوديه مستشفى خاص ٠٠ صحيح فيه هناك دكاترة ممتازين ٠٠ انما الجو العام والخدمة

والتمريض مستواهم سيء جدا ٠٠ ولأن دى كانت اول مرة نتعامل فيها مع مستشفيات ٠٠ اخدناه لمستشفى مشهورة فى روكسى ٠٠ انما للأسف طلعت من بتوع سياسة الانفتاح الاقتصادى ٠٠ اليوم كان حيتكلف حوالى ١٠٠ جنيه بين فحوصات واقامة ٠٠ وبابا مرتبه فى الشهر حوالى ١٥٠ جنيه ٠٠ فاخدناه ورحنا لمستشفى على قدنا ٠٠ بعد ماما مباعت كل الذهب اللى عندها .. وبعد ما اديتهم كل اللى كنت محوشه .. ولو اننا لسه لحد دلوقتى بنسدد بقية ديون العلاج ده ..ودلوقت كل املى اللى باتمناه فى الدنيا أن مانمرش بالتجربة دى تانى .. مش علشان قسوة المرض فى حد ذاته ٠٠ انما علشان قسوة المرض والمعاناة اللى الواحد بيقابلها فى توفير مصاريف العلاج » ـ ويقول الحالة رقم (٩) « أخويا كان عنده مرض عصبى .. ودخلنا بيه فى المستشفيات الحكومية ٠٠ وبعدين قررنا نضحى ونعرضه على استاذ مشهور ٠٠ وفوجئنا بأن الكشف العادى ٤٠ جنيه ٠٠ والكشف المستعجل ٨٠ جنيه ٠٠ سلمنا امرنا لله ودفعنا الـ ٤٠ جنيه .. عارفه خرجنا من العيادة الساعة كام ؟ ٠٠ كان آذان الفجر بيقول الله اكبر ٠٠ وعارفه الدكتور قعد معانا قد ايه خمس دقائق .. صحيح الدكاترة المشهورين لازم يرفعوا أجورهم علشان يحدوا من عدد المرضى اللى بيترددوا عليهم .. انما يوصل أنه يبيع الخمس دقايق للمستعجل بـ ٨٠ جنيه .. هوه الواحد مستعجل على دخول مباراة خايف حتة تضيع منها ٠٠ والا خايف على قطر يفوته ٠٠ ده المريض يبقى مستعجل لأنه تعبان وعيان وعايز حد يلحقه ٠٠ اللى بيحصل ده فى عرف ربنا مش حرام وبس .. انما ده سرقة عينى عينك ».

وقد لخص الحالة الأولى الأوضاع المتردية للخدمات الصحية الحكومية فى مصر ، اذ على الرغم من ارتفاع مستوى الأجهزة الطبية والتكنولوجية ، وارتفاع مستوى الكفاءة والخبرة لدى غالبية الاخصائيين فى الكثير من المستشفيات وخاصة الجامعية ، الا ان وقت هؤلاء الاخصائيين فى العادة لا يتسع الا للحالات الحرجة والتى تكون قد مرت على عدد من النواب والأطباء الممارسين ، بحيث لا يصل المريض فى النهاية الى ايدى الأخصائى ، الا بعد ان تكون قد ساءت حالته بدرجة ملحوظة ، هذا بالاضافة الى أن معظم هؤلاء الاخصائيين ذوى المستوى الطبى المرتفع ، يكونون موزعين فى العادة بين محاضراتهم فى الجامعة ، وبين العمليات او الفحوصات التى يقومون بها فى مستشفياتهم او مستشفيات غيرهم الخاصة ، ثم بين المرضى فى المستشفيات الحكومية ، واخيرا فى عياداتهم التى قد تكون اكثر من واحدة فى المدينة الواحدة ، فمن المعروف والشائع ، ان معظم مشاهير الأطباء أصبح لهم اكثر من عيادة واحدة فى اكثر من مكان واحد وخاصة فى السنوات الأخيرة ،

وبالتالى فان تشتت هذا الجهد وتوزيع هذه المهام وتنوعها يؤدى بالضرورة الى تهميش دورهم فى كل جهة من الجهات التى يقومون بالعمل فيها ، فالانسان طاقة ، ومهما تفنن الانسان فى توزيع هذه الطاقة ، فان هذا التوزيع ينعكس بالضرورة على مستوى الأداء ٠

أما فيما يختص بمغالاة مشاهير الأطباء فى اجورهم ، والتى امتدت الى المغمورين منهم من اصحاب العيادات ، فانها وان كانوا يرجعونها ــ كما عرفنا من خلال مناقشات نقابة الاطباء الحامية على صفحات الجرائد والمجلات ومن خلال برامج التليفزيون منذ شهور ــ الى ارتفاع اسعار الأجهزة التكنولوجية الطبية ــ الا انها ترجع فى المقام الأول الى آليات السوق العالمى ، الذى يمدهم بتلك التكنولوجيا المتطورة ، وبالسعر الذى يفرضه السوق على تجار هذه الأجهزة ، ثم لا ننسى نصيب هؤلاء الوسطاء من عملاء الانفتاح الاقتصادى من المكاسب فى تلك الصفقات ، الى جانب أن الطبيب فى ذلك مثله مثل سائر فئات المجتمع الأخرى ، يقع تحت سطوة سرقات متعددة من جهات متعددة . فهو يتعرض للسرقة من ميكانيكى السيارة الذى يغالى فى اسعار الخدمة التى يقدمها اليه ، ولسرقة تاجر الخضار والفاكهة الذى لا يقنع بهامش ربح معقول ، ولسرقة السباك الذى لا يقوم باتقان عمله بالاضافة الى مغالاته فى تقدير مقابل العمل الذى يؤديه ، بحيث يعود مرة ثانية وثالثة لمواصلة تلك العمليات من السرقة ، وتتعدد اشكال الابتزاز والسرقة فى كل خطوة خلال حياته اليومية ، ومن ثم فهو يلجأ الى سرقة المريض ليعوض ما سرق منه بصورة فيها مبالغة صارخة للأتعاب التى يتقاضاها ٠ ومن ثم فان هذا المريض اذا كان صاحب عمل او مهنة فى مجال الخدمات ، يعود مرة اخرى لمحاولة تعويض السرقة التى تعرض لها من قبل الطبيب عن طريق التمادى فى سرقة الآخرين ٠ وهكذا تدور الأحداث فى حلقة مفرغة ، كل منهم سارق وكل منهم مسروق . وينعكس كل ذلك على الضحايا من افراد المجتمع الذين يسرقهم الجميع ولكنهم لا يجدون من يسرقوه ، أو الذين تمنعهم ضمائرهم وقيمهم الاخلاقية أو الدينية من سلوك هذا المسلك ٠

أما بالنسبة للمغالاة فى اسعار المستشفيات فى القطاع الخاص ، والتى شهدت توسعا ملحوظا فى السنوات الأخيرة ، فانها تعد فى المقام الأول مشروعات تجارية بحتة تهدف تحقيق اكبر قدر من الأرباح حتى ولو على حساب القضايا والجوانب الانسانية ، حيث تحولت اهدافها من أهداف علاجية الى اهداف مادية تجارية ، اذ تقوم على نظام الفندقة بالدرجة الأولى ، والتى تتجاوز تكاليفها نطاق مقدرة الاغلبية الساحقة من افراد المجتمع ، ومن ثم فهى تعتمد اساسا على المرضى من اثرياء

الدول العربية ، وعلى اثرياء المصريين من طبقة الانفتاح الاقتصادى ، وكذلك تعتمد على نهب وامتصاص مدخرات وعرق بعض الفئات الأخرى الكادحة التى لا تجد لها طريقا للحصول على الخدمة الصحية الا عن طريق مثل هذه المستشفيات · وهكذا تنعكس تلك التناقضات التى يعيشها المجتمع المصرى على الشباب بكل ابعادها حيث ادت تلك التناقضات الى أن يكون الشباب جيلا مغترباً فى مجتمع مغترب ·

الشباب وازمة التعليم :

تبدا ازمة التعليم منذ المراحل الأولى فى عمر الطفولة ، وهى أزمة ترجع الى نظام ومناهج التعليم الأساسية التى لا مجال هنا للخوض فيها ، الا بالقدر الذى يسمح لنا بالتعرف على العلاقة بين الشباب والتعليم كمحور من محاور الأزمة · حيث تبدا حدة هذه الأزمة فى مرحلة شهادة الثانوية العامة ، عندما يجد الشباب نفسه ضحية لصراعات داخلية من جانب الأسرة ، وصراعات اخرى خارج نطاق الأسرة ، حيث يتمثل الصراع الداخلى فى اغلب الأسر فى معاملة الأبوين والكبار من اعضاء الأسرة لطالب الثانوية العامة وكأنه جواد سباق فى حلبة سباق مصيرية ، يتودونه بالوعود تارة ، وبالتوعد تارة أخرى ، ويظلون يلحون ويضيقون الخناق عليه ويستحثونه بشتى الأساليب التربوية واللاتربوية فى سبيل الحصول على المجموع الكبير الذى يؤهله لدخول واحدة من الكليات « الجيدة » من وجهة نظرهم ، وهم بهذا الضغط والقلق وتلك المطاردة والترقب ، انما يفسدون من حيث ارادوا أن يصلحوا حيث ينعكس هذا القلق والترقب على نفسية الشاب فى صورة خوف ساحق من احتمالات عدم الحصول على المجموع الكبير ، مما يؤدى عادة الى الصراع والتمزق النفسى الذى ينعكس فى احيان كثيرة على مستوى التحصيل ، وكذلك على مستوى الأداء فى الامتحان . ثم تنتهى فترة الامتحانات ، وتبدأ فترة ترقب الأمل للنتيجة ، وكأنما هم فى انتظار الحكم بالاعدام او البراءة ، ثم يليها فترة اختيار الكلية التى سوف يلتحق بها الشاب ، وهى أصعب الفترات وطأة على كثير من الشباب ، خاصة اذا ما أتاح كبر المجموع فرصة لهذا الاختيار ، حيث يلح ويصر افراد الأسرة من الكبار على التدخل فى ذلك الاختيار وتحديد ما هو أنسب له من وجهة نظرهم ، وهم بهذا الالحاح والاصرار على الحاقه بتلك الكلية المعينة ، لا يتوخون مصلحة الشباب الذاتية ــ اذ قد تكون امكانياته العقلية والذهنية ، وميوله ورغباته فى تعارض دائم مع الاستعداد لتلقى هذا النوع من الدراسة ــ وانما هم يعكسون فيه بطريقة شعورية أو لا شعورية ، وبوعى أو بدون وعى صورة من صور آمالهم وطموحاتهم التى ربما عجزوا عن

تحقيقها فى فترات حياتهم المبكرة ، أو لأنهم يريدون من هذا الشاب أن يكون نسخة مطابقة أو مكررة لشخص آخر من افراد الأسرة ، الذى قد يكون الأب ، أو أحد الاخوة أو الأقارب ، او أن يكون أحد الجيران أو الأصدقاء أو المعارف ، وهم بذلك ينكرون عليه حقه فى تقرير مصيره ، واختيار مسار مستقبله ٠

ويدخل بعض الشباب احيانا مع كبار الأسرة فى معركة ما يسمى « بصراع الأجيال » ، حيث يتمكن بعضهم أحيانا من فرض ارادتهم ٠ والاصرار على استخدام حقهم فى حرية الاختيار ، على حين يفشل البعض الآخر فى تحقيق ذلك ، حين يحاولون احيانا الانصياع والتكيف لارضاء ذويهم ، ويتخلون عن آمالهم وأحلامهم ، او يستسلمون مع عدم التكيف للاتجاهات المفروضة عليهم ، وهم بذلك انما يستسلمون للاغتراب او الأنومية ٠

وتنتهى الى حد ما أزمة الشباب على المستوى الداخلى للاسرة ، لتصاحبها ازمة اخرى على نطاق أوسع واعم ، متمثلة فى نظام القبول بالجامعات المصرية ، حيث تقتصر الكليات التى يتزايد الاقبال عليها على الطلاب الحاصلين على الدرجات المرتفعة ، وهم بذلك يفترضون ان كل من حصل على مجموع مرتفع من شعبة الرياضيات هو اصلح العناصر لدراسة مناهج كلية الهندسة ، وأن كل من حصل على مجموع مرتفع من شعبة العلوم هو أصلح العناصر للدراسة فى كليات الطب والصيدلة ، وهم بذلك يتعاملون ويتغاضون عن الثغرة الهائلة فى نظام التعليم ، التى وضعتها السياسة التعليمية فى الدولة ، ودعمتها منذ مرحلة الدراسة الابتدائية ، وهى أن التلميذ أو الطالب مجرد متلق ومستوعب لكل ما يلقى عليه ، حيث لا يتيح لهم نظام التعليم المتبع تنمية الحس النقدى ، والتطور الفكرى ٠ وتوسيع المعارف أو المدارك ، وانما يتحدد تميز الطالب أو عدم تميزه وفقا لمستوى مقدرته على استيعاب ما يلقن له ، وعلى قابليته واستعداده « للصم » أو الحفظ ٠ وهى ملكة تتوافر فى احيان كثيرة لدى اقل الفئات ذكاء واكثرهم بلادة ذهنية ٠

وتتسم المناهج الدراسية ، بأنها لا تلتقى مع اهتمامات الشباب ، حيث لا تقوم بالرد على استفساراتهم وتساؤلاتهم ، وتفسير الظواهر التى تحيط بمجتمعهم ، وبالتالى فهى لا تساعدهم على فهم واقعهم فهما موضوعيا واقعيا ، مما يؤدى بهم الى كبت قدراتهم الابداعية ، وحجب ملكاتهم العقلية عن الاسهام فى تطوير العمليات البنائية فى المجتمع ٠ وبالتالى فان نظام القبول الحالى بالجامعات ، رغم مساوئه وما يوجه

اليه من نقد ، انما يرجع الى نظام التعليم العـام المتخلف فى المراحل السابقة ، والذى لا يتيح بديلا آخر امام مؤسسـات الدولة التعليمية .

ويمثل التوسع فى التعليم الجامعى فى السنوات الأخيرة ازمة اخرى من أزمات الشباب ، حيث لم يصاحب هذه الطفرة من التوسع اى سياسة مخططة لتوفير الوسائل التعليمية التكنولوجيـة الحـديثة ، بما يتفق واحتياجات الطلاب للتفاعل مع ما يقـدم اليهم من خبرات ومعلومات ، والاستفادة بما تقدمه التكنولوجيا فى مجال الوسائل السمعية والبصرية لتيسير العملية التعليمية ، وفى ذلك تقول الحالة رقم (٢) « احنا اكبر مشكلة عندنا فى كلية الطب موضوع مشرحة الكلية ·· اولا بتكون زحمـة جداً فمبنعرفش الدكتور بيقول ايه أو بيعمل ايه ·· وكل واحد بيسابق الثانى علشان يبقى جنب الجثة او النموذج البلاستيك ، بالاضافة لأن عدد الجثث والنماذج بيكون اقل جداً من العدد المفروض توفيره .. وبيقولوا ان فيه أزمة فى الجثث » · ويقول الحالة رقم (٩) « اجهزة ووسـائل تعليمية ايه ؟ قصدك يعنى كمبيوتر وفيديو وبروجيكتور ·· الكلام ده فى امريكا واوروبا مش هنا ·· الحاجات دى بنقرا عنها فى الكتب بس » ·

ومن ثم فان قصور الأجهزة التعليمية فى مجال الدراسة الجامعية ينعكس بشكل حاد على الشباب من الدارسين ، حيث يؤدى هذا القصور الى قصور آخر فى مدى المعلومات والخبرات التى يتلقاها الشـباب فى تلك المرحلة،وبالتالى فانه ينعكس بالضرورة على مستوى ادائهم لادوارهم المستقبلية المهنية ، اذ كيف يتاح للطبيب على سبيل المثال ان يقوم بانجاز دوره كطبيب على الوجه الاكمل ، وهو لم يتمكن من استكمال معلوماته ومعارفه خلال دراسته الجامعية، وكيف يتوفر لدى مدرسى اللغة الفرنسية او الانجليزية بالمدارس ، القدرة على النطق السليم للغة ، واتقان العملية التعليمية ، اذ لم يكونوا قد تدربوا على ذلك لعشرات الساعات من خلال معامل اللغات ·

كذلك تتسم البرامج التعليمية فى الجامعات بعجـزها عن متابعـة التطور العلمى والتكنولوجى ، وتبصير الطلاب بذلك التطور ، اذ لازالت اغلب المناهج الدراسية تركز على المعلومات والخبرات التى تنفصل عن الواقع العلمى والتطبيقى ، فى عالم يتسم بسرعة الايقـاع فى التـطور والتغير · ويقول الحالة رقم (٧) فى ذلك « للأسف كل اللى بندرسـه فى كلية الهندسـة عبارة عن نظريات فى نظريات ، حتى المعمل اللى المفروض انه الجانب العملى فى الدراسة ما بنستفيدش منه بدرجة كافية ، معظم

الأجهزة اللى فيه متخلفة عشرات السنين عن الأجهزة اللى بنسمع عنها ..
والمشكلة ان معظم اللى بندرسه مش حنقدر نستفيد منه لو اشتغلت فى مصنع أو وقفت قدام آلة أو جهاز .. وفى الحالة دى حيكون العامل الفنى اكثر خبرة منى أنا خريج الهندسة .. وعلشان أوصل للخبرة اللى عنده عايز على الأقل ٣ أو ٤ سنين » . ويشير ذلك الى أن الشباب وهم فى مرحلة التعليم الجامعى يربط عن ادراك ووعى بين المعلومات والمناهج النظرية التى تلقن لهم ، وبين عدم امكانية الاستفادة من التطبيقات النظرية لهذه النظريات والمناهج فى الواقع العملى بعد التخرج، بحيث يؤدى بهم هذا الادراك وهذا الوعى الى الشعور بانخفاض مستوى كفاءتهم فى الحياة العملية ، والشعور بضآلة امكانياتهم ، مما ينعكس بالضرورة على مدى توافقهم مع العمل الذى سيسند اليهم فى المستقبل .

وتمتد ازمة التعليم لتشمل أنظمة وأساليب الامتحانات ، والتى لا تتعدى كونها عملية اوتوماتيكية ينتقل الشباب عن طريقها الى الحياة العملية ، مما يؤدى بهم الى النظر الى المعرفة من الناحية النفعية الخالصة باعتبارها الوسيلة المتاحة للاستقلال المادى والحصول على الدخل ، لا السبيل الى توسيع المدارك وتنمية الجوانب الفكرية . وعلى الجانب الآخر ، نجد أن الفرص المتاحة أمام الشباب وتنمية الطاقات والجوانب المعرفية والادراكية بالطرق الذاتية ، فرص غير مواتية وضئيلة ، وذلك لانصراف البعض عن هذه الاهتمامات ، وعجز البعض الآخر عن الحصول على الكتب ودوائر المعارف نتيجة لضآلة امكانيات مكتبات الجامعة ، وعدم سلاسة نظام الاستعارة ، الى جانب ارتفاع أسعار هذه الكتب من جهة ، وقصور امكانيات ودخول هؤلاء الشباب من جهة أخرى . ويشير الى ذلك الحالة رقم (١٠) « أنا هوايق انى اروح معرض الكتاب كل سنة أو كل فرصة يكون فيها معرض .. انما عادة باروح للفرجة .. واذا ربنا اكرمنى .. قدرت اطلع بكتاب أو كتابين .. وعادة ما بيكونش نفس الكتب اللى كان نفسى اشتريها .. سعر الكتاب الجيد بقى مرتفع جداً .. وبيتهيألى مش اى واحد يقدر على الأسعار الحالية دى » .

وعلى الرغم من التوسع الكبير فى انشاء الجامعات الاقليمية ، فان عدد طلبة جميع الجامعات الاقليمية لا يتجاوز ٢٠٪ من مجموع طلبة الجامعات المركزية الثلاث (القاهرة — عين شمس — الاسكندرية) ، ومعنى ذلك ان هذه الجامعات لا تقوم سوى بنسبة ٢٠٪ من حجم العملية التعليمية (١٣) . ويعنى هذا بالتالى ، أن اعدادا كبيرة ومتزايدة من الطلاب تتركز فى هذه الجامعات التى لم تلجأ الى التوسع فى انشاء

المبانى والمدرجات بما يتفق وهذه الزيادة ، وينعكس ذلك على تكدس الطلاب فى المدرجات والفصول بأعداد تفوق درجة استيعابها لهم ، بالاضافة الى عدم توافر المواصفات الصحية ، أو الامكانيات المادية لاستيعاب هذه الأعداد . فقصور الامكانيات أدى الى تكدس مئات الطلاب فى مدرجات لا تتمتع بأدنى مستويات الكفاءة ، فالمقاعد التى لا تكاد تتسع لنصف الطلاب محطمة ، والتهوية فى المدرجات سيئة ، والتراب والأقذار تحيط بالطلبة من كل جانب ، وتتحول العلاقات الودية الى علاقات صراع من أجل الجلوس أو الوقوف فى الأماكن القريبة من المحاضر للتمكن من الاستماع اليه .

وتقول الحالة رقم (١) فى ذلك « انا شخصيا با أجر من فراش المدرج كرسى اقعد عليه ، لأنى حتى لو لقيت مكان فاضى فى المدرج وده بيبقى نادر لما بيحصل .. باقرف اقعد واتحشر فى وسط الطلبة وفى وسط التراب والقذارة اللى ماليه المكان » وتقول الحالة رقم (٣) « لما بيكون عندنا محاضرة فى المدرج ·· باعمل حسابى أروح قبلها على الأقل بساعة اذا كان المدرج فاضى واحجز مكان بالشنطة أو الكشكول .. انما دايما فيه طلبة تيجى قبلى .. وباقعد غالبا فى الصفوف اللى ورا .. ونادراً لما اسمع الأستاذ بيقول ايه .. لأن المدرج كبير .. والصوت حتى لو فيه ميكرفون مابيكونش واضح .. واحيانا كثيرة آخدها من قصيرها وما احضرش المحاضرة خاصة لما مابيكونش فيه أخذ للغياب » .

وهكذا نرى مدى معاناة شباب الطلاب من قصور الامكانيات داخل الجامعة ، والتى تنعكس بالضرورة على مستوى اداء العملية التعليمية ، فالطالب الذى لا يتها له الجو الدراسى المناسب ، المثل فى المقعد المريح والنظيف ، والهدوء الشامل وعدم الضوضاء ، والقدرة على الاستماع الى المدرس أثناء المحاضرة ، لا يستطيع بأى حال من الأحوال أن يتمكن من استيعاب وتحصيل ما يلقيه عليه المحاضر ، وخاصة اذا سبق المحاضرة ذلك الصراع الذى يقوم بين الطلاب لايجاد أماكن لجلوسهم، والتى أصبحت فى بعض الأحيان كما اشارت الحالة رقم (١) تخضع لمدى قدرة الطالب المادية على استئجار مقعد لاستخدامه أثناء المحاضرة. كذلك فان تكدس المدرجات وعدم تهيئة الجو الدراسى المناسب يؤدى الى تراجع اعداد الطلاب ، حيث ينصرف البعض منهم عن الانتظام فى حضور المحاضرات ، مما يؤثر على العملية التعليمية وينعكس عليها .

وتتصل أزمة الشباب مع التعليم كذلك ، بانعدام ثقة البعض منهم فى موضوعية وتصحيح الامتحانات وفى ذلك تقول الحالة رقم (٤) « احنا

ما عندناش مشكلة لقسمنا بالذات .. انما أنا أعرف ان فى كلية التجارة مثلا وفى كلية الحقوق .. بيوصل عدد الطلبة الفين و ٣ آلاف طالب فى السنة الواحدة ، والدكتور كمان يكون بيدى مادتين او ثلاثة فى اكثر من سنة دراسية ، أنا مش فاهمه ازاى يقدر يقرأ الورق بتاع الامتحانات حتى ولو قراية جرايد » ــ ويقول الحالة رقم (٩) « أستاذ الجامعة زيه زى القاضى بالضبط .. لازم يكون عادل وموضوعى فى تصحيح الامتحانات.. لأنه بيحدد مصير ومستقبل انسان .. طيب ازاى ده يحصل اذا كان عنده كذا الف ورقة لازم يصححهم .. ده لو قعد يقيس كل ورقة بالشبر ويحط الدرجات على أساس فيه كام شبر مكتوب فى كل ورقة .. يبقى عايز له على الأقل شهرين ثلاثة تفرغ .. أنا سمعت ان فيه أساتذة بتخلى المعيدين تصحح الورق .. هوه المعيد دخل عقل الاستاذ علشان يعرف هوه عايز الاجابة يكون شكلها ايه .. ده حتى امكانيات المعيد اللى لسه متخرج والا حتى بقاله ٣ أو ٤ سنين ما تخلهوش يقدر يقيم الورقة اللى قدامه » .

والشباب على حق فى تلك الثورة وذلك النقد الذى يوجهه الى نظام التعليم وامكانياته ، والتى امتدت الى الشك فى نظام الامتحانات ، اذ أن وعيه الفكرى ونضجه العقلى ، يمكنه من ادراك وفلسفة الأمور ، والتغلغل الى ما تحت السطح من قضايا ومشكلات ، ومن ثم فهو يكشف عدم منطقية خضوع عمليات التصحيح فى بعض الأحيان للعدل والموضوعية ، وخاصة بالنسبة للكليات النظرية ذات الأعداد الكبيرة ، فالأستاذ مطالب بان يعيداوراق امتحانات بعد تصحيحها فى مدة لا تتجاوز الشهرين ، وعليه أن يقوم بالموائمة بين امكانياته البشرية ومسئولياته الأسرية وبين الانتهاء من عملية التصحيح فى تلك المدة مع مراعاة العدل والموضوعية . والقضية بهذه الصورة لا يمكن الرد عليها أو اصدار حكم سريع بصددها ، أو ايجاد حلول فعالة لها ، فهى ترجع فى الأساس الى السياسة التعليمية المتخلفة ، التى توسعت فى استيعاب عشرات الآلاف من الأعداد الطلابية ، دون أن يصاحبها توسع مماثل فى معدلات الخدمات وفى مختلف انواع الامكانيات ، وكذلك توسع مماثل فى توفير أعضاء هيئة التدريس .

وقد انخفضت فى الفترة الأخيرة قيمة التعليم وذلك فى ظل الانفتاح الاقتصادي ، وهجرة العمالة الفنية الى الدول العربية ، حيث لم يعد التعليم يرتبط ارتباطا وثيقا بالمكانة الاجتماعية كما كان عليه الحال فى السنوات الماضية ، مما أدى الى حدوث خلل وتناقض واضح فى قيمة التعليم حاليا ، اذ اصبحت دخول العمال والمهنيين حتى غير المهرة ،

تفوق عدة أضعاف دخول معظم الحاصلين على المؤهلات العليا . وعلى الرغم من ذلك ، فان التعليم لا يزال يحتفظ بمكانته في نفوس الشباب كقيمة في حد ذاته . ولذلك فان التعليم قد يؤتى خير الثمار اذا ارتبط الى حد كبير بالتدريب واكتساب المهارات الحرفية . وقد كتب عن ذلك آرثر جولدبرج Arther Goldberg في أوائل الستينيات ، حيث يرى ضرورة تغيير شكل التعليم بحيث يصبح أكثر ترابطا وتفاعلا مع الاتجاه نحو التصنيع ، بحيث يتلاءم مع حاجات الشباب المهنية في ظل التغير السريع في مجال التكنولوجيا والاقتصاد ، اذ ينتج عن تفاعل نظـــام التعليم العام والتعليم المهنى تكوين جيل من الشباب القادر على ايجاد عمل له ، كما أن نوعية التعليم يجب أن تتطور بحيث تكون أكثر مرونة واكثر اتساقا مع التغيرات الصناعية في المجتمع (١٤) .

ويرجع عدم اقبال الشباب على التعليم الفنى والمهنى في مصر ، الى النظرة المدنية لقيمة العمل اليدوى ، وان كانت هذه النظرة قد بدأت تأخذ اتجاهات مغايرة في ظل الانفتاح الاقتصادى ، وارتفاع دخـــول العمالة اليدوية ، وفي ذلك يقول الحالة رقم (٩) « أنا ماعنديش مانع انى اشتغل اى عمل يدوى بعدما اتخرج .. سباك نجار ميكانيكى أو بتاع قيشانى أو حتى شيال .. المهم انى الأول احط الشهادة في جيبى .. علشان يوم ما اتقدم اخطب واحدة ما يبقاش اسمى عامل جاهل .. انما يبقى اسمى عامل مثقف .. يعنى الشهادة بالنسبة ليه حته «برستيج» .

وتمثل هذه الظاهرة اتجاها صحيا ، حيث لا تنفصل بين قيمة التعليم وبين قيمة العمل اليدوى ، الا أن نظام التعليم المعمول به حاليا لا يتيح للشباب فرصة اكتساب الخبرات والمهارات اليدوية الفنية ، ومن ثم فان الشباب عليه أن يبدأ الطريق الى المهنة اليدوية من أوله بعد الانتهاء من مرحلة التعليم الجامعى ، وهو يعد في حد ذاته وسيلة غير ايجابية ، اذ أن عدم التمرس والتمرين على مثل هذه الأعمال لفترات طويلة ؛ تبدأ في فترة مبكرة من العمر — ويؤدى الى انخفاض مســـتوى الخبرة والدراية ، مما ينعكس بصورة سلبية على مستوى الأداء والاتقان . ومن ثم فان ارتباط بعض مراحل التعليم بالتدريب على اكتساب المهارات الحرفية ، يعد احدى السبل لخلق الجيل الحرفى المثقف الذى يستطيع بامكانياته العلمية والحرفية ان يتفاعل مع الاتجاهات الحديثة للتنميـــة الصناعية .

ومن محاور أزمة الشباب في مجال التعليم ما لا يمس الشبـــاب بمفردهم بقدر ما تمتد اثاره الى افراد الأسرة جميعا ، والى اقتصاديات هذه الأسرة ، كظاهرة ارتفاع أسعار الكتب الجامعية وانتشار الدروس الخصوصية . وهى ظاهرة بالغة التعقيد حيث تتعدد محاورها وأسبابها،

فبالاضافة الى عدم تكامل العملية التعليمية بسبب نقص الاجهزة والوسائل التعليمية ، وعجز المدرجات عن الاحتواء الايجابى للاعداد المتزايدة من الطلاب ، مما يؤثر على مستوياتهم التحصيلية داخل قاعات الدراسة ، فان الجانب الآخر يتعلق بهجرة اعضاء هيئة التدريس بالجامعات ، والذين بدت الحاجة ماسة لهم بعد قيام الدول النفطية المستقبلة للعمالة المصرية بتوسيع نطاق انظمتها التعليمية ، كما ان الحاجة اليهم قد تزايدت داخليا نتيجة للتوسع فى النظام التعليمى الجامعى فى مصر .

وتتمثل خطورة هجرة هذه الفئات ، الى انها نادرة اصلا ، كما يصعب احلالها فى الأجل القصير بسبب طول فترة الاعداد لها ، فضلا عن ان هذه الفئات هى المسئولة عن اعداد الداخلين الجدد لسوق العمل ، ومن ثم فان هجرة هذه الفئات تؤثر على نوعية وكفاءة الملتحقين بهذا السوق .

ومن النتائج التى ترتبت على هجرة أعضاء هيئة التدريس بالجامعات ، تزايد أعداد الطلبة لكل مدرس جامعى ، ففى احدى الدراسات التى أجريت عن هجرة أعضاء هيئة التدريس بالجامعات ، اشير الى انه فى عام ١٩٧٥ كان معدل الطلبة لكل مدرس جامعى ١ — ١٢٣ ، وذلك قبل الهجرة ، ثم ارتفع هذا المعدل الى ١ — ١٨٠ بعد الهجرة فى نفس العام ، وذلك بالنسبة للعلوم الانسانية ، أما بالنسبة للعلوم الطبيعية ، فان معدل الطلبة لكل مدرس جامعى ارتفع من ١ — ٢٣ قبل الهجرة الى ١ — ٢٦ بعد الهجرة فى ذات العام (١٥) .

وتشير بعض الأرقام الأخرى الى أن الهجرة السنوية بالنسبة لأعضاء هيئة التدريس بالجامعات بلغ نحو ٥ر١٤٪ سنويا ، بمعدل يصل الى ١/١٢ من حجم أعضاء هيئة التدريس ، بالاضافة الى ما هو متراكم فى البلاد العربية (١٦) .

هذا بالاضافة الى أن التوسع فى سياسة التعليم لم تصاحبه سياسة مخططة لتوفير عدد ملائم من أعضاء هيئة التدريس يتواءم والأعداد المتزايدة للطلبة ، ومن ثم اصبحت العملية التعليمية غير كاملة، بالنظر الى النقص الواضح فى اعداد هيئة التدريس ، فمثلا كان عدد اعضاء هيئة التدريس عام ٧١/٧٠ نحو ٣١٧٧ عضوا فى الجامعات المركزية الثلاث ، فاذا به قد ارتفع ليصبح ٤٠٨١ فقط فى عام ٧٥/٧٤، أى بزيادة ٩٠٤ عضو فقط ، بنسبة مئوية حوالى ٢٢٪ ، فى حين تضاعفت اعداد الطلبة عدة مرات خلال هذه الفترة (١٧) .

وعلى الرغم من وجاهة الأسباب الدافعة الى هجرة أعضاء هيئة التدريس التى فرضتها عليهم الظروف الاقتصادية المثلة فى عدم تكافؤ الدخول والمرتبات مع ارتفاع أسعار السلع والمنتجات والخدمات ، وأهمية المظاهر المتصلة بالامكانيات المادية لاعضاء هيئة التدريس فى احداث التفاعل بينهم وبين الطلاب ، وما الى ذلك من عوامل اخرى ، الا أن ذلك انعكس بصورة مباشرة على مسار العملية التعليمية من جهة ، وعلى ارتفاع سعر الكتاب الجامعى وانتشار ظاهرة الدروس الخصوصية من جهة اخرى .

فقد ادت انعكاسات السوق العالمى والانفتاح الاقتصادى ، الى ارتفاع هائل فى مستويات الأسعار وأوجه الانفاق ، مما لم يصاحبه ارتفاع مماثل فى مستوى الدخول والأجور ومما ترتب عليه ان أصبح الكتاب الجامعى وسيلة لرفع مستوى الدخل بالنسبة لفئة معينة من اعضاء هيئة التدريس ، كمحاولة للمواءمة بين احتياجاتهم وبين محدودية دخولهم . ويشير الى ذلك ارتفاع سعر الكتاب الجامعى فى أحيان كثيرة بدرجة تفوق التكاليف الفعلية بصورة واضحة ، وفى ذلك تقول الحالة رقم (٢) « حد يصدق ان الكتاب الأجنبى اللى بيتصور ندفع فيه ١٥ و ٢٠ جنيه .. وهو كله على بعضه ما يتكلفش خمسة جنيه ، وياريت الواحد بيحتاج كتاب والا اثنين .. انما على الأقل كل وسنة سبع أو ثمان كتب .. طيب واحدة زيبى من اسرة يادوب ماشيه بالعافية تجيب منين ؟ » .

وهكذا فان الحل دائما يكون على حساب حاجات الأسرة الطبيعية واليومية ، اذ ان اقبال هذه الأسر التى تقدم على الحاق أبنائهم بمثل تلك الكليات ، يكونون على علم مسبق بما يترتب على ذلك من تكاليف وتبعات وهى فى سبيل اتمام الخطوة التى اقدمت عليها تضحى بالكثير من الضروريات فى سبيل توفير الحاجات الأساسية التى تتعلق بمستقبل أبنائهم .

أما اذا تناولنا ظاهرة الدروس الخصوصية ، التى تلتهم اغلب ميزانيات الأسر المطحونة اقتصاديا ، بل ومدخراتها التى تعد بمثابة الاحتياطى العام للطوارىء ، فاننا نجد أنها قد استشرت بصورة هائلة فى السنوات الأخيرة ، وذلك بسبب عدم كفاءة العملية التعليمية من جهة، وبسبب ماتمثله من عائدات مادية تفوق أحيانا معدلاتها بالنسبة لأعضاء هيئة التدريس الذين يهاجرون ويتحملون اعباء الالتزامات والافتراق عن الأسرة والأهل فى سبيل تحسين أوضاعهم الاقتصادية . وتشير الحالة رقم (١) الى ذلك بقولها « أنا بآخد دروس من سنة أولى فى معظم

المواد .. انا اصلى نادراً لما اقدر احضر محاضرة .. يادوب باحضر السكشن احيانا .. المعيدين عندنا والمدرسين المساعدين عادة بيدوا الدروس لمجموعات مكونة من ٥ او ٦ من الطلبة .. انما انا دايما باحب آخد الدرس لوحدى .. وهمه طبعا ماعندهمش مانع مادام بادفع لهم قد اللى بتدفعه كل المجموعة » . وتقول الحالة رقم (٢) « انا عمرى ما اخدت درس خصوصى .. اذا كان الكتب ومش قادر على ثمنهـا ابقى حاقدر على الدروس .. وخصوصا ان اسعارها غالية جدا فى كليه الطب .. زمايلى اللى بياخدوا دروس بيقولوا ان الكورس الواحد فى المادة بيتكلف ٥٠٠ جنيه .. يعنى اكتر من معاش بابا فى ٣ شهور » — ويقول الحالة رقم (٧) « انا اصلى لعبى شويه .. وما بتديش مذاكرة الا قبل الامتحان بثلاث او اربع شهور .. اصل كلية الهندسة دى مش داخله مزاجى .. انا غاوى قراية أدب وتاريخ .. ولما بالاقى نفسى اتزنقت زنقة جامدة قبل الامتحان .. باضطر آخد دروس مع بعض زمايلى .. الدروس دى بتخلينى اعدى كل سنـة لانى باسـتوعب بسرعة .. طبعا ماما وبابا بيدونى موشح كل ما اطلب آخد درس لأن برضه دخلنا محدود .. انما برضه الدروس لها فايدة تانية .. وهيه انى باضمن درجات اعمال السنة .. لأن عادة المعيد اللى بيدينا الدرس بيكون هوه اللى مسئول عن اعمال السنة » .

اما الحالة رقم (٩) فيقول « دروس ايه .. هوه الواحد لاقى ياكل والا يلبس زى الناس لما حياخد دروس .. حتى لو كان معايـا فلوس .. انا ضد الدروس الخصوصية .. لانها عملية مافيهـاش اخلاق ولا ضمير .. انا اعرف ان الدكتور او حتى المعيد عليه واجب والتزام اخلاقى لازم يأديه. لما كل واحد يحاول يهبش من التانى دى تبقى غابة بقى متبقاش دنيا بتاعة بنى آدمين .. الواحد بيتعقد كل ما يسمع عن انهيار الأخلاق والضماير .. ياترى قريتى فى الجـرنان عن خبر استاذ التشريح اللى اتحكم عليه بالسجن والغرامة لأنه حول بيته مشرحة خصوصى بيدى فيها دروس للطلبة فى مقابل ٢٠٠٠ جنيه لكل واحد .. انا والله مش عارف الألوفات دى بتيجى منين » .

وتعكس تلك الآراء التناقض الصارخ الذى يعكسه واقع المجتمع المصرى ، فالحالة رقم (١) تعكس مستوى الثراء الفاحش الناتج عن الإنفتاح الاقتصادى ، والارتفاع الهائل فى القوى الشرائية التى تمكنها من شراء العلم عن طريق الدروس الخصوصية ، ومواجهة تكاليفها التى تعادل التكلفة التى يقوم بمواجهتها ٥ او ٦ من الطلبة . اما الحالة رقم (٧) فهى تعكس امكانية مواجهة تكاليف الدروس الخصوصية على

حساب امكانيات وطاقات واحتياجات الاسرة . اما الحالة رقم (٢) فهى تعكس من هم فى قاع المستوى الاقتصادى ، الذين لا تمكنهم امكنياتهم المادية بأى حال من الأحوال من تلقى الدروس الخصوصية رغم الحاجة الملحة لها ، اذ تعادل تكاليف واحد من هذه الدروس دخل الاسرة لعدة اشهر . اما الحالة رقم (٩) فهى تعكس نمطا من الشباب الذين لا تؤهلهم مستوياتهم المادية الى تلقى الدروس الخصوصية ، بالاضافة الى تمسكهم ببعض المبادىء والقيم التى ترى أن الدروس الخصوصية تعد انحرافا اخلاقيا من جانب من يقومون بها ، كما يعنى أن مثل تلك المبادىء والقيم والأخلاقيات تواجه تعارضا وتحديا كبيراً فى ظل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية الراهنة .

ومن خلال ما سبق — تتضح لنا أبعاد أزمة الشباب بالنسبة للتعليم فى مصر ، باعتباره محوراً من محاور أزمتهم ، والتى ترتبط بالدرجة الأولى بنظام التعليم ، والذى تعرضنا لبعض مظاهره فى الصفحات السابقة ، الى جانب عدم تطور هذا النظام وفقا لاحتياجات العصر ، من حيث ضرورة التوسع فى برامج الكليات والمعاهد لمواجهة الطلب على المهنة التى تتطلب درجة عالية من التعليم والتدريب ، وتحسين مستوى التعليم وامكانيات التدريب لمواجهة الطلب المتزايد على الحرفيين المهرة، بالاضافة الى الارتفاع بمستوى ونوعية التعليم بكافة مراحلـه ، حيث يعد ذلك اساسا للقضاء على الصعوبات التى تواجه الفترة الانتقالية ، والتغيرات الحضارية ، وتغير الأبنية الاجتماعية والاقتصادية . اذ يجب عدم التركيز فقط على الجوانب المتعلقة بالمهارات والقدرات التكنولوجية، بل يجب أن يتزامن ذلك مع العمل على توسيع آفاق الطلاب ومعارفهم ومداركهم ، بحيث يؤدى هذا الى التنظيم الناضج لعمليات التنمية فى مصر .

ولتحقيق رفع كفاءة مستوى التعليم ، يجب الأخذ بنظام الاستشارة Counseling ، الذى تأخذ به الدول المتقدمة مثل الولايات المتحدة على سبيل المثال ، والذى لا يحتاج تطبيقه فى مصر الى اية امكانيات مادية قد يتعذر الوفاء بها ، حيث يتوجه الطالب قبل دخوله الى الجامعة الى المستشار التعليمى الذ يناقشه ويحاوره ويستمع اليه ، بحيث يوجهه الى نوع الدراسة التى تتلاءم مع امكانياته وتتفق مع قدراته . ولا يقف نظام الاستشارة فى الولايات المتحدة عند حد اختيار نوع الدراسة المناسب ، بل يتعدى ذلك الى مساعدة الشباب فى اختيار المهنة المناسبة ايضا ، حيث يتاح للشباب بعد الانتهاء من دراسة الاستعانة بمستشار آخر متخصص ، يقوم بتوجيهه نحو أكثر الأعمال توافقا مع نوع دراسته،

ومهارته وامكانياته وقدراته الشخصية ، بل ويتعدى الأمر الى وجــود احصاءات دورية متطورة يوميا عن طريق الــكمبيوتر عن المصــالح والشركات والمؤسســـات التى تتوافر فيهــا هذه الأعمال فى الولايــات المختلفة ، بما فى ذلك المستقبل المنتظر لهــذه الاعمـــال فى السنوات العشرين القادمة ، وكذلك أجورها ، ومدى امكانية ارتفاع وانخفاض هذه الأجور وفقا لارتفاع أو انخفاض مستوى اهميتها فى المستقبل(*) .

الشباب وازمة المهنة :

ان تنمية امكانيات الشخصية وطاقاتها لا تحقق الفائدة المرجوه منها الا اذا قام المجتمع عن طريق تنظيماته وهيئاته المختلفة بتحقيق افضل استفادة ممكنة من هذه الامكانيات والطاقات فى دفــع عجــلة التنمية للمجتمع ، وبمعنى آخر ، ينبغى على المجتمع أن يقوم بتخطيط ينظم عن طريقه كيفية اسهام كل فرد فى تنمية مجتمعه ، ويوزع على كل شخص الدور المناسب له ولامكانياته فى عملية التنميــة . فهــذه الشخصية المعينة التى تعهدها المجتمع ونمى طاقاتها فى مختلف مراحلها التى مرت بها ، أصبحت تتميز بمميزات وخصائص معينة تختلف عــن غيرها ، ومن ثم فهى أصلح من غيرها للقيام بدور معين فى عمليــة التنمية ، فى حين ان غيرها هذا يكون أصلح منها للقيام بدور مخالف عن نفس عملية التنمية ، وهكذا .. اى ان جوهر قضية التنمية هو أن يأخذ كل شخص الدور الأنسب له ، ولامكانياته الخاصــة فى عمليــة التنمية (١٨) .

وتهتم الدول المتقدمة اهتماما كبيرا بنظم الاستشارة لتحديد المهنة المناسبة للشخص المناسب ، حيث يتوفر فى المدارس والجامعــات مجموعات من المستشارين الفنيين ذوى المستوى التخصصى المرتفع ، الى جانب مراكز للتأهيل المهنى ، ومكاتب لتزويد الافراد بالمعلومات ، بالاضافة الى العديد من دوائر المعارف التى تتناول بالتفصيل كل ما يتصل بأنواع المهن المختلفة ، ومدى مناسبة هذه المهنة أو عدم مناسبتها ، من واقع امكانيات ومهارات وقدرات ومعلومات ومعارف الشخص (١٩) .

واذا كان الأفراد يختلفون فيما بينهم بالنسبة لخصائصهم الجسمية والعقلية والشخصية والابداعية ، فان الوظائف ايضــا تختلف بالنسبة

(*) تيسر لى قضاء فترة تدريبية لمدة اسابيع فى واحدة من هذه المراكز بجامعة وست فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية . حيث لمست الاهتمام المتزايد من قبل الجامعة بنظام الاستشارة المشار اليه . كما لمست مدى الاقبال الهائل لفئات الشباب للاستعانة بذلك النظام عند اختيارهم لنوع الدراسة وكذلك لنوع المهنة المناسبة .

لما تتطلبه من توافر مثل هذه الخصائص ، فالفرد قد يكون صالحا لوظيفة ما دون وظيفة اخرى ، على حين أن هذه الوظيفة قد تكون صالحة لفرد ما دون الآخر . وتأتى أهمية وضع الشخص المناسب فى المكان المناسب من منطلق ما يعكسه العمل على مدى مقدرة الفرد على انجازه لأدواره بالصورة التى تتفق وتوقعات الآخرين ، حيث ينعكس ذلك على توافقه النفسى والاجتماعى ، وبالتالى على مستوى ادائه . أى أن العلاقة بين التوافق النفسى والاجتماعى وبين وضع الشخص المناسب فى المكان المناسب ، انما هى علاقة تبادلية تؤثر كل منهما فى الأخرى وتنعكس عليها .

واذا كان وضع الشخص المناسب فى المكان المناسب من أهم مقومات الشخصية السوية ، فان الواقع المطروح يعكس أوضاعا وتناقضات صارخة بالنسبة لهذه المقولة . فالتزام الدولة بتعيين الخريجين مع عدم التنسيق والتخطيط بالنسبة لاتاحة فرص التعليم فى المجالات التى تقتضيها احتياجات الدولة ، ادت الى تشغيل الخريجين فى العديد من الأعمال التى لا تتناسب مع امكانياتهم وقدراتهم ونوعية تعليمهم ، حيث يعد ذلك محوراً من محاور ازمة الشباب ، والذى يتضح من خلال ما يقوله الحالة رقم (١٠) « انا باترعب كل ما أفكر انى ممكن ما الاقيش عمل فى القطاع الخاص واتوزع عن طريق القوى العاملة .. أنا خايف يعينونى فى فرن ولا جمعية تعاونية زى ما حصل لبعض زمايلى اللى اتخرجوا من قسم تاريخ » . ويقول الحالة رقم (٨) « أنا باكره مهنة التدريس جداً بالرغم من انها مجال كويس للدروس الخصوصية .. وخصوصا ان تخصصى فرنساوى .. كل خوفى ان القوى العاملة تعينى مدرس .. أنا مش ممكن الاقى نفسى فى المهنة دى .. انا عايز مهنة أقدر اطور نفسى فيها وابقى حاجة لها قيمتها .. باتمنى لو انى أكون مترجم فى مجال السياحة أو الآثار .. لأن هوايتى بالاضافة للفرنساوى هيه التاريخ والآثار » .

وتقول الحالة رقم (٤) « انا بيتهيالى ان شغلانة مدرسة دى شغلانة مش بطالة .. اولا لأنى حاقدر أدى دروس خصوصية واستغنى عن مساعدة بابا ليه .. لأنه بالرغم من انه مليونير .. انما مراته الأخيرة مسيطرة عليه جداً .. وبيصرف علينا بقلع الضرس .. بالاضافة لأن المهنة دى حتوفر لى الوقت اللى حتكون أسرتى محتاجاه بعدما اتجوز » . أما الحالة رقم (٢) فتقول « مشكلتى كلها فى ان وزارة الصحة لازم حتكلفنى بالعمل فى قرية فى الصعيد .. هيه حقيقى فرصة العمل كطبيبة فى الريف بتكون فرصة كويسة علشان الخبرة والممارسة . بس يارب أروح فى حته فيها ميه ونور .. ويكونوا الناس كويسين

علشان ما اتعودتش انى اسيب اهلى » . اما الحالة رقم (١) فتقول « انا شخصيا مش شايله هم حكاية الوظيفة والتعيين .. بابا حيشغلنى معاه فى الشركة بتاعته .. واهم حاجة فى الموضوع ده انى حابقى على راحتى .. أروح وقت ما أنا عايزه .. واغيب وقت ما أنا عايزه » .

وبتحليل ما جاء على السنة الحالات ، نجد تناقضا ملحوظا فى شكل ازمة العمل والمهنة بالنسبة لهم . فالحالة الأخيرة تمثل بصورة واضحة مدى انعكاس آثار الانفتاح الاقتصادى المتمثل فى الثراء الفاحش على تهمش وتقلص استعداداتها فى تحمل مسئولية العمل ، واداء الدور المهنى الذى تحقق به ذاتها من خلاله ، حيث حققت ذاتها بالفعل من خلال مفهوم المال والامكانيات المادية . ذلك فى الوقت الذى نجد فيه ان الحالتين رقم (١٠) ورقم (٨) يسيطر عليهما الرعب من احتمالات قيامهما بأعمال لا تتفق مع ميولهما ورغباتهما ، فالحالة رقم (١٠) يرى أن هناك اختلافا جوهريا بين ما قام بدراسته فى قسم التاريخ ، وبين ما يمكن ان يسند اليه من عمل فى احد الافران او الجمعيات التعاونية مثلا ، اذ ان ذلك يعنى أنه سيقوم بأداء دور لم يتم اعداده له من قبل ، وليست لديه الامكانيات أو القدرات على القيام به على الوجه الصحيح . أما الحالة رقم (٨) والذى يكره مهنة التدريس ، فهو نموذج لمئات الشباب الذين اسندت اليهم مهنة التدريس فى المدارس ، دون ما رغبة أو استعداد أو لياقة ، وكانت النتيجة وبالا على التلاميذ من ناحية ، ووبالا عليهم من ناحية أخرى ، اذ لا يستطيعون تحقيق ذواتهم من خلال هذه المهنة ، كما لا يستطيعون تحقيق طموحاتهم وآمالهم واحلامهم من خلال ذلك العمل الذى يتعارض مع ميولهم وامكانياتهم ، وبالتالى فان ذلك ينعكس بالضرورة على توافقهم وتفاعلهم مع العمل الذى يقومون به ، كما ينعكس على مستوى ادائهم لهذا العمل . اما الحالة رقم (٤) فهى حالة شبه عامة يتميز بها فئة كبيرة من الاناث ، اذ يفضلون نوع العمل الذى لا يلتقى تعارضا مع أدوارهن كزوجات وامهات ، ويرحبن بذلك العمل الذى لا يستنفد طاقاتهن ووقتهن من أجل توفير هذه الطاقة وهذا الوقت لرعاية الزوج والأبناء . اما الحالة رقم (٢) فهى تمثل فئة الفتيات الطموحات اللائى يرين ان المعاناة بمختلف أنواعها انما هى ضريبة الوصول الى المستقبل المضمون ، والى المستوى المادى المرتفع ، وان كن لا يزلن خاضعات لتأثير القيم والعادات المتأصلة فى المجتمع المصرى ، والتى تؤكد على عدم استقلالهن وانفصالهن عن الأسرة الا بعد الزواج .

وهكذا نرى أن آراء الشباب واتجاهاتهم تعكس العديد من أوجه مخاوفهم المستقبلية التى ترتبط بالعمل والمهنة ، حيث لا تكفل سياسة الدولة الحالية امكانيةوضع الشخص المناسب فى المكان المناسب . أو الاستفادة من المهارات والطاقات والقدرات الخاصة بالشباب عن طريق الاسناد اليهم بما يناسبهم من أعمال .

كذلك فان اساليب التربية تتدخل الى حد كبير فى تهيئه جو الاغتراب للشباب ، حيث يتم التغاضى عن أهمية نوع العمل فى ابراز الملكات العقلية للشباب ، والعمل من اجل تحقيق طموحاتهم وصقل مواهبهم والاستفادة منها ، اذ يتجه بعض الآباء احيانا الى محاولة صب الأبناء فى قوالب معينة تتخذ اشكالا مقبولة أو مستهدفة منهم دون محاولة اشراك الأبناء فى عملية تكوين ذواتهم المستقلة ، حيث نجد أن بعض الأسر تتدخل تدخلا مباشراً فى تحديد نوع المهنة التى يدفعون بأبنائهم اليها . والتى قد لا تتفق مع ميولهم ورغباتهم واهتماماتهم ، حيث يتضح ذلك من قول الحالة رقم (٧) « انا من الأول كان نفسى ادخل كلية الآداب قسم اجتماع أو قسم تاريخ .. لأنى غاوى جداً الموضوعات الفكرية والانسانية .. انما والدى دفعنى لكلية الهندسة .. ودلوقتى بافكر انى لما اتخرج اشتغل فى مجالات السياحة لانه مجال مفتوح ومتنوع وفيه علاقات اجتماعية كثيرة .. وفيه فرصة انى الاقى نفسى .. انما كل العيلة ضد الفكرة دى .. بيقولوا انته درست هندسة يعنى لازم تبقى مهندس » .

واذا كان للأسرة دور اساسى فى تهيئة جو الاغتراب للشباب ، فان السياسة العامة للدولة ، وكذلك التنظيمات الاجتماعية تسهم بشكل مباشر فى ارتفاع حجم هذا الاغتراب ، وذلك عندما يكون نوع العمل متعارضا مع خبرات الشباب وميولهم واستعداداتهم وتطلعاتهم ، بحيث يعوق الفرد عن استخدام ملكاته اواظهار امكانياته ، مما يؤدى الى تهاوى قيمة العمل كجزء من كيان الفرد ، اذ يتحول من وسيلة لتحقيق الذات الى وسيلة تضعه فى موقف صراع مع نفسه ومع الآخرين .

وقد كتب كارل ماركس عن اختيار المهنة « أن هذا الاختيار هو عمل قد يقضى على حياة الانسان كلها ، ويحطم كل خططه ويجعله تعيسا » (٢٠) .

فاختيار المهنة هو اختيار المصير ، فاذا كان ملائما للقدرات والامكانيات ، وراجعا الى اختيار الشاب نفسه ، فأن ذلك يكون حافزا له على بذل مزيد من الجهد والعمل الخلاق ، أما اذا انفصل العمل عن عملية حق الشاب فى الاختيار ، فانه يفقد دوافعه حيال

انجازاته لأدواره الوظيفية ، وبالتالى يفقد عنصرا هاما من عناصر الشعور بالذات والهوية ، كما يشعر بالاغتراب نحو ما يسند اليه من اعمال .

ويمثل الخوف من البطالة أو البطالة المقنعة محوراً آخر من محاور أزمة الشباب فى مجال العمل أو المهنة ، فالبطالة المقنعة الى جانب كونها اهدارا لجانب كبير من راس المال الاجتماعى من وجهة نظر النمو ، فانها تعد ايضا اساءة لعمليات توزيع استثمارات راس المال البشرى (٢١) .

وعلى الرغم من ان عدد الداخلين الجدد لسوق العمل يقدر بنحو ٤٠٠ الف عامل جديد سنويا (٢٢) . الا أن ذلك يتعارض مع منطق الأحداث ، اذ أن هذه الزيادة السنوية لم تساهم فى رفع الكفاية الانتاجية ، كما لم تتحقق من خلالها أهدافها السياسة التنموية للدولة ، وهذا يعنى ان هذا النمو فى قوة العمل لا يتلاءم مع احتياجات سوق العمل ، وانما هو انعكاس للخلل العام فى توزيع هؤلاء الأفراد ، حيث تلتزم الدولة بتعيين خريجى الجامعات دون أن يسبقه دراسة للاحتياجات الحقيقية لكافة الأجهزة والمصالح التابعة للدولة ، مما يعنى ان هذا الاستيعاب لا يعد عمالة حقيقية ، وانما هى بطالة مقنعة فى صورة انماط معينة من العمالة .

ويتمثل انعكاس الخوف من البطالة المقنعة على الشباب فيما يقوله الحالة رقم (١) « أنا مش متصور انى فى يوم من الايام ابقى موظف زى الموظفين اللى بنشوفهم فى كل حته .. ما وراهمش الا قراية الجرنال وحل الكلمات المتقاطعة .. انا اهون عندى انى اشتغل فى الفاعل انما ما اتعدشى القعده دى .. على الأقل حاحس انى باعمل حاجة » .

كذلك فان ظروف العمل نفسها فى المصالح والادارات الحكومية تمثل جانبا آخر من مخاوف الشباب فى مجال العمل . ويتضح ذلك فيما تقوله الحالة رقم (٣) « أنا كل ما ادخل مكتب فى الكلية أو الجامعة .. طبعا مش مكاتب الأساتذة أو المديرين .. انما مكاتب الموظفين .. اقول ياخبر ابيض .. انا حاقدر استحمل انى اشتغل فى مكتب زى المكاتب دى .. أنا اتعودت فى البيت ان كل حاجة تكون مرتبة ونظيفة وبتلمع .. واستحملت الكلية بقذارتها ووساختها على اساس انها ٤ سنين وتعدى .. انما لو اتحكم عليه انى أعيش بقية عمرى اشتغل فى اوده قذرة ومكاتبها وكراسيها مبهدلة .. الحقيقة أنا مش عارفه حاقدر أواجه الموقف ازاى » .

ويتضح من ذلك : أن ظروف العمل تؤثر تأثيراً كبيراً على معنوية الشباب ، فلا يكفى أن يوضع الشخص المناسب فى المكان المناسب ، وأن يمهد اليه بالعمل الذى يتفق مع ميوله واستعداده ومؤهلاته ، اذ ان تحسين ظروف العمل تعد من الأولويات الهامة فى مجال العمالة ، حيث يجب أن يكون المكان مقبولا من الداخل ومن الخارج ، كما يكون بعيداً عن الإزدحام والتكدس ، بالاضافة الى ضرورة توافر النظافة والاضاءة والتهوية ، حيث يؤدى ذلك الى اعتداد الشخص بذاته ، مما ينعكس على رضائه عن عمله واحترامه له ، وتفانيه فى بذل جهده وطاقته فى تحسين مستوى اداءه .

وتمثل المشاكل المتعلقة بقلق الشباب تجاه انخفاض دخل الوظيفة بالقياس الى ارتفاع مستوى الأسعار ومتطلبات الانفاق محورا آخر من محاور ازمة الشباب فى مجال العمل ، اذ تشير نتائج احدى الدراسات التى اجريت على قطاع من طلاب جامعة عين شمس فى بداية السبعينيات الى ان ٥٢ر٣٪ من مفردات العينة يشعرون بالقلق على مستقبلهم ، حيث ارجع القائمون على الدراسة ذلك الى الكادر الوظيفى والترقيات والعلاوات التى يسمع عنها الطلاب اثناء الدراسة ، وان الطلاب كثيراً ما يقارنون بين دخلهم بعد التخرج وبين ارتفاع مستوى المعيشة (٢٣) .

واذا كان قلق الشباب تجاه المستقبل منذ ما يقرب من خمسة عشر عاما قد بلغت نسبته هذا المستوى ، فكم تبلغ تلك النسبة حاليا فى ضوء الغموض والابهام اللذان يغلفان مستقبل الشباب فى مصر . وتتراءى الاجابة على هذا التساؤل من خلال اقوال معظم حالات الدراسة ، حيث تقول الحالة رقم (١) « أنا بآخد ٣٠٠ جنيه فى الشهر او اكثر مصروف ايدى ومابيكفونيش .. يبقى حاخد كام لما اتخرج .. انا شخصيا حاخدها من قصيره واشتغل فى شركة بابا » — وتقول الحالة رقم (٢) « طبعا المرتب بتاع الحكومة مش ممكن حيكفينى .. فلازم فى المستقبل اشتغل فى مستشفى خاص لحد ما ربنا يسهلها وافتح عيادة » — وتقول الحالة رقم (٣) « أنا لحد دلوقتى ماسمعتش عن واحدة محامية مشهورة وفاتحة مكتب لوحدها .. معظمهم بيشتغلوا عند محامين كبار .. وبالتالى انا يمكن اضطر انى اشتغل بعد الظهر فى اى مكتب محاماه .. ده فى حالة لو اتجوزت واحد على قد حاله وكان الدخل مش مكفى » — وتقول الحالة رقم (٤) « أنا ناويه اشتغل مدرسة ، واهى فرصة انى ادى دروس خصوصية .. ويمكن ربنا يسهل فى واحد ابن حلال يكون مريش جاهز » — وتقول الحالة رقم (٥) « مجالى محدود جداً علشان اقدر اعمل مشروع خاص زى تربية مواشى او دواجن مثلا .. لازم يكون عندى رأس مال ابتدى بيه ..

واحنا والحمد لله تقريبا ما عندناش حاجة زيادة .. يعنى ماتيش قدامى غير شغل الحكومة رغم ان ملوسها ما اسمهاش فلوس » — أما الحالة رقم (٦) فيقول « أنا ناوى أستمر فى الأوتيل على طول .. قدامى الفرصة انى اترقى وأبقى حاجة فى يوم من الأيام .. انما علشان اشتغل مدرس بالمؤهل اللى حاخده .. ده مايكفيش آكل بيه عيش حاف » — ويقول الحالة رقم (٧) « طبعا أنا شايل من مخى تماما فكرة انى اشتغل فى الحكومة .. لأن مرتب الحكومة مش حيكفى لا السجاير اللى باشربها .. ولا بنزين العربية اللى باركبها .. انشاء الله بابا هيحاول يساعدنى فى انى اشتغل فى اى مشروع خاص .. واحتمال كبير انى اهاجر لأوربا او امريكا .. لأن الواحد هناك بيتعامل على انه بنى آدم .. الدولة هناك بتكون مسئولة عن وقته وعن مواصلاته وعن تخليص مصالحه بسرعة .. وعن توفير كل وسائل الراحة له .. انا سافرت السنة اللى فاتت سويسرا فى فترة تدريب .. كل حاجة هناك ماشية زى الساعة .. كل جهاز حكومى او خاص بياخد منك قرش .. بيديلك قدامه خدمة تساوى عشرة قروش .. هناك الواحد بياخد على قد ما بيدى .. انما هنا الواحد بيدى دايما ومابياخدش حاجة » — ويقول الحالة رقم (٨) « اعتقد ان شغلانة الحكومة معقولة لو كان فيه عمل تانى اضافى .. على أساس ان العمل فى الحكومة مضمون الى جانب ان بيكون فيه معاش كويس .. انما علشان اعتمد على عمل الحكومة بس يبقى مش حاقدر اصرف على بيتى ولا حاقدر اوفر لأولادى الحياة اللى انا عشتها طول عمرى » — ويقول الحالة رقم (٩) « شغل فى الحكومة ايه .. انا عايز انط لفوق .. كفايه انى عايش من يوم ما اتولدت مع الناس اللى تحت .. عايز بقى اطلع على وش الدنيا واعيش مع الناس اللى فوق .. بانام واقوم وانا باحلم انى اروح بلد عربى .. او اهاجر على استراليا او امريكا » — ويقول الحالة رقم (١٠) أنا حاشتغل فى الحكومة اذا كان فيه فرصة عمل فى مجال تخصصى .. وفى يوم من الأيام حاسيب شغل الحكومة واتفرغ للورشة إذا حسبت أن ايرادها ممكن يكفينا .. انما طبعا لو جت لى فرصة للهجرة لأى بلد عربى مش ممكن اضيعها » .

وقد تم عرض آراء الحالات كلها فيما يختص بقلق الشباب تجاه المستقبل ، حيث يمثل العمل والمهنة اهم العوامل المتصلة بازمة المستقبل ، اذ نجد أن جميع الاناث عدا الحالة الأولى قد اشرن الى استسلامهن للعمل فى مجال المؤسسات الحكومية ، حيث يعتمد البعض منهن على زوج المستقبل فى مقاسمة المتاعب المتصلة بمحدودية الدخل ، أو عن طريق البحث عن عمل اضافى الى جانب العمل الحكومى ، على

حين يتضح تحدى الشباب من الذكور للأوضاع الراهنة وتمردهم عليها ، وان كان البعض لازال يحتفظ بالنظرة التقليدية لمجال العمل الحكومى من حيث تميزه بالدوام والاستقرار وتأمين المستقبل ممثلا فى معاش نهاية الخدمة . وقد اجمعت الحالات كلها على أن العمل الحكومى بمفرده لا يكفى لمواجهة النفقات والاحتياجات ، وان الأوضاع الاقتصاديـة لا يمكن أن تستقيم دون أن يصاحب العمل الحكومى مورد اضافى آخر من موارد الدخل كالعمل الاضافى أو الهجرة المؤقتة .

ومن خلال مقارنة سريعة بين الحالة الأولى والحالات التسع الباقية، نرى مبلغ ما تعكسه القيم المادية على العلاقات التفاعلية بين الشباب وبين المهنة أو العمل . فالحالة الأولى ترى من واقع ثرائها المبالغ فيه ، أن العمل نوع من الترف او الرفاهية ، اذ لا يمثل الدافع المادى بالنسبة لها اى وزن او هدف ، كما لا يمثل العمل بالنسبة لها اى قيمة فى حـد ذاته ، كما لا يمثل ضربا من تحقيق الذات أو الهـوية ، حيث قـامت الامكانيات المادية المتاحة والتى تفيض عن الحاجة بتحقيق هويتهـا وطموحاتها المهوشه والسطحية على حين تنظر اليه الحالات الاخرى على أنه لب الحياة واساس المستقبل) وخاصة بالنسبة للذكور منهم ، اذ لازالت القيم التقليدية المصرية تفرض نفسها على الواقع المعاش ، حيث يكون الرجل هو المسئول الأول بالنسبة لتحمل ومواجهة حاجات الأسرة المادية ، ومن ثم فان العمل بالنسبة لهم يرتبط بشكل حاد بمدى القدرة على تكوين وتشكيل مستقبلهم ومستقبل اسرهم .

ونظراً لضالة الأجور التى يتقاضاها موظفى الدولة ، والتى لا تفى بادنى الحاجات الأساسية حاليا ، فان النظرة المستقبلية للشباب تتسم بعدم التفاؤل بالقدرة على المواءمة بين مثل هذه الأجور وبين تلبيـة متطلباتهم وحاجاتهم الملحة ، مما انعكس على ولائهم وانتمائهم للمجتمع، حيث يتراجع استعداد الشباب لبذل الجهد والعطاء من أجـل تنميـة المجتمع ، وحيث تتراخى عزائمهم ورغبتهم فى الكفاح من أجل ترسيخ مستقبلهم المهنى فى مصر ، ، بحيث تكون الهجرة المؤقتة هى الأمـل الوحيد لديهم للاستقرار الاقتصادى ، ولتأمين مستقبلهم الذى عجزت الدولة عن تأمينه لهم . كذلك فان الهجرة الدائمة الى المجتمعات الغربية المتقدمة تمثل حلما من احلام الشباب فى الوقت الحالى ، وخاصـة بالنسبة لمن تيسر له زيارة اى من هذه المجتمعات ، اذ يؤدى انفتاح الشباب على العالم الخارجى الى اصابته بالصدمة الحضارية نتيجـة الهوة الشاسعة التى تفصل بين مظاهر الحياة فى تلك المجتمعات وبين المجتمع المصرى ، وخاصة ان مثل هذه الزيارات تكون سريعة وسطحية مما لا يكشف عن حقائق المجتمع الموضوعية ، وطبيعة تفاعل العلاقات

الانســـانية ، حيث يأخذ بالباب الشباب مظاهر النظـــافة المبهـــرة ، والإستخدامات التكنولوجية فى كافة مجالات الحياة ، والاهتمام بالمستوى الجمالى لأنماط المساكن والميادين والشوارع والحدائق ، الى جـــانب ما تضفيه الطبيعة الخلابة من سحر وجمال ، بالاضافة الى مستوى الخدمة الممتاز فى كافة قطاعات الخدمات العامة والخاصة . واحترام انسانية وكرامة الفرد بنفس القدر الذى يحترم به الفرد حقوق ومصالح المجتمع .

وتؤدى معايشة الشباب لمثل هذه المظاهر الحضارية الى الاصابة بصدمة حضارية مضادة عند عودتهم الى مجتمعهم التقليـــدى ، حيث تتجسم فى أعينهم كافة المساوىء والعيوب التى تفصل ما بين عالمهم وبين ذلك العالم الآخر الذى عايشوه لفترة ما ، ومن ثم فهم يواجهون صعوبة كبرى فى التكيف مرة أخرى مع الأوضـــاع الســـائدة ، والتى لا يملكون القدرة على تغييرها أو تطويرها ، وبالتالى فهم يتمـــردون عليها . ويبذلون كل جهدهم فى الهروب منها ولو كان ثمن ذلك هو الهجرة الدائمـــة .

كذلك فاننا نجد ان ضآلة الأجور بالمقارنة بالارتفاع اللا متكافىء لأسعار السلع والخدمات ، وارتفاع مستويات الانفـــاق ، أدت الى سيطرة وسيادة القيم المادية على كافة القيم الأخرى ، مما حدا ببعض الشباب الى تبنى هذه القيم الجديدة ، أو الرغبة فى مجاراتها ، حيث تكفل لهم مسايرة تلك القيم المستوى اللائق من المعيشة ، وحيث نجد أن بعض الشباب رغم ما يعيبه على الجيل الأكبر سنا من المدرسين بشأن اشتغالهم بالدروس الخصوصية ، قد اتجه الى مسايرة الأوضاع السائدة ، حيث تبنى ايضا هذه الفكرة كحل لأزمته الاقتصادية . كما أن بعض شباب الأطباء تتأصل لديهم القيم والأهداف المادية فى مجال مهنة الطب اسوة بجيل الكبار منهم ، حيث يتخذون منها وسيلة لتنمية مواردهم المالية ، وليس بهدف تحقيق رسالة الطب الانسانية ، مما يعنى أن تهمش القيم فى الفترة الأخيرة ، قد انعكس بصورة واضحة على قيم واتجاهات الشباب المصرى المعاصر .

اما آخر النقاط التى سنتعرض لمناقشتها وتحليلها من خلال علاقتنها بمحاور ازمة الشباب والعمل ، فهى التى تتصل بالمعايير الخاصـــة باختيار الافراد لشغل وظائف معينة ، وذلك من وجهة نظر الحـــالات موضوع الدراسة ، حيث تقول الحالة رقم (٢) « انا نفسى لو أن التكليف بتاعى يكون فى القاهرة أو على الأقل فى قرية قريبة من القاهرة ، انما احنا علاقاتنا محدودة .. وماعنديش واسطة » — ويقول الحالة

رقم (٩) « أمى دايما بتقول اللى مالوش ظهر ينضرب على بطنه .. وده صحيح فى الأيام دى .. اللى مالوش واسطة لا حتنفعه شهادته ولا امكانياته ولا ثقافته ولا اى حاجة ابداً .. المعايير دلوقتى ان الواحد يكون اما قريب وزير أو مدير .. أو من طرف واحد معرفة أو صديق .. الواسطة هيه الكل فى الكل فى الزمان ده » — ويقول الحالة رقم (١٠) « مافيش حاجة اسمها معايير دولوقتى .. دى حاجات بندرسها نظرى .. المعايير دلوقتى ازاى ان الواحد يكون عنده واسطة جامدة .. وازاى يعرف يتحليط وينافق علشان يمشى أموره .. انا ليه خال اكبر منى شوية .. كفاءته ممتازة جداً فى الشغل .. انما كان المدير بتاعه اخد منه موقف مش عارف ليه .. وبعدين حصلت ظروف وسافر خالى بره .. لما رجع جاب هدايا لزمايله ومن بينهم المدير ده .. الشىء الغريب ان الراجل اتغير واختلفت معاملته ليه جداً .. ومن ساعتها وخالى بيعرف يمشى اموره .. يا بكلمة حلوة .. يا بحليطة .. يا بهدية .. وهوه اللى كسبان » .

ويشير الواقع الى ما فى هذه الاقوال من صحة ، اذ على الرغم من ان قوانين الدولة ، وكذلك قوانين الكثير من المؤسسات والشركات الخاصة تضع بعض المعايير الخاصة باختيار الأفراد لشغل الوظائف ، الا انها تضع هذه المعايير بصورة شكلية ، فهى وان كانت تعقد بعض الامتحانات أو الاختبارات التى تحدد كفاءة الأفراد ، أو تضع بعض الشروط التى تحدد مدى ملاءمتهم لنوعية الوظائف الخالية التى يعلنون عنها ، الا ان الواقع الفعلى يتعارض مع موضوعية هذه الاجراءات فى اغلب الاحيان ، حيث يجد الشاب أن كفاءته العلمية وقدراته واستعداده العام ، ليست بالمؤهلات الكفيلة بأن تؤهله لشغل وظيفة معينة بقدر ما تؤهله علاقاته النفعية التبادلية مع من يمسكون بزمام هذه الوظائف، او بقدر ما يكون استناده الى بعض الأشخاص من ذوى النفوذ المؤثرة . وينتهى الأمر بالشاب الى ان يفقد ايمانه بالعدل والموضوعية تجاه القائمين على أمور الدولة ، كما ينتهى به الأمر الى فقدانه الثقة فى امكانياته وقدراته الخاصة ، مما ينمى لديه الشعور بتعارض وصراع هذه القيم . فهو اذا نجح فى الحصول على هذه الوظيفة نتيجة معرفته للمداخل او الأشخاص التى ترشحه او تزكيه للحصول عليها ، فانما يكون ذلك على حساب اخلاله بقيمه ومثله العليا التى قد يكون اختطها لنفسه ، اذ تؤكد له الأحداث زيفها وعدم ملاءمتها للواقع المطروح ، ومن ثم فهو يختط لنفسه طرقا جديدة ، ويتخذ قيما اخرى قد تاخذه بعيداً عن القيم والمعايير الاجتماعية السائدة . اما اذا فشل الشاب فى الحصول على هذا العمل الذى يتفق وكفاءاته ومؤهلاته لعدم التجائه الى من

يرشحه ويزكيه إعتقاداً منه بأن تلك الكفاءات التى يمتلكهـــا هى التى سوف ترشحه للحصول على هذا العمل ، فان الفشل فى الحصول عليه يؤدى به إلى الشعور بالقهر والظلم والاحباط نتيجة عدم قدرته عـــلى الدفاع عن حقه الذى اغتصب منه ، وهو فى تلك الحالة يقع فريسة أما لفقدان الثقة فى تلك المبادىء والمثاليات والقيم التى كان يحيا بها ، ومن ثم يتجه الى احلالها بقيم اخرى سلبية بديلة ، واما يصر عـــلى التمسك بتلك المثاليات والقيم ، والتى لا يجنى من ورائها الا قســـوة الانتظار الذى قد يطول أملا منه فى أن ينتصر الحق على الظلم ، والذى قد يؤدى به فى النهاية الى الوقوع فريسة لمظهر من مظاهر الصراع .

كذلك ، فان الشاب فى بداية حياته الوظيفية يقبل على العمل بحماس وكفاءة بالغة ، وحرص على ارتفاع بمستوى الأداء ، الا انه من خلال ممارساته اليومية ، تتضح له الأبعاد الحقيقية لمدى تقدير هذا الحماس، وتقدير مستوى الكفاءة فى الأداء ، حيث تتوقف المحكات الأساسية لهذا التقدير على نوع العلاقات الشخصية التى تتم بينه وبين زملائه من جانب وبين رؤسائه من جانب آخر ، ومن ثم يتكشف له بالتدريج أن ما يبذله فى العمل من جهد ، لا توازى نتائجه ما يبذله من جهد فى سبيل ممالأة رؤسائه والتقرب منهم بصورة أو بأخـــرى ، وأن الاعتبـــارات والعلاقات الشخصية هى التى تحكم على مستوى أدائه للعمل ، وبالتالى يفقد هذا الهدف لدى بعض الشباب أحيانا أهميته ، وتتركز مهامه فى عمليات التودد والتقرب للرؤساء والعمل على ارضائهم .

الهـــــــوامش

(١) سعد الدين أبراهيم ، مستقبل الوطن العربي بين الممكن والمحتمل ، نـدوة « النظام الاجتماعي العربي المعاصر ، آفاق الثمانينات » مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ، سنة ١٩٨٥ ، ص ١ .

(٢)

Ahmed A. Zayed, Culture and Consummerism in underdeveloped urban areas, Conference of Mass Culture Life-Worlds popular culture in the Middle East, February, Germany, Bielefeld 1985. pp. 2-5.

(٣) لويس عوض ، أقنعة الناصرية السبعة ، مناقشة توفيق الحكيم ومحمد حسنين هيكل ، دار القضايا ، بيروت ، السنة لم تذكر ، ص ٧٧ .

(٤)

William F. Ogburn, Social change, Vitino Press, New York 1932, pp. 200-210.

(٥) محمد باقر الصدر ، اقتصادنا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، سنة ١٩٧٧ ، ص ٦٤٠ .

(٦) الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء ، الكتاب الاحصائي السنوي لجمهورية مصر العربية ، اغسطس ، سنة ١٩٨٢ ، ص ٢٩٩ .

(٧) علي لطفي ، التنمية الاقتصادية ، دراسة تحليلية ، مكتبة عين شمس ، القاهرة ، سنة ١٩٨٠ ، ص ٣٥ .

(٨)

Bernard S. Phillips, Sociology : Social Stracture and Change, Macmillan Company, New York, 1970, pp. 235-263.

(٩) سعاد عثمان أحمد ، الجيرة ، دراسة انثروبولوجية لمجتمع محلي حضري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم الاجتماع ، كلية البنات ، جامعة عين شمس ، سنة ١٩٨٥ ، ص ٢٤٥ — ٣٢٢ .

(١٠) علي لطفي ، التنمية الاقتصادية ، مرجع سابق ، ص ٧٤ .

(١١)

Statistical Year Book, U.N., New York, 1975, p. 273.

(١٢) — علي لطفي ، التنمية الاقتصادية ، مرجع سابق ، ص ٧٤ .

(١٣) علي ليله ، دور العمالة المصرية في التنمية العربية ، ندوة « النظام العربي المعاصر — آفاق الثمانينات » ، مركز بحوث الشرق الأوسط جامعة عين شمس ، سنة ١٩٨٥ · ص ٣٢ .

(١٤)

Arthur J. Goldberg, Technology sets New Task, in the Challenge of Youth, Erikson (ed.) Doubleday Anchor Book, New York, 1965, p. 144 .

(١٥) محمد ابراهيم السقا ، هجرة العمالة المصرية المؤقتة وآثارها على هيكل العمالة في جمهورية مصر العربية ، سلسلة دراسات سكانية ، جهاز تنظيم الأسرة والسكان ، عدد ٦٨ ، سنة ١٩٨٤ ، ص ٦٢ .

(١٦) على ليله ، دور العمالة المصرية فى التنمية العربية ، مرجع سابق ، ص ٣٣ .

(١٧) على ليله ، نفس المرجع ، ص ٣٢ .

(١٨) فرج عبد القادر طه : علم النفس وقضايا العصر ، مكتبة سعيد رافت ، القاهرة ، سنة ١٩٧٨ ، ص ٤٥ .

(١٩)

C.E. Smith and O.G. Mink (eds.) Foundation of Guidance and Counceling, JB., Lippincott Co., New York, 1969, p. 78.

(٢٠) جوكر فسكان ، أحاديث عن تربية الأطفال ، دار التقدم ، موسكو ، سنة ١٩٧٧ ، ص ٢٠٨ .

(٢١)

I. Mohie El Dine Manpower Forrune in Egyptian Economy Institute of Arab Research and studies, Cairo, 1979, p. 120.

(٢٢) وزارة التخطيط ، الاطار العام للخطة الخمسية ١٩٨٠ ــ ١٩٨٤ ، القاهرة ، سنة ١٩٧٩ ، ص ٢ .

(٢٣) بحث مشكلات الطلاب المغتربين بجامعة عين شمس ، قسم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة عين شمس ، مطبعة جامعة عين شمس ، سنة ١٩٧٣ ، ص ٧٢ .

الفصـــل الخـــامس

الشباب ومحاور أزمة الثقة في مؤسســات الدولة

يمثل انعدام ثقة الشباب فى مؤسسات الدولة محوراً هاماً من محاور أزمة الشباب فى مصر ، حيث يأخذ انعدام الثقة ابعـادا كثيرة ومتعددة . فقد أصبح الشباب لا يثق فى اى أيديولوجية تتبناها الدولة، ولا فى اجهزتها الرسمية ، أو وسائل الدعاية والاعلام ، وكذلك عمليات الضبط الاجتماعى الرسمى . كما امتدت أزمة الثقة لتشمل المؤسسات الحكومية ، وأصحاب الوظائف العليـا فى الدولـة ، حيث أصبحت البيروقراطية والرشوة والانتهازية والمحسوبية توجه كافـة العمليات التى يقوم أصحاب هذه الوظائف بادارتها .

شعارات الدولة :

واذا بدأنا بتحليل آراء واتجاهات الشباب حول انعدام الثقة فى شعارات الدولة وتعهداتها ، فاننا سنجد أن نظم الحكم قد اندفعت فى رفع العديد من الشعارات والمصطلحات خلال الفترات المتباينة ، وذلك وفقا لاختلاف النظم السياسية الحاكمة ، وكذلك وفقا لاختلاف الحكام أنفسهم . ومن أمثلة ذلك شعارات الوحدة ، والاشتراكية ، والمساواة ، والعدالة الاجتماعية ، والتحرر الاقتصادى ، ودولة العلم والايمان ، والتنمية والصحوة الكبرى ، وما الى ذلك من الشعارات التى خلبت الباب الشباب سنوات طويلة ، اذ خـاطبت فيهـم طموحـاتهم القـومية ورومانسياتهم . الا أن وقع الاخفاق فى تحقيق تلك الوعود ، أدى الى تداعى وتهاوى تلك الشعارات جنبا الى جنب مع تداعى وتهاوى أحلام الشباب وطموحاتهم .

وتتضح تلك الصورة من واقع ما جاء على السنة الحالات ، حيث يقول الحالة رقم (٩) « سمعنا فى الكام سنة اللى فاتو دول كلام كتير قوى عن رفع المعاناة عن كاهل الشعب .. وأدى النتيجة .. أمى بتنزل تجيب شوية خضار للطبيخ بترجع معهاش ولا قرش من الخمسة جنيه .. همه قصدهم ينفضوا جيوب الشعب علشـان يبقى ماشى خفيف .. فيه ايه ماغلاش على الشعب المسكين .. ده حتى سلدوتش

الفول والطعمية اللى كان بيحل الأزمة بقى بخمسة صاغ .. أنا أفهم انهم يرفعوا سعر اللحمة والفراخ .. لأن فيه ناس فوق تقدر تشتريها حتى لو بقت الفرخة بميت جنيه .. انما يرفعوا سعر الفول .. طب الناس اللى تحت ياكلوا ايه » .

ويقول الحالة رقم (٧) « من سنة ما كنت فى توجيهى ، يعنى من أكثر من ٦ سنين .. ومافيش ولا سنة قبل بداية العام الدراسى الا نقرأ بالمانشيت العريض فى الجرايد لمدة شهر أو أكثر عن تغيير شامل فى نظام القبول بالجامعات .. ومافيش حاجة من دى بتحصل .. أنا أفهم أنهم علشان يغيروا نظام القبول بالجامعات .. لازم يكون فيه تغيير جذرى فى نظام التعليم من أولى ابتدائى .. وحتى من أولى حضانة » .

ويقول الحالة رقم (٨) « الواحد ما عدش بيصدق حاجة ، الحكومة بقى لها ميت سنة بتقول انها حتحل أزمة الاسكان .. وتنعقد لجان .. وتنفض لجان .. وكل لجنة تسخف الحلول اللى قالتها اللجنة اللى قبلها .. ونلاقى لا الأولى عملت حاجة ولا التانية عملت حاجة .. ودلوقتى بعد ما كانت طبقة الانفتاح هيه الطبقة اللى عايشه كويس وبس .. الظاهر كمان انها حتبقى الطبقة اللى حتقدر تتجوز وبس .. لأن عندهم الامكانيات اللى يقدروا يشتروا بيها بدل الشقة اثنين » .

ويقول الحالة رقم (٦) « سمعنا كتير من أول ماكنا فى ابتدائى عن الديموقراطية والحرية والعدالة الإجتماعية والمساواة والاشتراكية .. وحاجات كتير قوى بقيت اتلخبط من كترتها .. اذا كنا حنفترض ان فيه ديمقراطية وحرية على أساس أن يمكن همه شايفين كده .. طيب فين المساواة والعدالة الاجتماعية .. المساواة فى ان الناس عندهـا بدال العربية أربعة .. وبقية الشعب ينحشر فى الأتوبيسات زى السردين .. المساواة ان ناس تروح فى السنة مرتين ثلاثة تتفسح فى أوربا .. وبقية الناس قاعده فى مصر بتحسبها بالقرش والمليم .. المساواة ان ناس تعمل فرح يتكلف ٥٠ الف جنيه لمدة ليلة .. وناس فى عرض نص المبلغ ده والا ربعه علشان يحل أزمة عيلة كاملة عشر سنين قدام » .

ويقول الحالة رقم (١٠) « المشكلة كلها بتنحصر فى ان الدولة ما عرفتش تحمى الشعب .. سابت الحبل على الغارب لمجموعة قليلة علشان تتحكم فى بقية الناس .. والحكومة واقفه بتتفرج .. أنا مش فاهم ازاى الدولة تسيبنا فريسة لبتوع الانفتاح الإقتصادى .. وللسباك والميكانيكى والدكتور والبقال والفكهانى والخضرواتى .. وكل واحد

فى ايده ورقة يلعب بيها علشان فى الآخر يقش منا احنا .. لو أن فيه نظام ضرايب صح .. ولو ان مافيش خراب فى ذمم الكبار قبل الصغيرين .. ما كانش بقى ده الحال » .

تلك كانت أمثلة من آراء بعض الشباب ، وهى لا تحتاج الى تعليق سوى ان اسطر كلمة عن لسان هربرت ماركوز اذ يقول : وفى عالم الانشاء اللغوى العام ، يكون الشكل الجملى للانشاء السياسى . وفى النقاط الحيوية منه تظهر جمل تحليلية تبرر نفسها بنفسها ، وتؤدى وظيفتها كصيغ طقسية شبه سحرية ، وهذه الجمل المفروضة بلا انقطاع على فكر ذلك الذى يتلقاها ، سرعان ما تحبسه فى اطار الشروط التى تحددها الصيغة ، فالالفاظ من شاكلة « الحرية » و « المساواة » و « الديموقراطية » و « الانتخابات الحرة » و « الفرد الحر » تستلزم تحليلا وترتيبا نوعيا للصفات التى تعلن عن ظهورها على نسق واحد لا يتغير بمجرد أن تكتب الكلمة او تنطق ، ان عالم اللغة عالم ملتبس ، مبهم ، وانه بحاجة الى ايضاح ، بل نحن لا ننكر أن السعى الى ايضاحه يمكن أن يكون له مفعول علاجى ، والفلسفة لا تصبح فلسفة حقاً الا يوم أن تصبح علاجية ، ولكنها لن تدرك هذا الهدف الا عندما تحرر الفكر من عالم الانشاء ، وتسقط على الواقع منظوراتها الخاصة (١) .

ومن ثم ومن خلال آراء الشباب انفسهم يتضح لنا أن القيم الأساسية وما اليها ، قد تحولت الى مجرد شعارات والفاظ دون معنى أو جوهر أو مضمون ، حيث تنفصل تماما عن الواقع المعاش سواء فى علاقات التفاعل القائمة بين الأفراد والمجتمع أو بين المجتمع والأفراد ، فمؤسسات الدولة فى اى مجتمع من المجتمعات انها تعكس احتياجات الأفراد فى هذا المجتمع ، وهى فى سبيل مواجهة هذه الاحتياجات تبث فى الأفراد من خلال وسائل اعلامها الخاصة كالاذاعة والتلفزيون والصحف والمجلات ما يوحى لهؤلاء الأفراد بأنها جادة وحريصة على تحقيق حاجاتهم ، ومن ثم تبدأ بعض الألفاظ والشعارات تتردد على الأسماع حتى تستقر فى الوجدان ، وحتى تتوحد مع شخصيات الأفراد وتصبح جزءاً من كيانهم دون أن يدركوا أن ما تلقنه لهم وسائل الإعلام لهم انما هى لغة الساسة والتى يقومون عن طريقها باحتواء الموقف السياسى وفرض منطق فكرى ووصاية أيديولوجية معينة بهدف ضب افكار أفراد المجتمع فى قالب واحد ، بحيث لا يتركون لهم الفرصة لادراك المتناقضات التى تشوب علاقات الأفراد التفاعلية مع المجتمع ،

وبالتالى لا تترك لهم الفرصة للتعبير عن ذواتهم ومشاعرهم ومطامحهم، الا أنه فى الفترات الانتقالية الحادة التى يتعرض فيها المجتمع لتأثيرات عوامل التغير الاجتماعى يتكشف للأفراد ان هذه الكلمات والشعارات ليست الا نوعا من اللغو الذى يهدف تخدير مشاعر الأفراد لفترات طويلة وعندما تتبخر آثار هذه الكلمات نتيجة عدم ملاءمتها وانسجامها مع وقع الأحداث التى يفرضها التغير ، يثور ويتمرد وعى الأفراد ، وهو ما شهدناه فى آراء الحالات التى قمنا بعرضها فى الصفحات السابقة .

ايديولوجيا الدولة :

يؤدى عدم وضوح ايديولوجيا الدولة ، أو عدم ثبات هذه الايديولوجيا الى زعزعة ثقة الشباب فى مؤسسات الدولة وايديولوجياتها ، مما ينحو ببعض الشباب الى اعتناق مذاهب ايديولوجية معينة قد تكون مسايرة أحيانا لايديولوجيا الدولة أو تكون معارضة لها فى أحيان أخرى .

فعلاقة الشباب بالموقف السياسى تثير اهتماما خاصا كما يشير تالكوت بارسونز Parsons ، وذلك عندما تشتد بوضوح ظاهرة انصياع الشباب للايديولوجيات السياسية الراديكالية سواء منها اليمينية او اليسارية ، وهى تبدو بوضوح فى المجتمعات التى تدخل فى مرحلة التطور ، حيث يلعب المثقفون دوراً خاصا فيها ، وحيث يحتل الطلاب فيها مكانات مميزة بوصفهم طلائع لهؤلاء المثقفين (٢) .

وتتضح اتجاهات الشباب حيال تهمش وميوعة ايديولوجيا الدولة فى قول الحالة رقم (٩) اذ يقول « أنا صحيح اتولدت بعد ثورة ٥٢ بحوالى ١٠ سنين .. يعنى ما أقدرش أتكلم عنها الا من خلال الكتب ومناهج الدراسة والقراءات الخاصة وده مخلينى أقف محتار أصدق أيه .. وأكذب أيه .. فى فترة كنا مع روسيا وبنادى بالاشتراكية .. وفى نفس الوقت كانت الحكومة بتقبض على أصحاب الاتجاهات اليسارية .. وفى فترة ثانية كنا دولة العلم والايمان .. وفى نفس الوقت برضه كانت المعتقلات مليانة بأعضاء الجماعات الدينية .. فى فترة كان عبد الناصر معبود للشعب كله .. وبعد ما مات بقى هوه السبب فى النكبة اللى احنا عايشنها .. » ويقول الحالة رقم (١٠) « سمعنا عن ثورة التصحيح .. وسمعنا عن التهم اللى بالهاش آخر عن مراكز القوى .. هوه اللى عمل ثورة التصحيح مش

كان فى الحكم أيام مراكز القوى واللا ايه » ـ وتقول الحالة رقم (٣) (« أنا مش فاهمه ليه لما بيكون حاكم معين ماسك البلد .. الناس كلها ووسائل الاعلام كلها مابيكونش ليها شغلانه الا انها ترفعه السما .. واول مايموت أو ينتهى .. كل الناس تبتدى تنتقد كل حاجة عملها .. ليه مايبقاش فيه قيم عند الناس دول .. وليه بيغيروا جلدهم مع كل حاكم جديد أو نظام جديد .. اذا كانوا بيخافوا يتكلموا وينتقدوا .. فالأحسن انهم يسكتوا خالص وبلاش يبقــوا بميت وش » . هــذا نموذج لآراء الشباب ، وهو يعبر عن الواقع الفكرى الذى يعيشونه ، كما يعبر عن أزمة القيم التى يواجهونها . فقد شهد المجتمع بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، مرحلة جارفة من العداء والتشــويه لمراحل كاملة من تاريخ مصر ، وأظهرت كتابات البعض منهم مصر وكأنها ولدت فقط فى ليلة الثالث والعشرين من يوليه ، وضرب عرض الحائط بتاريخ طويل فى النضال والكفاح الذى قاده الشباب المثقف أحيانا ، أو الساســة الوطنيون احيانا اخرى ، ثم جاء الميثاق ليشير الى الادانة الكاملة للمرحلة السابقة التى تمت فيها محاولات تشويه التاريخ المصرى وذلك بالمعالجات السياسية والدعائية والشعارات والكلمات الساذجة.

وقد تجسد دور الايديولوجيا الاسلامية فى حقبــة الستينيات فى الحركة الاصلاحية التى قادتها جماعة الاخوان المسلمين ، والتى هدفت الى معالجة المشاكل المجتمعية وخاصة الثقافية بهدف تخليص الأمة من قيودها السياسية حتى تنال حريتها ، وبناء المجتمع من جديد عن طريق الاسلام وقواعده ، وهى وان كانت قد عبرت عن نفسها بصورة محاولات فكرية محدودة الا أنها لعبت دوراً هاما فى الفكر السياسى الاجتماعى ، وانتهت جماعة الاخوان المسلمين كحركة بالصدام مع الثورة .

وفى السبعينيات ، قام النظام بتحجيم الايديولوجية الاسلامية فى شعارات يؤكد بها شرعية النظام المجتمعية ، فشجع التيار والحركــة الدينية بهدف أساسى هو ضرب التيارات الأخرى وخاصة اليسارية منها والمعارضة للحكم (٣) أما عن الايديولوجية الناصرية التى مازال حتى الآن توجد بقايا من بقاياها ، فان كمال رفعت يصف هذه الايديولوجية بقوله « الناصريون ليسوا مجرد بقايا لمراكز القوى أو من مؤيدى الارهاب والدكتاتورية ، أو من المتأثرين بلا وعى بشخصية عبد الناصر دون اقتناع فكرى، بل انهم مناضلون فى سبيل مبادىء عبر عنها عبد الناصر، وظل يكافح ويناضل حتى استشهد من اجلها ، ناضلوا من اجل مصر وقوميتهم العربية على الطريقة الناصرية ، ولم يتخذوها وسيلة للاثراء أو للجاه والسلطان كما فعل البعض ، لم يتلونوا ويغيروا من مبادئهم

وفق الظروف والأحوال وحسب التبديل فى مواقع مراكز القوى ، بل ظلوا مرتبطين بالجماهير فى نضالها من أجل حريتها ومستقبل حياتها » (٤) .

هكذا يصف أحد الناصريين الايديولوجية الناصرية التى ظلت خلال حقبة كاملة هى الايديولوجية الأساسية للدولة ، والتى تبناها قطاع كبير من قطاعات الشعب التى سحرتها الشخصية الثورية لجمال عبد الناصر ، وغيبتها عن وعيها سنوات طويلة ، وان لم تكن قد غيبتها عن هذا الوعى ، اذ ان الوعى ظل قائما فى وجدان الأفراد ولكنه كان وعيا مغتربا فى ظل مجتمع مغترب . فقد تغرب المجتمع فى ظل فقدان هويته من خلال عدم وضوح انتماءاته العربية أو الاشتراكية أو الراسمالية الغربية ، حيث انعكس هذا الاغتراب على كل مؤسسات الدولة حتى التعليمية منها . فنجد أنه فى فترة ما قبل الستينيات كانت البرامج الدراسية فى الجامعة خالية من مناهج المجتمع العربى أو ثورة ٢٣ يوليه أو مادة الإشتراكية العربية ، وفى الفترات اللاحقة فرضت هذه المواد على كافة الدارسين فى كليات الجامعات المختلفة ، وعادت هذه المناهج للاختفاء مرة أخرى فى السنوات الحالية . ومن ثم خضعت ايديولوجيا الدولة للعديد من التغيرات وفقا للتغيرات التى طرأت على النظام السياسى .. وصاحب تغير هذه الايديولوجيات تشويه كامل لكل أصحاب الايديولوجيات السابقة وتزعم حركات هذا التشويه الفئة التى تمسك بزمام حركة الاعلام فى مصر من الأدباء والكتاب والصحفيين، على الرغم من أن تلك الأقلام هى التى كانت تمجد الايديولوجيا التى كانت سائدة فى الفترات السابقة ، وانجرف معهم من ذلك التيار كتاب الأغانى والفنانون بمختلف تخصصاتهم . فبقدر مسئولية نظام الدولة ومؤسساتها حيال تهميش ايديولوجيا الدولة ، الا أن المسئولية تقع بالدرجة الأولى على كل الطوائف التى تتخذ من القلم أداة للتعبير عن أنفسهم أو التعبير عن آراء الأفراد ، أو تتخذ من الكلمة وسيلة لتغيير آراء واتجاهات الأفراد ، اذ أن مسئولية هذه الطوائف أكبر من مسئولية الطبقة الحاكمة ، لأنهم من خلال مواقعهم يكونون أكثر قدرة على تغيير اتجاهات الأفراد عن طريق تفسيراتهم وتحليلاتهم وطرح آرائهم .

فالمشتغلون بالكلمة من أصحاب الأقلام عليهم الا ينتظروا انتهاء فترة نظام سياسى معين ، أو وفاة سياسى معين ، حتى تتبارى الأقلام فى تشويه صورة هذا النظام أو ذلك السياسى ، انما وظيفتهم الأساسية من منظور القيم الدينية والأخلاقية تحتم عليهم نقد ومناقشة النظام السياسى المعاصر ، وكذلك الساسة الأحياء ، اذ أن ذلك النقد وتلك المناقشة هى السبيل الى تصحيح المسارات ، وبالتالى ارساء دعائم الايديولوجيات .

وسائل الاعـــلام :

واذا كانت وسائل الاعلام قد لعبت دوراً كبيراً فى غموض وابهام ايديولوجيا الدولة ، فانها كانت ولا تزال تلعب دوراً اكبر واكثر خطورة فى توسيع دائرة ما يمكن أن نسميه « بفجوة اللاتصديق » ، وفى ذلك تقول الحالة رقم (٧) « للأسف أنا فقدت ايمانى بالاعلام والصحافة المصرية .. اللى بنسمعه وبنقراه فى وادى والحقيقة دايمــا فى وادى تانى .. يمكن تكون صحف المعارضة بتركز على الأخبار المثيرة .. انما أنا حريص انى أقراها لأنها دايماً بتطرح احداث واخبار بيكون عندنا فكرة عنها عن طريق الاشاعات .. انما فى نفس الوقت بتتجاهلهــا الصحافة الرسمية .. وكأن اهل البلد نايميين على ودانهم .. ومش حاسين الدنيا رايحه فين وجايه منين » .

ويتضح من خلال رأى الحالة مدى مايعانيه أفراد المجتمع عامة وفئة الشباب خاصة من فجوة اللاتصديق التى تدعم اسسها وسائــل الاعلام الرسمية فى مصر ، حيث يكون الأفراد فى طرف منها عــلى حين تكون الحكومة على طرفها الآخر . فبينما تقوم الحكومة والسلطة الحاكمة بالاعلان فى أكثر من موقع بأنها لا تتوانى عن طرح الحقائق المتصلة بمجريات الأحداث على الأفراد ، وتأكيدها الشديد للأهميــة الكبيرة الخاصة بمشاركة الرأى العام فى قضاياها ، نجد أن الواقــع الفعلى يقدم طرحا مخالفا لما تعلنه السلطة الحاكمة فى كل ما يعرض للمجتمع من أحداث سواء على المستوى الداخلى أو الخارجى . وهى فى هذا انما تستخف بعقول ووعى وقدرات الأفراد على ادراك واستنباط كافة الحقائق التى تعمل السلطة الحاكمة على اخفائها ، رغم اتصالها الوثيق فى كثير من الأحيان بمصالح وحاجات هؤلاء الأفراد .

فاذا عدنا بالذاكرة الى أيام نكسة سنة ١٩٦٧ ، فلو تذكرنا الحماس الخلاب الذى كانت تذاع به البيانات الزائفة عن الانتصارات الحربية الرائعة فى الأيام الأولى للهزيمة ، بل وفيما تلى ذلك من أيام ، لوجدنا أن مثل هذه المواقف تكرر نفسها وبصفة شبه دائمة بالنسبة لمعظم الأحداث التى تعرض للمجتمع .

واذا تناولنا أهم أحداث سنة ١٩٨٥ على اســـاس أنهـــا اكثر الحوادث معاصرة للفترة التى تمت فيها هذه الدراسة ، والتى قامت وسائل الاعلام بتناولها والتصدى لها ، لوجدنا أن الزيف وحجب الحقائق هو السمة البارزة فى كافة هذه الأحداث . ومن الأمثلة السريعة على ذلك ، حادث السفينة الايطالية « اكيلى لاورو » وحادث اختطـــاف

الطائرة المصرية من اثينا الى مالطة ، وحادث الجندى المصرى الذى قام بقتل سبعة من السائحين الاسرائيليين ، فقد تعمدت وسائل الاعلام الرسمية للدولة بالنسبة لهذه الأحداث أن تحجب الحقائق والتفاصيل عن الرأى العام ، وأن تكتفى باشارات موجزة لانصاف الحقائق أو ما هو أقل ، مما يؤدى الى أن يبقى أفراد المجتمع اسرى لنظرة احادية البعد لا ترى الا مقتطفا صغيراً هامشياً من الأحداث التى تجرى من حولهم ، حيث يعجزون عن الرؤية الشمولية لهذه الأحداث فى سياقها المتكامل أو مع غيرها من الأحداث التى سبقتها أو تزامنت معها .

ففى غمار هذه النظرة الأحادية التى يفرضها الحاكم على المحكوم ، تتناسى وسائل الاعلام الرسمية أن عالم اليوم عالما ينتشر فيه الحدث بسرعة البرق ، وتتناقله وسائل الاعلام العالمية المسموعة والمرئية من اقصى بقعة فى العالم الى اقصاه ، ومن قلب اكبر المدن الى أصغر واقصى القرى والنجوع . ومن ثم فما أن تبدأ فقاعات الحدث تظهر على السطح ، حتى نجد أن الرأى العام الجاهل بحقائق الموقف ، والمحروم من مصادر الأنباء الواضحة الصادقة ، والمتعطشة الى كشفها والتعرف عليها . يهرع الى استقصائها من كل المصادر الممكنة ، فيسارع بعض الأفراد الى مؤشر الراديو ليستقى الأخبار من اذاعات الدول الأجنبية التى قد يكون لها بعض المصلحة السياسية فى تغليف الخبر بلون من الوان الاثارة أو المبالغة ، على حين تسارع الفئات الأخرى الى عرض وتبادل وجهات النظر التى لا تستند فى الغالب الى أى شكل من أشكال الحقائق الموضوعية ، وانما الى الشائعات التى تتنقل فى سرعة البرق ، والتى تأخذ فى عمليات انتقالها من فم الى آخر أشكالا عديدة من التضخيم والاضافات والتهويل ، بحيث يصبح المجتمع كله فريسة لأنباء كاذبة مضللة ، وذلك فى ظل غيبة الحقائق الصحيحة الصادقة .

وعندما يتفاقم الموقف ، وتبدأ فى الأفق سحب هياج وتذمر وثورة الرأى العام ، وعندما تجد القوى الحاكمة أن الموقف ينذر بالانفجار ، تسارع فى محاولات مستميتة لتهدئة الرأى العام عن طريق عرض الحقائق التى تكون قد تجاهلتها طويلا .

ولكن الرأى العام الذى فقد ثقته فى وسائل اعلامه ، والذى أدت به تراكمات السنين الطويلة الى التردى فى هوة اللاتصديق ، يفقد عند ذلك ثقته فيما يساق اليه من حقائق ، حيث ينظر الى وسائل الاعلام الرسمية باعتبارها لسان الحزب الحاكم والسلطة الحاكمة . وحيث اعتاد الرأى العام أن يجد الأخبار الصحيحة من مصادر أخرى ، فهو يبحث عنها فى جرائد المعارضة ، كما يبحث عنها ـــ كما اعتاد طويلا ـــ

فى ظلال الهمس الشائع ، وفى ظلال المعلومات والشائعات المتداولة . وعندما تقوم وسائل الاعلام الرسمية بعرض الحقائق ، يظـل الخبر كاذبا فى أعين الرأى العام حتى يفرض صحته ، وذلك من جراء اغفال السلطة الحاكمة لفترات طويلة حق الرأى العام فى الوقوف على حقائق الأحداث ، بحيث تستولى مصادر المعلومات الأخرى بأخبار قد تكون كاذبة أو لا تخرج عن كونها شائعات لا أســاس لها من الصحــة على عقول الأفراد بصورة لا يجدى معها أى تكذيب أو أى طرح كــامل وصادق لحقائق الموقف .

ومن ثم فان الاعلام المبتور لبعض الأحداث لا يقل خطورة فى كثير من الأحيان عن « اللا اعلام » حيث يؤدى الى نتائج عكسية وسلبيــة تتمثل فى اتساع فجوة اللاتصديق بين وسائل الاعلام الناطقة بصوت الحكومة وبين الرأى العام لأفراد المجتمع ، وذلك عندما تلجأ وســائل الاعلام الى اسدال ستار من الصمت حول الأحداث الجارية ، أو فرض بعض القيود وفقا لنوعية هذه الأحداث ومدى حساسيتها بهدف تقليل حجم الاثارة حولها .

وقد كان من الممكن أن تجدى مثل هذه السياسة اللااعــلامية فى حجب الحقائق عن الرأى العام ، وكذلك السياسة الاعلامية الرسمية التى تفرض قيودا على حجم ما ينشر من حقائق ، وذلك فى ظل حــكم الحزب الواحد ، أما فى ظل تعدد الأحزاب وصحافتها الحرة ــ رغــم محاولات تقييدها والهجوم عليها ــ فان اللااعلام ، والاعلام الرسمى المبتور يؤدى الى الشكوك والتساؤلات ، ويمهد السبيل لتوسيع فجوة اللاتصديق . كذلك فان غلق الأبواب أمام الرأى العام وعدم امداده بالمعلومات والحقائق والتفاصيل الدقيقة التى تمهد لدوره وأثره فى صنع القرار ، يؤدى الى تقلص المشاركة الديمقراطية ، نتيجــة لانفصــال قرارات السلطة الحاكمة عن رأى الغالبية المحكومة .

وبينما نجد وسائل الاعلام تتغافل عن القضايا المصرية فى حياة الأفراد فى بعض الأحيان ، أو تقوم بالتعرض لهــا بصــورة هامشية سطحية ، نجدها تركز أحيانا وبصورة مكثفة على بعض المشكلات التى لا تمثل ثقلا أو أهمية فى حياة الأفراد ، وفى ذلك تقول الحالة رقم (٢) « الجرايد والمجلات والتلفزيون قعدوا فترة طويلة مالهاش كلام الا على مرض الايدز .. ده مش ظاهرة مرضية فى مصر .. لأن الدين والقيم الاجتماعية فى مصر غير الدين والقيم الموجودة فى الدول اللى ظهر فيها المرض ده » .

فعلى حين يفتك مرض البلهارسيا بآلاف المصريين سنويا ، وينهك

ميزانية الدولة ومواردها ، ويحطم ويدمر مستوى انتاجية الفرد ، وعلى حين تنتشر الدوسنتاريا كمرض متوطن يعانى منه الكثيرون من الأفراد ، نجد أن مثل تلك القضايا لم تحظ الا بالفتات من النقاش على صفحات الجرائد وفى وسائل الاعلام المختلفة ، على حين تندفع هذه الوسائل بحماس مدمر ولعدة شهور الى التصدى لمعركة وهمية مع مرض الايدز ، الذى لا يمثل خطورة تذكر على الأفراد فى مصر ، وذلك لاختلاف القيم الدينية والمعايير الاخلاقية المصرية عن تلك التى فى الدول التى ظهر فيها هذا المرض ، وبتصدى وسائل الاعلام لهذا المرض ، والاستفاضة فى مناقشته والحديث عنه بالعناوين الضخمة والمقالات المسهبة ، يخيل للفرد أن جميع مشكلات المجتمع وهمومه وقضاياه المصيرية قد نضبت ، ولم يعد هناك فى الساحة ما نتفاعل معه من المشاكل اليومية والملحة فى حياة الأفراد والمجتمع .

واذا كان التصدى لبعض المعارك الوهمية يأخذ حيزاً كبيراً من اهتمامات وسائل الاعلام ، فان معظم الحيز الآخر يتعرض ايضا لطرح العديد من القضايا الجانبية التى تتصل بفئات الأقلية فى المجتمع ، وفى ذلك يقول الحالة رقم (٩) « وسائل الاعلام كلها ما بتخدمش الا مصالح الأفراد اللى بيشتغلوا فيها .. ده من خلال خدمتهم لمصالح الساسة والنظام السياسى .. بص فى أى جرنان أو مجلة كده حتلاقى ٩ر٩٩٪ منها بتتكلم عن السياسة بتاعة الحزب الحاكم .. وعن أخبار المشاهير والفنانين .. اللى اتجوز واللى حب واللى اتطلق .. واللى اخذ ١٥ أو ٢٠ الف جنيه فى فيلم من ورا عرق الشعب الساذج اللى بيتفرج على أفلامهم السانجة .. الواحد على عشره فى الميه الباقية من مساحات الجرائد بتتكلم بسرعة وسطحية عن مشاكل الشعب والأفراد اللى ما حدش بيقول لهم انتو فين » .

ويشير الواقع الى ما فى ذلك من صدق الى حد كبير ، فوسائل الاعلام الرسمية وعلى راسها الصحافة قاصرة على مجموعة معينة من الاقلام التى تكتب فى خط مرسوم — رغم ما قيل عن حرية الصحافة — بحيث يخدم هذا الخط الأقلية القليلة فى المجتمع ، ولا يمتد ليشمل قضايا ومشكلات الأكثرية الغالبة .

ويتضح ذلك من تساؤل صافيناز كاظم من بين الأمثلة العديدة — فى احدى كتاباتها النقدية عن منتديات الروتارى والليونز ، التى تربط بين مذاهبهم وبين الماسونية والصهيونية — عن السر وراء الثقل الروتارى فى كافة الوزارات والمنشآت والبنوك والمؤسسات والنقابات والصحف والمجلات والاذاعة والتلفزيون وكافة المواقع الاستراتيجية فى

الدولة ، حيث توجه تساؤلاتها العديدة لأحد الصحفيين ، وحيث تختم هذه التساؤلات بقولها « لماذا لا أستطيع أن انشر مثل هذا المقال فى الصحف القومية كما نشرت أنت مقالك الدفاعى هذه المنتديــات فى جريدة الأخبار ؟ » (٥) .

ومن هذا يتضح أنه فى الوقت الذى تتبنى فيه الصحافة قضايــا هامشية ان لم تكن سلبية ، فانها تتعامى عن القضايا المصيرية الجماعية لفئات المجتمع ، وكذلك عن المشاكل الفردية للعديد من الأفراد الذين يمثلون النسيج العام الذى يتكون منه هذا المجتمع .

ولا يقتصر الأمر عند حد اغفال المشاكل الحقيقية للحياة ، وانما تسعى وسائل الاعلام مجتمعة الى احلال القيم الســلبية محــل القيم الايجابية فى البناء الاجتماعى ، وفى ذلك يقول الحالة رقم (٦) « أنا من يوم ما وعيت وأنا والحمد لله باصلى وباعرف ربنا .. وبأحاول انى ابعد عن أى نوع من المعصية .. انما الاغراء للمعصية بيخش علينا جوه بيوتنا .. يمكن ٩٠٪ من اعلانات التلفزيون بتحرك فينا الغرائز اللى بنحاول نسيطر عليها لحد ما نتجوز .. لأن الدين بيقول كده .. واحنا اتربينا على كده .. أى اعلان يبعلن عن بارفان أو صابون أو كوكا كولا أو اى حاجة هايفة تانية .. لازم يحشروا فى الوسط علاقة بين راجل وسيم جداً وبنت جميلة جداً .. الكلام ده كويس فى دولة مافيهاش دين قوى زى الدين الاسلامى .. انما فى مصر ده بيتعارض مع القيم اللى اتربينا عليها ، وبيخلى الواحد أحيانا يفكر انه يمشى ورا الشيطان » .

وتقول الحالة رقم (٥) التلفزيون أصبح سلاح ذو حدين .. حد بيوجه التوجيه السليم أحيانا .. والحد التانى بيبوظ القيم لانــه بيفسد العقول .. وتأثيره فى البوظان جامد جدا .. لأنه دلوقتى فى كل بيت .. فمهما كانت الأسرة محافظة وعاملة كونترول على أولادها .. الكنترول ده بيبوظ بسبب التلفزيون .. مثلا الاعلانات المختلفة عن الماركات العالمية لوسائل التجميل .. دايما بيربطوها بأن الجمال هو تقريبا سبب الخناقات اللى بينى وبين ماما على طول .. لأنها أولا مش عايزة تبقى جميلة فى نظر الناس .. ومن خلال الاعلانات دى باحس انى لازم أشترى وسائل التجميل دى علشان أبقى معقولة .. وده تقريبا سبب الخناقات اللى بينى وبين ماما على طول .. لأنها أولا مش عايزانى أحط ماكياج .. الى جانب ان المكياج بيتكلف مبالغ مهولة » .

ومن هذا نرى ان القيم الاجتماعية والدينية التى تعمل على تنميط السلوك والعلاقات بين الجنسين بمختلف وسائل وأساليب الضــبط

الاجتماعى غير الرسمى منذ مراحل الطفولة المبكرة ، تتعارض الى حد كبير مع ما تقدمه لنا وسائل الاعلام من اغراء واثارة للغرائز • وتؤدى بالشباب الى الدخول فى مرحلة من تصارع القيم الايجابية التقليدية ، وتلك الأخرى السلبية المستحدثة .

ولا يقف الأمر عند ذلك الحد ، بل يمتد تأثير وسائل الاعلام الى تغيير القيم الاقتصادية والاستهلاكية التى تخدم فى النهاية السوق العالمى والجوانب السلبية لسياسة الانفتاح الاقتصادى ، اذ يقول الحالة رقم (٩) « مافيش بيت دلوقتى تقريبا الا وعنده تلفزيون .. حتى فى الأسر اللى على قد حالها زينا بيكون التلفزيون أول حاجة تفكر فيها .. احنا ما نقدرش على مصاريف المسرح .. أو السينما .. والتلفزيون هوه التسلية الوحيدة لينا .. نبقى آكلين فرديحى والا فتة عدس .. ونبص نلاقيهم بيعلنوا عن السلع الغذائية المستوردة والشيكولاتة والآيس كريم .. وبيفترضوا ان الناس كلها عارفه الحاجات دى ومتعودة عليها .. وان الاعلان ده نوع من المنافسة لشركات أو مصانع تانية .. ومابيعرفوش انه نوع من المنافسة للعدس والفول والطعمية اللى هو قوت أغلبية الشعب .. والا الاعلان اللى بيقول « تخلص من حمامك القديم ، انسفه نسفا » وزى ماقلتلك قبل كده .. هو فيه حمام أصلا عشان أنسفه » .

واذا كانت مثل تلك الاعلانات تجد صدى من السخرية لدى مثل تلك الحالة التى لا تمكنها امكانيات أسرتها المادية من مسايرة مثل ذلك الاغراءات الا ان ذلك ينعكس على مثل هذه الحالات بنوع من الشعور الشديد بالحرمان ، والاحساس باتساع فجوة التفاوت الاجتماعى بين هذه الفئة وبين الفئات الأخرى القادرة على مسايرة القيم الاستهلاكية، وكذلك الشعور بالضآلة لعدم القدرة على هذه المسايرة .

وقد أدى الاتجاه نحو احلال القيم المادية فى الفترة الأخيرة ، الى صراع وتنافس العاملين فى قطاعى السينما والمسرح فى تقديم الانتاج الفنى الذى يتخذ من بساطة وعدم وعى قطاع عريض من المجتمع ، وسيلة للحصول على أكبر قدر ممكن من الربح ، دون النظر للمحتوى العام وللقيمة الحقيقية لما يقدم الى جمهور المشاهدين .

وقد عمدت الرأسمالية الجاهلة التى تأخذ بزمام العمليات الانتاجية للأفلام والمسرحيات الى اتخاذ عناوين مسرحياتهم وأفلامهم شباكا لتصيد هذا القطاع . فنجد أن الاعلانات التى تملأ صفحات الجرائد ، وتتصدر اعلانات التلفزيون ، وتصدم لافتاتها أعين المارة فى الشوارع والميادين،

وقد ركزت جميعا على أسماء تتسم اما بالانحراف الخلقى أو الانحراف الاجتماعى ، وهى بذلك تتصيد العقول الساذجة بهدف تصيد مافى جيوب هذه الفئة فى سبيل مصالحها المادية الخاصة ، ودون النظر الى خطورة التأثيرات السلبية التى تعكسها مثل هذه الافلام على القيم والاتجاهات العامة ، والتى تنعكس بدورها على البناء الاجتماعى ككل .

ففى السنوات الأخيرة ، تغيرت رسالة المسرح كأداة اعلامية تقوم بأداء دورها فى اطار ثقافى ترفيهى ، حيث كانت المسارح فيما سبق تقوم بتقديم أنماط من الأدب الرفيع أو المتع الترفيهية غير المبتذلة ، والتى تشكل اضافة ثقافية تدعو الى اعمال الفكر وتكوين ملكة النقد الواعى البناء . ثم ترتب على خلل السياسات الاقتصادية ، ان حدث خلل فى توزيع دخول الأفراد ، مما أدى الى ظهور فئة جديدة من الأغنياء الجدد الذين يملكون المال ولا يملكون المعرفة أو الثقافة ، ممن يمكن أن نطلق عليهم مصطلح « أصحاب رأس المال الجاهل » ، وممن يبحثون عن مختلف السبل والوسائل لمضاعفة رؤوس أموالهم ، وحيث يحققون أهدافهم عن طريق دغدغة عواطف وأحاسيس وغرائز الفئات الجديدة التى أفرزها الانفتاح الاقتصادى ، والتى لا تمتلك أى قدر من الثقافة أو الوعى ، ولكنها تمتلك الامكانيات المادية للتردد على المسارح بحثاً عن الامتاع الرخيص ، حيث يبلغ سعر تذكرة المسرح أحيانا نصف الراتب الشهرى لخريجى الجامعة .

وقد أدى ذلك الى انهيار صرح المسرح المصرى فى معظمه ، سواء من حيث نوعية المترددين عليه ، أو من حيث مستوى العروض المقدمة، مما ترتب عليه ضياع نبالة وقداسة الحفلات المسرحية التى كان يتابع فيها المشاهدون العروض فى وقار واحترام ، ويتبادلـون التعليقـات الهامشية بطريقة والفاظ مهذبة ، بحيث يحترمون حـق الآخـرين فى الاستمتاع بالعرض المقدم — أما فى ظل العروض المسرحية والسينمائية التى تقدم حاليا من قبل فئة الرأسمالية الجاهلة الى فئة المشاهدين ممن ينتمى أكثرهم الى الرأسمالية الجاهلة أيضا ، فانهـا تتميز بالجـو الصاخب والألفاظ النابية والتعليقات اللا أخلاقية . حيث يصاحب ذلك كله أصوات « قزقزة » اللب وأصوات باعة السندوتشات والمشروبات — بحيث يتصرفون وكأن ما أنفقوه من ثمن مرتفع لبطاقة الدخول يخول لهم الحق فى اعتبار قاعات السينما أو المسرح حكراً لهم ووقفا عليهم ، ومن ثم فلا يقيمون أى وزن لحق الأفراد الآخرين ، الذين تصك آذانهم الألفاظ الخارجة ، وتصفع مثالياتهم التعليقات البذيئة .

ويرجع تدهور رسالة كل من السينما والمسرح حاليا الى انتقال السيادة فى هذين المجالين من أيدى الرأسمالية المستنيرة الواعية فى الماضى الى أيد فئة الرأسمالية الجاهلة التى طفت على سطح المجتمع المصرى خلال السنوات الماضية ، اذ قامت الأولى باثراء المناخ الثقافى عن طريق تأسيس الفرق المسرحية وانتاج الأفلام السينمائية الهادفة . حيث قامت الفرق المسرحية من أمثال فرق جورج أبيض وفاطمة رشدى ونجيب الريحانى وعلى الكسار بتقديم روائع الأدب المسرحى العالمى والمحلى ، واغنت وطورت الفنون التعبيرية والموسيقية — اما الفئة الثانية من أصحاب الرأسمالية الجاهلة فقد أدركوا أن الفن الرفيع لن ينجح فى اصطياد أموال من هم على شاكلتهم ، وذلك بسبب الفجوة الثقافية التى لا تمكنهم من استيعاب وتقدير هذا الفن . كما أدركوا أن ارتفاع أسعار بطاقات الدخول لن يؤدى بدوره الى استقطاب الفئة المثقفة التى تستطيع أن تندمج وأن تقدر هذا النوع من الفن الرفيع ، حيث يؤدى انخفاض مستوى القدرات الشرائية بالنسبة لمعظم أفراد هذه الفئة الى عدم قدرتهم على مجاراة الارتفاع الهائل فى أسعار العروض المسرحية والسينمائية .

العدالة القانونية :

وتمتد أزمة الشباب المرتبطة بعدم الثقة فى مؤسسات الدولة الى مفهوم العدالة القانونية . اذ ينقسم مفهوم العدالة المجرد الى شقين ، الشق الأول هو العدالة الاجتماعية الاقتصادية ، والذى يتمثل فى التوزيع العادل للثروة على أفراد المجتمع دون استئثار طبقة أو عدة طبقات بالنصيب الأكبر ، فى حين يحرم الباقون ، كذلك الأمر فى توزيع الضرائب واحتلال المناصب المرموقة فى المجتمع . أما الشق الثانى للعدالة ، فيتعلق بالعدالة القانونية الجنائية ، والتى تعنى فى مضمونها حرية القانون وسيادته حيث يطبق على الجميع دون تميز أو محاباة .

وتشير نتائج دراسة عاطف فؤاد التى أجريت على ٣٧٦ مبحوثا من الريف والحضر يمثلون أربع طبقات من طبقات المجتمع المصرى ، الى أن هناك شعوراً بالاحتياج الى العدالة بنوعيها ، الاجتماعى والاقتصادى وكذلك القانونى ، وكذلك حاجتهم الى المساواة واعطاء كل ذى حق حقه ، والامتثال للقانون ، وعدم التمييز بين الأفراد فى المعاملة (٦) .

وقد تناولنا فى بدايات الفصل السابق الشباب وأزمة العدالة الاجتماعية الاقتصادية ، باعتبار أن الأوضاع الاقتصادية لأفراد المجتمع هى التى تبلور المفاهيم الخاصة بالعدالة الاجتماعية . ومن ثم فاننا فى

هذا الموقع بصدد تحليل أزمة الشباب فيما يتعلق بمفهوم العدالـــة القانونية ، من حيث ارتباط هذا المفهوم بمؤسسات الدولة ، حيث تقول الحالة رقم (٥) « احنا بنقرا كثير من الضغوط اللى بيواجهها القضاة فى مصر .. القاضى بيكون عنده ٣٠ أو ٤٠ قضية فى وقت واحد .. ازاى يقدر يقراهم كلهم ويستوعبهم علشان يكون عادل فى حكمه » .

ويقول الحالة رقم (٧) « انا كنت عملت حادثة بالعربية .. واتعملت لى جنحة .. طبعا مافيش داعى أحكى على اللى شفته فى القسم .. وانى قضيت ليلة فى الحجز مع الحرامية وبتوع المخدرات واللى كانوا بيعاملونى كأنى واحد منهم بالضبط .. المهم اثناء نظـر القضية .. كان دورى فى الرول رقم ١٢٧ .. ولما سألت الحاجب قال أن القاضى عنده النهارده ١٥٧ قضية .. الحاجة المهمة فى الموضوع .. ان القاضى معندوش وقت يسمع كويس للمتهم ولا للشهود .. وهو طبعا معذور لأن ده معناه أن الأربعة وعشرين ساعة مش حيكفوه .. انما المهم فى الموضوع ده .. ازاى يبت فى مصير ناس .. ويكون عادل وموضوعى فى الأحكام اللى بيصدرها .. اهو ده اللى أنا مش فاهمه ».

واذا تأملنا ما اشار اليه كل من الحالتين السابقتين ، وحاولنا تحليل ما جاء على لسانهما ، لوجدنا اننا نتساءل بدورنا ، كيف يتيسر للقاضى وهو الذى يمثل ضمير المجتمع وسلطانه ، وهو الذى يتحدث باسم العدل الذى هو من صفات الله ، أن يلتزم بالعدل والموضوعية مهما حاول قدر جهده الالتزام بذلك . فهو كقاض مثقل بعشرات القضايا التى يجب عليه الاعتكاف ساعات طويلة لدراستها واستيعابها ، وهو كانسان مثقـل بالتزامات اخرى عديدة ، فهو أب وزوج ، وعليه مسئوليات أسريـة متشعبة ، وهو كفرد من أفراد المجتمع يخضع للعديد من أوجه المعاناة اليومية التى يخضع لها سائر أفراد هذا المجتمع ، فكيف يتسنى له فى ضوء تلك الالتزامات والواجبات والضغوط أن تتسم قراراته بالعدل والموضوعية حيال تلك القضايا التى يسند اليه النظر فيها ، خاصـة وان قراره هذا يعد قراراً مصيرياً فى حياة أصحاب هذه القضايا ؟

اما بالنسبة للنقطة التى أثارها الحالة رقم (٧) بصورة عرضية، وهى قضاؤه ليلة كاملة فى الحجز مع مجموعة من المنحرفين ، فان ذلك فى حد ذاته يعد قضية خطيرة من القضايا التى تمس الشباب ، اذ أن وضع الشاب الذى يقع تحت طائلة القانون لأول مرة سواء كان ذلك

نتيجة اخلال متعمد بالقانون ، أو نتيجة خطأ غير مقصود ، يختلف كثيراً عن معتادى الاجرام ممن يدبرون أو يخططون لجرائمهم المرة بعد الأخرى . هذا الى جانب أن التفاوت الاجتماعى والفكرى يفصل فصلا تاما بين طبيعة أمثال الشاب المثقف الذى يتعرض للمحاسبة بسبب خطأ غير متعمد وبين طبيعة النوعيات الأخرى من الأفراد والذين تتم جرائمهم عن قصد وترصد . وبالتالى فان الاجراءات التى تتبع فى أقسام البوليس بوصفها مؤسسة من مؤسسات الدولة ، تتم بهدف تطبيق القانـــون حرفيا ، دون محاولة تغليف هذا التطبيق بنوع من المرونة التى تستهدف مصلحة الأفراد (*) .

وتلعب وسائل الاعلام دوراً بارزاً فى أزمة الثقة بين الشباب وبين مؤسسات الدولة فيما يختص بمفهوم العدالة ، ويتضح ذلك من قول الحالة رقم (٣) (« الجرايد كل يوم والثانى بتطلع علينا بمجموعـــة أخبار عن جرايم سرقة وقتل واختلاسات ومخدرات .. وبعدين بتضح ان ده كله كلام جرايد .. أنا مش فاهم يعنى ايه واحد قاتل والا مهرب مخدرات والا تاجر عملة يتمسك ، ويبقى بينه وبين حبـــل المشنقـــة متر .. أو تطلب النيابة السجن المؤبد ليهم .. وبعدين نفاجـــأ بأنهم طلعوا براءة لأن اجراءات الضبط كانت غير قانونية أو كان فيهـــا ثغرة » . وعلى الرغم من أن صاحبة هذا الرأى طـــالبة فى كليـــة

(★) تيسر لى القيام بزيارة رسمية الى أحد السجون فى الولايات المتحدة الأمريكية وهو « كينيدى سنتر » ، حيث يخصص هذا السجن للشباب الذى أقدم على ارتكاب جريمة لأول مرة فى حياتهم ، ممن قضى عليهم بالسجن لمدة لا تتجاوز أربع سنوات ، حيث يتمتعون فيه بنوع من الحياة الاجتماعية وحرية الحركة طوال اليوم ، واستقلال كل منهم بغرفة أنيقة ، تتوافر فيها كافة وسائل الترفيه والراحة . الى جانب توفر كافة الوسائل الترفيهية من مسرح وسيما وحمام سباحة ، وكذلك مكتبة ضخمة ، الى جانب مجموعة من الفصول الدراسية ، والورش الحرفية بحيث يتناسب ذلك مع حاجات كل فرد من الأفراد . كما تميز مطعم السجن بطابع يماثل أفخم المطاعم التى توفرها الجامعة لطلابها . ـ ويتم تناول الغذاء مرتين أسبوعيا فى الحدائق المترامية على شكل « بوفيه مفتوح » . كما أن حراس هذا السجن لا يحملون أى نوع من المسدسات ، ولا يقومون باغلاق المنافذ الخارجية للسجن أو البوابات الرئيسية . اذ أنه من المعروف لدى المساجين أن كل من يقوم بالهرب سوف يودع بعد القبض عليه فى واحد من السجون التقليدية التى تتميز بالمعاملة الخشنة والصارمة . ويتلخص الهدف الاجتماعى من اقامة هذا السجن ، الى عدم المساواة بين من أقدم على الجريمة لأول مرة وبين معتادى الاجرام ، اذ أن تلك الفئة الأولى فى حاجة الى الاصلاح والتقويم وليس الى العقاب أو القصاص ، الى جانب أن الفصل بين هذه الفئة الثانية يبعدها عن التأثيرات والضغوط التى تقع عليهم من جانب فئة معتادى الاجرام .

الحقوق ، ومن ثم فهى على قدر ما من المعرفة النظرية للقانون ، الا انها مثلها فى ذلك مثل سائر فئات الشباب الأخرى يقعون فريسة لما تفرضه عليهم وسائل الاعلام من بلبلة وتشوش فى الأفكار ، فالصحفى الذى يجرى وراء أخبار الجرائم ليقوم بنشرها ، لا يفرق عادة بين ما يجب أن يظهر للرأى العام وما يجب أن يخفى عليه حتى تنتهى الاجراءات القانونية ، فهو فى ثورة حماسه يعلن عن الشكل العام لملابسات الجريمة بعناوين ضخمة ومثيرة ، وعندما تتضح الحقائق من خلال التحقيق تنتهى هذه العناوين الضخمة والتحقيقات المثيرة الى سطور قليلة فى ركن من أركان الجريدة لتشير الى أحكام البراءة أو الأحكام المخففة . وكان الأحرى فى هذا الخصوص ، أن تقوم الصحف بنشر وقائع الجرائم والجنايات بعد انتهاء النظر فيها وبعد صدور الأحكام النهائية لها . اذ أن ذلك يقلل من حدة البلبلة الفكرية التى تصيب قطاعات المجتمع بشكل عام وقطاع الشباب بصورة خاصة ، حيث تؤدى هذه البلبلة الى فقدان الثقة فى أهم مؤسسة من مؤسسات الدولة ، باعتبار أن فقدان الثقة فى العدالة القانونية يؤدى بالضرورة الى سيادة شريعة الغابة ، حيث يسعى كل فرد الى تحقيق العدالة من وجهة نظره بالطريقة التى تتراءى له .

البيروقراطية :

وتمثل البيروقراطية المنتشرة فى كافة الادارات والمؤسسات الخاضعة للدولة محوراً آخر من محاور أزمة الشباب ، فالبيروقراطية Bureaucracy من وجهة نظر ماكس فيبر Max Weber تحكمها مجموعة من العوامل والأهداف ، فهى تقوم بترشيد الأعمال الرسمية على أسس استمرارية ، كما ترشد هذه الأعمال وفقا لقواعد بعينها ، كما تكون كافة المسئوليات والسلطات الخاصة بكل مسئول جزءاً من النظام الهرمى للسلطة ، الى جانب الفصل بين المصادر المالية العامة وبين الدخل الشخصى ، وكذلك الفصل بين الأعمال الرسمية والشئون والعلاقات الشخصية (١٧) .

وقد ذاع استخدام هذا المصطلح عند بعض الدارسين الأوربيين ، وبخاصة الألمان منهم فى القرن التاسع عشر ، حينما زاد تدخل الدولة وسيطرة الموظفين على أجهزة الحكومة . والبيروقراطية قد تدرك بوصفها نموذجا مثاليا ، حيث تشير الى مبادىء التنظيم التى تقترب فيها التنظيمات الواقعية بمستويات مختلفة متفاوتة ، وأهم خصائص النموذج المثالى الرشد فى اتخاذ القرارات ، ولا شخصية العلاقات الاجتماعية ، واستقرار المهام الوظيفية والادارية ، ومركزية السلطة ،

ومن بين الخصائص المصاحبة لنمو التنظيمات البيروقراطية ، انتشار الروتين والقواعد الجامدة ، والتأكيد المرضى على الاجراءات (٨) . وهذا هو ما نعنيه بأزمة الشباب مع البيروقراطية ، حيث يتضح ذلك مما يقوله الحالة رقم (٦) « بابا لما حصلتله الحادثة ما حدش من زمايله قبض ليه المرتب .. فاضطـــريت انى أروح بنفسى .. ودى كانت أول مرة فى حياتى أواجه البيروقراطية والروتين .. أولا كتبت طلب على ورقة دمغة .. وفضلت أروح بالطلب من مكتب للثانى حوالى أربع أيام .. بالرغم من أنهم كلهم عارفين انه والدى وانه فى المستشفى .. وما استلمتش المرتب الا بعد مامضى على الطلب ١٢ موظف » .

ويقول الحالة رقم (١) « الواحد بقى يخاف يدخل مكتب من مكاتب الحكومة علشان يخلص أوراق له . أنا أحيانا كثيرة بأخلص حاجات خاصة بالورشة زى الضرايب أو التأمينات .. الكلمة اللى الواحد بقى يكره يسمعها كلمة فوت علينا بكره .. والصبر مفتاح الفرج .. وهيه الدنيا طارت .. وخلى بالك طويل .. والأكثر من كده لما واحد يقولك عينى عينك .. فتح مخك وهيه تمشى .. فتح مخك يا اما رشوة .. يا أما تشوف واسطه يخلص لك الشغل بتاعك » . وترتبط البيروقراطية الى حد كبير بأزمة الثقة فى الفرد المصرى وفى تصرفاته وسلوكياته ، فالفرد مطالب بتقديم مجموعة كبيرة من الوثائق المعتمـــدة من أكثر من جهة أو ادارة حتى تعزز هذه الوثائق مطلبه ، وتأتى هذه المطالب التى تكون فى العادة حقا من حقوق الفرد على حساب اهدار وقت صـــاحب الحاجة ، واهدار أوقات الموظفين فى نفس الوقت . كما تكون فى كثير من الأحيان اهدارا لكرامة الشخص الذى يسعى وراء انجاز حاجـــة له ، فهو يتلطف تارة ، ويتذلل تارة أخرى ، بل ويصل به الأمر فى بعض الأحيان الى شعوره بأنه يلجأ الى درب من دروب الشحاذة فى سبيل الحصول على حق له . وتنعكس البيروقراطية بشكل حاد على فئة الشباب بصفة خاصة ، وذلك من جراء الحماية التى تزوده بها الأسرة دائما ، ونعومة الحياة وسلاستها فى الفترات الأولى من حياة الشباب ، اذ تقوم الأسرة بالعديد من الأدوار التى تحجب الشباب عن التعاملات الخارجية ، ومن ثم تتسم أفكار الشباب حيال هذه التعاملات بالمثالية والسطحية ، مما يؤدى بهم عند خروجهم الى معترك الحياة الواقعية الى المواجهة الحادة للأوضاع القائمة ، وبالتالى تؤدى هذه المواجهة الى اهتزاز مثالياتهم وقيمهم وأفكارهم .

الرشـــــوة :

وتعد ظاهرة الرشوة امتدادا للروتين والبيروقراطية . ويتحدد التعريف القانونى للرشوة Bribe كما تذهب شاديه قناوى الى أنه فعل يرتكبه موظف عام ، أو شخص ذو صفة عامة يحاول أن يتجـر بوظيفته ، وذلك بأن يطلب أو يقبل أو يأخذ نقودا أو هدية أو اية فائدة مادية كانت أو معنوية لنفسه أو لغيره مقابل أداء ، أو الامتناع ، أو الاخلال بعمل من أعمال وظيفته مع علمه بذلك (٩) — وحيث أن عناصر البناء الاجتماعى تتكون من أفراد لهم أدوار محددة بذاتها ، كما أن هذه الأدوار تكون محكومة بمستوى معين من الانجاز أو الأداء الذى يتفق وتوقعات الآخرين ، فان الموظف وهو يقوم بأداء دوره من واقع وظيفته عليه أن يلتزم بالمعايير الاجتماعية ، بحيث يفرق بين انجازه لعمله ، والخدمات التى يقدمها للأفراد ، وبين المنافع المادية أو الشخصية التى تعود عليه من بعض الأفراد الذين يقدم لهم هذه الخدمات . ولـكن الوظيفة العامة فى مصر قد تدهورت فى السنوات الأخيرة الى حد كبير ، حيث يشغل البعض المنصب أو الوظيفة لتحقيق بعض المكاسب المادية غير المشروعة ، أو استخدام نظام المبادلة فى تقـديم الخـدمات أو تيسيرها . وفى ذلك تقول الحالة رقم (١٠) « علشان الواحد يمشى حاله أو يخلص مصالحه لازم يفقد ضميره علشان يعامل النـاس زى ما بيعاملوه .. يعنى اما انه يشوف واحد على مستوى ياخـد منه كارت . أو يكون ليه صديق فى الجهة أو الادارة اللى ليه فيها مصلحة .. واما بقى وده اللى ماشى دلوقت انه يدفع رشاوى علشـان مصلحته تنقضى » — ويقول الحالة رقم (٩) « المشكلة مش فى الرشوة فى حد ذاتها .. لأن فيه ناس غلابة كثير ومرتباتهم ماتفتحش بيوت .. والرشوة أو البقشيش لأنه نوع من الرشوة .. مورد أساسى بيعتمدوا عليه بالاضافة لدخولهم .. انما المشكلة .. فى انهم بيفتكروا ان كل الناس أغنى منهم .. وان اى واحد لازم يفتح مخه علشان شغلـه يمشى .. طيب لما أنا أكون واحد غلبان ويمارس على واحـد فـوى ضغوط مختلفة علشان أدفع له رشوة انا أصلا مش قادر عليها .. طيب ما أنا حاستغل فى يوم من الأيام قوتى أو سلطتى علشان أبتز اللى أضعف منى » ومن هذا نرى مدى تزعزع ثقـة الشباب فى مستوى اداء الوظيفة العامة فى الدولة ، كما يتبين لنا من تحليل الحالة الأخيرة دلالة خطيرة لانتشار الرشوة مما يهدد القيم العامة للقاعدة العريضة من الشباب فلأن الشباب هو أكثر فئات المجتمع طموحا وتطلعا لتحقيق مثاليات مطلقة ، فانهم يكونون اكثر الفئات التى تقع تحت وطأة المعاناة من الواقع المعاش ، اذ نجد أن الاصطدام بهذا الواقع قد يؤدى بالكثير

منهم الى الانحراف عن القاعدة القانونية وعن أهداف المجتمع عن طريق استجاباتهم لأشكال عديدة من السلوك اللاقيمى ، فقد يلجأ البعض عندما تتاح له الفرصة التى استغلال موقعه الوظيفى وما قد تتيحه له امكانياته وسلطاته فى مجال العمل ، الى السعى لتحقيق مصالحه الشخصية والخاصة على حساب المصلحة المجتمعية العامة ، وتأخذ وسائل تحقيق المصالح الشخصية صوراً شتى ، تشتد فى حدتها من فرد الى آخر ومن موقع وظيفى الى آخر ، كالرشوة والسرقة والاختلاس . كما نجد أن اصطدام الشباب بالواقع المعاش قد يؤدى بهم الى الالتزام المرضى بحرفية القانون الذى يترتب عليه الروتين وعدم المرونة والبيروقراطية بجوانبها السلبية .

وقد قامت شاديه قناوى بتحليل مضمون ٥٦ قضية من قضايا الرشوة خلال الفترة من ٦١ حتى عام ٧٤ ، كما استعانت بمحاضر الجلسات التى يحاكم فيها المتهمون بقضايا الرشوة ، وكذلك بالبيانات الاحصائية الموجودة بتقارير الأمن العام التى توضح عدد جنايات الرشوة خلال السنوات المختلفة ، وحالة المتهمين الاجتماعية ومهنهم وأعمارهم ، حيث خرجت بنتائج مؤداها أن الرشوة ترجع لطبيعة العلاقة غير المتكافئة بين موظفى الدولة ذوى الدخول المحدودة ، وأصحاب المشروعات الخاصة المترددين للحصول على بعض التصاريح لأعمالهم، والذين لا يتوانون عن دفع عدة آلاف من الجنيهات فى بعض الأحيان على سبيل الرشوة . مقابل تحقيق هذه الأعمال فى أسرع وقت ممكن ، كما أشارت الى أن ذوى الدخول المحدودة أو الفئات الدنيا فى المجتمع المصرى هى أكثر الفئات الاجتماعية اقترانا لجريمة الرشوة (١٠) واذا كانت شاديه قد أجرت دراستها منذ ما يقرب من عشر سنوات واستطاعت أن تخرج بتلك النتائج الموضحة عاليه ، فان هذه الظاهرة قد استشرت فى السنوات الأخيرة واتسع نطاقها بحيث أصبح طرفاها فى كثير من الأحيان أفراداً من ذوى الدخول المحدودة ، اذ صار من العسير حالياً وبصورة كادت أن تصبح هى القاعدة العامة ، وجود أى مجال أو قطاع من مجالات وقطاعات الخدمات يقوم بالقدر الكافى من الفعالية فى اداء خدمات أو القيام بعمله الا فى مقابل أى نمط من أنماط الرشوة ، وخاصة بالنسبة للخدمات التى تتعرض لطول الاجراءات أو الروتين ، أو التعقيدات البيروقراطية .

أما بالنسبة للنقطة الهامة التى أشارت لها نتائج شاديه قناوى وهى أن ذوى الدخول المحدودة ، أو الفئات الدنيا فى المجتمع المصرى هى أكثر الفئات الاجتماعية اقترانا لجريمة الرشوة ، فان ذلك كان ملائما الى حد ما فى تلك الحقبة الى أجريت فيها الدراسة ، الا أن الدلائل

ومجريات الأحداث تشير حاليا الى ارتفاع المستوى الاجتماعى والتعليمى لبعض الفئات الحالية ممن يتقاضون الرشوة فى العديد من قطاعات الدولة ، حيث يرجع ذلك الى الثبات النسبى لمستويات الدخول ، والارتفاع اللامتكافىء لتكاليف المعيشة ، وما صاحبها من ارتفاع الأعباء الاقتصادية لمسايرة التطور الحضارى المادى الذى انعكست آثاره وصوره على كافة الطبقات فى مصر بدرجات متفاوتة ، الى حد امتداد هذه الآثار الى المجتمعات الريفية فى المجتمع المصرى .

ويرجع السبب فى ظاهرة الرشوة والتى يكون الشباب طرفا ايجابيا أو سلبيا فيها ، الى انخفاض المستوى الاقتصادى لفئات العاملين فى مجال الخدمات ، وضعف رواتبهم ، وارتفاع مستوى تطلعاتهم ، بالاضافة الى عدم كفاية وسلامة اجراءات الرقابة على أعمالهم ، وانخفاض مستوى الوعى بينهم . وعلى ذلك لا يمكن فهم وتفسير ظاهرة الرشوة بمعزل عن السياق العام لعوامل التغير الاقتصادية والاجتماعية التى تطرأ على البنية الاجتماعية .

فانعكاسات آليات السوق العالمى على البناء الاقتصادى والاجتماعى للمجتمع تلعب دوراً كبيراً فى ظهور وانتشار ظاهرة الرشوة بتلك الحدة التى نراها فى الوقت الحاضر ، حيث يؤدى عدم استقرار السياسة العامة الاقتصادية والاجتماعية للدولة ، الى ظهور مجموعة متداخلة من المشكلات التى تؤدى الى انخفاض مستوى المعيشة للغالبية العظمى لمفردات المجتمع نتيجة ارتفاع الأسعار ، وتأكيد القيم الاستهلاكية بمختلف صور الاغراءات الاعلانية والدعائية ، واغراق السوق بمواد الاستهلاك الترفى ، مما دفع بالأفراد الى الوقوع بين أشكال الصراعات المختلفة المترتبة على عدم مقدرتهم على اشباع حاجاتهم ومتطلباتهم ، والمواءمة بين قدراتهم ومواردهم المتاحة ، وبين تلبية هذه القيم الجديدة التى تفرض وجودها فى المجتمع ، ومن ثم فقد ينتج أحيانا عن هذا الصراع ، أن يتخلى بعض الأفراد عن معايير المجتمع ، وقيمه الاجتماعية فى سبيل اشباع حاجاتهم وتطلعاتهم ، متمثلا فى الاتجاه نحو تقاضى الرشوة فى مقابل ما يقدمونه من خدمات ، أو فى مقابل السرعة فى انجاز بعض الاجراءات .

— المؤسسات الطلابية والشبابية :

واذا انتقلنا الى محور آخر من محاور أزمة الشباب ، فاننا سنجد أن ذلك يتمثل فى معاناة جيل الشباب من عدم وجود فرص أو وسائل يعبرون من خلالها عن آرائهم وهمومهم أو يطرحون قضاياهم

وطموحاتهم ، فوسائل الاعلام لا توفر مثل هذه الفرص ، كما أن منظمات الشباب ان وجدت تكون عاجزة ولا تمثلهم من قريب أو بعيد ، ولهذا يتراكم كما يشير عزت حجازى الشعور بعدم الرضا والرفض والتمرد فيهم شيئا فشيئا حتى ينفجروا ثائرين حين تتاح لهم فرص الثورة (١١)
ويتضح ذلك من قول الحالة رقم (٤) « احنا فئة من فئات المجتمع لينا مشاكل .. بعضها مشاكل خاصة .. وبعضها مشاكل عامة .. لا بنلاقى اللى يساعدنا فى حل مشاكلنا الخاصة .. ولا اللى يحل لينا مشاكلنا العامة .. » ـ وتقول الحالة رقم (٥) « أيام انتخابات الاتحاد .. الواحد بيحس ان الجامعة والكلية حيبقوا حاجة تانية غير اللى احنا عارفينها .. وعود وكلام وشعارات واعلانات وحاجات شكلها عظيم جداً .. وبعد الانتخابات ماتخلص .. مابنشفش الا اعلانات عن الرحلات والحفلات وبس » ـ ويقول الحالة رقم (٩) « اتحاد الكلية اسم على غير مسمى .. مجرد منظرة .. الحرب والتكتكة اللى بنشوفها أيام الانتخابات كلها علشان يوصلوا للاتحاد بس وكأنهم حيوصلوا لمقاعد الحكم .. طيب بيعملوا أيه لحل مشاكل الطلاب مع الكتاب الجامعى .. ومع مواعيد الدراسة والمحاضرات غير المناسبة .. ومع الكراسى المكسرة اللى مابتكفيش نص أعداد الطلبة .. ولا حاجة » ـ ويقول الحالة رقم (١٠) « مافيش فى البلد كلها اى هيئة او مؤسسة بنقدر نعبر فيها عن رأينا .. المفروض يدونا الفرصة اننا نتكلم .. حتى لو كان الكلام غلط من وجهة نظر اللى ماسكين البلد .. انما ده حق . من حقوقنا خصوصا داخل الجامعة لأن اذا ماقلناش اللى احنا عايزينه دلوقتى حنقول امتى » . ومن هذا نرى أن اجهزة الدولة السياسية لم تتمكن من احتواء الشباب ، حيث لم توفر لهم القنوات التى يستطيعون من خلالها التعبير عن احتياجاتهم ومطالبهم وآرائهم ، وقد أدى تأرجح النظام السياسى فى مصر بين اطلاق حريات الشباب فى التعبير عن الرأى فى وقت ما ، وتضييق الخناق على هذه الحريات فى وقت آخر ، الى اعاقة قدرات الشباب فى عملية الدفع نحو تغيير وتطوير المجتمع ، حيث كبل النظام السياسى ايجابيات هذا الشباب ووعيه وحركته عندما لجأ الى أساليب القمع المعلنة وغير المعلنة للحد من المد الثورى المعارض لبعض سياساته ومشروعاته من قبل فئات الشباب .

ويعد خلق روح النقد الواعى لطبيعة النظام الاجتماعى ، وما يحتويه من أبنية قانونية وتشريعية واقتصادية وسياسية وتعليمية ، أمراً لا يمكن تحقيقه الا عن طريق الممارسات العديدة فى مختلف المراحل التعليمية ، ومن خلال المشاركات الاجتماعية والسياسية ، حيث يعتمد ذلك على ما تتيحه مختلف مؤسسات الدولة للشباب من فرص التعبير

الناضج والحر عن طبيعة النظام الاجتماعى ، وانكماء روح النقد الموضوعى والمناقشات الجادة الواعية ، وذلك على أساس أن التعبير غير المقيد للأفراد عن وجهات نظرهم فيما يتعلق بقضايا المجتمع ، التى هى فى نفس الوقت قضايا أفراده ، انما هى حق طبيعى تكفله لهم قوانين الدولة وتشريعاتها .

أوقات الفراغ :

اما بالنسبة لأزمة الشباب بالنسبة لقضاء أوقات الفراغ ، فهى ترجع الى عدم اهتمام مؤسسات الدولة الكافى بانشاء الملاعب والأندية والمراكز الشبابية لاستيعاب طاقات وقدرات الشباب ، كما ترجع فى المرتبة الأولى الى عدم التدريب على كيفية قضاء وقت الفراغ بطريقة سليمة فى مراحل الطفولة المبكره ، حيث يعد هذا التدريب جزءاً من وظيفة الوالدين معاً ، حتى بالنسبة للآباء المثقلين بالعمل ، فانهم يمكنهم تنظيم ولو ساعات قليلة من اجل القيام ببعض الأعمال التى تذكى فى الأطفال الشعور بأهمية استغلال أوقات الفراغ . مثل توجيههم نحو القراءة ، أو المشاركة فى الالعاب التى تنمى القدرة على التخيل والابداع ، والتردد على المتاحف والمعارض ، اذ أن مثل تلك الممارسات تؤدى الى اتساع مدارك الأطفال ، وأفق تفكيرهم ، الى جانب اكتساب ما يتفق مع ميولهم ، ويحقق اشباع هذه الميول فى نواحى الحياة الواقعية فى المراحل العمرية المقبلة ، حيث ينسحب الأبوان تدريجيا من هذا المجال فى فترة المراهقة وما بعدها ، وحيث يقف دورهم عند حد التوجيه غير الملزم والارشاد الذى لا يأخذ صفة القهر(١) اما عن أنماط الممارسات الفعلية لأنشطة أوقات الفراغ لدى الشباب فهى تختلف باختلاف التوجيهات القيمية ، وكذلك باختلاف المستويات المادية التى توجه أنشطة أوقات الفراغ ، حيث تتمثل هذه الاختلافات فيما جاء على لسان الحالة رقم (١) اذ تقول « أنا باسافر مع العيلة فى الصيف أوربا كل سنة .. وأحيانا كثيرة فى اجازة نص السنة كمان .. بقية الوقت باقضيه فى حمام السباحة فى شيراتون هليوبوليس أو فندق السلام .. احنا مشتركين فى نادى الشمس .. ونادى الضباط انما مستواهم بقى مش قد كده .. انما أحيانا باضطر أروح النادى لأن معظم أصحابى بيروحوا هناك ولما مايكونش فيه بروجرام خروج ، باتفرج على الفيديو او أسمع موسيقى .. أنا عندى أصحاب فى الشلة بيدخنوا حشيش .. أنا جربته مرة واحدة بس ومعجبنيش طعمه .. السجاير من غير حاجة طعمها أحسن » — وتقول الحالة رقم (٤) « ماما رافضة نشترى فيديو لأنه حيعطلنا عن المذاكرة ، وكمان ما بتوافقش أخرج مع أصحابى .. حاولنا اننا نشترك فى نادى

انما النوادى كلها اما مابتاخدش اعضاء جداد أو بتشترط دفع مبلغ رهيب كاشتراك .. معظم وقتى باقضيه قدام التلفزيون .. أو أسمع موسيقى » — ويقول الحالة رقم (٧) « عادة وقت الفراغ باقضيه مع أصحابى .. أحيانا نلف بالعربيات ونعاكس البنات .. وأحيانا بنروح نتعشى فى ومبى أو أى مكان بنفس المستوى .. أو نقعد فى النادى نتكلم فى السياسة والدين وأى موضوعات جادة .. بالاضافة لأنى غاوى قراية جداً وعندنا مكتبة كبيرة بالاقى فيها دايما كل اللى أنا عايزه .. ده بالإضافة لأنى بالعب كمال اجسام فى النادى .. وباحب الموسيقى الأجنبية .. مافيش حد فى الشلة بيتعاطى أى نوع من المخدرات .. أنا مثلا عمرى مافكرت فيها لأنى بالعب رياضة .. ممكن اشرب بيرة لو فيه مناسبة .. انما فيه شباب أعرفهم فى النادى بيدخنوا حشيش » .

ويقول الحالة رقم (٩) « أنا غاوى لعب كورة .. لكن مافيش نادى بيرضى ياخد الناس الفقرا اللى زينا .. ده حتى لو قدرنا ندفع الإشتراك .. علشان كده بالعب فى الشارع .. صحيح بابقى طويل وكبير على اللعب فى الشارع انما ما باليد حيلة .. أنا غاوى قراية .. بس باقرأ أى حاجة تقع فى أيدى .. ماعنديش امكانية انى أشترى الكتب اللى عايزها فعلا .. معظم باقى الوقت باقضيه مع أصحابى على النواصى .. الشلة بتاعتنا فيها اثنين بيدخنوا حشيش وحاجات ثانية .. همه صنايعية معاهم فلوس .. انما أنا حتى لو معايا فلوس مش ممكن كنت حاقرب من الحاجات دى » .

ويقول الحالة رقم (١٠) « واحد صاحبى والده اشترى أفلام جنسية وهو راجع من الخارج .. صاحبى شافها بالصدفة .. واتفرجنا عليها مرة وأهله مسافرين .. وبعد كده بقينا نأجر الأفلام دى .. ونشوف مين من الشلة أسرته مش موجودة فى البيت ونتفرج عليها عنده .. الأفلام دى غالية انما بنشترك سوا فى ثمنها .. انا غاوى قراية جداً .. انما الكتب ثمنها غالى عليه .. أنا كنت بالعب رياضة زمان ايام المدرسة .. انما فى الجامعة مافيش مجال للهواة .. بيهتموا بس بالناس الى ممكن يدخلوا بيهم مسابقات .. أنا جربت الحشيش مرة واحدة من باب العلم بالشىء .. انما انا مش مقتنع بيه .. حتى لو معايا فلوس زيادة أفضل انى أشترى بيها كتب أو أتفسح بيها » .

ويقول الحالة رقم (٦) « وقت فراغى محدود جداً .. انما لما بيحصل ويكون ماعنديش حاجة أروح السينما لأن ماعندناش فيديو .. أو أقعد على القهوة مع أصحابى .. أو نتمشى فى الشوارع ونتفرج

على المحلات .. أنا عمرى ما حاولت اجرب المخدرات والخمور .. مع ان كان قدامى أكثر من فرصة .. وده يمكن لأنى اخذت عبرة من واحد صاحبى كان بيشم من أيام ثانوى وفشل فى دراسته .. وحالته دلوقتى سيئة جداً .. الى جانب ان الحاجات دى عايزه فراغ وفلوس .. وانا لا عندى فراغ ولا عندى فلوس » .

ويتضح لنا من خلال تلك الأقوال ، ان كلا منهم يعكس مجموعة من الاختلافات والتمايزات التى تتسم بها كيفية قضائه وقت الفـــراغ ، فالحالة الأولى تتبع أســـلوبا مخالفا بصـــورة حادة لكل الأساليب التى تتسم بها الحالات الأخرى ، حيث تنعكس الامكانيات الاقتصادية على النمط الترفى والاستهلاكى الذى يغلف وقت الفراغ ، وكذلـك يعكس الخواء الفكرى . والفراغ الذى تعيش فيه تلك الحالة . أما الحالات الأخرى رغم تنوعها ، فهى تعانى من عدم وجود المراكز الشبابية أو النوادى الرياضية التى تستوعب أوقات الفراغ .. وتستثمر طاقات الشباب .. ويرجع ذلك اما الى عدم توفر مراكز الشباب فى الحى . واما الى صعوبة الانتماء الى النوادى الاجتماعية الرياضـــية ، بسبب القيود التى تضعها على الراغبين فى الاشتراك فيها ، وخاصة القيود المادية ، اذ تصل قيمة الاشتراك فى بعض النوادى المتوسطة المستوى الى نحو الف جنيه كاشتراك عضوية عدا قيمة الاشتراك السنوى . كذلك فان الأنظمة الخاصة برعاية الشباب فى الجامعات لم تتمكن من احتواء طاقات وميول وهوايات الشباب ، حيث لا تفتح ملاعبهـــا أو صالاتها الرياضية الا لأعضاء الفرق الخاصة بها .

ويعكس هذا الفراغ الذى يعانى منه الشباب مجموعة من السلوك اللااجتماعى أو غير السوى ، مثل معاكسة الفتيات بالسيارات ، أو معاكستهم أثناء الوقوف على جنبات الرصيف ، أو اثناء الطواف غير الهادف فى الشوارع . ويتفق ذلك مع نتائج سعاد عثمان فى أحد الأحياء الشعبية بالقاهرة ، اذ وجدت انه على الرغم من أن شباب الحى أو الجيرة يكنون مكانه لفتيات الحى تمنعهم مـــن معـــاكستهم ، الا انهم يتعرضون الى من لا تنتمى الى الحى بالتفوه بعبارات غير لائقة تخرج عن نطاق الحياء ، وذلك اثناء وقوفهم على جنبات الحارة ، او جلوسهم على المقهى ، بحيث لا يتركون فتاة أو سيدة تمر أمامهم دون أن ينالوها بهذه العبارات (١٢) . ويمثل الحالة رقم (٧) حالة متميزة من الشباب فهو يمارس كل أنواع الهوايات الايجابية .. فيما عدا معاكسة الفتيات بالسيارة .. اذ ان هذه المعاكسة وان كانت ظاهرة غير سوية الا أن القيود التى وضعتها الأعراف والتقاليد بخصوص علاقة الشباب بالجنس

الآخر تنعكس على الشباب فى صورة تمرد على هذه الأعراف والتقاليد وذلك بالاتجاه نحو هذا النوع من العلاقات .. أما الحالات الأخرى فهى تعكس أزمة الشباب بكل ابعادها بالنسبة لكيفية قضاء أوقات الفراغ ، فالمستوى يحدد تلك الكيفية ، ويلعب دوراً كبيراً فى أنماط الأنشطة والهوايات التى تمارس . ونجد أن الانفتاح الاقتصادى قد انعكس على بعض الشباب نتيجة تحقيق متوسطات دخول فردية عالية ، صاحبها توفير مستوى عال من الخدمات الاجتماعية . وارتفاع القدرات الشرائية ، وما صاحبها من ميول استهلاكية تتفق مع تطلعات هذه الفئة ، حيث نجد أن بعض شباب هذه الأسر ممثلة فى الحالة رقم (١) — على الرغم من كونها انثى — يحيون فى ظل حالة من الوفرة والرفاهية ، وعدم الشعور بالمسئولية حيث يجنح بهم ذلك الى الانصراف الى الاستزاده من المتع وقد تصل بهم الى حد الدخول فى تجارب المخدرات ، حيث تقترن الرغبة فى الاستزادة من انماط جديدة من المتعة بارتفاع مستوى الامكانيات المادية .. ويكون ذلك فى العادة على حساب مواصلة تعليمهم أو على حساب كفاءتهم الانتاجية فى مجال أعمالهم .

ويؤدى عدم توافر الأندية والمراكز الشبابية التى تستوعب الاعداد الهائلة من الشباب الى أن يكون المتنفس الوحيد لممارسة الرياضة وخاصة رياضة كرة القدم فى الشوارع وبين الأحياء السكنية ، مما يعطل أحيانا حركة انسياب السيارات ، ومما يؤدى الى ازعاج المارة وازعاج سكان المنطقة .

واذا كان البعض يجد له متنفسا فى تصميم الملاعب فى أنهار الشوارع ومضايقة الفتيات وملاحقتهن بالألفاظ الجارحة والكلمات التى تخدش الحياء .

كذلك تعد حفلات السينما الصباحية عاملا فى ازدياد حدة أزمة الشباب بالنسبة لأوقات الفراغ ، فالغالبية العظمى من رواد هذه الحفلات ما هم الا شباب المدارس والجامعات الذين لا يجدون لهم متنفسا لقضاء أوقات فراغهم ، الا بالتردد على هذه الحفلات ، والتى لا تقدم غالبا الا كل ما هو رخيص وسطحى .

ويمارس الفيديو اتجاهات سلبية لدى بعض قطاعات الشباب ، حيث تقوم بعض أندية الفيديو بدافع من تغلب القيم المادية على القيم الأخلاقية بترويج الأفلام الجنسية التى تتعارض مع القيم الاجتماعية ، كما تتعارض مع الاتجاهات التربوية للأسر المصرية . والشباب فى تلك الفترة العمرية - التى تتميز بالنضج الجنسى المصاحب بعمليات الكبت

والتحكم في الدوافع الجنسية ، على الرغم من التفكير المتصل في الجنس الآخر .. يكون هدفا سهلا لتلك الاغراءات التي تقدمها لهم الأفلام الجنسية ، مما ينعكس على البعض منهم في صورة التمادي في ممارسة العادة السرية ، أو الانسياق في علاقات جنسية غير شرعية .

ويمثل ارتفاع الأسعار بالنسبة للكتب والمواد الثقافية بعداً آخر من ابعاد أزمة الشباب في الاستغلال الأيجابي لأوقات الفراغ ، حيث لا تتواءم الامكانيات المادية لفئة كبيرة منهم مع تلبية احتياجاتهم الفكرية والعقلية ، ومن ثم يتهمش موقف الشباب من كل من الثقافة العامة والمتخصصة على حد سواء ، حيث تتضاءل امكانياتهم عن استيعاب الثقافات العالمية الجادة ، كما تتضاءل درجة اقبالهم على الاستزادة من اى فرع من فروع المعرفة .

وعلى الرغم من وجود علاقة وثيقة بين وقت الفراغ والاقبال على تعاطى المخدرات ، الا أن هذه العلاقة تحكمها بعض العوامل الهامة وعلى رأسها الامكانيات المادية ، حيث نجد أن بعض حالات الدراسة قد أشاروا الى المرور بتجربة تدخين الحشيش من قبيل التجربة ، على حين اشار البعض الى انجراف بعض أصدقائهم فى تيار تعاطى المخدرات بكافة أنواعها ، حتى بالنسبة لتلك التى تتسم بدرجة عالية من الخطورة والتى يتم تعاطيها عن طريق الشم . ومن ثم يعد الاستغلال الجيد لأوقات الفراغ ، خاصة ما يتصل منها بتفريغ طاقات الشباب فى الممارسات الرياضية ، من أهم الأسباب التى تعمل على وقاية الشباب من الانزلاق فى تيار تعاطى المخدرات حتى ولو كان ذلك على سبيل التجربة .

انعكاسات الأزمة :

انعكست أزمة الثقة القائمة بين الشباب وبين مؤسسات الدولة على مشاعرهم تجاه القضايا والمشكلات القومية للمجتمع ، وذلك بصورة سلبية تتضح من خلال عدم توافر مشاعر الانتماء لدى فئة كبيرة من فئات الشباب ، حيث يبدو ذلك واضحا من أقوال معظم الحالات ، هذا بالاضافة الى اتساع فجوة اللا تصديق بينهم وبين ما تقدمه لهم السلطة الحاكمة من وعود أو بيانات . فعلى سبيل المثال يقول الحالة رقم (٩) « احنا شبعنا عهود ووعود .. على رأى أم كلثوم « ماتفكرنيش بوعود وعهود انا فاض بيه ومليت .. وربنى انت الاخلاص وأنا أضحى مهما قاسيت » .. رئيس الوزارة فى بيان الحكومة النهاردة فى الأهرام (*) نازل وعود رائعة وخلابة بعزم الحكومة على مصارحة

(*) الأهرام فى ١٩٨٥/١٢/١ .

الجماهير بالمشاكل اللى الحكومة بتقابلها وازاى الحكومة حتعالج المشاكل دى .. وكلام كتير زى اللى طول عمرنا بنسمعه وماشفناش منه حاجة لحد دلوقتى .. احنا حنقعد نضحى لحد امتى .. كل واحد دلوقتى بيقول يا اللا نفسى .. انا شخصيا حأنتهز أول فرصة وأسيب البلد دى » .

وتقول الحالة رقم (٢) « احنا سمعنا ان فيه ناس من مراكز القوى فى عهد عبد الناصر اصبحوا دلوقتى مليونيرات وباعتراف الجهات الرسمية نفسها .. سمعنا عن واحد منهم اتقتل فى شقته فى لندن ولقوا فى شقته مليون جنيه استرلينى .. طبعا ده غير اللى كان حاطه فى البنك .. ده كان مجرد ضابط على قد حاله .. وطبعا كان فيه غيره كتير .. حتى فى العهد اللى بعده .. كان فيه ناس فى القاع وفجأة بقوا مليونيرات لأنهم قرايب او اخوات الناس اللى على رأس السلطة .. كانت الحكومة فين وهيه سايباهم ينهبوا مال الشعب .. ويغرقوا الدولة فى الديون .. المفروض أنها تصادر أموال الناس دى وتسدد بيها ديونها .. مش تطالب الشعب الغلبان بانه يسددها » .

ويقول الحالة رقم (٧) « ماما وبابا (أساتذة فى الجامعة) بيفكروا انهم يساهموا فى ديون مصر .. انما انا شخصيا ضد الفكرة دى .. الفلوس اللى عندنا دى نتيجة شقى سنين طويلة .. ماما وبابا طول عمرهم بيدرسوا وبيشتغلوا وبيتعبوا .. واللى احنا فيه ده مايساويش واحد على عشرة من اللى قدموه للبلد .. انما احنا شخصيا استفدنا ايه ؟ .. اللى استفاد الناس اللى زى السباك المليونير صاحب الفيلا اللى جنبنا .. هوه واللى زيه المفروض يدفعوا ضريبة اللى همه فيه لمصر .. مش ناس زينا سهرت وتعبت وضحت » .

ويقول الحالة رقم (٨) « ديون مصر ايه الى الجرايد نازلة فى الكتابة عنها .. راحت فين الديون دى .. اتصرفت على ايه بالضبط .. طيب مش بيقولوا اذا كنتوا أخوة اتحاسبوا .. أما نتحاسب الأول نبقى نفكر فى موضوع تسديد ديون مصر .. ولو ان دى مش مشكلتنا دى مشكلة الحكومة .. ماكانتش فيه داعى تخش فى مشاريع هيه مش قدها .. مش تعمل زى الناس اللى بتتمنظر على الفاضى وهيه عايشه شكك .. آدى نتيجة المشروعات بتاعتها .. بقت البلد مقسومة طبقتين .. طبقة صغيرة آخده خير البلد كله .. وطبقة كبيرة يا اما عايشين بالعافية زى حالتنا .. يا اما مش عايشين خالص .. اما الاقى الدولة بتعاملنى على انى بنى آدم وليه حقوق كمواطن .. وتطبق اللى موجود فى الدستور .. أبقى أفكر أقف جنبها .. حتى ولو اضطريت أبيع هدومى » .

وقد أثارت هذه الحالات ـ وكذلك الحالات الأخرى التى لم أعرض لها لكثرتها من جهة ولتشابهها مع آراء الحالات التى سبقت الاشارة اليها من جهة أخرى .. مجموعة من النقاط والقضايا فى غاية الأهمية ، حيث تتصل القضية الأولى بموضوع بيان الحكومة الذى رجعت اليه ، ووجدت به بعض الوعود التى تتصل بمصارحة الجماهير ـ دون مواربه ـ بحقيقة التحديات التى تواجهها الحكومة ، وأسلوب العلاج ، وتحديد مجموعة من الأهداف التى ستسعى الى انجازها ، ومنها اعطاء الأولوية فى توجيه النقد الأجنبى المتاح الى مستلزمات الانتاج والمواد الأساسية والسلع التموينية الضرورية ، والمعدات والآلات اللازمة لاستكمال مشروعات التنمية ، ثم توجيه ما تبقى بعد ذلك من موارد للسلع الاستهلاكية . كذلك فقد اشتمل البيان على الكثير من الوعود بالحد من الاجراءات البيروقراطية التى تعرقل سير العمليات الانتاجية ، وتحقيق الزيادة فى الانتاج من خلال زيادة فرص العمل المنتج أمام كل من وصل الى سن العمل ، واتاحة الفرصة للشباب كى يشارك فى الانتاج ومشروعات التعمير والتنمية خلال المرحلة الأخيرة من التعليم وفى فترات العطلات السنوية ، وتحديد هامش ربح للمشتغلين فى قطاع التجارة والتوزيع ، والحد من ارتفاع الأسعار الذى يعكس الاختلال بين قوى العرض والطلب ، والذى لا تستفيد منه الا فئة محدودة تعمل عن غير قصد أو عن غير ادراك على الاضرار بالمجتمع . هذا بالاضافة الى توجيه الاهتمام لانشاء ٤٠٠ الف وحدة سكنية سنويا .

وعلى الرغم مما جاء فى هذا البيان من وعود خلابة ورائعة على حد قول الحالة ، الا أن أمثال هذه البيانات والوعود لم تعد تجد صدى فى نفوس أفراد المجتمع عامة ، ونفوس فئة الشباب خاصة ، حيث أصبحوا لا يؤمنون بالكلمات والشعارات والبيانات ، وانما ايمانهم ينحصر فى الانجازات الفعلية التى قد تتحقق من وراء هذه الادعاءات والتى تتمثل فى حقائق ملموسة وواقع معاش .

فعلى سبيل المثال ، نجد أن رفع الحكومة صاحبة هذا البيان لأسعار المنتجات الصناعية والاستهلاكية الترفيه ، وكذلك أسعار استهلاك الكهرباء والمياه بعد حد معين ، ورفع أسعار تذاكر الطيران والبواخر بنسبة ٦٠٪ ، يعد خطوة مقبولة على أساس أن الأفراد القادرين ماديا هم الذين سيتحملون العبء الأكبر . أما أن يتم رفع أسعار الحاجات الأساسية اليومية كالخضر والفاكهة واللحوم والدواجن والبيض والأسماك فيما يسمى بالمجمعات الاستهلاكية الحكومية ، ورفع أسعار الفول الذى تبنى عليه الأطعمة الشعبية والذى يعد المصدر الأساسى لاشباع حاجات الفئات الكادحة ، مما ترتب عليه لجوء المحال

التى تقدم هذه الأطعمة الى رفع أسعارها ، وذلك على الرغم من كونها الملوى الوحيد الذى يتناسب مع امكانيات الفئات الفقيرة ، فان ذلك يعد خطراً مباشراً موجها للفئات الشعبية الكادحة ، كما يمثل خلطاً وتعارضا فى سياسة الدولة التى ترفع شعارات العمل من أجل رفع الأعباء عن كاهل الشعب .

اما بالنسبة للقضية الثانية التى اثارتها الحالات ، فهى تتمثل فى الريب والشكوك التى تحيط بتصرفات الحكومة من جراء عدم نشرها للحقائق والوقائع على افراد المجتمع ، حيث تطالعنا الصحف الأجنبية والمصرية بأخبار من ابتلعوا ثروات مصر من خلال العديد من المشروعات والنشاطات المشبوهة التى تمت فى ظلال علاقات القرابة أو المصاهرة لبعض القيادات السلطوية ، وحيث نجد أن ثورة الفوران الاعلامية تجاه أية قضية من قضايا الكسب غير المشروع سرعان ماتخبو وتنتهى الى لا شيء ودون الخروج بنتائج تشفى غليل الأفراد الذين كانوا ضحايا هذه المشروعات والنشاطات ، ولا يبقى بعد ذلك الا ما يترسب فى وجدانهم من أن العدالة الاجتماعية والقانونية لا تطبق الا على افقر فئات المجتمع من الباعة المتجولين ، أو على فئة الموظفين أصحاب الدخول الثابتة ، وعلى القلة من أصحاب المهن والحرف .

فلو أن قانون الكسب غير المشروع قد تم اعماله وتطبيقه بالصورة المثلى والموضوعية ، والتى تسوى بين اتباع الحاكم وبين بقية المحكومين ، ولو أن الحكومة عاجلتنا بالبيانات والحقائق الصحيحة اثر كل فورة اعلامية تجاه قضايا الكسب غير المشروع أيا كان نوعها ، لما ترتب على ذلك هذا الخواء الاعلامى الذى ينعكس على أفراد المجتمع فى صورة من صور الانفصال عن مشاكل المجتمع ، وانخفاض مستوى التفاعل مع قضاياه .

ففى غيبة العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص ، وفى غيبة اهتمام المسئولين بعلاج ومواجهة كل ما يقض مضاجع أفراد المجتمع ويثير شكوكهم وسخطهم ، وفى غيبة هيبة القانون ، يتهاوى ايمان الشباب بالمساواة وتكافؤ الفرص ، ويتهمش شعورهم بالعدالة القانونية ، وينعكس هذا التهاوى وذلك التهمش على مشاعر أمنهم وطمأنينتهم ، وبالتالى على مستوى أدائهم وعطائهم وانتمائهم .

فالى جانب ما يشهده المجتمع المصري حاليا من تفاوت هائل بين من يملك من القلة من أصحاب مشروعات الانفتاح الاقتصادى ، وأصحاب المشروعات والنشاطات المشبوهة ، وبين من لا يملك من اغلبية فئات المجتمع ، نجد أن المسئولين من فئة الطبقة الحاكمة يرفلون فى نعيم من

السيارات والمساكن الفاخرة ، ويستمتعون بأجمل المصايف وبالشواطىء الخاصة وكأنما هم من نوع أو من طراز أو عجينة اخرى تختلف عـــن باقى مفردات المجتمع . ولنأخذ شاطىء المنتزة مثالا سريعا على ذلك . حيث نجد أن جميع الفيلات والشاليهات ذات الشواطىء الخاصة ، قد أصبحت حكراً على فئة أصحاب النفوذ والسلطة السياسية وذويهم. وكلما انتهت فترة نفوذ فئة منهم ، وزحفت على مكان الحكم فئة أخرى، سرعان ما تنساب أموال الدولة وميزانيتها لتنهمر فى سيل جارف من البناء والتعمير لانشاء مزيد من الشاليهات والمساكن الفاخرة لتلبيـــة احتياجات الفئة الجديدة . وفى مثل هذه الحالات يختفى الحديث عن الأزمات الاقتصادية ، وتتلاشى من الساحة أزمة الديـون الخارجيـــة الخانقة ، ويتوارى حق الفئات الدنيا — ممن تهاوت مساكنهم — فى مجرد توفير الجدران التى تقيهم غائلة السكنى فى العراء أو الخيام .

أما القضية الثالثة التى أثارتها الحالات فهى تتصل بقضية ديون مصر الخارجية ، ودعوة الحكومة للأفراد للمساهمة فى تسديد تلـــك الديون ، حيث عكست تلك القضية بوضوح أزمة الثقة فى سياسة الدولة وفى مؤسساتها ، اذ تحيط بأوجه انفاق هذه الديون علامات استفهام كبيرة ، وتساؤلات عديدة من فئات المجتمع ممن هم على قدر معين من الوعى ، وفى مقدمتهم فئة الشباب .

كذلك فان هذه الآراء تعكس فى نفس الوقت المشاعر التى تتنازع الشباب بين حب مصر والرغبة فى التضحية من أجلها ، وبين العوامل التى تأخذهم بعيداً عن العمل على تحقيق ذلك من جراء سخطهم على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع . فالدولة لم تتم بتوجيه اقتصادها نحو الاستثمارات الحيوية التى تتناسب وخصوصية المجتمع المصرى ، والتى تتمثل فى المشروعات التى توفر نوعا مـــن الدخل الثابت ومن النقد الأجنبى ، بحيث تؤدى أمثال هذه المشروعات الي زيادة الناتج القومى مما يمكنها فى المراحل اللاحقة من استخدام معدلات هذه الزيادة فى اقامة المزيد من المشروعات التي تعتمد علي هذا النقد ، بحيث لا تحتاج الي التوسع فى عمليات الاقتراض الخارجي .

هذا بالاضافة الي أن مشاعر الانتماء لدي الشباب تتأثر الي حد بعيد بمدى ما تقيمه الدولة من اعتبار لأفرادها ، ومن حيث توفـــير حاجاتهم الأساسية ومن حيث احترامها لحقوقهم الدستورية .

وتعد تلك القضية قضية اساسية وجوهرية في حياة الأفراد الذين يحيون ويتفاعلون مع اية جماعة اجتماعية ، وذلــك علي اساس أن العلاقات التفاعلية بين الأفراد والجماعات تقوم فى المقـــام الأول على

معايير ثابته ومحددة من الحقوق والواجبات والالتزامات المتبادلة بين بعضهم البعض ، وبالتالى يعد اخلال طرف من الإطراف بأى من هذه المعايير ، اخلالا ونقضاً لأسس تلك العلاقات التفاعلية التعاقدية .

ويعد تساؤل الحالات عن أوجه انفاق الحكومة لتلـــك الديـــون تساؤلا على قدر كبير من الوجاهة والموضـــوعية ، فلو أن الحكومـــة اتجهت فى بداية كل سنة مالية عن طريق كافة وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية الى طرح كافة الحقائق والتفاصيل المتعلقة بمصادر الدخل القومى ، والمبالغ المحصلة من كل منبع بالأرقام ، وتحديد أوجه الانفاق بطريقة تفصيلية ، حتى لو اقتضى الأمر تخصـــيص أسبوع بأكمله لطرح وتوضيح تلك البيانات ، لكان أفراد المجتمع على بينة بما يجرى من حولهم من أمور وتغيرات وتطورات ، ولكانوا بالتالى أكثر تجاوبا مع سياسة الحكومة عند مواجهة أية أزمة من الأزمات التى تد تواجهها الدولة من أمثلة الازمة الخاصة بالديون الخارجية لمصر .

فموضوع الديون الخارجية كان يمثل جانبا من جوانب المشكلات الاقتصادية القومية فى مصر ولسنوات طويلة ، الا أن الحديث عنه بتلك الصورة المكثفة لم يبدأ الا بعد أزمة العلاقات المصرية الأمريكية اثر حادث اختطاف الطائرة المصرية المدنية الذى تلى حادث اختطاف السفينة الايطالية فى أكتوبر سنة ١٩٨٥ ، حيث كانت الولايات المتحدة صاحبة قسط كبير من هذه الديون ، وحيث بدأت آثار العلاقـــات السياسيـــة تنعكس على العلاقات الاقتصادية بين الدولتين .

وتعد مطالبة الحكومة للأفراد بالمساهمة فى سداد تلك الديون التى لم تتحدد قيمتها الاجمالية حتى اليوم (*) ، أمرا يتنافى والامكانيات الفعلية الواقعية ، اذ ترزح الغـــالبية العظمى من أفراد المجتمع تحت وطأة مجموعة متكاملة من الأعباء الاقتصادية التى لا قبل لهم على مواجهتها ، والتى تصل الى حد عدم القدرة على مواجهة الحد الأدنى من المتطلبات الضرورية للحياة اليومية ، هـــذا بالاضافة الى ما أشار اليه الحـــالة رقم (٧) وهو فى رأيه هذا مثله مثل آراء تسع حالات من الحالات العشر التى خضعت للدراسة ، اذ يرون أن مسئولية تسديد ديون مصر تقع بالدرجة الأولى على عاتق فئة الانفتاح الاقتصادى حيث تمـــكنت هذه

(★) يلاحظ أن الحكومة لم تتمكن من تحديد قيمة هذه الديون ، وهو أمر غير مفهوم ، خاصة اذا أخذنا فى الاعتبار أنها ديون مباشرة لأجهزة ومؤسسات الدولة ، وليســت ديونا لأفراد يصعب حصرها وتحديدها ، فرئيس الوزراء يقول فى بيـان الحكومة أن قيمة الديون هى ٢٤ مليارا ، ويقول وزير الاقتصاد ان قيمتها ٣٦ مليارا ، على حين يقول وزير التخطيط أنها ١٧ مليارا .

الفئة من الحصول على كل الامتيازات التى اتاحتها سياسة هذا الانفتاح ، دون أن يقوموا ببذل الجهد الذي يتساوي مع ما حصلوا عليه من امتيازات ، ذلك فى الوقت الذى قامت فيه فئات الاغلبية الأخرى بتقديم الكثير من العمل والجهد والذى ارتفعت معدلاته بصورة تفوق معدلات العائد المادى الناتج عنه . وبالتالى فان هذا الجهد المبذول يعد بمثابة الضريبة التى تم تقديمها والوفاء بها للمجتمع . ومن ثم فان عبء تسديد ديون مصر يقع على عاتق الفئة الأولى التى حظيت بميزات وامتيازات سياسة الانفتاح الاقتصادى ، باعتباره مقابلا عادلا لتلك الخيرات والامتيازات .

وعلى الرغم من أن دور الشريحة القادرة على المساهمة فى تسديد هذه الديون دور لا يستهان به ، اذ لا يمثل عبئا يذكر على تلك الفئة التى تنفق ما يزيد عن ٥٠ الف جنيه فى ليلة واحدة مقابل تكاليف حفل زواج فى أحد الفنادق الكبرى . الا أن دور الحكومة فى هذا المجال يأتى فى المرتبة الاولى ، وهو يتمثل فى وضع نظام ضرائبى محكم يلاحق كافة الطوائف والفئات التى أصبحت تحقق ثروات ضخمة بأساليب لا تمكن العاملين فى جهاز الضرائب من حصر أصولها أو حجمها وخاصة بالنسبة لأصحاب الحرف الذين لا يمكن تحديد أوجه نشاطاتهم ودخولهم ، وكذلك التشدد حيال ظاهرة التهرب الضريبى ، وتعديل القوانين القضائية والأحكام الخاصة به ، اذ يعد التهرب الضريبى الى جانب كونه اخلالا بالالتزام الأخلاقى ، اخلالا أيضا بمصالح المجتمع واقتصاد الدولة .

كما يتمثل دور الحكومة أيضا فى سداد الديون من خلال تنمية موارد الدولة من العملات الأجنبية ، وهو مورد مصادره محدودة ومعروفة ، اذ ينحصر فى دخل قناة السويس والذى تعمل الحكومة على ادخال المزيد من التحسينات على مستوى أداء الخدمات الخاصة بها ، الى جانب صادرات البترول والتى تقع أسعارها تحت سيطرة السوق العالمى ، وكذلك فى مدخرات المصريين العاملين بالخارج ، والتى لا تمثل تحويلاتها جانبا يعتد به ، اذ يصرف معظمها على تحسين الجوانب المعيشية واقتناء السلع الاستهلاكية .

اما المجال الأخير من مجالات تنمية موارد الدولة ، وهو إهم هذه المجالات واكثرها اتصالا بمستوى القيم العامة للمجتمع ، والذى يحتاج الى بذل المزيد من الاهتمام به والتركيز على مستوى ادائه ، فهو مجال السياحة بمختلف أنماطها ، سواء منها السياحة التقليدية للمناطق الأثرية ، او السياحة الشاطئية للساحل الشمالى او سيناء والبحر

الأحمر ، حيث يقتضى تنمية هذا المجال تغييراً شاملا فى وعى الناس بأهمية السياحة كمورد لا ينفذ من موارد النقد الأجنبى ، وتمثل عملية تغيير الوعى بين أفراد المجتمع المصرى مشكلة فى حد ذاتها ، وذلك لارتفاع مستوى الأمية ، وتغلب الروح الفردية على الروح الجمعية فى السنوات الأخيرة ، وسيطرة القيم المادية على القيم الاجتماعية المترتبة على تأثيرات السوق العالمى . ومن ثم فان الخروج من هذه الدائرة المفرغة ، يقتضى بالدرجة الأولى محاربة التسيب والفساد فى المشروعات التنموية والاقتصادية ، ووضع معايير ثابتة ومحكمة للقضاء على التهرب الضريبى ، وتحديد هامش ربح معتدل لكافة القطاعات الانتاجية الحرة وقطاعات الخدمات ، بحيث يحدث توازن بين دخول مختلف فئات وافراد المجتمع ، وبحيث يوظف العائد الضرائبى لدفع العمليات التنموية، ورفع مستوى مؤسسات الخدمات الحكومية وخاصة ما يتصل منها بالتعليم ومحو أمية الأفراد .

كذلك فان دور الحكومة فى سداد الديون ، لا يقف عند حد تنمية موارد عملة من العملات الأجنبية ، بل يتعدى ذلك الى الاهتمام بالصناعات التى اكتسبت فيها خبرات ومهارات لسنوات طويلة ، مثل صناعة الغزل والنسيج والعمل على عدم تصدير موادها الخام ، وانما تصدير المنتجات النهائية منها كالملابس الجاهزة والأقمشة ، مع الاهتمام بالمواصفات القياسية للانتاج ضمانا لجودة السلع ، ولمواجهة المنافسة الأجنبية ، وتحويل طلب الأفراد من السلع المستوردة الى السلع المنتجة محليا ، ولتحقيق ذلك ، يجب تقييم أوضاع الشركات متعددة الجنسيات للوقوف على نتائج تجربة مشاركة رأس المال العام مع رأس المال الخاص المصرى والأجنبى ، لتصويب مسار التجربة ، والتأكد من عدم تضاربها مع المصالح الاقتصادية القومية ، حيث تنعكس آثار هذا التضارب على أفراد المجتمع بصفة عامة وعلى الشباب منهم بصفة خاصة .

ان أزمات ومشكلات الشباب المصرى المعاصر التى تم تحليلها . وتحديد أبعادها واسبابها وآثارها لا يمكن أن تحل بمجرد تحديد هذه الأبعاد والأسباب والآثار ، وانما تحل عندما تحاول جهات الاختصاص كل فيما يعنيه القيام بدورها ، وارتفاع بمستوى مسئولياتها لحل ومواجهة هذه المشكلات ، كما يجب علينا عدم أغفال أهمية التوازن بين ماديات هذا المجتمع وروحانياته المستمدة من القيم الخالدة النابعة من الدين ، وهذا يعنى ضرورة تقوية كل من عنصرى الثقافة الدينية ، والتربية السلوكية العملية فى المراحل الدراسية المبكرة مروراً بمرحلة التعليم الأساسى والثانوى تمهيداً للمرحلة الجامعية التى يحتاج فيها

الشباب الى وجود رصيد ثقافى دينى قوى يحميه من التاثير غير الواعى للاتجاهات الفكرية والقيمية التى تطرأ على بنية المجتمع .

فالتغييرات والتطورات التى طرأت على النسق القيمى للمجتمع يؤثر صداها بصورة حادة على فئة الشباب ، اذ يحدث الصدام والصراع عندما يدرك الشباب أن ماقد لقن له من تعاليم دينية وقيم اخلاقية ليس هو الأساس فى العلاقات التفاعلية بينه وبين الأفراد الآخرين ، وأن التعاليم والقيم الأخلاقية والاجتماعية لا تسهم فى صنع حاضره اذ يتكشف له انفصالها عن الواقع .

ومن ثم فان توطيد دعائم القيم الدينية والثقافية خلال المراحل العمرية المختلفة ، المدعمة بالسلوك الفعلى من قبل الكبار على مختلف مستوياتهم ، حيث يكون المدرسون والآباء والحكام والساسة وأصحاب الأقلام هم القدوة والمثل خلال هذه المراحل المختلفة ، يعد من أهم العوامل التى تقى الشباب الانحدار فى مزالق الانحراف ، كما تساهم فى تجنبهم عمليات الصراع التى تنجم عن تعارض القيم التى شبوا عليها، مع تلك القيم الجديدة التى تعكسها عمليات التغير الاجتماعى خلال المراحل الانتقالية الحادة للمجتمع .

ان معطيات الحياة الانسانية بعناصرها المادية والاجتماعية والثقافية والحضارية والاقتصادية والقيمية ، انما هى معطيات صنعها الانسان بنفسه وليست معطيات جامدة غير مرنة ، ومن ثم فهى قابلة للتغيير والتطوير والتبديل . وعلينا أن نسعى الى تغيير هذه المعطيات وهذا الواقع بالصورة التى تتفق وخصائص المجتمع المصرى ؛ لا بالصورة المشوه التى تتفق وخصائص المجتمعات الغربية . ذلك فى نفس الوقت الذى يجب فيه العمل على بذل المزيد من أجل تكوين الشخصية السوية فى مراحلهاالمبكرة ، وتعهدها بالرعاية والعناية فى كافة مراحل النمو ، حيث تتكاتف كل من الأسرة ، والمؤسسات التعليمية بمختلف مستوياتها ، والتنظيمات السياسية لتحقيق هذا الهدف ، بحيث يؤدى ذلك فى النهاية الى تكوين أو خلق معطيات استراتيجية شاملة للتغير الحضارى بكافة اطره التنموية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وذلك بهدف صياغة علاقات اجتماعية جديدة تحمل فى طياتها ابعاد الاتزان فى حياة الشباب المصرى ، والخروج به من محاور الأزمة .

الشباب المصرى المعاصر وأزمة القيم
ـ استخلاصات الدراسة الأولى ـ

ترجع أزمة القيم لدى الشباب المصرى المعاصر الى مجموعة من العوامل المتداخلة والمتشابكة والتى ترجع فى أصولها الى انعكاسات آليات نظام السوق العالمى على نظم الانتاج فى المجتمع ، حيث وجهت تلك الآليات ولسنوات طويلة مسارات الدولة السياسية والاقتصادية والاجتماعية . ومن ثم فقد انعكست بالتالى نتائج هذه المسارات على كافة البناءات والانساق القيمية للمجتمع .

وتتشابه الى حد ما بعض اتجاهات حالات الشباب التى أخضعناها للدراسة المتعمقة مع الاتجاهات الراديكالية التى ظهرت فى ستينيات هذا القرن فى الولايات المتحدة الاميريكية نتيجة الظروف السياسية والاجتماعية التى مر بها المجتمع الأمريكى ، والتى أدت بفئة من الشباب الى فقدان الثقة فى النظام الأمريكى ، عندما تبين لهم زيف ادعاءات وشعارات السلطات الأميريكية الحاكمة . ونجد أن غالبية حالات الدراسة قد أشارت الى اختلاف ادعاءات وشعارات النظام الحاكم فى مصر عن مستوى الأفعال والانجازات التى قامت بتحقيقها . ومن ثم فقد انهارت ثقتهم فى مختلف الشعارات التى طال ترديدها ، والتى كانت تختلف خلال الحقب التاريخية المختلفة باختلاف الساسة والقائمين على الحكم، والتى هى على شاكلة الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية ، ودولة العلم والايمان ، والصحوة الكبرى ، وسيادة القانون ، ورفع المعاناة عن كاهل الشعب ، وما الى ذلك من ادعاءات وشعارات أثبتت الحقائق الموضوعية زيفها وبطلانها ، حيث لم تكن تهدف الا الى توطيد دعائم النظام السياسى ومصالح السلطة الحاكمة ، واحتواء أفراد المجتمع . هذا الى جانب اتخاذ معظم حالات الدراسة موقفا معارضا لسياسات الحكومة التى أدت الى تكدس الثروات فى ايدى القلة على حساب الغالبية العظمى لأفراد المجتمع ، بالاضافة الى نظرة الحالات النقدية للآثار الاجتماعية الاغترابية التى حولت العلاقات الانسانية الى مجرد آليات فى السوق ، حيث أصبحت القوى الشرائية هى القوة الوحيدة التى تعبر عن نفسها فى مجال العلاقات الاجتماعية ، بحيث أصبح لهذه القوى القدرة علي شراء كل الخواص والموضوعات سواء منها المادية او اللامادية .

ويمكن ايجاز ملامح ومحاور أزمة الشباب من واقع نتائج دراسة الحالة التى تم تناولها فى الفصلين السابقين وذلك على الوجه التالى :

١ - تعد أزمة الشباب المصرى المعاصر ثمنا للتغير الاجتماعى الذى طرأ على البناء السياسى والاقتصادى والقيمى فى السنوات الأخيرة ، والذى كان انعكاسا لآليات السوق العالمى ، حيث أدى التغير الاجتماعى الى خلق أوضاع ثقافية وقيمية جديدة اتجهت نحو التركيز على القيم المادية ، وبالتالى أدت الى تهميش القيم الاجتماعية للمجتمع . وقد ترتب على ذلك أن واجه الشباب ضروبا من التناقضات والصراعات القيمية التى حتمت عليه أن يكون طرفا فيها ، وذلك باعتباره جزءاً من النسق البنائى للمجتمع .

٢ - أدى التفاوت الصارخ فى توزيع الدخل القومى نتيجة النكسات التنموية الى وجود طبقتين من السكان ، هما طبقة الأغنياء ، وطبقة الفقراء ، وتتميز الأولى بالارتفاع الصارخ لمستوى المعيشة ، وارتفاع النفقات المخصصة لشراء السلع الكمالية والترفيه ، وارتفاع مستوى الرفاهية بينما تتميز الثانية بانخفاض مستوى المعيشة ، وعدم القدرة على مواجهة أدنى الاحتياجات اليومية . ومن ثم فقد أصبح الشباب من الجنسين من الطبقات الوسطى أو الدنيا يعيشون عالما لا يستطيعون السيطرة عليه من قريب أو بعيد ، اذ يعانون هم وأسرهم من وطأة التضخم المرتفع الذى يعتصرهم اقتصاديا اذ لا يستطيعون أن ينالوا نصيبهم من تلك الأموال التى يرونها وهى تتبدد من حولهم فى سفه واسراف .

٣ - يمثل انخفاض مستوى الأجور فى مصر أزمة حقيقية فى حياة الشباب المصرى ، حيث يؤدى هذا الانخفاض الى عدم القدرة على مواجهة الحاجات الضرورية الآنية أو المستقبلية .

٤ - يمثل غموض المستقبل ، وعدم مواءمة الامكانيات الاقتصادية مع القدرة على الاستقلال المادى عن الأسرة للتمكن من الزواج وتكوين أسرة مستقلة محوراً من محاور الأزمة ، حيث يعايش الشباب مجموعة من الاحباطات التى فرضتها عليه سياسة السوق فيما يتصل بارتفاع أسعار المساكن بصورة تفوق قدرات وطاقات الأغلبية من شباب المجتمع .

٥ - أدت سيطرة السوق العالمى عن طريق سياسة الانفتاح الاقتصادى الى افراز طبقة جديدة نتجت من ارتفاع معدلات دخول بعض الأفراد من الشرائح الدنيا ، ممن تمكنوا من تحقيق ثروات كبيرة

بالطرق المشروعة أحيانا وبالطرق غير المشروعة فى أكثر الأحيان ، مما نتج عنه تهمش الطبقة الاجتماعية فى مصر وتشويه السمات الأساسية التى تتحدد وفقا لها . فقد كان لكل من عاملى التعليم ونوع المهنة حتى وقت قريب دور بارز فى تحديد الانتماءات الطبقية . ولكن فى ظل سيطرة السوق العالمى تهمش هذان العاملان فى ضوء سيادة العامل الاقتصادى.

٦ — ترجع مشكلات الشباب المتصلة بقصور الخدمات الصحية الحكومية ، الى اتجاه الدولة نحو السياسة التنموية الاقتصادية على حساب مستوى الخدمات الصحية للأفراد . كما يرجع ارتفاع أسعار العلاج الخاص الى سيطرة السوق العالمى الذى يمد المستشفيات الخاصة وعيادات الأطباء بالأجهزة التكنولوجية بالأسعار التى يفرضها هذا السوق ، ومن ثم اتخذت الخدمات الصحية الخاصة طابعا تجاريا لتعويض فارق ارتفاع هذه الأسعار من جهة ، ولمسايرة الأنماط المادية الاستهلاكية من جهة أخرى ، عن طريق تحقيق أكبر قدر ممكن من العائد المادى على حساب الفئات المختلفة من افراد المجتمع .

٧ — تنعكس آليات السوق العالمى على نظام التعليم فى مصر ، حيث وجهت الدولة اهتماماتها للسياسات التنموية والمشروعات الاستثمارية على حساب مخصصات التعليم ، وقد ترتب على ذلك عدم المواءمة بين التوسع فى مجال القبول بالجامعات وانشاء الجامعات الجديدة وبين الامكانيات المادية المتاحة لمواجهة احتياجات هذا التوسع، مما نتج عنه قصور واضح فى استيعاب المدرجات للطلاب ، وفى توفير الأجهزة التعليمية التكنولوجية المتطورة ، كما تنعكس آليات السوق العالمى مرة أخرى ، والتى تحدد قيمة المستخرج من النفط فى دول الخليج النفطية ، مما ترتب عليه توسع هذه الدول فى سياساتها التنموية ومن ثم تزايد الطلب على الأيدى العاملة الأجنبية . وتعتمد هذه السياسات التنموية الى درجة كبيرة على أعضاء هيئة التدريس الجامعى المصريين ، مما ترتب عليه قصور واضح فى اكتمال العملية التعليمية .

٨ — أدت الاتجاهات المتزايدة نحو مسايرة الأوضاع المادية الاستهلاكية الى ارتفاع أسعار الكتب الجامعية ، وكذلك أدى قصور العملية التعليمية وانخفاض اجور اعضاء هيئة التدريس من المعيدين والمدرسين المساعدين ، الى انتشار ظاهرة الدروس الخصوصية ، ومن ثم تمثلت ازمة الشباب فى عدم القدرة على التوفيق بين احتياجاتهم الدراسية وبين قدرات أسرهم المادية على مواجهة نفقات الكتب الدراسية والدروس الخصوصية .

٩ — يعكس الواقع المطروح فى المجتمع المصرى حاليا أوضاعا

وتناقضات صارخة بالنسبة للأسس التي يتم بها توزيع الخريجين على أماكن العمل . حيث أدى تبنى الحكومة لسياسة الالتزام بتعيين الخريجين ، الى انتشار ظاهرة البطالة المقنعة نتيجة عدم وضع الشخص المناسب فى المكان المناسب ، ونتيجة تراكم العمالة غير المنتجة ، مما يمثل اهداراً لقدرات وطاقات وامكانيات الشباب . ومن ثم تسهم السياسة العامة للدولة فى تهيئة جو الاغتراب لهؤلاء الشباب حيث تتعارض نوعيات العمل مع خبراتهم وميولهم واستعدادهم ، مما يعوقهم عن استخدام ملكاتهم وامكانياتهم ، ومما يؤدى الى تهاوى قيمة العمل نتيجة عدم تمكن الشباب من تحقيق هوياتهم من خلال هذا العمل .

١٠ ــ يعد انخفاض مستوى الدخل الناتج عن الوظيفة العامة ، وكذلك فى مجال الوظائف الخاصة بالمقارنة بارتفاع الأسعار نتيجة لآليات السوق العالمى ، محوراً من محاور أزمة الشباب ، حيث لا تهيىء لهم هذه الدخول القدرة على مواجهة نفقات بناء وتكوين أسر جديدة .

١١ ــ لم تعد الكفاءات العلمية والقدرات الذهنية والاستعداد العام فى ظل انعكاس السوق العالمى ــ هى العوامل ــ الكافية التى تؤهل الشباب لشغل الوظائف ، بقدر ما تؤهله علاقاته النفعية التبادلية مع من يمسكون بزمام هذه الوظائف أو بقدر استناده الى الوساطة من الأشخاص ذوى السلطة أو النفوذ ، ومن ثم يمثل ذلك محوراً من محاور أزمة الشباب حيث تتهاوى القيم الخاصة بالعدل والموضوعية ، ليحل محلها القيم السلبية التى يكون محورها القيم النفعية والمادية .

١٢ ــ يمثل انعدام ثقة الشباب فى مؤسسات الدولة اهم محاور الأزمة ، حيث تعارضت شعارات الدولة مثل الاشتراكية والعدل والمساواة والعدالة الاجتماعية مع الواقع المطروح . اذ أدرك الشباب أن تلك الشعارات لا تمثل الا لغة الساسة التى يقومون عن طريقها باحتواء الموقف السياسى وانها ليست الا نوعا من اللغو الذى يهدف تخدير مشاعر الأفراد بوجه عام ، والشباب على وجه الخصوص .

١٣ ــ أدى عدم وضوح أيديولوجيا الدولة ، أو عدم ثباتها ، الى زعزعة ثقة الشباب فى ايديولوجيات الدولة ، حيث خضعت الايديولوجيا فى مصر الى العديد من التغيرات وفقا للتغيرات التى طرأت على النظام السياسى ، كما صاحب تغيرها تشويه كامل لأصحاب الايديولوجيات السابقة .

١٤ ــ تساهم وسائل الاعلام فى تغيير معايير ومفاهيم القيم الاجتماعية فى مصر ، حيث تدعم القيم الاقتصادية والاستهلاكية والمادية

التى تخدم السوق العالمى وفئة الانفتاح الاقتصادى ، وحيث ينعكس ذلك على الشباب ممن لا تمكنهم قدراتهم المادية من مسايرة تلك القيم ، كما ينعكس الشعور بالحرمان الشديد الى الشعور باتساع فجوة التفاوت الاجتماعى بين هذه الفئة والفئات الأخرى .

١٥ ـ ادى احلال القيم المادية الى صراع وتنافس العاملين فى قطاع السينما والمسرح والتلفزيون . حيث اتخذ من بساطة ووعى قطاع عريض من المجتمع وسيلة للحصول على اكبر قدر ممكن من الأرباح ، دون النظر فى المحتوى العام لما يقدم لهم ، مما نتج عنه اغراق السوق بمجموعة من الأفلام والمسرحيات الهابطة التى تدعم القيم السلبية فى المجتمع ، ومما انعكس بالتالى على فئات الشباب فى صورة صراع بين القيم السلبية والقيم الايجابية التى تشبع بها فى مراحل التنشئة الاجتماعية .

١٦ ـ تقوم الصحافة المصرية الرسمية رغم ما يقال عنها من أنها صحافة حرة ، بالتحدث بالصورة التى تخدم مصالح فئة قليلة من أفراد المجتمع ، حيث تركز على السياسة والنظام السياسى . وأخبار الفنانين، وتتعامى عن المشاكل الحقيقية التى تمس القضايا المصيرية الجماعية للفئات الكبرى فى المجتمع ، مما انعكس على فئة الشباب فى صورة ، احباطات لعدم وجود القنوات الاعلامية التى تعكس مشاكلهم ومعاناتهم الحالية ، كوسيلة لتجديد هذه المشكلات والعمل على ايجاد علاج أو حلول لها .

١٧ ـ ترتبط أزمة ثقة الشباب فى مؤسسات الدولة ، بأزمة عدم وضوح وعدم تحقيق مفهوم العدالة القانونية . حيث تشعر فئة الشباب بحاجتهم الى العدالة والموضوعية والمساواة فى الامتثال للقواعد القانونية ، وعدم التمييز بين الأفراد فى المعاملة . حيث نجم هذا الشعور من جراء ما يثقل كاهل القضاه من القضايا التى عليهم النظر فيها ، حيث يزيد أحيانا عدد القضايا التى تسند الى القاضى الواحد عن ١٥٠ قضية فى الجلسة الواحدة ، مما يشير الى عدم امكانية تميز أحكامه بالعدل والموضوعية .

١٨ ـ تمثل البيروقراطية محورا من محاور ازمة الشباب ، حيث تؤدى الى اهدار أوقاتهم وطاقاتهم . فالشباب فى سبيل قضاء حاجته يواجه مجموعة من التعقيدات الادارية ، والاجراءات الروتينية التى تعرقل تحقيق مصالحه ، ومن ثم فان هذه الاجراءات ترتبط الى حد كبير بأزمة الثقة فى الفرد المصرى وفى تصرفاته وسلوكياته . ويؤدى

اصطدام الشباب الحاد مع الأوضاع البيروقراطية القائمة ، نتيجة عدم تعرضهم فى المراحل العمرية السابقة للتعاملات الخارجية ، الى اهتزاز مثالياتهم وقيمهم وأفكارهم .

١٩ — تعد ظاهرة الرشوة كامتداد لنظام البيروقراطية ، عاملا من عوامل أزمة القيم لدى الشباب . اذ ان الموظف وهو يقوم بأداء دوره من واقع وظيفته عليه أن يلتزم بالمعايير الاجتماعية ، بحيث يفرق بين انجازه لعمله والخدمات التى يقدمها للأفراد ، وبين المكاسب المادية أو المنفعة الشخصية التى قد تعود عليه من بعض الأفراد الذين يقدم لهم هذه الخدمات ولكن الوظيفة العامة كنتيجة لانعكاسات آليات السوق العالمى ، وتغلب القيم المادية ، تدهورت فى الآونة الأخيرة ، حيث اتجه بعض أصحاب المناصب او الوظائف الى المتاجرة بسلطاتهم لتحقيق بعض المكاسب المادية غير المشروعة ، أو استخدام نظام المبادلة فى تقديم الخدمات أو تيسيرها . ولأن الشباب هو أكثر فئات المجتمع طموحاً لتحقيق مثاليات مطلقة ، فان الاصطدام بالواقع المعاش قد يؤدى بهم اما الى الاستجابة للأشكال الجديدة من السلوك اللاقيمى ، أو الى الالتزام المرضى بحرفية القانون الذى يترتب عليه التمسك بالجوانب السلبية للبيروقراطية .

٢٠ — تعد قضية شغل أوقات الفراغ لدى الشباب ، وعدم وجود الفرص أو الوسائل أو المؤسسات التى تقوم باحتوائهم ، والتعبير من خلالها عن قضاياهم ، محوراً آخر من محاور ازمة الشباب . فاتحادات الطلاب ومنظمات الشباب ان وجدت تكون قاصرة عن تلبية احتياجاتهم. سواء من حيث منحهم حرية التعبير عن آرائهم وأفكارهم ، أو من حيث استغلال طاقاتهم ومواهبهم لشغل أوقات فراغهم . كما أن انعكاسات آليات السوق العالمى المتمثل فى الأوضاع الاقتصادية المتردية للفئة العظمى من قطاع الشباب ، تكون حائلا دون الاستغلال الأمثل لأوقات الفراغ ، حيث يؤدى ارتفاع أسعار الكتب الى تهميش موقف الشباب من كل من الثقافة العامة والمتخصصة على حد سواء . كذلك تؤدى القيود المادية الموضوعة تجاه الاشتراك فى النوادى الاجتماعية الى استنفاذ طاقات الشباب فى بعض الأنشطة غير الجادة مثل التردد على السينما أو مشاهدة التلفزيون ، أو الجلوس على المقاهى ، كما يؤدى ذلك فى احيان اخرى الى الاتجاه نحو اشكال عديدة من السلوك المنحرف الذى تختلف حدته من معاكسة الفتيات على جوانب الطريق الى الاتجاه نحو تعاطى المخدرات .

٢١ ـ تنعكس ازمة الثقة القائمة بين الشباب وبين مؤسسات الدولة على مشاعرهم تجاه المشكلات القومية للمجتمع ، وبالتالى على مشاعر الانتماء لديهم ، هذا بالاضافة الى ازمة الشعور بالعدالة الاجتماعية الاقتصادية مما ادى ببعض الشباب الى تجاهل دورهم فى العمليات التنموية الداخلية ، واتجاههم للهجرة الدائمة الى الدول الأوروبية أو الولايات المتحدة أو استراليا ، او الى الهجرة المؤقتة لدول الخليج النفطية ، وذلك فى سبيل تحقيق قدر أكبر من الإمكانيات المادية يحققون من خلالها بأنفسهم التوازن الذي عجزت الدولة عن تحقيقه لهم . وينعكس عدم تحقيق الدولة للتوازن الاجتماعى والاقتصادى على مشاعر الشباب حيال ازمة الديون التى تواجهها الدولة ، حيث نجد ان الشباب يرى أن الدولة قد تخلت عنهم فيما يختص بتلبية حاجاتهم ، واعطائهم حقوقهم التى كفلها لهم الدستور ، وفى مقابل ذلك فهم يتخلون عنها بالنسبة للمساهمة فى تسديد هذه الديون ، كما يرون أن التوجيه الغامض لتلك المبالغ ، وكذلك التوجيه غير السوى لتشغيلها واستغلالها قد نتج عنه فئة الانفتاح الاقتصادى التى حظيت بالنصيب الأكبر من المكاسب الاجتماعية والاقتصادية ، ومن ثم فان تسديد هذه الديون يقع فقط على كاهل هذه الفئة بوصفها الفئة الوحيدة القادرة من جهة ، وبوصفها الفئة الوحيدة التى استفادت من مزايا الانفتاح من جهة اخرى .

الهـــــــوامش

١ - هربرت ماركوز ، الانسان ذو البعد الواحد ، جورج طرابيش ، دار الآداب ، بيروت ، سنة ١٩٧٣ ، ص ٢٣٦ .

٢ - Talcott Parsons, youth in the context of American Society, in the Challenge of youth, Erik H. Erikson (ed.), Doubleday Anchor Book, New York, 1965, p. 133.

٣ - سهير لطفى ، رؤية للايديولوجيا الاســـلامية فى حقبتى الستينات والسبعينات فى الوطن العربى . ندوة « النظام العربى المعاصر - آفاق الثمانينات » مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ، سنة ١٩٨٥ ، ص ٧ - ٩ .

٤ - كمال رفعت ، ناصريون نعم ، القاهرة للثقافة العربية ، القـاهرة ، سنة ١٩٧٦ ، ص ١٠ .

٥ - صافيناز كاظم ، الحقيقة وغسيل المخ ، الزهراء للاعلام العربى ، القـاهرة ، سنة ١٩٨٥ ، ص ٩٩ - ١٠٣ .

٦ - عاطف أحمد فؤاد ، السلطة والطبقات الاجتماعية فى مصر ، دراسة اجتماعية تاريخية رسالة دكتوراه غير منشورة ، قسم الاجتماع ، كلية الآداب جامعـــة عين شمس ، سنة ١٩٧٥ ، ص ٣١٦ .

٧ - Reinhard Bendix, Max Weber, an International Portrait, A Doubleday Anchor Book, New York, 1962, p. 433.

٨ - عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب الاسكندرية ، سنة ١٩٧٩ ، ص ٤٢

٩ - شادية قناوى ، ظاهرة الرشوة فى المجتمع المصرى ، دراسة اجتماعية ميدانية رسالة ماجستير غير منشورة . قسم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة عين شمس سنة ١٩٧٦ ، ص ٧٢ .

١٠ - شادية قناوى : نفس المرجع ، ص ٢٥١ .

١١ - عزت حجازى ، الشباب العربى والمشكلات التى يواجهها ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، سنة ١٩٧٨ ، ص ٥٤٨ .

١٢ - سعاد عثمان أحمد ، الجيزة ، دراسة انثروبولوجية لمجتمع محلى حضرى ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، قسم الاجتماع ، كلية البنـات جامعة عين شمس ، سنة ١٩٨٥ ، ص ٤١٧ .

الدراسة الثانية

الفترة من ١٩٨٤ - ١٩٨٩

الفصل الأول

واقع الشباب المهني بين صيغ العلاقات الإجتماعية والانســاق القيمية

تمهيــــد :

مما لا شك فيه ان القوى البشرية في أي مجتمع من المجتمعات ، هي الثروة الحقيقية التي يستطيع بها المجتمع أن يحقق تقدمه وتطوره .

ومن ثم فان على المخططات التنموية لأى مجتمع للحاق بركب التقدم والتطور ، ان تسعى الى استثمار الانسان الإستثمار الأمثل ، حيث يقع على كاهل مختلف التنظيمات والهيئات عبء التنسيق فيما بينهما لاعداد وتأهيل الفرد للاسهام في تنمية المجتمع ، عن طــريق تنميـــة امكانياته وقدراته الابداعية التي تؤهله في المراحل اللاحقة للمشاركة البناءة والمنتجة في مجال محدد بعينه . بمعنى أن الشخصية المعينـة التي يتعهدها المجتمع وينمي طاقاتها في مختلف مراحلها التي مرت بها ، تصبح ذات مميزات وخصائص معينة تختلف عن غيرها ، ومن ثم فهي أصلح من غيرها في القيام بدور معين في عملية التنمية ، في حين أن غيرها هذا يكون أصلح منها للقيــام بدور مخـــالف في نفس عمليـــة التنمية ... وهكذا (١)

ومن هنا يأتي دور التعليم بمراحله المختلفة في أعداد الفـــرد واستكشاف امكانياته وصقل مواهبه للاستفادة منها في جانب معين من جوانب التنمية ، وهو دور تفتقر اليه السياســة التعليميـــة في مصر بصورة عامة ، كما تفتقر اليه سياسات التعليم الجــامعي بصـــورة خاصة .

اولا : العلاقة بين التعليم والاعداد المهنى :

مما لا شك فيه ان التنمية فى المجتمعات المعاصرة تعتمد على الكوادر العلمية والادارية والفنية الشابة ، والمبناة على اساس من التدريب الملائم لمختلف برامج التنمية ، وكذلك القائمة على قاعدة من التخصص المناسب ، ان لم يكن رفيع المستوى ، حتى يتسنى استثمار طاقات الشباب وامكانياته فى العمليات الانتاجية والتنموية ، بما يعود عليه وعلى المجتمع بالنفع والفائدة.

الا اننا اذا القينا الضوء وبنظرة سريعة على نظام التعليم فى مصر فى مختلف مراحله وبشكل اجمالى ، سنجد أنه مثله فى ذلك مثل نظم التعليم فى الدول النامية ، لازال سطحيا فى طرقه ومحتوياته ؛ فطرق التعليم كما يذهب مصطفى حجازى مازالت تلقينيه اجمالا ، وتذهب فى اتجاه واحد من المعلم الذى يعرف كل شىء ، ويقوم بالدور النشط ، الى التلميذ الذى يجهل كل شىء ، ويفرض عليه الدور المتلقى الفاتر دون أن يشارك أو يناقش أو يمارس ، ودون أن يعمل فكره فيما يلقن ، وتمارس عملية التلقين بالضرورة من خلال علاقة تسلطية ، سلطة المعلم لا تناقش بينما على الطالب أن يطيع وأن يمتثل ، ومعظم البرامج تعالج قضايا تمت الى حياة الطبقة المسيطرة ، وتغرس فى الطفل المثل العليا السائدة لهذه الطبقة (٢) .

وتصاحب عملية التلقين ، عملية أخرى لا تقل عنها خطورة وهى عملية الحفظ « عن ظهر قلب » فقد تغيرت المفاهيم التربوية بالنسبة لظاهرة الحفظ غيبا « الاستظهار » تغيراً ملموسا فى النظم التعليمية فى الدول المتقدمة . الا أنها لازالت فى مصر وحتى الآن كما كانت عليه أيام انتشار الكتاتيب . فحتى سنة ١٩٠٠ كانت الذاكرة تعتبر كفاية فى حد ذاتها ، وفى أوائل هذا القرن بدأ تطبيق مقولة « مونتين » التى تذهب الى ان الحفظ غيبا ليس معرفة ، انه وضع ما أعطى تحت حراسة الذاكرة ، وان جدوى التعليم لا تأتى من شحن ذاكرة التلميذ ، اذ ان شحن الذاكرة لا يعدو كونه شبيها بابتلاع اللحم نيئا لتتقياه المعدة بعد ذلك فالمعدة لا تستطيع أن تقوم بعملية الهضم ان لم يكن الطعام مطبوخا وممضوغا (٣) .

ويقوم نظام الامتحانات المعمول به ، بتدعيم كلا من عمليتى التلقين والحفظ لدى التلاميذ بدءاً من المرحلة الابتدائية حيث يتوقف مستقبل الطالب التعليمى على مدى قدرته على الحفظ والاستظهار ، وعلى مدى ما تستوعبه ذاكرته من المعارف والمعلومات التى لقنهم اياها مدرسوه ،

حيث تكون هذه القدرات هى المحك الأول الذى يؤهله للإلتحاق بكلية بعينها .

فمهمة التعليم يجب الا تنحصر فقط فى تزويد الفرد بالمعارف ، انما يجب أن تمتد لتشمل تنمية قدراته الثقافية والعقلية والابداعية ، وكذلك استكشاف امكانياته ومهاراته الخاصة وتنميتها وتوجيهها وصقلها له للاستفادة منها فى مختلف مجالات العمل ، بما فى ذلك مجال العمل الحرفى أو اليدوى ، حيث يؤهله لممارسة النشاط الانتاجى بكل جوانبه .

ورغم مرور ما يقرب على القرن منذ ظهور المبادىء الحديثة والأساسية لأصول التربية ، الا أن النظام التعليمى فى مصر لم يسع الى تطبيق هذه المبادىء رغم اهميتها ، ومن أهم هذه المبادىء ، أن المعرفة الحقيقية لا تتكون الا بواسطة الحواس ، فيجب الاستفادة من الحواس والاستناد عليها فى عمليات التعليم ، « فالتعليم بالتحسيس والتحديث » يجب أن يكون أهم المبادىء فى عملية التدريس .

لكن الحاسة الواحدة لا تكفى لتكوين معارف تامة راسخة ، فيجب ان تشترك الحواس المختلفة فى تكوين المعلومات ، وان يستفاد بالحاسة العضلية على وجه الخصوص . فلمس الشىء بعد مشاهدته يقوى العلم به ، كما أن رسمه بعد لمسه ومشاهدته يزيد هذه القوة درجة اخرى ، أما صنعه — وعمل نموذج له — فيكون أكبر قوة (٤) .

فانخفاض مستوى العملية التعليمية فى مصر بكل مستوياتها ، بدءاً من مرحلة التعليم الأساسى ، وانتهاء بمرحلة التعليم الجامعى — خاصة فيما يتصل بعمليات تأهيل الأفراد كل بما يتفق مع قدراته وامكانياته ، لاحتلال مواقعهم فى سلم العمل المهنى — لا يمثل فقط محوراً من محاور ازمة الشباب ، وانما ايضا محوراً من محاور ازمة برامج التنمية فى مصر / خاصة فى ضوء ذلك الاقبال المتزايد على التعليم بكل مراحله ، والذى عليه ان يهيىء للأفراد مزيداً من فرص العمل والانتاج .

لقد اصبح التعليم خاصة بمراحله الأساسية والثانوية ، هدفا بالنسبة لاعداد كبيرة من افراد المجتمع سواء فى الريف او الحضر / ذلك انه الطريق الوحيد — من وجهة نظرهم — الموصل الى الجامعة (٥) .

لقد أصبحت الجامعات هى النهاية الطبيعية التى يصب فيها التعلم التعليمى ، ومن ثم فلم تعد الجامعة هى المرحلة التعليمية المقصورة على ابناء الصفوة ، وانما اصبح التعليم الجامعى حقا ومطلبا جماهيريا /

لكونه اصبح متطلبات الوظيفة العامة تلك المرحلة ، بحيث أدى ذلك الى تكدس الجامعات فوق طاقتها ، ولم يصاحب هذه الطفرة فى التوسع فى التعليم الجامعي ، اية سياسة مخططة لتوفير حجم ملائم من اعضاء هيئة التدريس ، يتوائم والأعداد المتزايدة للطلبة ، ومن ثم اصبحت العملية التعليمية غير كاملة (٦)

وقد اشار محمد علي محمد فى دراسة له ، الى فشل النظام التعليمي فى مصر فيما يختص بتنمية القدرة لدى الشباب على العمل والكسب ، وكذلك فشله في تنمية الجوانب الابداعية والقدرة على الابتكار والتجديد، الي جانب عدم منحه الاحترام للحرف والأعمال اليدوية ، هذا بالاضافة الى ان سياسة التعليم فى مصر لا تضع فى اعتبارها احتياجات المجتمع الفعلية (٧)

وقد كان من واجب السياسة التعليمية في مصر الاستفادة من الاتجاه المتزايد نحو التعليم والرغبة المستميته — لدى قطاع عريض من افراد المجتمع المصرى نتيجة لمجموعة من التراكمات التى تكونت تاريخيا — واجبا عليها ان تستغل هذا التدافع المتزايد تجاه التعليم بحيث تعيد صياغة مخططاتها بما يتفق وحاجة المجتمع الفعلية للتخصصات المختلفة ، وبحيث تسير العملية التعليمية والتثقيفية فى خط مواز مع العمليات الأخرى التى تدعم وتنمى الأهمية المتعاظمة للعمل اليدوى والحرفى

فقد اشارت نتائج دراسة محمد على ، الى ظهور اتجاهات جديدة بين الشباب ، حيث أصبح يتساوى لديهم مزاولة العمل العقلى مع العمل اليدوى ، حيث يرجع ذلك الى تغير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية فى المجتمع بصفة عامة ، ووطأة الظروف الاقتصادية ، وهجرة الأيدى العاملة ، بحيث ارتفع العائد الاقتصادى للعمل اليدوى، وان كان هذا الاتجاه يختلف باختلاف طبيعة البناء الاجتماعي والاقتصادى السائد فى المحافظات التى تمت فيها الدراسة (٨)

واذا كان قد غاب عن ذهن مخططى سياسة الدولة العامة ، الأهمية المتزايدة لتاهيل الأفراد المهلى كل بما يتفق مع استعداداته وامكانياته ، فقد كان من الضرورى ان تاخذ الجامعة بهذه المبادرة ، بحيث تغير وتبدل وتطور مستوى ونوعية ادائها فيما يتصل باعداد الطلاب للانخراط فى سلك العمل المهنى . فللجامعة دور بالغ الخطورة في عمليات التخطيط طويل المدى للمجتمع ككل ، وذلك بصورة تفوق كافة المؤسسات الأخرى .

ففى أمريكا على سبيل المثال ، نجد أن كافة المؤسسات التى تعد المحركات الأساسية للتغير الاجتماعى ، تضع خططها لفترة لا تزيد عن خمسة أو عشرة أعوام ، سواء كانت الخطط تابعة من السلطة الحاكمة أو الأحزاب السياسية أو وكالات التخطيط الحكومية أو الهيئات المنظمة ، حيث تعجز كافة هذه المؤسسات عن التخطيط الاجتماعى الذى يتصف بالشمولية والاستمرارية ، وذلك بسبب اعتمادها الكلى على تقلبات وميول الهيئات التشريعية ، ونتيجة التعديل والتغير المستمر لقيادات هذه المؤسسات (٩) . وبالتالى ، فإن ما تتمتع به الجامعية من استقرار نسبى واستقلالية ذاتية ، يجعلها أكثر المؤسسات قدرة على التخطيط بعيد المدى ، وتحقيق أهدافها الخاصة باعداد الكوادر الفنية التى تتوائم وحاجة المجتمع المستقبلية .

وقد انعكست أزمة التعليم الجامعى ، وفشله فى اعداد الكوادر الشبابية لاحتلال مواقعهم فى ميدان العمل ، على حالات الدراسة إذ نجد أن الحالة رقم (٢) على سبيل المثال ، تشكو من انفصال ما تلقته من خلال دراستها فى كلية الطب وبين العمل الحالى الذى تقوم به كطبيبة فى أحد مكاتب الصحة إذ تقول : « الحقيقة أنا حاسة إنى ضيعت ٧ سنين فى الكلية على الفاضى .. مافيش حاجة من اللى اتعلمتها فى الكلية باطبقها أو باستفيد منها فى شغلى .. باحس أن مافيش فرق بينى وبين الحكيمة اللى بتشتغل معايا .. يمكن هيه أشطر منى فى الحقن والتطعيم ــ حسيت أنى بانسى الطب شوية شوية » .

ثانيا : التعليم وسوق العمل :

عندما نتصدى للحديث فى هذا المجال ، نجد أن هناك مجموعة من التساؤلات التى يفرضها علينا الموقف ، فلنا أن نتساءل : ما هى العوامل التى تؤثر فى نفوس الشباب عندما يحاولون اختيار مهنة من المهن ؟ .. ما هى الأسباب التى تولد فيهم الرغبة نحو بعض المهن دون غيرها ؟ .. كيف تتكون هذه الرغبات ؟ .. كيف تتطور وكيف تقوى وكيف تتغير ؟ ..

إن رغبة الشباب فى مهنة تنشأ فى بعض الأحيان من عوامل ذاتية تعود الى الجوانب النفسية والشخصية والشكل والجسد منهم ، واستعداده الخاص ، فالفرد انما يرغب فى مهنة ما لأنه يشعر فى نفسه باستعداد خاص لها ، أو يمتاز باستعداد بارز فى مجال من المجالات تجعله يأمل لنفسه نجاحاً باهراً فيها .

غير أن الرغبة لا تتناسب مع الاستعداد فى كل الأحوال ، فالشخص كثيراً ما يميل الى مهنة دون غيرها ، لا لأسباب تتعلق بخواصه النفسى

واستعداده ، بل لاعتبارات تتعلق بأحواله وأحوال أسرته الاقتصادية، أو بمطامحه وطموحاته ، أو بالسياسات العامة للدولة أو بنظم التعليم ، لأن كل مهنة تضمن لأصحابها بعض المنافع والثمرات الاقتصادية والاجتماعية ، فكثيراً ما يختار الشخص المهنة طمعاً في المنافع والثمرات التي يتوقعها منها في الحال والمستقبل (٩) .

فاذا تناولنا الحالات للتعرف على أدوارهم ومساهماتهم في اختيار المهنة ، لوجدنا أن غالبيتهم لم يتمكنوا من تحقيق آمالهم واحلامهم في الحصول على العمل الذى يتناسب مع نوع التعليم الذى حصلوا عليه ، أو ذلك الذى كانوا يحلمون به .

فالحالة رقم (٦) على سبيل المثال كان طالبا بكلية التربية ، ولكنه بعد التخرج حصل على دبلوم في « الطهى » ، وهو يعمل حاليا في أحد المطاعم الفرنسية بباريس . والحالة رقم (٧) حاصل على بكالوريوس الهندسة ولكنه يعمل حاليا في مجال السياحة . والحالة رقم (٨) حاصل على ليسانس الالسن في اللغة الفرنسية وكان على حد قوله يكره مهنة التدريس كراهية شديدة ، ولكنه اضطر تحت ضغط الظروف المالية الى العمل كمدرس للغة الفرنسية بالكويت . والحالة رقم (٩) حاصل على بكالوريوس كلية العلوم ولكنه يعمل « مبلط قيشانى » حاليا . والحالة رقم (١٠) حاصل على ليسانس في التاريخ ، ولكنه يعمل حاليا في ورشة لاصلاح الأجهزة الكهربائية .

أما بالنسبة لحالات الاناث ، وبحكم الخلفية الثقافية المتخلفة ، فقد خضعن للتقاليد الرجعية البالية ، وعملن وفق المثل القائل « من خرج من داره اتقل مقداره » أو « ظل راجل ولا ظل حيط » ، حتى الحالة رقم (٢) والتى تخرجت من كلية الطب ، فانها سرعان ما سلمت أسلحتها الدفاعية ، واستسلمت للضغوط المختلفة التى لم تمكنها من المواءمة بين عملها كطبيبة وبين دورها كزوجة وأم وانسحبت من الحياة العملية مكتفية بحياتها الأسرية رغم ظروفها المادية غير الميسرة ، تقول الحالة رقم (٢) في ذلك : « مرتبى كله كان بيتصرف على المواصلات والشاى ومجاملات أصحابى .. اللى عندها عيد ميلاد .. او اللى ولدت .. او اللى اتجوزت .. حسيت أن اللى باخده ما بيكفيش حتى اللبس .. وعشان كده قررت انى أسيب الشغل » .

وتشير سونيا ابادير الى أن الثقافة المتخلفة ممثلة في محتويات كتب القراءة على سبيل المثال في المرحلة الابتدائية ، تعمل على ترسيخ وظائف المرأة التقليدية ، فالعمل في الخارج هو فقط من اختصاص

الرجال ، ولا سبيل الى الرجولة الصحيحة الا بالعمل ، أما النساء فلهن دور آخر أقل أهمية (١١) .

ان تلك المواقف السلبية تجاه المرأة التى تصبها الكتب المدرسية فى رؤوس الأطفال من الجنسين من شأنها أن تعمق وترسخ فى اذهانهم تلك الأفكار الخاطئة ، الناجمة عن تقاليد رجعية باليه ، وان تقدم لهم صورة مشوهة للدور الذى يجب أن يؤديه الرجل والمرأة فى الحياة .

كذلك فقد اكتفت الحالة رقم (١) بالحصول على الشهادة الجامعية، دون أن تتوفر لديها الرغبة فى العمل فى اى مجال من المجالات وذلك بسبب ثراء الأسرة الفاحش ، وتقول الحالة فى ذلك : « أهى سنين الكلية فاتت بالطول والعرض .. واخدت الشهادة فى الآخر .. طبعا الشهادة دى كلام فارغ لأنى مش باشتغل بيها ومش محتاجاها .. بابا عنده فلوس تكفينا مليون سنة لقدام .. طيب اشتغل اليه .. ؟ ».

ويتضح من ذلك تدنى دور الأسرة وكذلك دور التعليم فى تدريب الشباب على تحمل مسئوليات الحياة ، والربط بين تحقيق الهوية وتحقيق الذات وبين العمل المنتج .

ويقول عزت حجازى فى ذلك ان الأسرة لم تعد تدرب الشباب على تحمل مسئولياتهم فى الحياة . والتعليم الذى حصلوا عليه لا يقدم لهم غير القليل من المعارف العصرية ، ويعطل فرص اكتساب خبرات حية تؤهلهم للتكيف مع الواقع ، بل انه يقتل لديهم روح الابتكار والايجابية ويربيهم على السلبية والمسايرة والانصياع (١٢) .

أما بالنسبة للحالة رقم (٣) ورقم (٤) فكلتاهما اتخذت من المهنة وسيلة للحصول على اكبر عائد مادى ، بغض النظر عما يحققه لهن العمل من اشباع نفسى أو معنوى ، حيث تعمل الأولى فى مجال المحاماة ، وتقوم بقبول كافة أنواع القضايا ، رغم انتقادها فى الدراسة السابقة لمثل هذا الاتجاه ، وتبرر ذلك بقولها « اتصورت الأول انى ما اشتغلش الا فى القضايا النظيفة .. وأن حيكون عندى حرية ارادة وحرية اختيار للقضايا اللى حاشتغل فيها .. كنت باصطدم كثير مع زمايلى ومع صاحب المكتب .. بالتدريج لقيت انى اتركنت .. وما بقاش يتحط على مكتبى ولا دوسيه قضية واحدة .. معظم خريجين الحقوق مش لاقيين شغل .. الشغل اليومين دول رخصة للبنت عشان تتجوز الأول وعشان بعد كده ما تتذلش لجوزها .. هديت اللعب .. وبقيت زى باقى المحاميين اللى معايا » .

أى أن العاملين تحت وقع الظروف الاقتصادية القاهرة ، تخلوا من القيم التى كانتا تتمسكان بها من قبل ، وذلك يؤكد ما ذهب اليه نسبت Nispet من ان السلوك الاجتماعى يفهم فقط فى ضوء القيمة التى تعطى للسلوك معناه ، سواء كان هذا السلوك اخلاقيا او غير اخلاقى ، مشروعا او غير مشروع ، وان تقييمنا للسلوك يتم فى ضوء تغير المعايير الاجتماعية التى تتغير ككل شىء فى المجتمع ، مما يعنى أن الاحكام القيمية تكون نسبية ، وتختلف من بيئة اجتماعية الى أخرى ، ومن مجتمع لآخر ، ومن مرحلة تاريخية الى اخرى (١٣) .

ولكن رغم تأثير الضغوط الاقتصادية والاجتماعية على أنساق القيم الا أننا لا نستطيع انكار الحقيقة التى تؤكد وجود واستمرار قيم كثيرة ايجابية تكونت لدى الأفراد تاريخيا ، فالقيم لا تختفى اختفاء تاما ولا تتغير بصورة كلية مع تغير الظروف المادية للمجتمع . حيث نجد ان هناك قيما ايجابية راسخة تتصدى وتقاوم القيم السلبية الوافدة .

ففى كل مرحلة من المراحل التى يمر بها المجتمع ، تطغى او تسود انساق معينة من القيم نتيجة لبعض الظروف الاقتصادية ، الا انها لا تمحوا كلية تلك القيم الايجابية التى كانت سائدة فى المراحل السابقة .

ثالثا : العمل وقضية الأجور :

تشير دراسة محمد على الى تفضيل الشباب لنسق التمسك الجامعى ، رغم انخفاض عائده المادى ، اذ يرون امكانية التضحية بالعائد الاقتصادى المرتفع الذى تدره المهن الفنية المختلفة فى مقابل تحقيق مزيد من الهيبة والمكانة الاجتماعية التقليدية (١٤) .

أى ان الوظيفة التقليدية كانت ولا تزال لها جاذبية خاصة لدى بعض افراد المجتمع المصرى ، وقد يرجع ذلك الى مشاعر الأمن التى يتمتع بها الفرد فهو موظف يتقاضى راتبا معينا ، لا يتعرض فى الحصول عليه لأى خطر او مجازفة ، بعكس الأعمال الأخرى الحرة ، التى قد لا تكون مضمونة النتائج ومحفوفة بالمخاطر .

كذلك كان المميزات الاقتصادية التى تمتاز بها الوظائف التقليدية وخاصة الوظائف الحكومية عن سائر المهن كبيرة ومتنوعة جدا . فالمحامى الحر على سبيل المثال قد يحصل على مكاسب كبيرة فى فترة زمنية معينة ، ولكن قد تمر عليه عدة شهور دون أن يحصل على مقابل موازٍ لذلك الذى يحصل عليه نظيره المنخرط فى العمل الحكومى ، هذا بالاضافة الى معاش التقاعد الذى يتقاضاه الموظف بعد اعتزاله العمل ،

ومعاشات الأرامل والأيتام التى تتقاضاها الأسرة والأبناء بعد الوفاة . فالعامل الحر اذا مرض وانقطع عن العمل او توفى ، فقد هو وأسرته مورد الرزق الذى كانوا يعولون عليه .

وعلى ذلك تمثل الوظيفة التقليدية بالنسبة لبعض الفئات نوعا من الأمن المادى الى جانب كونها هدفا اجتماعيا فى حد ذاتها ، وفى ذلك يقول الحالة رقم (٩) : ساعات بأحزن على الكام سنة اللى ضاعوا من عمرى فى الجامعة .. أبويا كان نفسه تتقلع له عين ويشوف واحد من ولاده موظف قد الدنيا . آدينى اهه بقيت صنايعى » .

ومن خلال مثل هذه الصورة ، يتضح ان الشباب فى مجتمعنا يعيش مرحلة تناقض بين نوعين من المفاهيم ، تلك المفاهيم التقليدية التى ورثها عن الثقافة القائمة والتى كانت تمجد الوظيفة والعمل الحكومى ، والمفاهيم الجديدة التى دعمتها الاتجاهات المادية الجارفة ، والتى تتمثل فى تقييم المهنة من خلال عائدها المادى .

ومن الأسباب التى ادت بالشباب الى التخلى عن القيم الكـامنة وراء الوظيفة التقليدية ، اتجاه الحكومة الى التخلى النسبى عن دورها فيما يتصل بتعيين الخريجين ، حيث زادت اعدادهم زيادة هائلة لا تتفق وحجم العمالة المطلوب فى كافة المؤسسـات والأجهزة الحكومية ، وفى ذلك يقول الحالة رقم (٩) : « بعد التخرج قعدت سنة بحالها أدور على شغل .. ٩٠٪ من اللى بيتخرجوا من كلية العلوم ما بيلاقـوش شغل .. القوى العاملة مابقتش زى زمان .. لو كنت حـا استنى التعيين فى الحكومة مفناها انى اتقعد عواطلى اربع أو خمس سنين » .
كذلك فان انخفاض مرتبات العمل الحكومى مع ما يعانيه افراد المجتمع من ارتفاع اسعار السلع والخدمات ، أدى الى فقدان الوظيفة الحكومية لبريقهـا .

ويشير جالبريث الى أنه اذا كانت التنمية تعتمد على مساهمـة الجميع ، وجب أن يكون هناك نظام يكفل تكافؤ الجميع ، اذ ليس فى طبيعة الانسان ما يجعله يستخدم خير طاقاته من أجل اثراء غيره (١٥).

وفى هذا الخصوص يقول الحالة رقم (١٠) : « أنا متخصص فى التاريخ .. عمرى ما حالاقى شغل الآ فى الحكومة .. انما كنت حاخد ايه .. ده مرتب الحكومة مايكفيش العيش الحاف .. طبعا كنت اتمنى أنى اشتغل فى مجال تخصصى .. انما مش كل حاجة الواحد بيفوزها يقدر ياخدها .. عموما اللى باكسبه دلوقت من الورشة قد اللى كنت حاخده من الوظيفة عشر مرات » .

ومن هذا يتضح ان قيمة العمل الحكومى كقيمة كان مرغوبا فيها ، قد توارت أمام القيمة المادية التى حققها العمل الحر مهما كانت نوعيته ، فالقيم تتضمن تصوراً لما هو مرغوب ، أى أن تصور المرغوب انما يعنى تفضيلا معينا لنمط سلوكى فى مواجهة نمط آخر . على ان المرء لا يفضل سلوكا معينا على الآخر أو غاية دون الأخرى حين يقارن بين هـذا السلوك ونقيضه ، أو تلك الغاية ونقيضها ، ولكن حين يقارن بين القيمة الكامنة وراء هذا السلوك وبين قيمة أخرى ينطوى عليها نسق القيم لديه .

ومن هذا يتضح أن القيم لا تتصف بالدوام المطلق ، وهى فى نفس الوقت ليست دائمة التغير والتعديل ، بمعنى أن الدوام المطلق للقيم يؤدى الى استحالة التغيير على المستوى الاجتماعى والشخصى . كما أن دوام تغير القيم وتبدلها يجعـل من المتعذر استمرار الشخصـية الانسـانية والبناءات الاجتماعية والانماط الثقافية .

ومن ثم ، فان أى تصور للقيم الانسـانية يتعين ان يأخذ فى اعتباره كلا من السمتين المتميزتين للقيم وهما الاستمرار النسـبى والتغـير النسبى (١٦) .

ولا تتوقف العوامل التى تحدد المهنة عند حد العامل الاقتصادى فقط أو العائد المادى ، اذ أن الواقع الاجتماعى ، والقيم الثقافية السـائدة يلعبان دوراً كبيراً فى هذا المجال .

وهذه العوامل المختلفة قد تدفع بالشـاب نحو مهنة لم يـكن ذا استعداد خاص لها ، وقد تبعده عن المهنة التى لو امتهنها لنجح نجاحا باهراً فيها ، فى حين أن المصلحة الخاصة للفرد والمجتمع توجهه وجهة أخرى مختلفة أشد الاختلاف (١٧) . وفى ذلك يقول الحالة رقم (٩) : « لو كان عندنا واسطة ماكنتش بقيت صنايعى ، كان زمـانى دلوقتى باحث قد الدنيا فى مركز بحوث والا فى مصنع .. ده أنا كنت غـاوى الدراسـة بتاعتى قوى .. وكنت حاسس انى فى يوم من الأيام حاكون عالم والا مخترع » .

وينقلنا ذلك الى الحديث عن الوساطة والمحسوبية ، كقيمة من القيم السلبية التى ظهرت بصورة واضحة فى السنوات الأخيرة ، وان كان هذا يستدعى منا الاشارة الى أنها ليست من القيم الجديدة تماما على المجتمع المصرى ، وانما أصبح هناك اتجاها واضحا بين الأفراد للاستعانة بالوساطة اما للحصول على مكاسب أو مزايا معينة ليست

من حقهم ، واما من أجل شعور الأفراد بالظلم وعدم تكافؤ الفرص وحرمانهم من الحصول على حقوقهم الا عن طريق الاستعانة بوسيط أو بشخص ذو نفوذ .

ان المعوقات البنائية ومنها الشعور بالحرمان الناشيء عن الظلم التى تحول بين الأفراد وتحقيق طموحاتهم ، يولد شعوراً بالتميز والتفرقة وعدم تكافؤ الفرص لأسباب اجتماعيـــة وثقافيـــة ، وليس لأســـباب شخصية ، مما يرسخ الايمان بفشل النظام الاجتماعى الذى يقف حائلا بين اغلبية أعضائه ، وبين تحقيق نجاح يستحقونه ويقدرون على القيام بمتطلباته . ان الحصول على مكافآت وتحقيق نجاحـــات حتى بدون استحقاق يتوقف على قدرة الفرد على النفاق والمحسوبيـــة والنفـــوذ الشخصى (١٨) .

وعندما تتفشى ظاهرة الوساطة أو المحسوبية فان ذلك يعنى أن ما يحصل عليه الفرد من مكاسب أو مميزات ، لا يؤهله للحصول عليها أية كفاءات أو قدرات خاصة ، انما هو نوع من الاستيـــلاب لحقـــوق الآخرين ، وان الشخص غير المناسب الذى يشغل مكانة معينـــة عن طريق الوساطة فى مجال من مجالات العمل ، لا تكون لديـــه القـــدرة والكفاءة على الوفاء بالتزمات هذه المكانة مما يؤدى الى عدم قدرته على انجازه لوظائفه وانخفاض مستوى أدائه ، ومما ينعكس بالتالى عـــلى مجال التنمية ، وعدم الخروج من دائرة التخلف .

فالتخلف ليس حالة قادمة من خارج البناء الاجتماعى ، وانما كامنة فيه ، بمعنى أن أسباب التخـــلف تكون كـــامنة فى البنـــاء الاجتماعى الثقافى داخل الدول المتخلفة ذاتها مما يشكل عائقاً أمام مجهـــودات التنمية (١٩) .

ومن هذا يتضح أن اتجاه الشباب نحو مهنة معينة ، لم يعد يتم نقييمه من واقع ما تمنحه المهنة من مكانة وهيبة ، اذ أصبحت الاعتبارات المادية هى التى توجه سلوكهم نحو المهنة التى يختارونها ، اذ يضمنون بذلك تلبية احتياجاتهم المادية ، ودوافعهم نحو تحقيق المستوى المعيشى اللائق الذى لا توفره الوظيفة التقليدية .

اى أن القيم هى نتاج للقوى الاجتماعية والنفسية المؤثرة فى الأفراد، فهى اجتماعية لأن المجتمع وما ينطوى عليه من نظم يمارس عمليـــة تنشئة للأفراد ، تحدد لهم الهدف العام الذى يتمثل فى استصلاح التصورات

المشتركة لما هو مرغوب ، وهى نفسية لأن الدافعية الفردية تحتاج الى تعبيرات معرفية والى تبريرات لما هو مفضل اجتماعيا .

وحينما تتحول الحاجات والمطالب الفردية والمجتمعية الى تعبيرات معرفية أو قيم ، يصبح من اليسير تبريرها والدفاع عنها بوصفها غايات أو وسائل مرغوبة ومفضلة (٢٠) .

رابعا : تهمش القيم فى مجال العمل :

القيم الاجتماعية التى يتبناها الفرد هى نتاج لثقافة المجتمع ، وهى فى نفس الوقت ائتلاف بين الخبرات التى يكتسبها الفرد ، وبين التغيرات التى تطرأ على المجتمع .

فعلى سبيل المثال ، نجد ان التغير الاجتماعى الذى طرأ على المجتمع المصرى نتيجة لسياسة الانفتاح الاقتصادى قد أفرز صفوة جديدة مسيطرة ، تسعى — وان كان بصورة غير مباشرة — لتدعيم مجموعة من القيم التى تخدم مصالحها ، مثلها فى ذلك مثل جماعات الصفوة فى اى مجتمع ساعية بذلك الى كسب مزيد من الدعم لوضعها المسيطر (٢١) .

وفى ظل شروط التبعية ، تصبح الفئات المنتجة أكثر الفئات التى تعانى من التخلف الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ، كما تعانى فى ذات الوقت من نتاج ثراء الفئات الأخرى غير المنتجة ، فهى فى وضع متدن اقتصاديا واجتماعيا ، وليست مالكة لوسائل الانتاج الاجتماعى ومن هنا فليس امامها سوى البحث عن وسائل أخرى للعيش ، حيث أن وضعها من نظام الانتاج لا يحقق لها الاشباع الكافى ، فى وقت تتزايد فيه السلع الوافدة الاستهلاكية فى السوق المحلى ، وتظهر أعراض ادمان السلع الابستهلاكية والترفيهية ، وتصبح قيمة فى حد ذاتها تشير الى المكانة الاجتماعية للفرد .

وتظهر التناقضات بين الفئات الاجتماعية المختلفة ، ليس فقط بين الفئات القادرة على استهلاك السلع الأجنبية ، وبين الفئات المنتجة فى المجتمع ، بل وأيضا بين المجموعات داخل الفئة الواحدة ، تلك الفئة التى أتيحت لها الفرصة للمشاركة فى العمليات الاستهلاكية المتاحة وهنا تتحطم قيمة العمل المنتج ، فالعمل فى ظل هذه الظروف يصبح سرابا لا يعود بالنفع على صاحبه ، ولا يمثل قيمة ايجابية فى حد ذاته ، بل يصبح عبئا على هذه الفئات او بالأحرى يصبح العمل المنتج قيمة

زائفة ، تتحطم أمام مشكلات الواقع التى تواجه هذه الفئات المنتجة له ، وتتحول تدريجيا الى قيمة سلبية ، وتظهر قيم جديدة لتحل محل هذه القيم مثل قيم الربح السريع أو الثراء بدون جهد أو بجهد غير شرعى ، أو ترك العمل المنتج ، والبحث عن مصادر استهلاكية ليست منتجة تدر ربحا أعظم ، ويصبح التخلى عن العمل الوطنى هو القيمة السائدة فى المجتمع خاصة عند الشباب ، وتظهر هذه القيمة فى سلوك هذه الفئات ، حيث تتعاظم ظاهرة الهجرة الداخلية والخارجية .

والمحصلة النهائية لكل ما سبق ، هى تحويل العمل الوطنى المنتج الى قيم غير وطنية ، قيم بعيدة عن الالتزام ، ويصبح الانتماء قيمة مثالية أو يوطوبية ، لا تظهر الا فى الخطاب الايديولوجى ، ولا تترجم الى أفعال واقعية . تصبح القيم تابعة ، تدعم الاستهلاك لا الانتاج ، الاغتراب لا الانتماء ، وفى ظل هذه الظروف تتشكل على المستوى الاجتماعى فئات تنمو على حساب القطاعات الدنيا ، وفئات وسطى تبحث عن المكانة العليا ، وفئات طفيلية تستغل الظروف وتحول الأزمة لصالحها (٢٢) .

وقد تبدو هذه المقدمة طويلة بعض الشىء ، ونحن بصدد تناول العلاقة بين العمل وتهمش القيم ، الا أن تنوع الحالات وتباينها الشديد فرض علينا أن نشير باسهاب الى القيم التى تتبناها كل شريحة من شرائح المجتمع للتعرف على أوجه تشابهها واختلافها .

فأسرة الحالة رقم (١) تنتمى الى الطبقة البرجوازية ، حيث تتسم هذه الطبقة كما يذهب سمير نعيم بمجموعة من الملامح (٢٣) ، وحيث نجدها متمثلة بدرجة واضحة فى نمط حياة أسرة الحالة ، ومن أهمها ما يلى :

١ ـ انبهار معظم أعضاءها بنمط الحياة الغربى ومحاكاته من حيث المظهر ، كما يتضح من نمط المسكن والملبس والغذاء والسلوك ، بل وحتى اللغة والعادات ، وميل للتخلى عما هو شرقى وعربى أصيل .

فأسرة الحالة تسكن شقة كبيرة تمثل مساحة سطح العقار بأكمله ، ويحيط بها « روف » كبير به حمام للسباحة ، وعلى أحد جوانب الحمام يوجد « بار » أنيق . فالمسكن بوجه هام ينقلك نقلة مفاجئة الى نمط غربى بكل مستوياته .

٢ ـ الشعور بالنقص ازاء الغرب ، وتعويض ذلك عن طريق تضخيم وتفخيم الذات من خلال التعالى على الآخرين واقتناء رموز المكانة .

فأسرة الحالة لديها عدة سيارات ، وتقوم بتغيير السيارات بأخرى أحدث بصفة دورية كرمز للمكانة . وتقول الحالة معبرة عن روح التعالى التى تتمتع بها : « أيام الكلية كنت مضطره أتعامل مع مستويات زى الزفت .. ده لسه فيه ناس ماسمعوش عن البرفانات والديودورون .. بصراحة الجامعة للمت .. أولاد فلاحين على أولاد بوابين .. المفروض ان التعليم مايكونش لكل من هب ودب » .

٣ ــ الميل للخداع والكذب والتضليل والتظاهر بغير الواقع . ويتضح جانب من هذه الصفات فى تلك المكتبة الفاخرة التى تحتل جانبا كبيراً من القاعات المخصصة للضيوف ، حيث امتــلأت بالمجــلدات الفاخرة ، والمراجع القيمة التى تم اقتنائها كنوع من الديكور ، دون أن يكون لدى أى فرد من افراد الأسرة ادنى ميل للقراءة أو الاطلاع .

ويتبين الميل للخداع والتضليل ، فيما تذهب اليه الحالة من انخفاض العائد المادى لواحد من مشروعاتهم التجارية ، حيث تقول : ــ

« والله الأسعار عندنا مش غالية .. يعنى ثمن الفستان مثلا من ٤٠٠ جنيه لحد ٢٠٠٠ جنيه .. انما فساتين الأفراح بقى هيه اللى ثمنها فوق شويه ، ساعات بيوصل ثمن الفستان ١٥ الف أو ٢٠ الف .. ايراد المصنع والاتيليه مش قد كده .. بعد الأجور والتكاليف والضرائب بتصفى الحكاية على ملاليم .. » .

ومع ان ما جاء على لسان الحالة لا يحتاج الى تعليق ، الا أنه يتنافى مع أى صورة من صور المنطق والعقل ، اذ أن الارباح التى تحققها الملابس النسائية خاصة تلك التى تصمم خصيصا لنساء الطبقة البرجوازية ، تصل نسبة الربح فيها احيانا ما بين ٢٠٠٪ الى ١٠٠٠٪ .

٤ ــ القسوة والعنف فى التعامل مع الفئات الأضعف . ويتضح هذا من قول الحالة : « الاحتكاك بالعمال شىء مقرف .. كلهم حرامية .. عايزين ياخدوا فلوس من غير ما يشتغلوا .. مع أن مواعيد الشغل عندنا مريحة جداً .. من الساعة ٨ الصبح لحد الساعة ٦ بالليل .. تلاقيهم الصبح مابيجيوش فى مواعيدهم .. آل المواصلات صعبة آل».

ففى الوقت الذى تنتقد فيه عمال المصــنع ، رغم انهم يعملـــون ما يقرب من عشر ساعات يوميا ، نجد انها تقول : « لو ماكانش عندى بروجرام خروج مع الشلة ، وزهقانه من البيت ومن نزول البيسين .. باروح على الاتيليه .. آدينى باشوف لو كان فيــه موديــل جــديد والا حاجة .. وباتفرج على الستات الداخلة والخارجــة . مشوار

المصنع دمه تقيل قوى .. أصله فى حته بلدى .. والعمال مقرفين .. كفايه عليه انى باجى الاتيليه مرتين والا ثلاثة كل اسبوع » .

٥ ــ الخضوع والتقرب والنفاق للفئات الأخرى . فتقول الحالة « الشقة بتاعتنا مكفيانا بالعافية .. معظم الشقة عاملنها « رسبشن » لأن بابا عنده أصحاب وعملا تقال قوى .. كل اصحابنا من الوزراء وكبار البلد » .

٦ ــ الاستهلاك كمظهر سلوكى وقيمى يحل محل العمل والبذل والتعليم . ويتضح ذلك من قول الحالة : « أنا رفضت أدخل الجامعة الأميريكية .. الشغل فيها نار .. أنا كنت عايزه شهادة وخلاص أدينى أخذتها .. الشهاده كلام فارغ .. لأنى مش محتاجه اشتغل بيها .. بابا عنده فلوس تكفينا مليون سنة قدام .. طب واشتغل ليه ؟ » .

وتمثل أسرة الحالة رقم (١) كلا من البرجوازية والتجارية والبرجوازية الكومبرادورية والبرجوازية العقارية . فهى برجوازية لانها لا تمارس أى نشاط انتاجى حيوى ولكنها تعتمد على توزيع السلع سواء تلك المنتجة داخليا أو المستوردة من الخارج ، اللازم منها للمعيشة أو اللازمة للانتاج بكافة أنواعه ، وتشكل الشريحة التى تنتمى اليها أسرة الحالة قوة اجتماعية وسياسية خطيرة ، وتمثل عائقا كبيراً أمام التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، بل وتهديداً للاستقلال والأمن القومى على كافة مستوياته .

وهى برجوازية كومبرادورية ، لأنها ترتبط براس المال الاجنبى الذى يسيطر على وحدات الانتاج المرتبطة بالصناعات الاستخراجية أو على وحدات انتاج السلع الفاخرة للطبقة الفنية ، حيث تملك الأسرة مصنعا للملابس الجاهزة النسائية التى يتم عرضها فى اتلييه خاص بهم وتتراوح الأسعار ما بين ٤٠٠ جنيه و ٢٠ الف جنيه لفساتين الأفراح .

وهى برجوازية عقارية ، لأنها تشتغل بالاتجار فى الأراضى والعقارات وأعمال السمسرة فيها ، وتحقق من خلالها أرباحا هائلة تجنيها من خلال تعاملها مع الشرائح البرجوازية الأخرى ، ومن استغلال حاجات الجماهير للمسكن .

واذا انتقلنا للحديث عن العلاقة بين العمل وتهمش القيم ، فاننا سنتناول هذا الجانب من خلال محاور ثلاث رئيسية وهى الرشوة ، والتهرب من الضرائب ، والكسب غير المشروع ، وعلينا فى هذا المجال الا نغفل دور البرجوازية الطفيلية فى نشر الفساد فى الجهاز الحكومى

وتأثير ذلك على المجتمع بأسره ، ذلك أن البرجوازية على استعداد دائما لرشوة الموظفين الحكوميين للحصول على تسهيلات بيروقراطية او جمركية ، وتدفع فى سبيل ذلك اى مبالغ ، فهى فى نهاية الأمر لا تخسر شيئا لانها تضيف كل هذه المبالغ على أسعار السلع والخدمات التى تقدمها بحيث يتحملها المستهلك فى نهاية الأمر (٢٤) .

وينطبق ما جاء فى السطور السابقة تماما على ما جاء على لسان الحالة رقم (١) اذ تقول : « ماما بتتصرف حسب شخصية مأمـور الضرائب .. لو حست انه عايز ياكل بتأكله وهى الكسبانه .. واذا حست أنه جد وطالع فيها ومش بتاع رشوة .. بتوريه دفاتر تانيـة خالص غير الدفاتر الحقيقية » .

ويقول الحالة رقم (١٠) : « أنا اللى باتعامل دلوقتى مع هيئة التأمينات وبتوع الضرائب .. بابا كان حقانى قوى .. وما يعرفش يلف ويدور .. السوق دلوقتى مش عايز كده .. الواحد لازم يفتح مخه عشان يمشى حاله .. والشطارة أن الواحد يعرف الانســان اللى بيتعامل معاه يساوى أيه .. لأن كل واحد له ثمن .. ممكن واحد يكون ثمنه سجارة زى عسكرى المرور اللى واقف فى حته ما فيهاش مرور جامد .. انما لو العسكرى واقف فى ميدان .. ثمنه بيزيد لربع أو نص جنيه .. وقيس على كده كل الناس اللى الواحد بيتعامل معاهم مـن ساعة ما يصحى من النوم لحد ما ينام .. ابتداء من بواب العمـارة والزبال لحد اكبر راس فى البلد » .

وقد أشارت نتائج دراسة شاديه قناوى ، الى أثر عدم استقرار السياسة العامة للدولة ، ونظامها الاقتصادى فى انتشار الرشـوة ، ودور الأزمات الاقتصادية والحروب التى تؤدى الى ارتفاع الأسعـار وزيادة الضرائب ، وانخفاض مستوى المعيشة لمعظم أفراد المجتمع . فى نفس الوقت الذى اتجهت فيه السوق الى عـرض كـل السلع الاستهلاكية مع ارتفاع اسعارها ، وتأكيدهـا للقيم الاستهـلاكية فى مواجهة الدخول المحدودة ، مما أدى الى انتشار الرشوة لتحقيق أكبر قدر ممكن من هذه القيم واشباعها (٢٥) .

ويتضح مما سبق ان هناك علاقة بين طبيعة النظام الاقتصادى الاجتماعى وانتشار الرشوة ، فالرشوة أحد جرائم المال ذات الجذور الاقتصادية والاجتماعية ، والتى تتأثر وتؤثر بصورة واضحة على النظام الاقتصادى السائد فى المجتمع ، وتسير هذه الظاهرة فى خط مواز مع اتجاه ارتفاع الأسعار بصورة تفوق دخول الأفراد وامكانياتهم المالية .

ويشير رمزى زكى الى أن ظاهرة الرشوة قد نفشت فى المجتمع نتيجة استحالة مواصلة محدودى الدخل لمسيرتهم الاجتماعية ، نظراً للتدهور المستمر فى دخولهم ، حيث تفشت ظاهرة الرشوة فى حماية سياج البيروقراطية المحكم ، والقرارات المتضاربة التى افرزتها عبقرية التعقيد الادارى فى عصور الاضمحلال الثقافى والقهر الاستعمارى . لقد حل بعض الموظفين من ضعاف النفوس مشكلاتهم على طريقتهم الخاصة ، بأن تحولوا الى تجار يبيعون خدماتهم الوظيفية لمن يدفع الثمن (٢٦) .

وتتبدى هذه الحقيقة بصورة أكبر اذا أخذنا فى الاعتبار ان أجور غالبية الموظفين لا تفى بالحد الأدنى الضرورى للحياة ، رغم ان الحد الأدنى الضرورى للموظفين يجب لعدة أسباب أن يكون أعلى من مثيله بالنسبة للعمال (٢٧) .

فالموظفون مهما ارتفعت درجاتهم المالية — حتى الوزراء منهم — لا يحصلون من عملهم على الأجور الكافية لسد احتياجاتهم الأساسية ، والتى تختلف الى حد كبير عن احتياجات الطبقات العمالية ، فهم فى الأغلب يسكنون فى المدن ، ويعشون بطريقة أكثر حضارية متمثلة فى المسكن المناسب ، والمظهر اللائق ، وما الى ذلك مما تتطلبه الضرورات المظهرية للوظيفة العامة ، ومع عوامل التغير الاجتماعى وارتفاع اسعار السلع والخدمات لا يجدون مفراً من البحث عن الوسائل البديلة سواء كانت من الوسائل المشروعة أو غير المشروعة ، لخلق نوع من التوازن بين أجورهم وبين احتياجاتهم الملحة .

ويشير الحالة رقم (٩) الى نمط شائع من الانماط التى تنطوى على كل من الرشوة والكسب غير المشروع ، يقول الحالة وهو يصف فترة الخدمة العسكرية : « اما رحت الجيش كنت فرخه بكشك .. خصوصا لما الضباط عرفوا أن معايا صنعة .. كان القائد يدينى تصريح بأسبوع والا عشر أيام .. ويكون عامل حسابه ومحضر لى شغل .. أنزل أعمل الشغلانة واخلصها فى يومين ثلاثة .. وباقى الاجازة كنت بالقط رزقى ..

فيه ضباط منهم لله .. يمصوا دم الواحد .. وما يدولوش ولا مليم. وفيه نوع تانى بيعاملو ربنا .. يستحرموا ان عسكرى يدق مسمار فى بيت واحد فيهم ومايخدش عرقه » .

ويكتسب الشباب من خلال تعامله اليومى فى المجتمع ومن خلال تجاربه قيما متهمشة جديدة ، لم تكن ضمن مفردات قاموس الحياة

اليومية قبل التحاقه بالعمل ، ونصبح الغيم التى نمجد المال وتسبح « بالفهلوه والشطاره » ، أسلوب حياة جديد ، لندع الحالة رقم (٧) لنلقى الضوء على هذا الجانب : « رفضت اشتغل فى مجال الهندسة بعد التخرج اشتغلت فى مجال السياحة لأن عندى لغة المانى وانجلزى كويسه ..

ابتديت فى السياحة أعرف حاجات كتير ماكنتش باعرفها وابتديت أعمل حاجات عمرى ما كنت أتصور انى فى يوم حاعملها .. كنت اتكسف جداً انى اتكلم عن الفلوس .. أول مرة السياح قدموا لى ظرف فيه البقشيش .. اتكسفت اخده منهم .. حسيت انها حاجة واطية .. بعد كده اتغيرت فى حاجات كتير .. اتعلمت أغير عملة .. اتعلمت حاجات كتير أهلى ماكانوش يعرفوا يعلموها لى .. اتعلمت ازاى اتفق مع نجار خان الخليلى أننا نسرق السياح .. فى الأول كنت باقول لأ عيب وحرام .. كل اللى معايا فى الشغل كانوا بيقولوا عنى عبيط .. قررت أعمل زيهم عشان ما أبقاش عبيط » .

وتتجلى فى الحالة رقم (٤) ، صورة صارخة للشخصية اللامعيارية أو كما سماها دوركايم الأنومية ، ومفهوم الانومى عند دور كايم يقصد به انه حالة من فقدان المعايير حيث تظهر هذه الحالة عندما يتعرض النظام الاجتماعى لنوع من التفكك والانحلال ، اذ تصبح طموحات الناس وتطلعاتهم غير قادرة على الخضوع للنظام الاجتماعى الجمعى ، وبالتالى يكون فقدان المعايير كنتيجة لفشل الضمير الجمعى فى كبح جماح الطموحات والمصالح الفردية .

ويربط ميرتون Merton بين الأنومى والسلوك الانحرافى والذى يتبدى فى عملية نجاح الفرد فى تكوين الثروة بوسائل غير مشروعة، وهذا النجاح يؤثر على المنحرفين أنفسهم ، فيدفعهم لمزيد من الانحراف والتمادى فى تحللهم من المعايير النظامية السائدة كما أنه يؤثر على غيرهم من أعضاء الجماعة الذين يجدون ان المنحرفين ينجحون بوسائلهم الخاصة فيما يعجزون عن تحقيقه (٢٨) .

وهذا هو ما حدث بالنسبة للحالة رقم (٧) ، فقد وجد أن جميع زملائه يقومون بتغيير العملة دون أن يقعوا تحت طائلة القانون ، ووجد أنهم يحصلون على مزايا عديدة من سرقة السياح بالاشتراك مع تجار العاديات ، فلم يجد بدا من الاقتداء بهم ، وطرح كل القيم والأخلاقيات جانبا .

ويتخفى البعض أحيانا وراء ستار الدين ، للحصول على بعض المكاسب المادية التى يحصلون عليها تحت مسمى الهدية ، فالموظف

الذى يحتمى بسياج البيروقراطية والتعقيدات الادارية ، قد يرفض لأسباب دينية أو مظهرية قبول الرشوة فى صورتها الأصلية ، أى على هيئة مبلغ معين من المال ، ولكنه لا يستنكف قبولها ، بل وطلبها فى بعض الحالات اذا كانت الرشوة مترجمة فى هدية عينية ، ويتضح هذا الاتجاه فى أقوال الحالة رقم (٤) : « عمرى ما طلبت من تلميذاتى أى هدية .. انما همه متعودين يدونى هدايا فى عيد الأم وعيد رأس السنة .. ما بقدرش اكسفهم .. ساعات بيجيبوا حاجات مش محتاجه ليها .. فطلبت أن كل مجموعة تشترك مع بعضها ويجيبوا حاجات معينة أنا باكون عايزاها » .

وتقول الحالة رقم (٢) : « ليه زمايل دكاتره بياخدوا رشاوى عينى عينك .. بيبعوا ضميرهم ويعطوا اجازات مرضية لناس مش عيانين .. أنا باستحرم الحكاية دى .. انما لما حد بيديني هديه باخدها .. النبى قبل الهدية » .

ومن خلال ما جاء على لسان الحالة رقم (٢) ، نجد أن الحالة تتخفى وراء ستار الدين ، للحصول على مزايا عينية ليست حقا لها ، وتحاول أن تفلسف الدين بما يتفق مع مصالحها الخاصة مثلها فى ذلك مثل اعداد هائلة من أفراد المجتمع الذين يطوعون الدين ويفسرونه بالصورة التى تعود عليهم بالفائدة والمنفعة الشخصية .

ويرجع ذلك ابتداء الى أسلوب التعليم الدينى الذى يلقن فى جميع مراحل التعليم المدرسى ، فالدين كما يذهب على ليله ليس دروسا يتعلمها الطالب ، وانما هو جهاز قيمى وأخلاقى على الطالب استيعابه كما يستند اليه فى تقويم وممارسة بعض المسائل الاجتماعية والموازنة بينها (٢٩) .

ويشير البعض بأصبع الاتهام الى انغماس أجهزة الدولة وقياداتها السياسية فى ممارسات فعلية ، كثيراً ما تختلف بدرجة أو بأخرى عن الأصول والتعاليم الدينية ، ولكنها تحرص على جعلها تظهر فى صورة دينية ، أو لا تتناقض مع الدين ، فالدين يحض على طاعة أولى الأمر أى الحكام ، والدين لا يبيح تجريح الشرفاء ، والدين يرفض العنف ، والدين يحرم البذخ والاسراف ، والدين لا يعارض فى تنظيم الأسرة ... الخ . والى غير ذلك من الاستخدامات السياسية للدين لاضفاء الشرعية على ممارسات القيادات السياسية ، وتأكيد حقوقهم وتوجهاتهم ، أو تحريم التوجيهات أو الممارسات المعارضة لها .

ويؤدى مثل هذا التمسك الظاهرى بالتعاليم الدينية ، ومحـــاولات تطويعه من جانب ايديولوجية الدولة الى جعل مثل هذه الممارســـات الأيديولوجية سطحية ومباشرة ، ويؤدى مثل هذا الوضع الى استجابة الناس لمثل هذه المظاهر باستجابة سطحية مماثلة ، تفتح مجالا واسعا لجعل الدين أداة من أدوات المناورة لتحقيق المصالح المختلفة (٣٠) .

وفى حقيقة الأمر فان التربية الدينية بشكلها الحالى تقتصر فقط على تلقين التلاميذ وتحفيظهم للآيات القرآنية ، بمعزل عن الفهم المتعمق والادراك الكافى للمعانى الكامنة وراء هذه الآيات ، والتى تتعلق بجوهر الدين الحق وعلاقته بالمعاملات ، وعدم الجمود عند حد العبادات .

فقد أصبح القرآن يفهم على أنه مجرد نصوص بلاغية ، وميدانـــا لتطبيق علوم اللغة على اختلاف أنواعها .. وبهذا تم عزل القـــرآن الكريم كنظرية اجتماعية هدفها تربية المسلمين وتـــكوين عقـــائدهم واخلاقهم وشريعتهم وتوجيه سلوكهم (٣١) .

وتأتى أهمية الدين فى حماية قيم المجتمع ، من أنه هو نفسه دين قيم اجتماعية ، تكون بمثابة ضوابط سلوكية لكل من الفرد والجماعة وبالتالى فانه من الضرورى تطويع التعليم الدينى فى المراحل الدراسية المختلفة بحيث يكون مرتبط بالقضايا اليومية المعاصرة ، وجميع جوانب التفاعل الاجتماعى بين الأفراد بعضهم بالبعض الآخر ، وان يكون هناك ارتباطا وثيقا بين محددات السلوك التى وضعها القرآن الكريم ، وبين الواقـع الاجتمـاعى .

الهـــــوامش

(١) فرج عبد القادر طه ، علم النفس وقضايا العصر ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ، سنة ١٩٧٨ ، ص ٤٥ ٠

(٢) مصطفى حجازى ، التخلف الاجتماعى ، سيكلوجية الانسان المقهور ، معهد الانماء العربى ، بيروت ، سنة ١٩٨٠ ، ص ٣٠ ٠

(٣) غاستون ميالاريه ، ترجمة نسيم نصر ، مدخل الى التربية ، منشورات عويدات ، بيروت ، سنة ١٩٨٢ ، ص ٩ ٠

(٤) ابن خلدون ، ساطع الحصرى ، أحاديث فى التربية والاجتماع ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، سنة ١٩٨٥ ، ص ٤٧

(٥) سالم عبد العزيز محمود ، المعوقات الاجتماعية والاقتصادية لتخطيط التعليم — دراسة تطبيقية على ظاهرة التسرب فى التعليم الابتدائى فى مصر ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، قسم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، سنة ١٩٧٦ ، ص ٢٢٠ ٠

(٦) على محمود أبو ليله ، دور العمالة المصرية فى التنمية العربية ، ندوة النظام العربى المعاصر ، آفاق الثمانينات ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ، ٩ — ١١ فبراير سنة ٨٥ ، ص ٣١ — ٣٢ ٠

(٧) محمد على محمد ، الشباب العربى والتغير الاجتماعى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، سنة ١٩٨٧ ، ص ١٣١ ٠

(٨) محمد على محمد ، الشباب العربى والتغير الاجتماعى : مرجع سابق ، ص ١٣٥ ٠

(٩) Keneth Keniston, youth and dissent, Harcourt Brace, Jovanovich Inc., New York, 1971, pp. 129-132.

(١٠) ابن خلدون ساطع الحصرى ، احاديث فى التربية والاجتماع ، مرجع سابق ، ص ٧٤ ٠

(١١) سونيا أبادير رمزى ، مناهج التعليم فى البلاد العربية ، ومناسبتها لدور المرأة ، الندوة الاستشارية حول « تحديد مظاهر عدم المساواة التى تعانى منها الفتيات والنساء فى التعليم » ، مكتب اليونسكو الاقليمى فى الدول العربية بالتعاون مع اللجنة الوطنية السودانية لليونسكو ، أكتوبر ، سنة ١٩٨٢ ، ص ١١ — ١٢ ٠

(١٢) عزت حجازى ، الشباب العربى والمشكلات التى يواجهها ، عالم المعرفة ، الكويت ، سنة ١٩٧٨ ، ص ٢٧١ ٠

(١٣) R., Nisbet. The Study of Social Problems, in R. Merton and R Nisbet, (eds.), Contemporary Social Problems, Harcourt, New York, 1971, pp. 11-12.

(١٤) محمد على محمد ، الشباب العربى والتغير الاجتماعى ، مرجع سابق ، ص ١٣٥ ٠

(١٥) عبد الرازق جلبى ، دراسات فى المجتمع والثقافة والشخصية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، سنة ١٩٨٨ ، ص ١٢٢ ·

(١٦) نفس المرجع ، ص ١٣٣ ·

(١٧) جالبريث ، جون كينيث ، ترجمة محمد ماهر نور ، أضواء على التنمية الاقتصادية ، عالم الكتب ، القاهرة ، سنة ١٩٦٢ ، ص ١٧ ·

(١٨) نبيل رمزى اسكندر ، الأمن الاجتماعي وقضية الحرية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٨ ، ص ١٤ ·

(١٩) غاستون ميالاريه ، ترجمة نسيم نصر ، مرجع سابق ، ص ٩ ·

(٢٠) على عبد الرازق جلبى ، دراسات فى المجتمع والثقافة والشخصية ، مرجع سابق ، ص ١٣٧ ·

(٢١)

Neil W. Chamberlain, Remarking American Values, Basic Books, New York, 1977, pp. 10-12.

(٢٢) أحمد مجدى حجازى ، العمل المنتج وقضايا التخلف فى العالم الثالث ، رؤية سوسيولوجية ، ندوة الفلاحون والتغير الاجتماعى فى العالم العربى ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ، ٦ ــ ٨ مايو سنة ٨٦ ، ص ٢٣ ــ ٢٤ ·

(٢٣) سمير نعيم ، التكوين الاقتصــــادى الاجتماعى وأنماط الشخصية فى الوطن العربى ، مجلة العلوم الاجتماعية ، عدد ٤ ديسمبر سنة ٨٤ ، ص ١١٤ ــ ١١٥ ·

(٢٤) سمير نعيم ، أثر التغيرات البنائية فى المجتمع المصرى خلال حقبة السبعينات على أنساق القيم الاجتماعية ومستقبل التنمية ، جهاز تنظيم الأسرة والسكان ، القاهرة ، سنة ١٩٨٠ ، ص ١١٧ ــ ص ١١٨ ·

(٢٥) شادية على فؤاد قناوى ، ظاهرة الرشوة فى المجتمع المصرى ، دراسة اجتماعية ميدانية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم الاجتماع كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، سنة ١٩٧٦ ، ص ٢٢٠ ·

(٢٦) رمزى زكى ، مشكلة التضخم فى مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٨٠ ، ص ١٠١ ·

(٢٧) محمد أحمد اسماعيل ، دور المثقفين فى التنمية ، دراسة نظرية مع التطبيق على مصر ، الجزء الأول ، دار النشر لم تذكر ، سنة ١٩٨٥ ، ص ٢٢٢ ·

(٢٨)

Robert Merton, Social theory and social structure John Willey New York, 1957, p. 57.

(٢٩) على ليله ، العالم الثالث مشكلات وقضايا ، سلسلة علم الاجتماع المعاصر ، الكتاب السابع والخمسون ، السنة لم تذكر ، ص ٢٢٠ ·

(٣٠) محمد ابراهيم عبد النبى ، ثقافة الفلاحين وايديولوجية الدولة ، ندوة الفلاحون والتغير الاجتماعى فى العالم العربى ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ، ٦ ــ ٨ مايو سنة ٨٦ ، ص ٢٣ ·

(٣١) زيدان عبد الباقى ، علم الاجتماع الاسلامى ، الطبعة الثانية مطبعة السعادة ، سنة ١٩٨٤ ، ص ٣١ ·

الفصـــــل الثانى

الاختيار للزواج بين صيغ العـلاقات الاجتماعية والانســاق القيميـة

تمهيـــد :

تتفق مجتمعات العالم جميعاً ، على أن نظــام الزواج هو الشكل الرئيسى لممارسة العلاقة الجنسية من جانب ، كما انه الوسيلة الأكثر قبولا وانتشاراً لتكوين الأسرة بمفهومها التقليدى ، بهدف الحفاظ على النوع الانسانى وتحقيق التواصل بين الأجيال من جانب آخر .

وعلى الرغم من اعتراف الدول الأوربية وتقبلها للعلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج ، بل والاعتراف بالحقوق الكاملة لأبناء السفاح ، وتقبلهم قبولا اجتماعيا ، لا يقل بأى حال من الأحوال عــن الأبنــاء الشرعيين ، بل ومد يد العون والمساعدة والرعاية للامهــات غــير المتزوجات ممن لديهن ابناء ، الا أنه لازالت هناك نسبة لا بأس بهــا ترى أن شكل الأسرة التقليدى . والمكون من الأب والأم والابناء ، لازال هو الشكل المرغوب فيه بالنسبة لهم .

فقد جاءت نتيجة احد البحوث الأجنبية لتشير الى أن ٣٥٪ من بين الاناث سواء كن أرامل او مطلقات أو أمهات لأطفال غير شرعيين ، يفضلن الزواج مرة أخرى والحياة فى نطاق أسرى ، على حين ارتفعت هذه النسبة بين الذكور لتصل الى ٤٨٪ (١) .

أى أنه حتى فى الدول التى ينهار فيها الشكل التقليدى للأسرة ، وبالتالى نظام الزواج ، فاننا نجد أن الزواج لازال هو الوسيلة الأكثر قبولا لتكوين الأسرة . وترتفع اهمية الزواج بارتفاع مستوى التمسك بالعقائد السماوية ، خاصة فى ظل الدين الاسلامى الذى لم يخضــع فى نصــوصه وجــوهره وتفســيراته ، للتغيرات التى طرأت على بعض المؤسسات الدينية فى بعض المجتمعات الغربيــة ، والتى سعت الى المواءمة بين الدين وبين حاجات الأفراد التى عكستها عوامل التغير الاجتماعى .

وعلى الرغم من ان الزواج يعد واحداً من أهم الحقوق الانسانية ، الا أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة تقف حائلا دون حصول الشباب على هذا الحق بنفس السهولة التى كانت تتوفر للشباب فى الفترات السابقة ، مما انعكس بالتالى على محكات الاختيار للزواج .

فقد أدت التغيرات البنائية التى طرأت على المجتمع المصرى ، الى شيوع مفاهيم جديدة مستحدثة فيما يختص بالزواج ، فتشير باسمه كيال الى أنه قد شاعت فى الزواج مفاهيم التملك الفردى ، والحسابات المادية ، مثلما يحصل فى المقايضة . والبيع والشراء ، لقد قسمت ظواهر الملكية الفردية المستغلة ، التعال الانسانى والعلاقات البشرية وحلت المقاييس والمفاهيم المادية من نقد وذهب وسوى ذلك فى أكثر مسائل المجتمع أهمية وحساسية ، وهى مسائل القلب والروح واستمرارية الحياة (٢) .

وعلى هذا فسوف نحاول فى الصفحات التالية ، التعرف على مدى انعكاس التغير الاجتماعى على الاختيار للزواج . ومدى تاثر هذا الاختيار بالتيار المادى الذى أفرزته علاقات السوق فى السنوات الأخيرة .

أولا : سن الزاج :

تشير ساميه الساعاتى فى نتائج دراستها ، الى أن السن المفضل للزواج بالنسبة للاناث الحضريات المتعلمات كان يصل الى حوالى ٢٣ سنة ، ويرتفع الى ٣٠ سنة بالنسبة للذكور (٤) .

ويتضح من خلال دراستنا التتبعية الحالية ، عدم وجود محك ثابت يصلح للقياس . فالحالة رقم (٤) على سبيل المثال تبلغ من العمر الآن ٢٨ سنة ، ولكنها لم تتزوج بعد ، ومع ذلك فهى ترى ان مجال الزواج أمامها لازال مفتوحا على مصراعيه ، وان أمامها العديد من الفرص التى تيح لها حرية الاختيار ، وهى بحكم ما تتمتع به من ثراء فاحش ، ومستوى معيشى شديد الارتفاع ، لا تشعر بادنى قدر من القلق ، حيث تثق تماما أن جاذبية الثراء الذى تتمتع به سوف يكون « المصيدة » التى تجذب اليها العديد من الشباب الراغب فى الزواج منها . هذا بالاضافة الى ان خط الحياة الذى تعيشه لا يجعلها ترحب بفكرة الاستقرار العائلى وبناء أسرة مستقلة ، حيث تمتلىء حياتها

بمختلف أنواع النشاطات والعلاقات التى تتشبه بها بفتيات الغرب ، وتقول فى ذلك : « طبعا أنا لازم أتجوز فى يوم من الأيام .. لأن مش معقول أفضل طول عمرى مصاحبه .. كون ان البنت يكون عندها بوى فرند حاجة وانها تكون متجوزه دى حاجة تانية » .

وقد يمثل سن الثامنة والعشرون لدى فتاة أخرى تنتمى الى شريحة اجتماعية دنيا أو وسطى ، عقبة أمام الفرص المناسبة للاختيار للزواج ، ولكن الحالة رقم (١) بأسلوب حياتها المتحرر والمنطلق خارج نطاق كل القيم والمعايير المتعارف عليها ، جعلها تحتمى فى ظل امكانيات أسرتها المادية الهائلة

وتعد الحالة نموذجا لبعض أوجه تخلف الشخصية المصرية على وجه الخصوص والشخصية العربية بصفة عامة . فقد هيأت مجتمعات الدول النامية الفرصة أمام المرأة للتحرر ، ومسايرة المرأة العصرية فى دول الغرب ، والولوج بتحررها هذا الى حياة أفضل وأحسن ، ولكن بعض النساء فى هذه‌الدول استعملن هذه الحرية بطريق الخطأ من مصدرها الأساسى ، دون أن يبقين أو يحافظن على عاداتهن وتقاليدهن ومناقبهن الخلقية والدينية ، فجرفهن تيار الانهيار الخلقى والدينى ، وانقدن لشهواتهن وملذاتهن المتنوعة .

وتؤكد باسمة الكيال ، ان نساء الدول النامية تنقاد بسرعة ، دون التفكير فى سوء ونتائج ما قد يصدر عن هذا التقليد الأعمى لنساء الغرب ، ودون أن تضع المرأة عليه علامات الاستفسار ، عما اذا كان يناسب وقتها وعصرها ومجتمعها وبيئتها وتقاليدها أم لا ؟ كل ما تقدر أن تفهمه أو تستوعبه ، أنه شىء جديد آت من بلاد متقدمة (٤) .

وتذهب سامية الساعاتى الى أن المرأة المتعلمة تعليما عاليا ، كان لابد لها من مواجهة بعض المشكلات ، فهى لن تتخرج من الجامعة قبل سن الثامنة والعشرين ، فكل سنه من التأخير بعد ذلك اذن سوف تقلل من فرص الزواج بالنسبة للمرأة المتعلمة مرتين أولا : لأن الرجال اللائقين للزواج سوف يقل عددهم نسبيا لأنهم سيتزوجون فتيات أخريات ، ثانيا : لأن عدد الرجال اللائقين للزواج سيقل بسبب فارق السن .

وتضيف سامية الساعاتى ، انه فى حالة اشتغال المرأة بعد التخرج لعدة سنوات ، فان فرصها للزواج عندئذ ستقل الى حد كبير بسبب

عامل ثالث : وهو التفاوت الاقتصادى ، اذ سيكون أكثر من يتقدم لها ، اقل منها من الناحية المادية ، وبذلك لن تجد من يناسبها الا فى أحـوال نادرة (٥) .

ولست ادرى كيف توصلت ساميه الساعاتى الى تلك «الحسبة». فاذا كان التغير الاجتماعى الذى أدى الى تعلم الفتاة وخروجها للعمل قد ترتب عليه ارتفاع سن الزواج بالنسبة للاناث ، فانه أيضا أدى الى ارتفاع سن الزواج بالنسبة للذكور ، فهى قضية لا تنعكس على طرف واحد .

واذا كانت الفتاة تضطر بسبب الظروف الاقتصادية الى العمـل لعدة سنوات بعد التخرج ، حتى تستطيع الوفاء باحتياجاتها الماديـة وهى مقدمة على الزواج ، مما يؤدى الى تأخر سن الزواج رغم اتجاه معظم الأسر المصرية الى مساعدة الابنة بصورة تفوق مساعدتهم للابن فان الواقع الاقتصادى أيضا يفرض نفسه على معظم الشبـاب من الذكور ان لم يكن بصورة أكثر حده ، فهو مطالب بتوفير المبالغ اللازمة للحصول على شقة واعداد المهر والشبكة ، ومواجهة الالتزامات المالية الأخرى العديدة ، مما يؤخر سن الزواج بالنسبة له بدرجة تفوق تأخر سن الزواج بالنسبة للفتاة .

وقد أصبح لقوة التيار المادى الجارف فى الحقبة الحالية ، أثر كبير فى تغير المعايير المتعلقة بالتقارب العمرى بين الزوجين . وتشير علياء شكرى فى هذا الصدد الى ما كان يحدث منذ عشرين عاما ، حيث سادت موضة زواج الشباب من زملاء الدراسة أو العمل أو من المتقاربين فى السن عموما ، رغبة منهم فى تجنب دور الأسرة التقليدى فى الزواج الذى لم يكن يقيم لعلاقات الحب والتفاهم وزنا يذكر . وتضيف عليـاء شكرى ، أن السنوات العشر الأخيرة حملت معها موجة جديدة من موجات الموضة ، مع الارتفاع التدريجى لنفقات تأثيث بيت الزوجية ونفقات المعيشة اليومية .. الخ بدأت موضـة زواج الناضجـين فى الظهور (٦) .

ويتشـابه الى حـد كبير ما أشـارت اليه عليـاء شـكرى ، وما حدث للحالة رقم (٣) ، فقد رفضت الزواج بمن يتناسب معهـا فى العمر وفضلت الزواج برجل يكبرها بخمسة وعشرين عاما ، وكان متزوجا ولديه أبناء من الزوجة الأولى ، ولكنه طلقها للزواج من الفتاة صاحبة الحالة ، وفى ذلك تقول : « زميل أخويا كان عايز يتجوزنى .. انما ماكانش حيلته حاجة يتجوز بها .. صحيح مافيش مشكلة بالنسبة

للشقة .. لأن بابا بانى ليه واخواتى شقق .. انما القضية مش قضية شقة وبس .. ولا قضية مهر وشبكة .. فيه حاجة أهم من كده .. وهيه أن ازاى شاب زى الضابط دى يقدر يفتح بيت .. ويوفر فى نفس الوقت مستوى المعيشة اللى تربيت فيه ..

جوزى كان عنده ٤٨ سنة .. وأيامها كان عندى ٢٣ سنة .. فى الأول ماكنتش بابص له على أنه ينفع زوج .. من ناحية لأنه كبير فى السن .. ومن ناحية تانية لأنه متجوز .. يعنى عمر ما احلامى دارت حوالين واحد زيه أو فى ظروفه .. لكن بعدما احتكيت بيه .. ابتديت أحس أنه فيه مزايا كثير قوى .. كفاية مستوى المعيشة اللى عـــايش فيه » .

ولا نستطيع التعليق على هذه الحالة الا من خلال ما ذهب اليه نبيل رمزى اسكندر ، من أن الحياة أصبحت ذاتها مشروعا تجاريا ، وعلى الانسان كسلعة قابلة للمبادلة ان يختار الصفقة الرابحـــة فى زواجه ، وعليه أن يدخل تحسبنات على شخصته ، وان يزيد مـــن مهاراته ومعارفه ، وان يبتسم لكى يكسب أكثر (٧) .

ثانيا : مستوى التعليم :

من الثابت ان للتعليم دورا هاما وجوهريا فى خلق الوعى وتنميـــة المعارف بالنسبة للمراة والرجل على حد سواء ، واذا نحينا جانبا أهمية النعليم بالنسبة للمجالات الآنية للتنمية ، واكتفينا بالتركيز على أهميته فيما يتصل ببناء الأسرة ، لوجدنا ان له دور حيوى وفعال يســـاهم به أيضا وبصورة غير مباشرة فى عملية التنمية على المدى البعيد .

فتشير بعض الدراسات الى أن الاستثمار فى التعليم استثمـــار اقتصادى، فهو يدفع ويطور عمليات الانتاج والعنصر البشرى، وما يتوفر له من معارف واتجاهات وقيم خلقية ومهارات وقدرات على الابتكار ، كلها امور تمثل الوجه الآخر لعملية التقدم (٨) .

فالتنمية تعتمد أساسا على استثمار الموارد البشريـــة . وحتى يتسنى للمجتمع فرصة الاستثمار الأمثل لهذه الموارد ، فان ذلك يتطلب اعداد جيل يتميز بالتوازن العقلى والنفسى والجسمانى ، وهذا التوازن بدوره لا يمكن أن يتأتى من فراغ ، وانما يكون نتاجـــا لعمليات ذات مستوى عال من التنشئة الاجتماعية والتطبيع الاجتماعى . ومن هنـــا تأتى اهمية التعليم فى مد الأبوين بالخلفية الثقافية والعلمية التى تمكنهما من تربية الأبناء وتنشئتهم التنشئة السليمة ، وغرس القيم والمفاهيم

المتعارف عليها والمقبولة اجتماعيا ، والتى تمكنهم من التعامل مع العالم الخارجى ــ مختلف المؤسسات الاجتماعية خارج نطاق الأسرة ــ وتوفر لهم أسس التفاعل الاجتماعى ، وتدعم شخصياتهم وتنمى مهاراتهم وامكاناتهم الخاصة حتى يتسنى لهم القيام بدورهم المستقبلى فى مختلف مجالات العمل التنموى .

ومن هنا تأتى أهمية تناولنا لجانب التعليم ونحن بصدد التعرف على محكات الاختيار للزواج بين حالات الدراسة ، حيث تبين لنا أن هناك بعض الحالات التى لم تضع وزنا كبيرا لعامل التعلم عند اقدامهم على الزواج لأسباب معينة من واقع رؤيتهم الخاصة ، فالحالة رقم (٤) ، حاصلة على ليسانس اللغة الانجليزية ، ومرتبطة بالخطوبة بشاب لم يستكمل الدراسة فى المرحلة الثانوية ولكن على جانب من الثراء ويمتلك معرض كبير للسيراميك ، تقول الحالة : « مش مشكلة أن خطيبى ماعندوش شهادة .. همه اللى انقطع قلبهم فى الدراسة واخدوا شهادة عملو بها ايه .. ؟

كل اللى اتقدموا لى ومعاهم شهادات كانوا موظفين .. وكان يادوب حالتهم على تدهم .

زمايلى سواء بتوع أيام الجامعة .. أو المدرسين اللى معايا فى المدرسة .. بيستغربوا ازاى راضية اتجوز واحد تعليمه اقل منى .. لسه عايشين فى الوهم بتاع الشهادة والمستوى الاجتماعى »

ويقول الحالة رقم (١٠) : « كان نفسى أتجوز واحده معاها شهادة زى .. انما كنت خايف أنها تعمل رأسها برأسى .. وتترسم عليه .. وتبقى طلباتها كثيرة وخصوصا ان ماعنديش شقة » .

ويتضح مما جاء على لسان الحالتين ، ان الدوافع المادية كانت هى المحركات الأساسية فى تغاضيهم عن حصول الطرف الآخر على شهادة جامعية مماثلة لشهاداتهم . فالحالتين قد اختارتا الطريق السهل الذى يوصلهما الى تحقيق اهدافهما ، بغض النظر عن نمط العلاقة الذهنية والعقلية التى ستكون بين كل منهما وبين الشريك الآخر الى آخر العمر ، كما أن نظرتهما المادية حجبت عن أعينهما اهمية التقارب والتفاهم والتماثل الثقافى فى تربية الأبناء وتنشئتهم التنشئة الاجتماعية السليمة .

ثالثا : اسلوب الاختيار للزواج :

تشير سامية الساعاتى الى أن أسلوب الاختيار للزواج قد تطور نتيجة للاتجاه المتزايد نحو التصنيع ، فبعد أن كانت الأم هى التى تقوم باختيار الخطيبة لابنها ، والتى عادة ما تكون من ذوى القربى ، أو عن طريق الخاطبة ، أصبح للشاب وخاصة عند قدرته على الاستقلال الاقتصادى من الأسرة ، الحق فى الاختيار بنفسه ، ثم تطور الأمر نتيجة التغير الاجتماعى الذى عكس بدوره انماطا ثقافية جديدة الى أن يلجأ البعض الى الاعلان فى بعض المجلات عن مواصفاته وعن رغبته فى اختيار شريكة له ذات مواصفات معينة (١٠) .

واذا كان ارتفاع معدلات التعليم بالنسبة للذكور والاناث ، وكذلك خروج الاناث الى مجال العمل ، يسرت لكل من الجنسين فرصة الاحتكاك والتعارف والاختبار ، فان هذا لا ينفى دور الأسرة والأقارب والأصدقاء التقليدى فى عملية الاختيار ، أو على أقل تقدير تزكية فتاة معينة لتكون هى الفتاة المرشحة للزواج .

فالحالة رقم (٤) على سبيل المثال ، قبلت خطوبة الشاب الذى رشحه لها والدها ، وقد تم ترشيحه بناء على كفاءات مادية ومظهرية فقط ، وهى نفس الكفاءات التى يتمتع بها والدها ، فهو واحد من بين « القطط السمان » أو الرأسمالية الرثة التى طفت على سطح المجتمع المصرى فى السنوات الأخيرة . ومن ثم لم يقم الأب وزنا لانخفاض مستوى تعليمه ، أو مستوى تنشئته . وتقول الحالة نفسها فى ذلك : « انا كل يوم باحاول أغير حاجة فى خطيبى .. له تصرفات كثير بلدى قوى .. طريقة لبسه .. طريقة أكله .. طريقة كلامه .. انما انا واثقة انه مع الوقت حا أقدر انسيه أنه كان متربى فى الدرب الأحمر » .

أما الحالة رقم (٩) فقد مر بتجربة سيئة عندما ارتبط باحدى زميلاته فى الجامعة ، واضطر الى انهاء علاقته بها ، مما دفعه الى اللجوء الى الطريقة التقليدية للاختيار للزواج ، يقول الحالة : « كان بيننا قصة حب .. وكنا متعاهدين على الجواز أول ما نتخرج . وأول ما الاقى شغل .. لقيت الحكاية حتطول ومافيش شغل وفكرت انى اشتغل مبلط قيشانى .. رفضت وقالت اقول ايه لأهلى وأصحابى لما يسألونى بتشتغل ايه .. ماكانش قدامنا حل اللا اننا نسيب بعض .. امى دلوقتى بتدور لى على عروسة » .

واذا كانت الطريقة التقليدية للاختيار للزواج لازالت تمارس فى بعض الأسر حتى مع اتاحة الفرصة للاختلاط فى مجال الدراسة والعمل ،

الا أننا لا نستطيع انكار أهمية انطلاق الفتاة نحو التعليم والعمل فى اتاحة فرص التعامل مع الجنس الآخر ، والاحتكاك بهم ، والتعــرف عليهم عن قرب ، مما أبرز اهمية دور تعليم الفتاة وخروجها الى العمل فى عملية الاختيار للزواج .

فاذا تناولنا الحالة رقم (٢) ، نجد أنها قد تعرفت على زوجها فى مجال العمل حيث كانا زميلين فى أحد مكاتب الصحة ، تقول الحالة : « جوزى كان بيشتغل معايا فى مكتب الصحة .. لما فاتحنى فى الجواز وافقت على طول .. لقيته شاب طيب وابن حلال .. ومن أصل ريفى زينا » .

أما الحالة رقم (٣) ، فزوجها هو صاحب مكتب المحاماة الذى كانت تعمل فيه .. حيث يعمل والدها أيضا : تقول الحالة : « ابتدى صاحب المكتب يلمح لى بأنى عاجباه .. وابتدى يبدى اهتمــام أكثر لبابا .. وبقى مايفوتش مناسبة الا لما يجاملنا فيها أو يجيب هــدية كبيرة » .

ويتضح مما سبق ، ان خروج المراة للعمل ، قد أتاح الفرصة أمام كل من الجنسين لاقامة جسور من العلاقات بين بعضهم والبعض الآخر، وييسر لهم سبل الاحتكاك والتعارف والاختيار .

كذلك فقد ادى خروج المراة من أجل التعليم والعمل الى اتساع فرص مشاركة المرأة للانشطة الاجتماعية والرياضية والسياسية ، وبالتالى منحها فرص التردد على مختلف تجمعات الشباب بصــورة طبيعية لا تكلف فيها او تظاهر ، مما يؤدى الى حدوث نوع من التفاهم والتقارب بين الجنسين ، ومما يترتب عليه بالتالى احتمالات الارتباط بالزواج على اسس سليمة وواضحة .

فالحالة رقم (١) تعرفت على خطيبها — الذى فسخت خطبته ، لعدم تمكنها من تحمل تدينه — فى عيد ميلاد احدى صديقاتها ، وتقول فى ذلك : « بعد كده قابلته مرتين ثلاثة فى النادى .. حسيت أنه مهتم بيه .. وأنا كمان ابتديت أهتم بيه .. بعد كده قعدنا نتقابل كام مرة بره .. لحد ما قالى أنه عايز يخطبنى .. أنا كنت عارفه أنه متدين .. وانى ممكن استحمل تدينه .. انما ماقدرتش » .

رابعا : الوضع الاقتصادى وقيم الزواج المادية :

سوف يكون هذا المحك هو آخر المحكــات التى سوف نتناولهــا بالتحليل فى هذه الدراسة التتبعية ، وذلك على اساس أن محك الوضع

الاقتصادى سيكشف لنا بصورة تلقائية عن باقى المحكات الأخرى كالجمال والسمعة الحسنة ، والأصل الطيب ، والمركز الاجتماعى ، وما الى ذلك من محكات قيمية كانت لها فى الماضى مكان الصدارة عند الاختيار للزواج ، الا أننى من خلال مناقشاتى مع الحالات جميعا اكتشفت أنها قد توارت الى حد ما بالقياس الى طغيان وسيادة الجوانب المادية والوضع الاقتصادى ، على أننا يجب الا نغفل حقيقة على جانب كبير من الأهمية ، وهو أن القيم الايجابية والأصيلة لم تغرب كلية عن سماء المجتمع المصرى ، وأنها وبسبب أصالتها ورسوخها لا تزال تحتل مكانة هامة فى سلم القيم وان اتخذت ثقلا أقل أهمية بالنسبة لبعض الحالات .

فالقيم كما يشير Stephen C. Paper ، عبارة عن مستويات للتفضيل مستقلة الى حد ما عن المواقف الخاصة ، بمعنى أن قيمة معينة ، قد تكون بمثابة نقطة مرجعية لعدد كبير من المعايير ، أى أن القيم الاجتماعية هى التى تحدد التفضيلات الاجتماعية (١١) .

ويقول الحالة رقم (٩) مؤكداً أن القيم الأصيلة ذات جذور ليس من السهل اقتلاعها أو التغاضى عنها : « أنا مايهمنيش أن اللى حانجوزها تكون غنية والا فقيرة .. المهم تكون متربية وعايزه تعيش .. لو فيه واحدة حسيت أنها كويسه وما حيلهاش حاجة .. مش حا اتردد انى آخدها بهدومها » .

وتقول الحالة رقم (٢) طبعا كان نفسى أتجوز واحد مرتاح ماليا ، انما اللى حصل انى اتجوزت واحد على قد حاله .. صحيح شقتى لحد دلوقتى على قد حالها انما حاسه أن أحلامنا كلها حتتحقق مادام قلبنا على قلب بعض .. وكل حاجة حتيجى مع الوقت .. كل ما بنحوش مبلغ .. بنشترى بيه حاجة من الحاجات اللى ناقصه البيت .. أنا حاسه ان اختيارى كان موفق .. لأن عندى استعداد أننا نكافح سوا ونكبر سوا » .

وعلى الرغم من روح الرضاء والقناعة التى ظهرت فى أقوال الحالة والتى تشير الى تمسكها بالقيم الأصيلة الراسخة ، الا أننا نستطيع القول بأن الظروف — رغم عدم سخائها — قد يسرت لها الشقة التى تستطيع أن تستظل بها لبعض الوقت ، الى أن تحقق أحلامها حلما بعد الآخر ، وهو ما لا يتوفر لقطاع عريض من الشباب .

فقد كان من أثر التغيرات البنائية التى طرأت على المجتمع المصرى وما صاحبها من ارتفاع هائل فى الأسعار ، أن أصبح الزواج نوعا من

الرفاهية ، التى لا يستطيع كثير من الشباب التمتع بها الا بشق النفس، خاصة اذا حاول تحقيق هذه الرفاهية فى ضوء قيم الاختيار التقليدية للزواج ، حتى وان اتفق الشريكان على أن يبدأ حياتهما بصورة فى غاية التقشف ، قانعين بمجرد أن يظلهما سقف واحد ، مكتفيين بـ « كنبه وقله وكبايه » على رأى الحالة رقم (٩) ، الا أن انعكاسات الأزمة الاقتصادية التى أخذت بتلابيب أسعار كل السلع فى مصر ، لا تتيح الفرصة أمامهما لتحقيق حلمهما الخاص بتوفير سقف يظلهما .

وفى الوقت الذى يعلو فيه صوت الشباب بالشكوى من عدم قدرتهم على توفير منزل الزوجية مهما تواضعت تصوراتهم وطموحاتهم ، نجد هناك بعض الفئات التى أثرت من امتصاص دماء من أوقعتهم الحاجة الى المسكن تحت مخالبهم ، يعايشون انماطاً ترفية استهلاكية تصل فى اسرافها وبذخها الى درجة لا يستطيع تصورها بعض من ينتمون الى الشريحة العليا فى المجتمع المصرى » .

ان أزمة الاسكان التى تتفاقم يوما بعد يوم ، والتى تركتها الدولة كليا تقريبا للقطاع الخاص ليتولى أمرها ، فأخذ يهدر الامكانيات المادية المتاحة فى بناء المساكن الفاخرة . ان هذه الأزمة الطاحنة كما يذهب سمير نعيم لها انعكاساتها الخطرة على قيم الناس . لقد فرضت هذه الأزمة على الشباب أوضاعا قاسية من أهمها الاضطرار الى تأخير الزواج وعدم القدرة على التخطيط لمستقبل حياتهم ، والشعور بانعدام الحيلة والقدرة ، وكان لابد أن يترتب على ذلك الاضطرار التخلى عن كثير من القيم الأخلاقية التى تنظم العلاقة بين الجنسين والممارسات الجنسية .

فالشاب يجد نفسه عاجزا عن اشباع حاجاته بالأساليب المشروعة التى تتفق مع قيمه ، ولكن لهذه الحاجات ضغوطا تضطره الى اشباعها بأساليب غير مقبولة اجتماعيا . والخطورة فى ذلك أن التخلى عن قيم أساسية فى جانب لابد وان يتبعه التخلى عن قيم أخرى فى العديد من الجوانب الأخرى .

ومن أخطر آثار أزمة الاسكان على الأسرة وعلى القيم الاجتماعية كما يضيف سمير نعيم ما يطرأ على العلاقات الانسانية فى أكثر أنواعها خصوصية واشباعا ، من تشيؤ . فحين يصبح توفير المسكن أهم شىء حتى يمكن اتمام الزواج ، تتوارى أهم الخصائص الانسانية التى يجب

توافرهـا فى العلاقة الزوجية ، فالحب المتبادل بين الزوجـين مثلا لا يصبح له قيمة اذا لم يتوفر المسكن ، وهكذا تتحول العلاقة فى مجال الأسرة الى علاقة بين أشياء ، أكثر منها علاقة بين بشر (١٢) .

ويتفق ما أشار اليه سمير نعيم مع معظم حالات الدراسة التتبعية، حيث نجد أن الحالة رقم (٨) قد اضطر الى فسخ خطوبته التى دامت لفترة طويلة ، لعدم تمكنه من شراء الشقة المناسبة التى ترضى تطلعات خطيبته ، مما دفعه للعمل فى الكويت لتوفير المال اللازم لشراء شقـة للزوجية ، حتى لا تتكرر التجربة التى خاضها مع خطيبتـه السابقة . فقد أشار الحالة أثناء أجراء الدراسة الأولى الى أنه دائب البحث عن شقة للزوجية ، ويقول بهذا الخصوص : « أنا وخطيبتى متفـاهمين جداً .. مش مهم الجهاز ولا المهر ولا الشقة » . أنا جيت اللى أهلى وأهلها مخصصينه للجواز وبندور على شقة .. المشكلة ان المبلغ اللى معانا مايكفيش شقة تمليك ولا فى عزبة النخـل .. وفى نفس الوقت ما اقدرش أأجر شقة فى مكان شعبى بعد ما عشت أنا وخطيبتى فى المعادى طول عمرنا » .

ويتضح من خلال أقوال هذه الحالة ، مدى ما يعانيه أبناء هـذه الشريحة الذين عايشوا انماطا معيشية راقية فى ظل أسرهم ، ومدى قسوة الظروف التى لا توفر لهم احتياجاتهم الضرورية التى تحفظ لهم كرامتهم ، والتى كان من أبسطها الحصول على مسكن فى أحد الأحياء التى لا تختلف بصورة حادة عن الحى الذى نشئوا فيه .

فقد أوضحت الابحاث السوسيولوجية ، كما يشير عاطف غيث الى أهمية المسكن ووظائفه ، حيث تبين أن الاسكان الملائم يؤدى الى حسن تنشئة الأطفال ورعاية نموهم النفسى والاجتماعى فى المراحـل المختلفة لحياتهم . وتعتبر مسألة الاسكان فى المدينة من أكبر مشاكلها ، فالجماعات ذات الدخل المنخفض لا تستطيع أن تسكن مساكن مرتفعة الايجار ، الأمر الذى يترتب عليه اضطرارها الى البحث عن مساكن رخيصة ، على الرغم من أنها من الناحية الاجتماعية البحتة لا تفضل ذلك (١٣) .

واذا عدنا للحديث عن دور القيم المادية فى الاختيار للزواج فاننا سنجد أن الحالة رقم (٣) قد وجهتها مصالحها الخاصة الى ترجيح كفة العامل المادى عن سائر العوامل الأخرى ، حيث اختارت الزواج من رجل متزوج يكبرها بخمسة وعشرون عاما ، وتتمثل ميزاته فيما يتمتع به من ثراء ، وتقول الحالة فى ذلك : « أنا لما اخترته .. اخترته

بعقلى مش بقلبى .. وأدى نتيجة الاختيار .. دلوقتى عندى باسمى شقة طويلة عريضة .. وعندى بدل العربية اثنين .. وساعات يبقى عندى ٣ شغالات فى وقت واحد .. وعندى مجوهرات تكفى افتح بيهم محل .. وباسافر بره مرتين ثلاثة فى السنة .. أختى كانت معترضة على جوازى .. كانت بتقولى انتى بتبيعى شبابك وحياتك بالفلوس .. هيه كانت بتقول الكلام ده لأنها كانت بتحب زميلها .. وأصرت أنها تتجوزه مع أنه على قد حاله .. وأهه معيشها بالعافية .. منطقها غريب جداً .. بتقول كفايه علينا أننا ناكل حب .. ونشرب حب .. وننام على حب .. ونصحى على حب .. هو الحب بيملا جوع المعدة .. والا بيغطى الجسم العريان .. ده رفاهية .. أى حد يقدر يعيش من غير حب » .

وهناك بعض الحالات التى نستطيع من خلالها القاء مزيد من الضوء على شكل التغيرات التى طرأت على محكات الاختيار للزواج ، والتى كانت تعد فيما مضى قيما تعطى للرجل مكانة متميزة تفوق مكانة المرأة ، حيث تشير سامية الساعاتى الى حقيقة مؤداها ، ان هناك ميلا شائعا بين النساء الى أن يتزوجن بمن يفوقهن مستوى من الرجال، وميل الرجال الى أن يتزوجوا من هن دونهم من النساء ، وتشمل كلمه المستوى هنا مستوى الذكاء والتعليم والمستوى الاقتصادى أيضا(١٤) .

الا أن الواقع الذى فرضته عوامل التغير الاجتماعى ، وانعكاسات علاقات السوق على الاختيار للزواج ، تشير الى أن هذا لم يعد هو النمط الشائع فى الحقبة الحالية ، حيث لم تعد المرأة تفضل بصورة مطلقة أن تتزوج من رجل يفوقها ، وأيضا لم يعد الرجل يهتم بأن تكون له السيادة ، وان يتزوج بامرأة تقل عنه كثيراً .

ولعل ما جاء على لسان الحالات التى سبق الاشارة الى أقوالها ، وكذلك الحالات التى سنعرض لها خير دليل على ذلك فتقول فى ذلك الحالة رقم (٤) : « خطيبى شكله مش حلو قوى .. انما عنده مرسيدس آخر موديل .. مش غاوى قراية خالص حتى ولا الجرنان .. دايما بنختلف فى وجهات نظرنا .. مافيش لغة مشتركة بينى وبينه .. بيحاول دايما أنه يسيطر عليه .. ويفرض رأيه حتى لو كان غلط .. يمكن ده لأنه حاسس بالنقص انى معايا شهادة .. وهوه حتى ما اخدش الثانوية العامة ... انما مش حالاقى زيه .. كفايه مستواه المادى .. دى الشقة اللى أبوه مديها له ٦ أود » .

ويقول الحالة رقم (١٠) : « والدة خطيبتى عرضت عليه ان نتجوز ونقعد معاها فى الشقة لانهم قاعدين لوحدهم .. بصراحة كانت

فرصة ماحدش يرضى يضيعها .. لأن ده كان معناه أن مش حيكون مطلوب منى شقة ولا مهر ولا أدوات كهربائية .. وعموما همه مبسوطين أكثر مننا .. مامتها ساعدتنى فى ثمن الشبكة .. وما خلتنيش أتكلف قرش واحد فى الجواز » .

وهكذا ، ومن خلال ما سبق طرحه من الأقوال التى جاءت على لسان المبحوثين ، يتضح لنا أننا نعيش فى عصر الأوضاع المقلوبة ، والمنطق المعكوس ، اذ نجد بين شبابنا من يكفر بالحب ، ويكفر بالمشاعر والاحاسيس ، ويعد ذلك كله نوعا من الرفاهية ، ويتنكر لأسمى وانبل العواطف الانسانية التى يمكن أن تربط بين رجل وامرأة .

الشباب المصرى المعاصر وأزمة القيم

استخلاصات الدراسة الثانية الفترة من ١٩٨٤ – ١٩٨٩

جاءت نتائج الدراسة التتبعية الأولى لتشير الى أن التغيرات البنائية التى عكسنها آليات نظام السوق العالمى قد انعكست على كافة البناءات والانساق القيمية للمجتمع ، بما فى ذلك الانساق الخاصة بقيمة العمل بأنماطه المختلفة ، وكذلك الانساق الخاصة بالقيم المتعلقة بالاختيار للزواج .

وقد تأكد لنا خلال هذه الدراسة ما سبق أن ذهبنا اليه فى دراستنا السابقة من ان أزمة الشباب المصرى المعاصر ليست أزمة آنية او مؤقته ، وانما هى أزمة لها صفة الاستمرارية والدوام ، وان الأمر يحتاج الى تخطيط عاجل وتعديل شامل لمخططات الدولة وسياسنها الاقتصادية بحيث تتمكن من استعادة ثقة الشباب وتبديد مشاعر اغترابهم ، عن طريق تحقيق التوازن والعدالة الاجتماعية الاقتصادية، وعن طريق كسر حدة انعكاسات آليات السوق العالمى ، بتوجيه سياستها التنموية الوجهة التى تتفق مع امكانيات وموارد الدولة الاقتصادية ، وبما يتفق مع الخصائص الموضوعية للمجتمع المصرى .

وتأتى أهمية التخطيط العاجل والتعديل الشامل لمخططات الدولة وسياساتها الاقتصادية ، والتى تنعكس آثارها على أفراد المجتمع بصورة عامة ، وعلى قطاع الشباب بصورة خاصة ، الى ان شباب اليوم هو نصف الحاضر وكل المستقبل ، وان الخساره التى واجهها المجتمع بدءاً من فترة السبعينيات نتيجة خلل السياسات الاقتصادية والانفتاح الاقتصادى ، وما كان لها من انعكاسات على انساق المجتمع ككل بما فى ذلك نسق القيم ، قد أدت الى نتائج سلبية تمثلت فى اغتراب فئة الشباب ، مما يمثل خطورة هائلة على كافة العمليات التنموية والتطورية التى يحتاج اليها المجتمع .

وعلى الرغم من أن هموم الشباب فى الدراسة السابقة والنظرة الضبابية التشاؤمية القاتمة التى كانت تغلف رؤيتهم المستقبلية ، لم يكن لها مبرراً قوياً — الى حد ما — فى تلك الفترة ، خاصة وأنهم كانوا يعيشون فى احضان أسرهم ، ويلقون بمعظم أعباء مسئولياتهم على

كاهل آبائهم ، الا أن العديد من المخاوف والهواجس ـــ مما سوف يحمله لهم المستقبل القريب ـــ كانت تسيطر على كل حواسهم .

فقد كانت غالبية الحالات تعانى من تخوف ورهبة بالغة من اللحظة المرتقبة ، عندما يكون عليهم بعد تخرجهم من الجامعة ، ان يواجهوا مسئولياتهم الشخصية ، ويقومون بتحمل أعباءها ، بدءاً من مرحلة البحث عن عمل ـــ خاصة فى ظل انتشار ظاهرة البطالة حاليا ـــ والتعامل مع الواقع المطروح ، واستكمال مشوارهم الطويل نحو الاستقرار وبناء حياة أسرية مستقلة لهم .

وقد أكدت نتائج الدراسة التتبعية مدى صحة ما كان يساورهم من مخاوف وهواجس ، اذ تشير النتائج الى أن رحلة المعاناة الطويلة التى قطعتها حالات الدراسة ، قد انتهت بالبعض منهم الى أن يضعوا أقدامهم على بدايات الطريق الذى قد يوصلهم الى مستقبل يتميز بالاستقرار والرضاء النسبى ، على حين انتهت بالبعض الآخر الى الشعور بمزيد من عدم الاستقرار ومزيد من الاغتراب عن أنفسهم وعن مجتمعهم .

وفيما يلى تلخيص لنتائج الدراسة الثانية التى تم تناولها فى الفصلين السابقين :

١ ـــ مما لا شك فيه أن التعليم هو الوسيلة الحضارية الوحيدة التى يستطيع بها المجتمع استثمار قواه البشرية ، لتحقيق تقدمه وتطوره للحاق بركب التقدم والتطور .

الا أن ازمة التعليم فى مصر ، فى بعض جوانبها كانت ثمناً للتغير الاجتماعى الذى طرأ على البناء السياسى والاقتصادى والقيمى فى السنوات الأخيرة ، حيث انفصل التعليم بصورة حادة عن حاجات المجتمع . بحيث لم يحقق التعليم بمراحله المختلفة قدرا مناسبا مما يتصل باعداد وتأهيل الطلاب للاستفادة من امكانياتهم وقدراتهم ومواهبهم فى مختلف جوانب التنمية .

فالعملية التعليمية فى مصر ، تعتمد على عملية التلقين اجمالا ، وتذهب فى اتجاه واحد ، من المعلم الذى يعرف كل شىء ، الى التلميذ الذى يجهل كل شىء ، مما فرض على الأخير أن ينحصر دوره فى دور المتلقى الذى لا يشارك ولا يناقش ولا يمارس ، والذى لا يستطيع أعمال فكره فيما يتلقنه .

٢ ـــ تنحصر مهمة التعليم فى تزويد الفرد بالمعارف ، وتنحصر مهمته فيما يختص باكتشاف امكانياته ومهاراته الخاصة ، وتنمية وتوجيه

قدراته العقلية والابداعية ، للاستفادة منها فى مختلف مجالات العمل بما فى ذلك مجال العمل الحرفى أو اليدوى ، حيث يؤهله ذلك لممارسة النشاط الانتاجى بكل جوانبه .

٣ ـ أدت التغيرات البنائية التى طرأت على المجتمع المصرى الى عدم قدرة الشباب على تحقيق آمالهم وأحلامهم الخاصة بالحصول على العمل الذى يتناسب مع نوع التعليم الذى حصلوا عليه . أو ذلك الذى تؤهله لهم قدراتهم واستعداداتهم وميولهم الخاصة ، حيث لم يفسح التعليم سواء بجوانبه النظرية أو العملية فرصة حصول الشباب على العمل الذى يتناسب مع تخصصاتهم ، اذ نجد من بين حالات الدراسة خريج قسم التاريخ الذى يعمل فى احدى الورش ، على حين نجد خريج كلية العلوم الذى كان يحلم بالعمل كباحث فى أحد مراكز البحوث ؛ والذى لم يجد أمامه بعد عدة سنوات أمضاها فى البحث عن عمل فى مجال تخصصه ، الا أن يحترف مهنة « تبليط القيشانى » .

٤ ـ أصبحت كلمة الوساطة أو المحسوبية ، من أهم مفردات قاموس الحياة اليومية ، اذ لا يستطيع الفرد انجاز أى عمل له ، أو الحصول على أى حق من حقوقه الا عن طريق استناده الى شخصية ـ فذه فى مجال من المجالات ـ تتمتع بسلطة أو سطوة أو نفوذ ، حيث لم تتمكن الحالات من بين الذين التحقوا بالوظائف التى تتناسب مع مؤهلاتهم ، من الحصول على هذه الوظائف الا عن طريق الاستعانة بالآخرين من ذوى الحيثية والسلطة ، وحيث لم يكن لقدراتهم الخاصة وامكانياتهم واستعداداتهم الشخصية أى دور فى الحصول على هذه الوظائف ، مما يعنى أنهم قد استولوا على هذه الوظائف بدون وجه حق ، اذ كان من المفروض أن تكون من نصيب آخرين ممن يتمتعون بالكفاءة والاستعداد واللياقة .

٥ ـ وتتبدى آثار التغيرات البنائية التى طرات على المجتمع ، وخاصة فيما يتصل بالطبقة الجديدة التى اثرت على حساب الكثرة الكادحة ، نتيجة للانفتاح الاقتصادى ، فى تدنى قيمة العمل لدى بعض الحالات من أصحاب الثراء ، حيث لا يلعب العمل بالنسبة لهم أى دور فى تحقيق الذات أو الهوية ، اذ يستمد أفراد هذه الفئة هوياتهم وشعورهم بذواتهم من خلال ثرواتهم ، والتى يستخدمونها فى مزيد من الأعمال المشبوهة ، التى تضيف الى الثروات المتراكمة مزيداً من التراكم .

٦ ـ حيث أن الأحكام القيمية ، هى أحكام نسبية تختلف من بيئة

اجتماعية الى اخرى ، ومن مجتمع لآخر ، ومن مرحلة تاريخيـــة إلى أخرى ، فقد أصبحت قيمة العمل بالنسبة لبعض الشـــباب نتيجـــة لسيادة القيم المادية ، قيمة مساوية للعائد المادى الذى يحققه هــذا العمل ، بغض النظر عن أهميته أو حيويته ، اذ أصبح العمل يقيم على أساس ما يحققه من عائد مادى ، بغض النظر عما يحققه العمل من اشباع نفسى أو معنوى . فالمهنة التى كانت فى نظر البعض فى الدراسة السابقة تعد مهنة تحمل نوعاً من التدنى فى بعض جوانبها — كاتجـــاه بعض المحامين الى التصدى للدفاع فى بعض القضايا القذرة ، أو لجوء المدرسين الى أعطاء الدروس الخصوصية — أصبحت فى الدراســـة الحالية هى نفس المهنة التى يعملون بها الآن .

٧ — رغم أن الوظيفة التقليدية كانت ولا تزال لها جاذبية خاصة لدى بعض الأفراد ، وذلك من حيث ما تمثله من أمن مادى ، الى جانب كونها هدفا اجتماعيا فى حد ذاتها ، الا أن الارتفاع الهائل فى اعـــداد الخريجين وتخلى الحكومة — النسبى — عن الحـــاقهم بالوظـــائف الحكومية الا بعد مرور عدة سنوات على التخرج ، أدى بالشباب الى الشعور باليأس من الحصول على الوظيفة الحكومية من جانب ، والى نسيانهم لمعظم ما تم تلقينهم اياه خلال مرحلة التخصص فى الجامعة .

٨ — تعد أزمة انخفاض اجر الوظيفة الحكومية بالنسبة لبعض الشباب ، سببا من أسباب عدم اقبالهم على شغل الوظائف الحكومية — فى حالة توافر الوظيفة — اذ ليس من المنطقى أن يهدر الفرد وقته وطاقته فى مجال عمل لا يدر عليه العائد الذى يستطيع به ان يواجـــه حاجاته الضرورية ، اذ لم يعد أجر الوظيفة الحكومية يصل بالموظف حتى الى حد الكفاف .

٩ — لم يعد تقييم المهنة يتم من واقع ما تمنحه من مكانة وهيبة ، اذ أصبحت الاعتبارات المادية هى التى توجه السلوك نحو المهنة المعينة ، لضمان تلبية الاحتياجات المادية ، وتحقيق المستوى المعيشى المرغوب فيه .

١٠ — كان من نتيجة التفاوت الطبقى الواضح فى السنوات الأخيرة، وما ترتب عليه من وجود فئات دنيا تعانى من أوضاع اقتصادية اجتماعية متدنية ، ان اتجهت هذه الفئة الى البحث عن وسائل أخرى للعيش ، حيث أن موقعها من نظام الانتاج ، لا يحقق لها الاشباع الكافى ، فى وقت تتزايد فيه السلع الوافدة الاستهلاكية فى الســـوق المحلى . اذ أصبح العمل المنتج فى ظل هذه الظروف يمثل مزيدا من الشعور بوطأة الحرمان،

بسبب عدم قدرتها على مجاراة الآخرين فى العمليـات الاستهلاكيـة المتاحة ، وبالتالى تتحول قيمة العمل المنتج الى قيمة سلبية تتمثل فى قيم الربح السريع ، أو الثراء على حساب الآخرين بدون جهد أو بجهد غير شرعى .

١١ — حيث أن احتياجات الأفراد تتدرج وتختلف فى قوة الحاحهـا باختلاف مكاناتهم ، وانتماءاتهم الاقتصادية والاجتماعية فان القيم السلبية أيضا تتدرج وتختلف فى قوة الحاحها باختلاف الأفراد أنفسهم . فرغبة الأفراد فى الاثراء السريع ، أو الكسب غير المشروع ، أو السرقـات المقنعة ، أو الرشوة ، أو الوساطة والمحسوبية ، فكلها رغم كونهـا قيما سلبية ، الا أنها قيم يلبى الأفراد عن طريقها حاجاتهم المادية الملحة الذى فرضها عليهم الواقع الاجتماعى الاقتصادى .

وهذا هو نفسه ما حدا بالشباب الى الانغماس فى قيم سلبية جديدة كالرشوة والكسب غير المشروع والتهرب من الضرائب ، بـل وتثمين — أى تقدير الثمن — كل من يتعاملون معهم وفق وزن مكـانتهم أو المكاسب التى يحققونها من ورائهم .

١٢ — عندما يتعرض النظام الاجتماعى لنوع من التفكك والانحلال، وعندما تتحلل المعايير نتيجة لفشل الضـمير الجمعى فى كبح جمـاح الطموحات فى المصالح الفردية ، تظهر فى الأفق الشخصية اللامعيارية أو الانومية ، وهو نفس ما حدث لبعض حالات الشباب ، اذ وجدوا أن غيرهم من الأشخاص اللامعياريين أو الانوميين قـد نجحوا فى تركيم ثرواتهم بوسائل غير مشروعة وأنهم نجحوا بوسائلهم الخاصة فيما عجزوا هم أنفسهم عن تحقيقه ، مما دفعهم بدورهم الى الانصيـاع للمعايير المنحرفة الجديدة لتحقيق مصالحهم الخاصة ، مما حولهم بالتالى الى شخصيات لامعيارية انومية .

١٣ — تتخفى بعض السلوكيات المنحرفة وراء ستار الدين ، وذلك عن طريق تطويع الدين وتفسيره بالصورة التى تعود بالفائدة والمنفعة الشخصية ، اذ نجد أن هناك بعض الحالات التى ترى أن هناك فرق بين الرشوة المادية والهدية — رغم كونها رشوة عينية — وكذلك ان هناك فرق بين المحسوبية او الوساطة والحصول على حق الغير ، وهذا يرجع الى أن التعليم الدينى فى جميع المراحل الدراسية يقتصر على تلقين التلاميذ وتحفيظهم للآيات القرآنية ، بمعزل عن الفهم المتعمـق للمغزى الاجتماعى الكامن ، والذى يتعلق بجوهر الدين الحق وهو العلاقة التفاعلية بين أفراد المجتمع بعضهم مع البعض الآخر .

١٤ ــ بالنسبة لأزمة القيم الخاصة بالاختيار للزواج ، نجد أن القيم المادية الهوجاء المعاصرة ، قد اكتسحت فى طريقها العديد من القيم التقليدية الراسخة .

فالتقارب العمرى الذى يتيح قدراً معينا من التفاهم والتقارب ، لم يعد له نفس الوزن الذى كان له فيما سبق ، اذ أصبح من الشائع أن تتزوج الفتاة برجل يكبرها فى العمر ، بل وصل الأمر باحدى الحالات أن تزوجت برجل يصل الى اكثر من ضعف عمرها .

ويرجع ذلك الى أن الرجل فى الفترة العمرية المتأخره اى بعد سن الأربعين ، يكون قد وصل الى حد متميز من حيث امكانياته المادية ، بحيث تعمى هذه الامكانيات أبصار بعض الفتيات عن الفارق الزمنى .

١٥ ــ رغم الأهمية المتعاظمة لمستوى تعليم كل من الزوجين ، فيما يختص بدورهم فى اعداد وتربية جيل الصغار ، بالصورة التى تكفل لهم التوازن العقلى والنفسى والجسمانى، بالاضافة الى أهمية التقارب الفكرى والتماثل الثقافى ، الا أننا نجد أن هذا المحك ــ الذى كان يعد محكا هاما فى الاختيار للزواج ــ أيضا قد طرأ عليه التغير . اذ نجد أن من بين الفتيات المتعلمات من قبلن الزواج بمن هم أدنى منهن فى التعليم ، والعكس صحيح ، أى أن هناك شباب متعلم قد أقبل على الزواج بمن هن دونهم فى التعليم . حيث توارت أيضا مكانة التعليم خلف المكانة الاقتصادية والقدرة المادية ، وتحولت العلاقة بين الشاب والفتاة الى علاقة كائنين مجردين أو آلتين ، يستخدم فيها كل منهما الآخر ، وتقوم على أساس تبادل المنفعة العاجلة أو المؤجلة .

١٦ ــ على الرغم من استمرار الدور التقليدى للأسرة والأقارب فى الاختيار للزواج ، الا أن الاختيار الشخصى القائم على الاحتكاك والتعارف خارج نطاق الأسرة ، أصبح سمة مميزة فى كيفية الاختيار للزواج .

ويرجع السبب فى ذلك الى تعليم الفتاة وخروجها الى العمل ، كما يرجع أيضا الى ما اتاحته فرص التعليم من فرص مماثلة للمشاركة فى النشاطات الاجتماعية والرياضية والثقافية ، وبالتالى الى ازدياد فرص الاحتكاك بالجنس الآخر .

١٧ ــ تعد أزمة الاسكان ، محوراً من محاور أزمة الشباب عند اقدامهم على الزواج ، حيث فرضت هذه الأزمة على الشباب أوضاعا قاسية من أهمها فسخ الخطبة كما حدث لبعض الحالات ، أو مشاركة الأهل فى السكن ، أو الاضطرار الى تأخير الزواج وعدم القدرة على

التخطيط لمستقبل حياتهم ، مما ترتب عليه اضطرارهم الى التخلى عن كثير من القيم .

ولذلك فاننا نجد أن هناك كثير من الشباب يتخـلى عن كثير من شروط الزواج التقليدية ، سعيا وراء شاب أو فتاة لديهم شقة تصلح مسكنا للزوجية متناسين فى ذلك أهمية التقارب العمرى والتماثل الثقافى والأصل الطيب أو السمعة الحسنة أو مقاييس الجمـال أو التدين ، وهكذا تتحول العلاقة فى مجال الزواج من علاقة انسانية بين أفراد من البشر ، الى علاقة مادية بين أشياء .

١٨ — أصبح الاختيار للزواج يخضع لمنطق العصر الحديث ، وهو منطق العقل والحسابات المادية ، ولم يعد يخضع لمنطق التقارب النفسى او الانسجام العاطفى ، وبذلك أصبحت الحياة ذاتها مشروعا تجاريا ، وعلى الانسان كسلعة قابلة للمبادلة أن يختار الصفقة الرابحة عند اقدامه على اختيار شريك عمره .

الهـــــــوامش

١ –

Marolein, Van Delf, single Matherhood : Choice or Reality of the future P., Fourth International Interdisciplinary Congress Press, Netherland, 1989, p. 7.

٢ – باسمه كيال ، سيكلوجية المرأة ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر بيروت ، سنة ١٩٨٣ ، ص ٢٤٩ ٠

٣ – سامية الساعاتى ، الاختيار للزواج والتغير الاجتماعى ، الطبعـة الثانية ، دار الفكر والثقافة ، القاهرة ، سنة ١٩٧٢ ، ص ١١٦ ٠

٤ – باسمه كيــال ، سيكلوجية المرأة ، مرجع سابق ، ص ٢٢٩ ٠

٥ – سامية الساعاتى ، الاختيار للزواج والتغير الاجتماعى ، ص ١١٦ ٠

٦ – عليـــاء شـكرى . الاتجاهات المعاصرة فى دراسـة الأسرة ، الطبعـة الأولى ، دار المعــارف ، القــاهرة ، سنة ١٩٧٩ ، ص ١٩٠ – ١٩١ ٠

٧ – نبيل رمزى اسكندر ، الأمن الاجتماعى وقضية الحرية ، دار المعــارف الجامعية ، الاسكندرية ، سنة ١٩٨٨ ، ص ١٤٢ ٠

٨ – نبيل رمزى اسكندر ، الأمن الاجتماعى وقضية الحرية ، مرجع سابق ص ١٣٨ ٠

٩ – سامية الساعاتى ، الاختيار للزواج والتغير الاجتماعى ، مرجع سابق ، ص ١١٢ ٠ ص ١١٢ ٠

١٠ –

Stephen C. Pepper, The sources of value, University of California Press, 1958, p. 7.

١١ – سمير نعيم ، أثر التغيرات البنائية فى المجتمع المصرى خلال حقبـة السبعينات على انساق القيم الاجتماعية ومستقبل التنمية ، جهاز تنظيم الأسرة والسكان ، القاهرة ، سنة ١٩٨٠ ، ص ١١٧ ، ص ١١٨ ٠

١٢ – عاطف غيث ، التغير الاجتماعى والتخطيط ، دار المعـرفة الجامعيـة الاسكندرية ، سنة ١٩٨٧ ، ص ١٨١ – ص ١٨٢ ٠

١٣ – سامية الساعاتى ، الاختيار للزواج والتغير الاجتماعى ، مرجع سابق ص ١١٦ ٠ ص ١١٦ ٠

الدراسة الثالثة

الفترة من ١٩٨٩ - ١٩٩٤

الفصـل الأول

الأسرة بين القيم التقليدية والقيم المحدثة

تمهيـــــد :

رغم أن المتغيرات الاقتصادية ، التى طرات على المجتمع المصرى فى العقدين الأخيرين ، قد أدت الى تغيرات عميقة الأثر على بنيـــة المجتمع ، والتى انعكست على حياة الأفراد ، الا أن هناك بعض الجوانب الثقافية التقليدية الضاربة فى جذور التاريخ ، لا تزال تمارس تأثيراتها الهائلة فى قيم وسلوكيات هؤلاء الأفراد ، وهو ما وضع المجتمع المصرى فى بؤرة الصراع الثقافى بين القيم المادية المستحدثة وبين القيم الراسخة، ومما أعاق أيضا تحقيق خططها التنموية ، بالصورة التى تتناسب مـــع الامكانيات المادية والبشرية المتاحة .

وبهذا نتحقق نبؤة هربرت ماركوز ، فيما يختص بما وصل اليـــه الاقتصاد المصرى القائم على آليات السوق العالمى ، والتى ذهب فيها، الى أن البلدان النامية التى أخذت بالتصنيع ومنها الهند ومصر ، دون ان يكون سكانها مهيئين للانتاجية التكنولوجية ، والفاعلية التكنولوجية، والعقلانية التكنولوجية ، فضلا عن أن قسما كبيراً من سكانها لم يعد بعد كقوة عمل منفصلة عن وسائل الانتاج وحيث لا ينطلق التصنيع فى هذه البلدان من نقطة الصفر ، اذ يظهر فى وضع تاريخى ينبغى فيه البحث عن قسم كبير من الرأسمال الاجتماعى الضرورى للتراكم البدائى سواء فى الكتلة الراسمالية ، أو فى الكتلة الشيـــوعية ، أو فى كلتـــا الكتلتين . وانتهى من ذلك الى أن هذه البلدان على وشك اما الاستسلام لشكل من أشكال الاستعمار الجديد (وما أكثر انـــواع الاستعمار) وأما لنظام من التراكم البدائى ذى طابع ارهابى بهذا القدر أو ذاك (١).

ورغم ان الثقافة والمعطيات المادية مثل المنازل والمصـــانع والآلات والمواد الخام وما الى ذلك من الموضوعات المادية المحسوسة تتغير بسرعة كبيرة ، كما يذهب أوجبرن Ogburn الا ان الثقافة التكيفية مثل العادات والمعتقدات والفلسفات القوانين ، لا تتغير بنفس السرعة، وانما تسير فى ركاب التغير الذى يطرا على الثقافة المادية (٢) مثلما

حدث فى المجتمع المصرى فى السنوات الأخيرة ، كما سيتضح لنا من خلال تناولنا للمحاور التالية :

المحور الأول : القيم الاجتماعية للأنماط الاحتفالية فى حياة الأسرة المصريـــة .

المحور الثانى : القيم الصحية والانجابية .

المحور الأول : القيم الاجتماعية للأنماط الاحتفالية فى حياة الأسرة المصرية :

كان من نتيجة الانفتاح الاقتصادى ، ان تراكمت وتضخمت ثروات بعض الأفراد بصورة مفاجئة بين قليلى أو معدومى الثقافة فى مجتمع ما قبل (الانفتاح الاقتصادى) ، مما أدى الى انقلاب الهرم الاجتماعى ، بسبب تدفق الثروات الطائلة على بعض الفئات الطفيلية ، التى أثرت بشكل مشروع أو غير مشروع ، فارتفعت فجـأة فئات من العمـــال والمهنيين والحرفيين ، وأيضا طوائف من المقامرين والمغامرين والوسطاء وتجار المخدرات ، ممن كانوا من محدودى الثقافة أو الأميين ، مما دفع بهم الى قمة المجتمع من الناحية الاقتصـــادية ، فى وقت انحـــدرت فيه القدرات الاقتصادية بكثير من الشرفاء الكادحين من كبار موظفى الدولة ورجالاتها ، ومعظمهم من المثقفين ، فانحدروا الى قاع المجتمع ، وتأثرت قدراتهم الاقتصادية بشكل واضح (٣) .

وعلى ذلك ، فقد أصبح نمط مجتمع الصفوة الجديد فى مصر ، صورة مشوهة لمفهوم رأيت ميلز Wright Mills عن الصفوة ، حيث يفتقـــر افـــراد هـــذه الفئة ما أســـماه ميلـــز بالـــوعى الطبقى (٤) Class conciousness والذى يصهرهم فى بوتقة واحدة من حيث انتمائهم الى الطبقة العليا القائدة والمتميزة تعليميا ومهنيـــا وثقافيـــا وسياسيا ، اذ أن البعض منهم من معدومى القيم أو الاخلاقيات والتى كان لنمو قدراتهم المادية كبير الأثر فى ازدياد حالات الغش والتزويـــر والاختلاس والرشوة والنصب والتهرب من الضرائب ، كما قل احترام القـــانون وزاد التحايل عليـه حتى أصـــبحت المادة فى كثير من الأحوال هى المحرك للعديد من القرارات الادارية ، التى تخدم مصالح هـــذه الطبقة ، وتخدم فى نفس الوقت مصالح اصحاب السلطة فى اصدار هذه القرارات .

ولعل ماجاء فى السطور السابقة ، يرتبط ارتباطا وثيقا بما سوف نتناوله فى الصفحات القادمة ، ونحن بصدد الحديث عن القيم الاجتماعية

للأنماط الاحتفالية فى حياة الأسرة المصرية ، ، بحيث يمكن القول بأن هذه الأنماط فى الفترة الحالية قد أصبحت ذات صبغة طبقية سافرة الوضوح ، حيث يتضح لنا ذلك من خلال الأنماط الاحتفالية التالية :

أولا ــ حفــل الزفــاف :

أصبحت حفلات الزفاف فى السنوات الأخيرة ضربا من المباريات بين كبار رجال الأعمال والثراه فى المجتمع المصرى ، يستوى فى ذلــك من حققوا ثرائهم من خلال الأعمال الجادة الشريفة أو من خلال الأعمال اللا أخلاقية واللا قانونية ، حيث أصبح أفراد هذه الطبقة يستعرضون ثرائهم ووجاهتهم ونميزهم الطبقى من خلال مظاهر البــذخ والاسراف الذى يصل الى حد السفه فى حفلات الزواج الخاصة بهم ويكفينا ان نستعرض نمط حفل الزفاف الذى أقيم لحالة الدراسة رقم (١) ، وهى حالة صارخة من الحالات التى أفرزها الانفتاح الاقتصادى ، لندرك الى أى مدى وصلت اليه مثل هذه الحفلات التى تظل أهم المحاور التى تدور حولها أحاديث الناس ــ حتى العامة ــ لعدة أسابيع ، تقــول الحالة فى هذا الخصوص : « بابا عمل لنا فرح ولا ألف ليله وليله .. اتكلف حوالى ٢٠٠ ألف جنيه فى أكبر أوتيل فى مصر .. وكان معزوم أشهر وأكبر ناس فى البلد سواء من الوزراء أو رجال الأعمال أو التجار التقال قوى .. الفرح قعد لحد الساعة السادسة الصبح .. والنمر بتاعة الفرح كلها كانت سوبر .. يمكن أحسن فرح اتعمل فى البلــد كلها ، فستان الفرح اشتريته من فرنسا ، وكملنا الشغل والتطريز بتاعه فى مصر . أنا سافرت أنا وخطيبى لباريس مخصوص قبل الفرح عشان الفستان والجوانتى والطرحة وبوكيه الورد . كل حاجة كانت من باريس حتى بدلته وجزمته والبيبون بتاعته .. كل حاجة كانت من باريس .. البلد كلها قعدت تتكلم على الفرح بتاعى .. ده حتى بيقولوا ان فيلم الفيديو بتاع الفرح طبعوه ووزعــوه فى الــدول العربيــة زى ما بيعملوا مع أفراح أولاد الفنانين .. المصنع بتاعنا قعــد أسبوع ما يشتغلش غير فى فساتين المدموازيلات دينور « وصيفات الشرف » كان عددهم ٣٠ بنت .. وفساتينهم كانت تجنن .. الفساتين أخدوها كلها هدايا .. على العموم مش مهم دى حاجة بسيطة .. الفساتين كلها ما حصلتش ½ ثمن فستان الفرح بتاعى .. لأن فستانى اتكلف حوالى ٢٠ ألف جنيه .

الكوشة بقى كانت أغلى كوشة فى مصر كلها ، اتكلفت ١٥ ألف

جنيه .. واللا الشمبانيا اللى كانت فى الفرح .. اتحط قزازة على كل ترابيزه فيها حد بيشرب .

كانت هذه هى كلمات الحالة رقم (١) والتى تصف بها حفل زفافها وكأنه بالفعل احدى ليالى ألف ليله وليله ، ولنا أن نتخيل حجم طبقية هذا الاحتفال اذا ما قارناه بحفل حالة الدراسة رقم (٢) ، والتى تمثل صورة من صور الكفاح للانتقال من الطبقة الدنيا الى الطبقة الوسطى بما نالته من تعليم فى كلية الطب ، والتى تقول بخصوصه : « أيام ما اتجوزت .. جوزى ما كانش معاه عشان الفرح غير ..٤ جنيه .. بابا صمم اننا نعمل فرح .. الحقيقة كان فرح حلو قوى .. وربنا بارك فى القرشين .. ده حتى فستان الفرح اشتريته من الموسكى بخمسين جنيه وكان حلو قوى .. وعملنا علب كرتون فيها ساندوتشات وجاتوه .. ووزعنا شربات وبومبونى .. وأجرنا ١٠ دست كراسى وعملنا الفرح فوق السطوح .. وكل الجيران والقرايب والحبايب حضروا الفرح .. وأصحاب اخواتى جابو لى واحد مطرب ورقاصة .. وعملوا لى زفة فى الشارع قعدت ساعتين .. وواحد صاحب العريس كان بيصورنا بالفيديو .. وواحد تانى صورنا فيلمين بالكاميرا .. وكان فيه ضرب نار .. وكمان كان فيه طلقات من مسدس صوت .. يعنى فرح ما فيش بعد كده » .

ويتضح من خلال ما سبق صورتين صارختى التناقض للاحتفال بنفس المناسبة .. حيث تتضح فى الأولى آيات البذخ والاسراف ، كما تمثل النمط الذى بدأ فى الانتشار فى السنوات الأخيرة ، من حيث اقامة حفلات الزفاف والخطوبة واعياد الميلاد فى الفنادق والنوادى كل حسب مقدرته المالية ، وحيث يتضح فى الثانية النمط التقليدى للأفراح المصرية فى الأحياء الشعبية ، كذلك يتضح من خلال ما سبق مدى تبنى أفراد المجتمع المصرى للقيم الثقافية المتخلفة والتى تجعل من حفل الزفاف مجالا لاستعراض العضلات المادية مهما انخفض حجمها أمام الأهل والأصدقاء والجيران ، وهو ما يختلف عما يحدث فى بعض الثقافات الغربية ، والتى تتمثل فى احتفال زواج الحالة رقم (٦) والذى تزوج بفتاة فرنسية وتم تسجيل الزواج فى فرنسا ، حيث يقول : (لما اتجوزنا ماعملناش فرح زى الأفراح بتاعة مصر .. انما عملنا عقد زواج فى مجلس بلدية المدينة اللى عايشين فيها فى فرنسا .. وبالليل عملنا عشا كبير فى مطعم والدها .. وكان عدد المعازيم مايزيدش عن ٢٠ فرد .. همه فى فرنسا ناس عمليين قوى بالرغم من ان حالتهم المادية كويسة) .

ولا يفوتنا هنا أن نشير الى بعض الطقوس التقليدية الخاصة بمناسبة الخطوبة والزفاف ، والمثلة فى الهدايا و « النقوط » سواء فى مصر حاليا أو فيما سبق ، وكذلك فى بعض الثقافات الأخرى ، حيث تشير احدى الدراسات التى أجريت فى أحدى قرى الاسكندرية سنة ١٩٥٠ ، الى ان النقوط الذى كان يدفع فى حفلات الزواج ، كان يعد دينا يقومون بتسجيله فى الدفاتر ، كى يردوه فى نفس المناسبة (٥) . كذلك تشير الدراسات الى أن الطقوس الخاصة باحتفالات الخطوبة فى غرب أسوان ، كانت تتمثل فى أن يتوجه العريس الى المسجد أولا ، ومنه يتوجه الى بيت العروس فى شكل موكب ، وفى هذا الحفل يقدم الشبكة كما تقدم أمه بعض الهدايا ، والشبكة التى يقدمها العريس عبارة عن دبلة وعدد من الأساور ، وكانت الشبكة قديما تقتصر على الكردان . أما أم العريس فتقدم بعض الزجاجات من الشربات واللاوند، ومشط ، وشبشب ، ومنديلين للرأس وقميصين ، وفساتين ، وجلبابين، وعلبة حلوى . وفى هذه الجلسة تتحدد الشيلة وهى عبارة عن دقيق وذبائح وخضروات يرسلها العريس الى العروس فى ليلة الفرح كمساعدة لهم فى حفل الزفاف (٦) . وكذلك يعد تقديم الهدايا شرطا أساسيا للزواج فى مجتمع الأباتشى (أحد قبائل الهنود الحمر) حيث يتعين على الرجل أن يقدم هديه الى أقارب زوجته والا فانه يقابل بالازدراء ، كما تقابل المرأة بنفس الشعور اذا لم تفعل (٧) .

أما بالنسبة لحالات دراستنا الراهنة ، فاننا نجد أن الطقوس الخاصة بهدايا الزواج . تأخذ صفة الطبقية مثلها مثل سائر المظاهر الاحتفالية الأخرى حيث نجد أن الحالة رقم (١) قد أشارت الى أن الشبكة كانت من الماس وبلغ ثمنها أكثر من ٢٠٠ ألف جنيه ، فى الوقت الذى أشارت فيه الحالة رقم (٢) أن الشبكة كانت عبارة عن سلسلة ذهبية وقرط وخاتم ذهبيين لم يتعد ثمنهم ١٠٠٠ جنيه .

ثانيا — شهر العسل كمرحلة من مراحل التوافق الاجتماعى :

يتحدد نسق شخصية الفرد وفقا لعمليات التنشئة الاجتماعية والتطبيع الاجتماعى التى يتعرض لها فى كافة مراحل حياته ، ومنذ الأيام الأولى لطفولته المبكرة .

فالوليد البشرى عندما يخرج الى الحياة ، يكون عاجزاً عن التكيف بنفسه مع البيئة المحيطة به — البيئة الطبيعية والاجتماعية — عجزاً لا مثيل له لدى اى وليد فى المستويات التطورية الحيوانية . مما يعنى أن الوليد يظل ولفترة طويلة فى حاجة شديدة الى استمرار عناية

للراشدين به كشرط لاستمرار بقائه ، كما يعنى انه يلقى فرصا من التعليم — نتيجة احتكاكه المستمر بالبالغين — والتى لا تتاح لغيره من الكائنات فى أى مستوى تطورى آخر ، بالاضافة الى انه بحكم طبيعته العضوية — التى لا تستبد بها دوافعه الفطرية كما هو الحال بالنسبة للحيوان — يكون اكثر استعداد لتشكيل نشاطه وتصرفاته فى الشكل الذى يتفق مع توقعات البالغين .

فالشخصية تتحدد وفقا لنمط الأسرة ، والتى تعد من اهم النظم الاجتماعية التى تدور حولها حياة الانسان . وحيث تتخذ الأسرة العديد من الصور التى قد تتعدد وتختلف باختلاف عدد أفرادها ، ونوع الصلات الموجودة بينهم ، فقد تتسع دائرة الأسرة فتشمل الجدود وبعض الأقارب كما هو الحال فى الأسرة الممتدة ، وقد تضيق لتقتصر على الأبوين والأخوة فقط ، كما هو الحال فى الأسرة النووية .

وتختلف طبيعة الأسرة من حيث التشكيلات الأسرية ، فمن الصعب وجود أسر متشابهة من حيث عدد الأبناء وأعمارهم ، أو عدد الأقارب والأصهار وما يسود الأسرة من ترابط أو تفكك .. ومن توائم أو صراع. وفى مجتمع الأسرة ، ينشأ الفرد وينمو وتتشكل شخصيته بما يتأثر به من التفاعلات الاجتماعية والمعايير الخلقية التى يتعرض لها ، ثم تنتقل مهمة التربية والتنشئة الاجتماعية بعد ذلك الى المدرسة — جنبا الى جنب مع الأسرة — لاستكمال عملية اعداده للاشتراك فى الخلية الاجتماعية التى تنتظم اتصالاته وعلاقاته خارج البيئة المنزلية ، والتى تنتهى به آخر المطاف الى تسليمه لخضم الحياة الاجتماعية بما تشتمل عليه من مؤسسات ووحدات ومجتمعات .

وتتحدد شخصية الفرد ، بمدى توافقه مع الأحداث التى تعرض له فى حياته . فالحياة عملية توافق مستمرة ، لا يكاد الانسان يفرغ من عملية منها حتى يرتبط بعملية أخرى . وتحتاج عملية التوافق الى تكوين سلسلة من العادات والمهارات التى يمكن عن طريقها مواجهة مواقف الحياة ومشكلاتها .

فالعادات والمهارات والقدرات التى يكونها الناس ليهيئوا أنفسهم لمواجهة مواقف الحياة المختلفة ، هى التى تحدد شخصياتهم ، أى أن الشخصية يمكن أن تعرف على انها المجموع الكلى لهذه النواحى جميعا، والتى تعين الفرد على التوافق الاجتماعى .

ويمثل الزواج مرحلة جديدة فى حياة الفرد ، والتى تحتم عليه المرور بمرحلة جديدة من مراحل التوافق الاجتماعى بسبب اختلاف انماط الشخصية لدى كل من العروسين ، والنابع أصلا من اختلاف

الأنماط الأسرية التى شب فيها كل منهما ، حيث يجب أن تتوافر مجموعة من العوامل الأساسية لأحداث هذا التوافق تتمثل فيما يلى :

١ ـ وجود حاجة أو رغبة لدى الفرد ، والتى تلتقى مع حاجة ورغبة الطرف الآخر ، فاذا لم تتوفر هذه الحاجة انعدم الدافع الى التوافق .

٢ ـ يعد اشباع هذه الحاجة أو الرغبة لدى الطرفين من أهم العوامل التى تؤدى الى التوافق المنشود .

٣ ـ أن يتوفر لدى الفرد العادات والمهارات والقدرات التى تيسر للطرف الآخر اشباعاته وحاجاته .

ولذلك ، فان شهر العسل ، الذى أصبح من المتعارف عليه بأنه الخطوة الطبيعية التالية لحفل الزفاف مباشرة ، والتى تبدأ فيها الحياة المشتركة الدائمة ولأول مرة بين الزوجين ، يعد من أهم الفترات العمرية فى حياة الزوجين ، والتى تتم فيها عمليات دائمة ومستمرة من محاولات التواؤم والتلاؤم والتوافق الاجتماعى ، وتجنب ونبذ التصادم والصراع ، والعمل على انصهار شخصيتى العروسين فى شبه بوتقة واحدة بهدف بقاء واستمرار الحياة الزوجية .

وكما ان احتفالات الزفاف فى السنوات الأخيرة ، قد أصبحت من الأنماط الاحتفالية الطبقية ، بسبب التغيرات البنائية ، التى طرأت على المجتمع المصرى كما سبق وأن رأينا ، فان نمط قضاء شهر العسل أيضا قد اصبح نمطا طبقيا ، يختلف من شريحة اجتماعية الى أخرى ، وفقا لاختلاف القدرات المادية للعروسين كما يعكس القيم السائدة فى كل طبقة على حدة .

وفى هذا المجال ، لنا أن نستعرض نمط شهر العسل الذى اعقب حفل زفاف الحالة رقم (١) اذ تقول : (شهر العسل قضيته فى أمريكا واوربا . بصراحة ما كانش شهر .. احنا لفينا ثلاث شهور تقريبا .. بابا كان عامل لينا حساب مفتوح .. لفينا أشهر الأماكن فى أمريكا واوربا .. كانت أول مرة أروح امريكا .. رحت ديزنى لاند وديزنى وورلد ولاس فيجاس وشلالات نياجرا .. كنت عايشه ملكه .. احسن أوتيلات واحسن اماكن .. وفى كل حته كنت بالاقى ناس مستنينا من طرف بابا وعاملين لينا البروجرام كامل .. طبعا أنا كنت متعودة على كده ما كانتش حاجه غريبة عليه .. انا طبعا معروفة بنت مين .. اذا كان ده ما يتعملش ليه .. أمال يتعمل لمين .. ؟ .. جوزى بقى ماكانش مصدق نفسه .. كان دايما يقولى : أنا اكيد باحلم .. لقرصينى عشان احس انى صاحى ومش باحلم) .

وعلى الطرف الآخر من هذا (الشهر عسل) الاسطورى ، نجد أن العروس من الطبقة الدنيا خاصة فى الريف قد لا يتاح لها الاستمتاع بهذا المصطلح كمفردة من مفردات حياتها التى تعقب حفل الزفاف . حيث يكون نصيب المرأة الريفية أو المرأة من الطبقة الدنيا من (مذاق) شهر العسل ، مجرد عدة أيام تقضيها بعد الزفاف داخل منزل الزوجية، وقد ارتدت أحسن ملابسها ، وتجملت لزوجها ، حيث تتمتع بالاعفاء المؤقت خلال هذه الأيام من القيام بالأعمال المنزلية بوصفها (عروسة جديدة) . أما بالنسبة لمن هن أرقى منها قليلا من حيث مكانتهن فى السلم الاجتماعى ، فقد يتيسر لبعضهن قضاء عدة أيام فى رحلة متواضعة ، كما هو الحال بالنسبة للحالة رقم (٢) حيث تقول : (قضينا شهر العسل فى اسكندرية .. قعدنا أسبوع بحاله فى نادى هناك بتاع ضباط الصف .. كانت اول مرة فى حياتى أروح اسكندرية .. وأول مرة فى حياتى أشوف البحر .. وبرضه كانت آخر مرة .. لأن ما عندناش امكانيات اننا نصيف .. لأننا اتلخمنا بالعيال من أول ما اتجوزنا .. واللى جاى يا دوب مكفى بالعافية) .

وهكذا نرى من خلال الصورتين السابقتين الصارختى التضاد ، ان المتغيرات البنائية التى طرأت على المجتمع المصرى قد انعكست عى كل شىء حتى على نمط قضاء الفترة التى تعقب حفل الزواج ، وان كافة جوانب الحياة اليومية للفرد ، أصبحت ترجمة حرفية للمقدرة المادية والشرائية ، حيث أصبحت المتع — حتى الروحية منها كالتمتع بالأوبرا أو الباليه أو الطبيعة والرحلات — من السلع التى لا يستطيع الحصول عليها الا أصحاب الجيوب والأرصدة المتخمة .

ثالثا — المناسبات الاحتفالية الأسرية :

تتفق معظم شعوب العالم بوجود بعض المراسم والطقوس الخاصة بالمناسبات الاحتفالية المختلفة سواء منها الاحتفالات القومية أو الدينية او الأسرية . وتتعدد أشكال هذه المراسم والطقوس وفقا لطبيعة وظروف المجتمع الاقتصادية والاجتماعية ، وكذلك وفقا للتراث الثقافى والتقاليد والعادات المتبعة . ونستطيع ايجاز بعض الأنماط الاحتفالية والطقوس الخاصة بها فيما يلى :

١ — الطقوس الخاصة بفض البكارة ليلة الزفاف :

تتشابه فى الريف والبدو والمناطق الحضرية المختلفة ، تلك الطقوس الخاصة بالطريقة التقليدية لفض البكارة ، فالبعض ما زال يتبع طريقة فض البكارة فى العلن ، حيث يدخل عدد من أقارب العروسين « من

النساء » الى حجرة العروس ، وتقوم الداية او احدى النساء الموثوق بها بفض غشاء البكارة باصبعها ، بينما يتجمع خارج الحجرة جمهور الأهل والأصدقاء والجيران والمتطفلين فى انتظار اعلان عذرية العروس، حيث تخرج أم العريس عليهم ومعها ملاءة بيضاء ملطخة بدم البكارة ، وعندما يتم اعلان عذرية الفتاة يبدأ الناس فى اطلاق الزغاريد والغناء اشادة بطهارة العروس ومحافظتها على شرفها وشرف أسرتها (٨) .

وتشير احدى الدراسات الى أن عملية فض البكارة فى غرب أسوان تتم فى ليلة الزفاف ، ويقوم بها العريس بنفسه ، ولا يتم اشهار دم البكارة علنا .

ومن العادات المتعلقة بفض البكارة أيضا فى غرب اسوان ، ظاهرة « فلوس الرضوه » وتتلخص فى أن العروس ترفض أن يقترب منها العريس بعد فض البكارة ، قبل أن يعطيها مبلغا من المال ، واذا لم يعجبها المبلغ تظل على رفضها بحيث يجب عليه أن يزيده حتى ترضى وتسلمه نفسها وتظل احدى قريباتها بالباب حتى تحصل العروس على « فلوس الرضوه » فتعطيها لها لتسليمها الى أمها .

وفى هذا الخصوص تشير الحالة رقم (٢) بقولها : « عشان أنا وجوزى من الريف .. كان لازم اننا نورى الفوطة اللى عليها دم البكارة لأهلى واهله .. أنا عارفه انها حاجة سخيفة ، انما بقى أهى عادات أهالينا .. وماما فضلت مخليانى شايله الفوطة فى البيت لحد ما حملت لأنها بتقول ان رمى الفوطة ممكن يمنع الخلف » .

ويقول الحالة رقم (٩) فى هذا الخصوص أيضا : « مراتى كانت مخطوبة قبل كده كذا سنة .. وكان فيه كلام حواليها وحوالين خطيبها الأولانى .. عشان كده كان لازم نثبت لأهلى وأهلها انها كانت بكر ساعة ما اتجوزنا » .

وعلى الرغم من الانخفاض النسبى فى الاحتفال العلنى بمراسم فض البكارة الا أن احدى دراساتنا اشارت الى اهمية عرض دليل العذرية على الأقارب والزوار فى الأيام التالية للعرس ، حيث أشارت ٩٧٫٧٪ من استجابات المبحوثات الى اهمية هذا الاجراء بالنسبة لأهل الزوج (٩) .

٢ ـ الطقوس الخاصة بالسبوع :

يعد الاحتفال بسبوع الطفل من الطقوس الاحتفالية الشائعة فى مصر على كافة المستويات .. وان كانت المظاهر الاحتفالية تختلف من طبقة اجتماعية الى أخرى ، حيث يتضح ذلك من خلال ما جاء على لسان

الحالة رقم (١) اذ تقول : السبوع بتاع ابنى كان خرافة .. عملنا حفلة حوالين « البيسين » .. كان سبوع فرانكو آراب .. يعنى كان فيه نمر لثلاثة مطربين مشهورين .. وجت واحدة رقاصة من أحسن رقاصات مصر .. والشغالين عملوا سبوع شعبى .. يعنى جابو هون وقعدوا يدقوا فيه .. وحطوا الولد فى منخل كبير (غربال) وفرشناه بمرتبة مدورة مفروش عليها تل لبنى بفيونكات على جوانب المنخل .. قعدوا يغنوا زى الفيلم بتاع كريمة مختار (الحفيد) ويقولوا له اسمع كلام أمك وماتسمعش كلام أبوك .. واسمع كلام ستك أم أمك وماتسمعش كلام ستك أم أبوك .. وعملنا بوفيه كبير جداً .. وكل المعازيم كانوا كلاس خالص .. ووزعنا عليهم طقاطيق فضة فيها شيكولاته وملفوفه بالتل اللبنى ..) .

ويقول الحالة رقم (٩) فى هذا الخصوص : « السبوع بتاع ابنى كان فرجه .. عملنا ليلة اجدع من الفرح بتاعنا .. ظيطه وأكل ومعازيم وملبس وحاجة كانت الحتة كلها بتحكى عنها .. وجاله نقوط اكثر من النقوط اللى جانا يوم جوازنا .. وعلى العموم كله سلف ودين .. لأن النقوط بيترد واكثر كمان شويه » .

وتتميز مناسبة السبوع بما يقدمه الأهل والأصدقاء من هدايا للطفل كل حسب مقدرته المادية ، تتراوح بين المشغولات الذهبية والملابس والمبالغ النقدية كذلك تتميز ببعض الطقوس مثل تزيين « قله » اذا كان المولود انثى أو « أبريق » اذا كان المولود ذكر ، ووضعهم فى صينية بها ماء بجوار الطفل ليلة السبوع وكذلك وضع رغيف من الخبز به ٧ انواع مختلفة من الحبوب أعلى رأسه حيث يعتقد البعض ان هذا يبعد الأرواح الشريرة عن الطفل ، وهو ما يقترب فى مغزاه الى الطقوس التى تمر بالطفل عند قبائل الاباتشى بعد أربعة أيام من ولادته ، حيث يقوم احد الكهنة باعداد مهدا للطفل يطلق عليه عددا من التمائم لتحمى الوليد من الأذى (١٠) .

٣ ــ ختان الأطفال (الذكور والاناث) :

يعد ختان الأطفال من المناسبات الخاصة التى تحتفل بهـا بعض الأسر خاصة فى الريف والطبقات الدنيا فى الحضر . وقديما كان ختان الأطفال يتم فى ما بين سن العاشرة الى الخامسة عشر ، كما كان يحدث ذلك ايضا فى السعودية ، حيث أشارت علياء شكرى فى احدى دراساتها ان ذلك يتم حاليا فى الأيام الأولى من حياة الطفل (فى اليوم السابع عادة أو نحو ذلك) وكان الختان يتم حتى عهد قريب وسط مظاهر احتفالية

كبيرة فكانت تقام وليمة لهـذا الحفـل الكبير ، وتطـلق فيه الأعيرة النارية (١١) .

ويتم ختان الصبيان فى الريف المصرى وكذلك فى الأحياء المتخلفة عن طريق حلاق الصحة ، على حين يتم فى المناطق الحضرية الراقية عـن طريق الطبيب المتخصص ، ويشير بعض الأطباء الى أن ختان الذكر بعد الولادة من ثلاثة أيام الى عشرة تحمل شيئا من الخطورة ، اذ أن الجلطة الدموية تلزمها مادة تتكون فى امعاء الأطفال وهى فيتامين (ك) ، وهى لا تتكون قبل مرور مدة عشرة أيام الى خمسة عشرة يوما بعد الولادة ، وهذا من شأنه ان يعرض الطفل الى النزف الشديد . أما الفترة المناسبة للختان ، فهى تمتد من الخمسة عشر يوما الأولى وحتى سن الثلاثة أشهر ويمكن ان تمتد الى ستة أشهر (١٢) .

أما بالنسبة لختان الاناث ، فانه يعد نوعا من الايذاء الجسدى نظراً لما يسببه من ضرر عضوى ونفسى قد يستمر طوال عمر الفتاة ، وقد اعتبره القانون الجنائى جرح عمد ويعاقب عليه بنص المادة ٢٤٠ من قانون العقوبات الذى يذهب الى كل من احدث بغيره جرحا أو ضربا نشأ عنه قطع أو انفصال عضوا وفقد منفعته ، أو انشأ عنه كف البصر ، أو فقد احدى العينين ، أو نشأ عنه أى عاهة مستديمة يستحيل برؤها ، يعاقب بالسجن من ثلاث الى خمس سنين . أما اذا كان الضرب أو الجرح صادرا عن سبق اصرار أو ترصد أو تربص ، فيحكم بالأشغال الشاقة من ثلاثة الى عشر سنين (١٣) . وتعلل نوال السعداوى ختان الاناث الى ما زعمه البعض من أن البظر عضو ذكرى لأنه عضو نشط جنسيا ، وهذا النشاط الجنسى صفة الذكورة والأعضاء المذكرة فحسب ، وربما كان ذلك أحد الأسباب القديمة فى بتر البظر من جسم البنات (فى بعض المجتمعات القديمة ، وفى بعض المجتمعـات العربية حتى اليوم) من أجل تطهير الفتاة من ذلك العضـو النشط الآثم ، ولتصبح بعد ذلك الأنثى كاملة الأنوثة والتى لا أثر للذكورة فيها ، وليصبح النشاط الجنسى من حق الذكور فقط (١٤) .

وتعد من العادات المتخلفة واللا آدمية التى سبق ان تناولناها فى احدى دراساتنا ، تلك العادة المتعلقة بختان البنات ، والتى لا زالت رغم تجريم القانون لها ، تمارس على نطاق لا يستهان به فى الريف والمناطق الحضرية المتخلفة ، حيث يعتقد المؤيدون لها ، أن ختان البنات كفيل بأن يحافظ على عفة الفتاة فى مرحلة ما قبل الزواج ، كما أنه كفيل بالحد من رغبتها الجنسية بعد الزواج ، بحيث يكون الزوج قادراً على مواجهة رغبتها الجنسية المحدودة ، نتيجة لعملية الختان (١٥) .

ويتم الاحتفال بهذه المناسبة فى غرب أسوان حيث يتم ختان البنات فى الليالى المقمرة أو بمناسبة المولد النبوى ، حيث يفوق هذا الاحتفال الاحتفال بختان الذكور (١٦) .

الا أن الطريقة الوحشية والبدائية التى تتم بها هذه العملية ، والتى تكون فى الغالب على يد امرأة جاهلة من نساء القرية أو القابلة « الداية » تؤدى فى أحيان كثيرة — بالاضافة الى مخاطر النزف — الى قتل الجانب الحسى فى المرأة ، حيث تنتزع منها حقا أصيلا من حقوقها ، كما تنتزع منها قدرتها على مبادلة الرجل استمتاعه . بل ان اضطراب الحياة الزوجية فى كثير من الأحيان يرجع الى عدم التوافق الجنسى الذى يجعل من المرأة مجرد وعاء لا حياة فيه .

وقد أشارت نتائج احدى دراساتنا فيما يتعلق بهذا الجانب الى أن ٤ر٩٨٪ من المبحوثات قد تعرضن لعملية الختان، على الرغم من أن ٦ر٥١٪ منهن يرين أنه غير مهم فى أى حال من الأحوال ، على حين يرى ٢٥٪ الى أنه مهم فى بعض الحالات فقط .

أما عن الأسباب التى يرى المبحوثات انها تدعو الى ختان الاناث فقد جاء السبب الخاص بكونه سنة دينية فى مقدمتها ، حيث أشار الى ذلك ٨ر٩٦٪ من الاستجابات ، على حين أشار ٢ر٩٥٪ من الاستجابات الى كونه عرفا متبعا ، فى الوقت الذى أشار فيه ٥ر١٧٪ الى كونه مفيدا للصحة ، على حين أشار ٦ر١٤٪ الى السبب الخاص بضمان عفة البنت ، على حين أشار ٨ر٢٪ الى السبب الخاص بعدم ارهاق الزوج جنسياً (١٧) .

أما بالنسبة لدراستنا الحالية ، فاننا نجد أنه ما زال هناك بعض الميل الى ختان الاناث حتى بين بعض الحالات التى نالت حظا كبيراً من التعليم وان كان ذلك تحت تأثير الحاح كبيرات الأسرة من ذوات الثقافة التقليدية ، حيث تقول الحالة رقم (٢) فى ذلك : « حماتى وماما قاعدين بيزنوا عليه انى اطاهر البنات .. مع أن طهارة البنات ما بقتش مطلوبة .. وكمان مش صحية .. انما ماما بتقولى انها طاهرتنى أنا واخواتى البنات كلهم ومافيش مشكلة وان دى حاجة مهمة عشــان ما تكونش قلقانين على البنات لما يكبروا .. أنا شخصيا ماعنديش مانع اذا كان اللى حيعمل العملية دى دكتور .. هو أكيد حيكون أحسن

من الداية اللى عملت الحكاية دى واحنا صغيرين .. ده حتى بلباهم ماعندوش مانع لأنه برضه من الريف .. وعندهم الحكاية دى مهمة قـوى » .

٤ ـ احتفالات أعياد الميلاد وأعياد الزواج :

تعد الاحتفالات بأعياد الميلاد وأعياد الزواج من الأمور الشائعة بين أسر الطبقات العليا والوسطى نظراً لما تتطلبه من نفقات مالية لا تستطيع الأسر من الطبقات الأخرى مواجهتها ، وان كـانت بعض الأسر من الطبقات الدنيا فى الحضر فى بعض الأحيان تقوم بالاحتفال بأعياد ميلاد الأبناء فى حدود قدراتها المادية ، ولكن الاحتفال بأعياد الزواج لا يدخل ضمن انماطها الاحتفالية ، حيث يرتبط الى حد كبير بارتفاع المستوى الاقتصادى وكذلك المستوى الثقافى .

ورغم ان الاحتفال بأعياد الزواج يعد من المناسبات الخاصة جداً ، والتى تقتصر فى كثير من الأحوال ـ عند الاحتفال بها على الزوجين حيث يتبادلون الهدايا ، كما أنهم قد يقومون بأعداد وليمة لعدد محدود من الأصدقاء والأقارب ، الا أن هناك اتجاها متزايداً بين أسر الطبقات العليا الى توسيع قاعدة هذا الاحتفال ، حيث أصبح يقام فى الفنادق أو المطاعم الفاخرة ، لاستكمال مظاهر الوجاهة الاجتماعية .

كذلك فان أعياد الميلاد خاصة بالنسبة للأطفال ، لم تعد تقام فى المنازل فى كثير من الأحيان بالنسبة لأسر الطبقة العليا ، حيث أصبحت تقام أحيانا فى أفخر الفنادق وأغلاها (*) . وحيث يتم فيها عـروض لألعاب الاراجوز ، والفرق الغنائية التى يتنكر بعض أفرادها فى أزياء الحيوانات والطيور المحببة للأطفال مثل شخصية توم وجيري ، وبندق وبطوط وما الى ذلك من الشخصيات التى تدخل البهجة على نفـوس الأطفال ، فى الوقت الذى تنهال فيه مختلف أنواع اللعب والهدايا التى قد يكون لدى الطفل العديد والعديد منها .

(★) أصبحت الجرائد اليومية تطالعنا من وقت لآخر فى باب الاجتماعيات عن خبر اقامة أعياد ميلاد الأطفال فى أكبر الفنادق .

المحور الثانى و القيم الصحية الانجابية :

يشير عاطف غيث الى أن القيم الاجتماعية تتمتع بمجموعـــة من الخصائص التى تتلخص فيما يلى :

١ ــ انها ظاهرة انسانية : فهى تبدو فى سلوك الانسان ، حيث تنحو افعال الانسان وجهوده الى تحقيق قيمة الخاصة عن طريق تحقيق أهداف وغايات يرغب فى الوصول اليها .

٢ ــ انها ظاهرة اجتماعية : فهى حقيقة واقعة فى المجتمع ، وتؤثر فى الظواهر الاجتماعية الأخرى وتتأثر بها .

٣ ــ انها ظاهرة ثقافية : باعتبار أنها من أهم عناصر الثقافة .

٤ ــ انها ظاهرة نسبية : حيث تختلف باختلاف المجتمعات ، وكذلك بتطور التكوين الاقتصادى للمجتمع .

٥ ــ انها ظاهرة طبقية : حيث تختلف الأفــكار والآراء من طبقـــة لأخرى (١٨) ويقودنا ذلك الى تناول بعض القيم الأسرية ، التى تختلف من أسرة الى أخرى ، ومن طبقة الى أخرى ، كل وفق ظروفه الخاصة ، وذلك من حيث الموضوعات التالية :

أولا ــ القيم الخاصة بحجم الأسرة :

تشير احدى الدراسات التى أجريت فى تايوان باعتبارها دولـــة نامية ، الى وجود علاقة بين حجم الأسرة والاتجاه نحو التحديث ، حيث يرتبط الاتجاه نحو حجم الأسرة صغيرة العدد بخروج المراة الى العمل ، وبالتعليم ، وتأثير وسائل الاعلام ، وتقلص سلطة الدين والثقافـــة التقليدية ، وكذلك الاتجاه نحو الأسرة النووية وتقلص نظـــام الأسرة الممتدة (١٩) .

ويشير برتراند راسل ، الى أن النفقات التى تتطلبها تربية الأطفال تؤدى الى تحديد عدد أفراد الأسرة ، وهذا التحـــديد يكون بين أولئك الذين يفهمون مسئوليات الأبوة أحسن الفهم ويرغبون أكثر من غيرهم فى تعليم أطفالهم تعليما طيبا (٢٠) .

ولذلك فان صراع القيم الخاصة بحجم الأسرة قد يبدو على سطح الحياة الأسرية ، عندما تختلف وجهات نظر الزوجين بهذا الخصوص ، وعندما تحاول الثقافة التقليدية المتخلفة فرض نفسها من جانب أحــد

الزوجين أو الأهل . وفى هذا الخصوص تقول الحـالة رقم (٣) :
« جوزى عايزنى أخلف تانى عشان يمكن اجيب ولد .. هوه نفسه فى ولد .. وزعل قوى لما خلفت بنات فى المرتين ... ووالدته كـل يـوم والتانى تسألنى أنا حامل والا لأ ، وحاجيب الولد أمتى .. إنا طبعا كان نفسى اكتفى بالبنتين .. انما أنا عارفه أن اهل جوزى طول ماهمه ورايا مش حايسكتوا الا اما اخلف ليهم الولد » .

وعلى الوجه الآخر يقول الحالة رقم (٦) * « ابنى بنحاول تربيته بصورة أوربية .. بمعنى أن طالما اننا قررنا ان نخلف فده معناه أن حياتنا كلها تدور حوالين ابننا .. الناس فى مصر بتخلف من غير تخطيط ومن غير هدف .. انما المفروض ان الواحد يفهم انها رسـالة .. وان الطفل مجرد ما يخرج للدنيا .. فمن حقه أن حياة اللى حواليه تكون مكرسة لخدمته بمعنى الكلمة .. الطفل الصغير مش مجرد كائن محتاج أكل وشرب وتنظيف وغيارات انما ده محتاج حب وحنان وتربية .. كل لحظة فى حياة الأم والأب لازم تكون فى خدمة الطفل .. لأن ده حقه الطبيعى .. هوه ما جاش للدنيا بمزاجـه .. احنا اللى جبنـاه .. وواجبنا اننا نوفر له كل الحاجات اللى تخلى حياته كلها سعادة » .

وتقترب هذه الحالة الى حد كبير من الحـالة رقم (٧) ، اذ يقول :
« احنا مأجلين موضوع الخلفة شوية .. طبعا ده بناء على اتفاقنا مع بعض .. هيه شايفه ان تأجيل الحمل فرصة اننا نعرف بعض اكثر ونفهم بعض أكثر .. ونستمتع بحياتنا بدون مسئوليات .. ده بالاضافة الى ان ظروفنا المالية حاليا مش ظروف مناسبة لأن يكون عندنا أولاد .. هيه شايفه ان الناس بتجيب أولاد عشان تسعدهم وتوفر ليهم الحياة المريحة والناعمة .. مش بتجيبهم عشان تتعسهم » .

وهكذا نرى ان الانجاب أو الوالديه فى المجتمع المصرى تمثل قيمة كبيرة فى حياة الأفراد ، حتى بين أولئك الذين يخططون لتأجيل الانجاب بسبب بعض ظروفهم الخاصة ، وهو عكس ما يحدث فى الدول المتقدمة حاليا ، حيث يشير برتداند راسل ، الى أن كثيراً من النسـاء ، اذا ما تركت لهن الحرية الكافية لا يرغبن فى أن ينجبن أطفالا ، أو لا يرغبن فى الغالب فى أكثر من طفل واحد ، حتى لا تفوتهن التجربة التى يتيحها لهن انجاب اطفال ، وان هناك ثمة من النسـاء من هن ذكيات أريحيات

(*) صاحب الحالة متزوج من فرنسية ولديه طفل وحيد عمره ست سنوات .

اللب ، ومن يأبين ان تستعبدهن أجسامهن ، ذلك لاستعباد الذى ينطوى عليه انجاب الأطفال ، وثمة نساء طموحـــات يرغبن فى حياة لا متسع فيها لرعاية الأطفال ، وثمة نساء يؤثرن اللذة وحياة البهجة ، وجميع هذه الأنواع من النساء يتزايد عددها سراعا ، وقـــد لا نركب الشطط اذا قلنا ان عددها سوف يستمر فى الازدياد (٢١) .

وتأتى أهمية الأمومة من حيث تأثيرها الكبير فى تطور المرأة النفسى كما يرى فرويد Freud ، وكما ترى هيلين دويتش Helene Dutsch اذ تعتقد ان الفتاة تصبح امرأة بكل ما فى هذه الكلمة من معنى فقط عندما تصبح أم (٢٢) ويرتبط حجم الأسرة الى حد كبير بعمل المرأة وهو ما أشارت اليه كثيراً من البحوث والدراسات فى هذا المجال ، فقد أشار ويلر اليه كثيراً من البحوث والدراسات فى هذا المجال ، فقد أشـــار ويلر Weller فى احدى دراساته التى اجراها فى بورتريكو ، على مجموعتين من النساء ، احداهما عاملة والأخرى غير عاملة ، الى نتيجة مؤداهـــا أن تنافر أدوار المرأة العاملة يدفعها الى تحديد حجم أسرتها ، كما أن المرأة العاملة تستطيع أن تؤثر فى اتجاهات زوجها نحو حجم الأسرة المفضل وتنظيم الأسرة ، لأنها تسهم فى القرارات الأسريـــة أكثر من المرأة غير العاملة (٢٣) .

كذلك تشير نتائج احدى الدراسات التى أجريت فى بلجيكا الى أن الزوجات العاملات لديهن أطفالا أقل مما لدى غير العاملات ، كما تشير أيضا الى ارتفاع نسبة الأسر التى ليس بها أطفال بين النساء العاملات عنه بين النساء غير العاملات (٢٤) .

وتتفق هذه النتائج مع دراسة وداد سليمان مرقص ، التى أجرتها فى حى الوايلى بمدينة القاهرة ، حيث وجدت أن المرأة العاملة المتعلمة، هى أقل الفئات انجابا (٢٥) .

أما البحث الذى اجراه ستايكوس وويلر Stycos and Weller فى تركيا فقـــد جـــاء بنتائج مخالفـــة للنتائج السابقة ، حيث لم يكشف البحث عن فروق ملحوظة فى حجم أسر النساء العاملات وغير العاملات، حيث ارجعا ذلك الى عدم تنافر أدوار المرأة العاملة فى المجتمع التركى ، بسبب استمرار نظام الأسرة الممتدة ، ســـواء فى الريف أو الحـــضر ، مما يسمح للمرأة العاملة بالاعتماد على أفراد الأسرة لرعاية أطفالهـــا أثناء غيابها عن المنزل (٢٦) .

ويبدو فى ضوء نتائج هذه الدراسات ، ان اشتغال المرأة يؤثر على حجم الأسرة فى بعض الأحيان للأسباب التالية :

١ — ان اشتغال المراة خارج المنزل ، يقتضى غيابها عن المنزل ، وترك أطفالها ، مما يؤدى الى تناثر أدوارها ، مما يؤثر فى حجم الأسرة المختار .

٢ — يؤدى عمل المراة الى خروجها من العزلة التقليدية ، ويجعلها أكثر ادراكا للتغيرات الاجتماعية ، ويزيد من احتمالات حصولها على معلومات بشأن تنظيم الأسرة ، وكذلك اذكاء طموحها فى تحقيق مستوى معيشى لائق بها ولابنائها عن طريق تحديد حجم أسرتها .

٣ — يؤدى اشتغال المراة وحصولها على دخل خاص بها الى رفع مكانتها داخل الأسرة ، مما يؤدى الى زيادة المساواة بينها وبين زوجها ، ومما يمكنها بالتالى من التأثير على اتجاهات الزوج فيما يختص بحجم الأسرة المرغوب فيه .

ثانيا — القيم الخاصة بالرضاعة الطبيعية :

فى احدى دراسات علم النفس عن الأمومة لدى الحيوان ، وجد أن الحيوانات تقوم بعد فترة الاخصاب وقبل الولادة ببناء الأعشاش لاستقبال الصغار ثم بعد الولادة فى حماية هؤلاء الصغار وارضاعهم (٢٧) .

وتتشابه الأمومة لدى الحيوان مع الأمومة البشرية من حيث اعتماد الوليد على الأم من حيث حصوله على مصدر الغذاء الوحيد الكامل ، والذى يعطيه المناعة ضد العديد من الأمراض وهو اللبن. ولذلك فان الأطباء ينصحون الأم بارضاع طفلها لمدة ٦ أسابيع منذ ولادته على الأقل ، ويرون ان الرضاعة تقلل من احتمالات اصابة الأم بسرطان الثدى ، كما انها تحمى الطفل من احتمالات الاصابة بالاسهال بنسبة خمس مرات عن الطفل الذى يرضع رضاعة صناعية ، كذلك فقد وجد أن أمراض الحساسية فى الأطفال أكثر شيوعا فى الولايات المتحدة بين الأطفال الذين يعتمدون فى تغذيتهم على الحليب المجفف . هذا الى جانب فائدة الرضاعة الطبيعية فى حماية اسنان الطفل من التسوس (٢٨) .

وتشير نادية بدراوى الى أن لبن الأم يحتوى على مجموعة من الأحماض الأمينية التى تمثل قيمة غذائية فريدة بالنسبة للطفل ، وخاصة المـــخ (٢٩) .

كذلك تشير بعض الدراسات التى أجريت فى الولايات المتحـــدة الأمريكية الى وجود علاقة متبادلة بين الرضاعة الطبيعية ومســـتوى الذكاء عند الأطفال حيث وجدوا أن نسبة الذكاء غير العادى ترتفع لدى الأطفال الذين تراوحت مـــدة رضـــاعتهم الطبيعيـــة بين ١٠ ــ ١٥ شهراً (٣٠) .

ولذلك ، فقد أكد القرآن الكريم أهمية استمرار الرضاعة حولين كاملين ، وهو ما أشارت به بعض الدراسات الانثروبولوجية ، من ان المراة من قبائل الهوتنتوت Hotentot فى جنوب أفريقيا على سبيل المثال ، كانت تعمد الى الاجهاض المتكرر خوفا من أن انجاب طفل بعد فترة قصيرة من انجاب الطفل الأول ، سيحرم ذلك الطفل من الرضاعة التى تستمر لمدة ٣ أو ٤ سنوات كما كانت ترى ان حرمان الطفل من الرضاعة هذه المدة يؤدى الى اضعاف بنيته (٣١) .

ورغم أهمية الرضاعة الطبيعية كما رأينا من خـــلال السطـــور السابقة ، الا انه يبدو أن التغيرات البنائية التى طرأت على المجتمع المصرى قد امتدت حتى الى القيم الخاصة برضاعة الأطفال ، حيث يتضح لنا ذلك من خلال ما جاء على لسان الحالة رقم (١) اذ تقول : « ماما وجوزى كانوا مصرين انى أرضع البيبى من صدرى .. انما أنا رفضت بشدة .. كنت خايفه ان صدرى يبوظ .. وعلى العموم أنا ماشيه مع دكتور كويس جداً .. بييجى يشوف البيبى كل اسبوع أو كل ما أكلمه فى التليفون » .

ثالثا ــ القيم الخاصة بالمتابعة الطبية فى مراحل الحمل والولادة :

تعد الولادة من المناسبات السعيدة فى حياة الأسرة ، وتعد المتابعة الطبية أثناء الحمل والتوليد من أهم العوامل الكفيلة بالحفاظ على صحة الأم وكذلك صحـــة الطفـــل .

وتشير منظمة الصحة العالمية الى أن من ٦٦٪ ــ ٨٥٪ من الأسباب المباشرة لوفيات الأمهات ، من الممكن تلافيها فى حالة تمتع المراة بالرعاية الصحية والمتابعة الطبية أثناء فترة الحمل (٣٢) .

كذلك يشير تقرير التنمية البشرية لسنة ١٩٩٤ ، الى أن ٢٠٪ من أسباب وفيات المواليد فى مصر تكون بسبب الاصابات المختلفـــة أثناء الولادة (٣٣) .

وتؤكد نتائج احدى دراساتنا مصداقية ما ذهبت اليه الاحصائيتين سالفتى الذكر ، حيث وجد أن ٧٧٫٢٪ من نساء عينة الدراسة لم يكن يتلقين أى نوع من الاشراف الطبى أو المتابعة الطبية ، عند وفاة آخر طفل لهن ، كما وجد انه كلما ارتفع المستوى التعليمى للأمهات ، كلما ازدادت نسبة التردد بصفة دورية على الطبيب أثناء الحمل ، حيث وجد أن ٧٩٫٥٪ ممن لا يحصلن على أى اشراف طبى أثناء الحمل مـــن النساء الأميات وذوات المستوى التعليمى المنخفض كذلك الأمر ايضا بالنسبة لعملية الولادة ، حيث وجد أنه كلما ارتفع المستوى التعليمى، كلما ارتفع وعى المراة بأهمية الاستعانة بالشخص المؤهـــل لاجـــراء عملية التوليد فقد أشار ٥٧٫٩ من مفردات العينة ممن توفى لهن طفل أو أكثر وكلهن من ذوات المستوى التعليمى المنخفض ، الى أن ولادتهن لآخر طفل توفى لديهن ، تمت على يد قابلة (داية) غير مؤهلة (٣٤) .

وتتجلى مظاهر الطبقية مرة اخرى فى مستوى الرعاية التى تستطيع المراة من الطبقة العليا الحصول عليها خلال مراحل الحمل والولادة ، وذلك من خلال ما جاء على لسان الحالة رقم (١) اذ تقول : « أنا ولدت فى مستشفى .. ! دى اغلى وأحسن مستشفى فى مصر .. بابا كان عاير يسفرنى اولد فى انجلترا .. أهه من ناحية يكون فيه رعاية طبية متميزة .. ومن ناحية تانية ان الولد يكون عنده جنسية انجليزية .. انما حالتى ما كانتش تستحمل السفر .. ولدت فى مصر .. الولادة بالبقاشيش بالمصاريف بتاعة الحضانة اتكلفت حوالى ١٠ آلاف جنيه .. طبعا ده مش كتير .. لأن المستشفى كانت الخدمة فيها ولا فندق خمس نجوم .. والمرضات والتمرجية كانوا حواليه زى النمل طول النهار .. طبعا لأن البقشيش كان عامل ليهم زى السحر .. همه المصريين كده .. ما تاخدش منهم شغل الا اذا كان الواحد ايده فى جيبه على طول » .

وعلى الجانب الآخر تقول الحالة رقم (٢) : « أنا ولدت ابنى الكبير فى البيت .. فيه دكتوره جنبنا ولدتنى .. وكنت باتردد عليهـــا .. وبرضه البنت الوسطانية ولدتها فى البيت .. البنت الصـــغيرة بقى ولدتها فى المستشفى لأنها كانت فى وضع غلط فى الرحم .. ومع أنى اخترت مستشفى صغيرة أولد فيها .. ومع انى دكتوره وجـــوزى دكتور .. انما دفعت دم قلبى .. ما فيش رحـــمه .. كل حاجـــة

بثمنها .. ده حتى كلمة صباح الخير ناقص ياخدوا عليها فلوس .. الله يكون فى عون الناس الغلابة » .

وفى هذا الخصوص أيضا يقول الحالة رقم (١٠) : مراتى ناصحة قوى .. على طول بتعمل جمعيات لأن أنا ايدى مخرومة وما باعرفش أحوش أى حاجة .. أو على الأصح نقدر نقول أن اللى جاى على قد اللى رايح .. ولولا الجمعيات دى ماكناش عرفنا نواجه الظروف اللى ممكن البنى آدم يقابلها .. زى حكاية الصفرا اللى جت لبنتى الصغيرة بعد الولادة .. لولا الجمعيات لا كانت أمها قدرت تولد فى المستشفى .. ولا كنا قدرنا نحط البنت فى الحضانة » .

وهكذا نرى ان المستوى الاجتماعى المرتفع ، والقدرة المادية المتميزة هما جوازى المرور للحصول على الرعاية الطبية اللائقة ، وعلى الاشراف الطبى أثناء التوليد ، وهو ما لا يتيسر للعديد من مفردات المجتمع ، مما جعل من الصحة والمرض بل والموت أنماطا من السلع التى يرجح المستوى الطبقى والاقتصادى كفه واحد منها على الآخر ، خاصة فى ظل انخفاض مستوى الخدمات الصحية الحكومية ، وارتفاع أسعار الخدمات الصحية فى المستشفيات الاستثمارية التى غزت كبريات المدن فى مصر .

الهــوامش

١ ـ هربرت ماركوز ، الانسان ذو البعد الواحد ، ترجمة جورج طرابيش ، منشورات دار الآداب ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٨١ ـ ٨٢ ٠

٢ ـ

William E. Obhurn, Social Change ; Vitiono Press, New York, 1932, pp. 200-210.

٣ ـ محمد شفيق ، الارهاب وعلاقته بالمتغيرات الاجتماعية الاقتصادية ، اكاديمية الشرطة ، القـاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ١٩ ٠

٤ ـ

C. Wright Mills, The Power Elite, Oxford University Press, New York, 1976, p. 283.

٥ ـ سيد ابراهيم على ٠ دراسة اجتماعية لقرية حمالى الجمارك بالاسكندرية معهد العلوم الاجتماعية ، الاسكندرية ، ١٩٥٠ ، ص ١٦١ ٠

٦ ـ محمد الجوهرى ، الانثروبولوجيا ، أسس نظرية وتطبيقات عملية ، دار المعارف ، القاهرة سنة ١٩٨٣ ، ص ٤٨٠ ٠

٧ ـ نفس المرجع ، ص ٣٠٢ ٠

٨ ـ نفس المرجع ، ص ٤٨٤ ٠

٩ ـ نادية رضوان ، تخلف الوعى الصحى ومعوقات التنمية ، دراسة اجتماعيـة ميدانية فى مجال علم الاجتماع الطبى ، مكتبة ايزيس ، سنة ١٩٩٥ ، ص ٢٩٤ ، ص ٢٩٥ ٠

١٠ ـ محمد الجوهرى ، الأنثروبولوجيا ، أسس نظرية وتطبيقـات عمليـة ، مرجـع سابق ، ص ١٣٩ ٠

١١ ـ علياء شكرى ، بعض ملامح التغير الاجتماعى والثقافى فى الوطن العربى ، دراسات ميدانية فى بعض المجتمعـات المحلية فى المملكة العربية السـعودية ، الطبعـة الأولى ، سلسلة علم الأجتمـاع المعـاصر ، القـاهرة ، سنة ٧٩ ، ص ٤٥٨ ٠

١٢ ـ مصطفى الديوانى وآخرون ، أطفالنا ومشاكلهم الصحية ، دار ومكتبـة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص ٦٦ ٠

١٣ ـ قانون العقوبات ، مكتبة دار النشر للجامعـات المصرية ، السنة لم تذكر ، ص ١٤٤ ٠

١٤ ـ نوال السعداوى ، الانثى هى الأصل ، الطبعة الأولى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٤ ، ص ٩٥ ٠

١٥ ـ نادية رضوان ، تخلف الوعى الصحى ومعوقات التنمية ، دراسة اجتماعية ميدانية فى مجال علم الاجتماع الطبى ، مرجع سابق ص ٣١٢ ٠

١٦ ـ محمد الجوهرى ، الانثروبولوجيا ، أسس نظرية وتطبيقات عملية ، مرجع سابق ، ص ٤٧٨ .

١٧ ـ نادية رضوان ، تخلف الوعى الصحى ومعوقات التنمية ، مرجع سابق ، ص ٣١٣ ، ٣١٤ ٠

١٨ ـ محمد عاطف غيث ، القرية المتغيرة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٩٨ ٠

١٩ ـ

Lolagen C. Coombs and Roland Freedman, University of Michigan. Population Studies Center, Reprint No. 171, 1993. p. 17.

٢٠ ـ برتراند راسل ، نحو عالم أفضل ، ترجمة درينى خشبة وعبد الكريم أحمد العالمية للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ١٣٧ ٠

٢١ ـ نفس المرجع ، نفس الصفحة ٠

٢٢ ـ

Leon Chertok and others, Motherhood and personality, Translated by D. Graham, Tavistock Publications, London, 1973, p. 23.

٢٣ ـ

B. Weller, Employment of women : Role in compatibility and Fertility. Milbank Memorial and quaterly. No. 4 October 1966, p. 507-552.

٢٤ ـ وداد سليمان ، العوامل الاجتماعية المؤثرة على خصوبة المرأة العاملة ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٩٨ ٠

٢٥ ـ نفس المرجع ، ص ١٥٤ ـ ص ١٦٢ ٠

٢٦ ـ

Bassam Tibi, Islam and the cultural accommodation of social change, translated by Clare Krojzl, Fredrick A. Praeger, Publisher, 1991, p. 18.

٢٧ ـ عبد الحميد الهاشمى ، المرشد فى علم النفس الاجتماعى ، ديوان المطبوعات ، الجزائر ، سنة ١٩٨٢ ، ص ٣٩ ٠

٢٨ ـ مصطفى الديوانى وآخرون ، اطفالنا ومشاكلهم الصحية ، مرجع سابق ، ص ٢٣ ـ ص ٢٧ ٠

٢٩ ـ نادية بدراوى وآخرون ، الطفل عناية وتربيــة ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ٢١ .

٣٠ ـ مصطفى الديوانى وآخرون ، أطفالنــا ومشــاكلهم الصــحية ، مرجع ســابق ، ص ٣١ .

٣١ ـ Derek Llewellyn Jones., People Population, Faber and Faber Ltd,. London, 1975. p. 274.

٣٢ ـ Ahmed F. El-Sherbini ; Maternal Mortality a community health problem, in proceedings of safe motherhood conference, Esmai, lia, Egypt, 1989, p. 24-25.

٣٣ ـ معهد التخطيط القومى ، تقرير التنمية البشرية ١٩٩٤ ، مطابع الأهــرام التجارية ، القاهرة ، سنة ١٩٩٤ ، ص ٣٦ .

٣٤ ـ نادية رضوان ، رؤية مستقبلية لأمان الأجنـة والأطفال الرضع ، دراســة اجتماعية ميدانية ، مؤتمر « أطفال فى خطر » ، معهد الدراســات العليــا للطفولة ، جامعة عين شمس ، سنة ١٩٩٥ ، ص ٢٢ ـ ٢٣ .

الفصـــــل الثانى

أثر المتغيرات البنائية على المشكلات الأسرية

تمهـــــيد :

بما ان الأسرة تعد وحدة من وحدات المجتمع ، فان مشاكل هذا المجتمع ، لابد وأن تنعكس بالتالى على نسق الاسرة بصورة أو بأخرى . فنحن لا نستطيع أن نفصل هموم الأسرة عن هموم المجتمـع ، حيث لا يمكن عزل الحياة الأسريـة بكافة ابعادهـا عن السـياق الاجتماعى العـام .

ولذلك ، نستطيع القول بأن المشكلات الاسرية ذات الأبعـاد الذاتية والشخصية ، هى تلك التى تعكس أنماط عدم التوافق أو الصراع بين الزوجين ، فيما يختص بحياتهم المشتركة كرجل وامراة ، وكأبوين ، وكزوج وزوجة ، وعلاقتهما باهل كل منهما . وتمتد أيضا لتشمل أيضا المشكلات المتصلة باتجاهاتهما الوالدية ، وميلهم أو عدم ميلهم للانجاب وتحمل مسئولية الأبناء ، وتوزيع الأدوار فيما بينهما ، سواء ما اتصل منها بالقيام بالأعمال المنزلية ، أو رعاية الأطفال أو التنشئة الاجتماعية، أو ما اتصل منها بأدوارهما الاقتصادية ، من حيث نوع المهنة ومستوى الدخل ، وعمل الزوجة من عدمه ، ومكانة كل من الزوج والزوجة فى بناء القوة والسلطة داخل الأسرة ، بل انها تمتد أيضا الى المشكلات الزوجية ، الخاصة بعدم التوافق الجنسى ، والمعاناة من الملل الذى قد يغزو حياة الزوجين فى مرحلة ما بسبب رتابة وقع الحياة ، ومشاعر الغيرة التى قد تأخذ بخناق احد الزوجين أو كليهما ... الخ .

وكما أن هناك بعض المشكلات الأسرية التى ترجع الى عدم التوافق فى نموذج شخصية كل من الزوجين ، والتى ترجع فى الأساس الى عمليات التنشئة الاجتماعية والتطبيع الاجتماعى التى تعرض لها كـل منهما فى طفولته ، وخلال مختلف مراحل حياته ، وكذلك الى اختـلاف ظروفهما وأوضاعهما الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والطبقية ، فان

هناك أيضا بعض المشكلات الأسرية ذات الجذور المجتمعية ، والتى تعد انعكاسا للمشكلات التى يعانى منها واقع المجتمع الخارجى ، خاصة فى مراحل التطور والتغير الاجتماعى .

فقد أدت التغيرات التكنولوجية السريعة المتلاحقة الى تقلص حجم الأسرة ووظائفها ، وازدياد الاحساس بالوحدة نتيجة لاقتلاع الأفراد من أصولهم الاجتماعية والقذف بهم فى عملية كفاح مستمر من اجل النجاح المادى ، ومن أجل اشباع الاحتياجات المادية المتجددة .

ولذلك يختلف الباحثون فى مجال الأسرة ومشكلاتها فى تحديد مصادر الصراع والتوتر فى الأسرة ، ففريق منهم يرى انه يكمن فى نمط الأسرة النووية ، التى أصبحت منعزلة نسبيا عن شبكة العلاقات القرابية والاتصالات الاجتماعية بالأصدقاء ، والعالم الخارجى ، على حين يرى فريق آخر أن مصدر الصراع والتوتر فى الأسرة يكمن فى الواقع الاجتماعى الخارجى ، الذى يقف معاديا للأسرة نتيجة للقيم المادية التى أصبح يؤمن بها أفراد هذا المجتمع .

ويضرب هنرى باومان Henry Bowman ، مثالا بالمجتمع الأمريكى ، ففى ظل هذا المجتمع ، أصبحت الأسرة فى سعى مستمر لاشباع احتياجاتها المادية ، وان اتساع حدة الصراع والتنافس والحراك من أجل تحقيق مستوى معيشى أفضل تكمن ورائها قوة ما أسماها « بالاندفاعية التكنولوجية » ، هذه الاندفاعية هى التى تميز الثقافة المتطورة من الثقافة البدائية ، اذ أن أهم ما يميز الثقافة الأولى هو تركيزها على خلق مزيد من الرغبات لأنه ليس هناك حد لحاجات الفرد ، والفرد فى صراع دائم حتى يستطيع اشباع رغباته . فهذه الاندفاعية جعلت المجتمع ، يبتعد عن قيم العطف والكرم والبساطة والحب التى ينعدم فى ظلها الصراع (١) .

فاذا كان الصراع والمنافسة واتساع نطاق الحرية الفردية والمنفعة الشخصية هى أساس التوتر الأسرى فى المجتمعات الرأسمالية ، فمما لا شك فيه أن الامكانيات المادية المحدودة ، وعدم اشباع الحاجات الضرورية للأفراد فى المجتمع المصرى مثله فى ذلك مثل سائر الدول النامية والمتخلفة هو أساس الصراع الاجتماعى والتوتر الأسرى ، حيث أدت التغيرات البنائية التى طرأت على المجتمع المصرى فى السنوات الأخيرة ، الى افراز مجموعة من المشكلات الاجتماعية ، والتى انعكست بدورها على نسق الأسرة ، مثل مشكلة الاسكان ، وارتفاع معدلات البطالة ، وانخفاض معدلات الدخل ، وتدنى المستوى التعليمى وكذلك

مستوى الخدمات الصحية ، بل ان هذه التغيرات البنائية كانت من بين الأسباب التى شكلت محاور ظاهرة الارهاب ، حيث سيتضح لنا ما جاء فى السطور السابقة من خلال تناولنا للمحاور التالية :

المحور الأول : المشكلات الأسرية ذات الجذور الذاتية والشخصية .
المحور الثانى : المشكلات الأسرية ذات الجذور المجتمعية .

المحور الأول : المشكلات الأسرية ذات الجذور الذاتية والشخصية :

سبق أن ذكرنا أن كينجزلى ديفيز **Kingsley Davis** يرى أن للأسرة اربعة وظائف أساسية هى الوظيفة الجنسية والوظيفة التناسلية ، ووظيفة الرعاية ووظيفة التطبيع الاجتماعى . ويرى أن هذه الوظائف جميعها تعتمد على بعضها البعض ، وأن البناء الاجتماعى يعتمد على مجموع تبادل آثار هذه الوظائف (٢) .

وقد أضاف ميردوك **Merdock** الى هذه الوظائف ، الوظيفة الاقتصادية حيث يستمد الأفراد بقاءهم من نتائج هذه الوظائف ، كما يستمد المجتمع استمراريته (٣) .

اى أن نسق الأسرة بصورته الايجابية ، يعتمد على مدى نجاح الزوجين فى تحقيق وانجاز مجموعة من الوظائف ، مما يعنى أن فشل الأسرة فى انجاز وتحقيق احدى هذه الوظائف ، يكون عاملا من عوامل زعزعة نسق الأسرة وسببا مباشرا فى ظهور وبروز المشكلات الأسرية.

وحيث اننا فى هذا الموقع من الدراسة ، بصدد التعرض للمشكلات الأسرية ذات الجذور والأسباب الذاتية التى ترجع الى الزوجين أنفسهم ، فان ذلك يفرض علينا التناول بالتحليل — من خلال التراث ومن خلال حالات الدراسة — للوظائف الأربعة الأولى ، حيث تمثل فى مجموعها أدوار كل من الزوجين ، فيما يختص بقدرتهم أو عدم قدرتهم ، على التوافق الشخصى (الجنسى والعاطفى) ، وكذلك مدى قدرتهم على القيام بأدوارهم التناسلية ، من حيث القدرة على الانجاب أو عدم القدرة عليه ، وأيضا على مستوى أدائهم لدورهم الخاص برعاية الأبناء منذ لحظة الولادة — ككائنات حية — فى حاجة الى الدفء والغذاء والرعاية الصحية والحماية ، وفى نهاية الأمر ، قدرتهم أو عدم قدرتهم على انجاز دورهم الخاص بتحويل الكائن الحى (الوليد) الى كائن بشرى ، عن طريق عمليات التربية والتنشئة الاجتماعية والتطبيع الاجتماعى ، ونقل ثقافة المجتمع اليه فى كافة مراحله العمرية ، باعتبار أن هذا الدور الأخير هو الذى يحدد نموذج ونسق شخصية الفرد ،

وهو الذى يساعد الطفل منذ أيامه الأولى على أن يضع قدميه على أولى درجات سلم التوافق النفسى والاجتماعى ، الذى يؤهله ويعده لمواجهة العالم الخارجى والتعامل مع الآخرين فى كافة مراحل حياته المقبلة .

وعلى ذلك ، فاننا سنقوم فى هذا المحور من الدراسة باستعراض العوامل التى تعوق الزوجين عن أداء أدوارهما ووظائفهما من خلال ما يلى :

أولا — المشكلات الخاصة بالاتجاهات الوالدية :

يشير باومان **Bowman** الى ان هناك مجموعة من الأسباب أو الدوافع التى تدفع الناس الى الزواج ، ومن بين هذه الأسباب انجاب الأطفال (٤) مما يعنى أن الوالدية **Parenthhood** يكون لها أثر كبير على توافق الزوجين النفسى من جهة ، كما يكون لها أثر كبير على نمو الأطفال الاجتماعى من جهة أخرى .

ولكننا نجد أنه فى بعض الأحيان يكون اتجاه الوالدين أو أحدهما اتجاها سلبيا حيال الانجاب ، اذ تكون مسئولية الوالدية مسئولية لا طاقة لهما باحتمالها ويظهر هذا الاتجاه بوضوح عند ميلاد الطفل الأول ، اذا كان هذا الميلاد غير مخطط له أو غير مرغوب فيه ، أو أن يكون قد حدث عن طريق الخطأ رغم استخدام بعض الوسائل لتأجيل الانجاب ، حيث يعد الانجاب هنا قيدا للزوجين ، واحباطا لهما عن تحقيق بعض رغباتهما التى يكون لها الأولوية من وجهة نظرهم . فقد يجىء الطفل الأول فى بعض الأحيان ، عندما تكون الحياة الزوجية ما زالت تحت التجربة والاختبار ، وهو ما يتضح من خلال ما جاء على لسان الحالة رقم (٧) : « احنا مأجلين موضوع الخلفة شويه .. طبعا ده بناء على اتفاقنا مع بعض .. هيه شايفه ان تأجيل الحمل فرصة اننا نعرف بعض أكثر ، ونفهم بعض أكثر .. ونستمتع بحياتنا بدون مسئوليات » .

ان العناية بالطفل كما يذهب د. سبوك تتطلب قدراً كبيراً من الجهد الشاق من حيث اعداد وجبات الطعام وغسل الملابس الداخلية والخارجية وترتيب لما يحدثه الطفل من الفوضى فى المنزل ، ووقف المشاجرات ، ومسح الدموع والاصغاء لقصص يصعب فهمها ، ومشاركتهم فى العابهم ، ومرافقتهم الى حدائق الحيوان ، والمتاحف ، الى جانب تقديم المساعدات لاداء الواجبات الدراسية المنزلية . ثم أن

احتياجات الأطفال تستنزف قدراً كبيراً من ميزانية الأسرة ، سواء كان ذلك على شكل استئجار منزل أكبر ، أو ابتياع أحذية يبلونها بسرعة أو تصغر على أقدامهم قبل أن تبلى ... الخ . وفوق ذلك كله كثيراً ما يحرم الآباء والأمهات أنفسهم من الحفلات والرحلات والاجتماع بالأصدقاء ، وعلى الرغم من ذلك كله ، فالآباء يؤثرون انجاب الأطفال على الرغم مما يكبدهم ذلك من فقدان لقدر كبير من حريتهم .

وتمثل الوالدية أهمية كبرى فى حياة الأسرة فى المجتمعات التقليدية، بصورة تفوق مثيلاتها لدى الأسرة الغربية ، حيث نجد أن هناك اتجاها متزايدا لدى العديد من الأسر فى العديد من الدول الأوربية والأمريكية الى عدم الانجاب على الاطلاق ، حيث يرجع ذلك الى الاتجاهات المادية المتزايدة نتيجة التغيرات التكنولوجية السريعة والمتلاحقة ، والرغبة فى الاستمتاع بكافة أنواع المتع المادية ، التى تحول مسئولية الأطفال الاقتصادية والتربوية دون التمتع بها . بل قد بلغ الأمر فى بعض هذه الدول الى امتناع بعض الأفراد عن الزواج بداية . حيث أتاحت الحرية الفردية فرصة ممارسة العلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج (٥) .

وقد بلغت هذه الحرية الفردية الى حد الاعتراف بالمرأة غير المتزوجة ، التى تقوم برعاية أبنائها غير الشرعيين ، بوصفها كيانا أسريا متكاملا ، مقبولا اجتماعيا ، وكذلك قانونيا ، حيث تقدم لها الدولة ولابنائها خدمات متميزة مجانية فى مجال التعليم والصحة .... الخ .

واذا عدنا للحديث عن الاتجاهات الوالدية ، فاننا نجد أن شكل هذه الاتجاهات يأخذ أبعاداً تختلف باختلاف تجربتهم مع الطفل الأول ، أو الطفل الوحيد ، وذلك على النحو التالى :

١ ـ الطفل الأول (البكر) :

قام لوماسترس Lemasters باحدى الدراسات على مجموعة من الأزواج ، عددها ٤٦ زوجا عن موقفهم من ولدهم الأول ، وكان هؤلاء الأزواج يحيون حياة زوجية سعيدة ، وقد تزوجوا عن حب ، وارتقبوا بسرور ولادة طفلهم البكر ، وبالرغم من ذلك أجاب ٣٨ زوج أى بنسبة ٨٣٪ منهم ، انه كان عليهم اجتياز أزمة ثقيلة ، قبل أن يعتادوا على وجود الطفل .

وقد أشار الآباء الى انهم لم يستطيعوا استساغة دورهم الجديد كجزء من الوالدية .

اما بالنسبة للأمهات ، فهن يتقبلن دورهن الجديد بسهولة ، لأنه قد اتيح لهن التهيؤ لذلك على مدار تسعة أشهر وهى مدة أشهر الحمل، وعندما يضعن الأطفـــال فى أحضانهن يشعرن بالحنان ، الذى يثيبهن على ما تحملن من آلام مبرحة أثناء الولادة .

ومع هذا فقد شكت الأمهات ، من أن وجود الطفل سبب لهن قلة الاتصال بالاصدقاء ، وأفقدهن اعمالا كانت تدر عليهن الدخل ، كمـــا قلل من جمال اجسادهن ومن مفاتنها الأنثوية (٦) .

ويتفق ذلك مع ما جاء على لسان حالة الدراسة رقم (١) ، اذ تقول : « أنا مش عايزه اخلف تانى .. كفاية عليه ابن واحـــد .. يادوب اقدر اخلى بالى منه .. ده بياخد منى وقت كبير جداً .. لسه لما يروح المدرسة .. حاجيب له وقت منين .. وبعدين أنا تخنت بعد الولادة .. واضطريت أعمل عملية شفط .. مش عايزه جسمى يبوظ تانى .. جوزى نفسه يكون عنده ٣ او ٤ أولاد .. بيقول ان اخواته كانوا تسعة .. وانه بيحب العيلة الكبيرة » .

ويقول الحالة رقم (٦) وهو أب لطفل وحيد « حياتى أنا ومراتى اختلفت من ساعة ما خلفنا .. تقريبا نسينا كل المتع اللى ممكن تتعارض مع مصلحة ابننا » .

٢ ــ الطفـــل الوحيـــد :

يحدث أحيانا ان يكون فى الأسرة طفل وحيد . ان دراسة سلوك الطفل الوحيد ، تلقى ضوءاً على مقدار ما يكتسبه الطفل الذى يعيش فى أسرة فيها قرناء له ، وعن طريق المقارنة يتبين الدور الذى يقوم به التفاعل بين الأخوة فى تكوين شخصية الأطفال وفى نموهم والمشكلات التى تنجم عن وجود طفل بمفرده فى محيط الأسرة .

وقد اتفق الباحثون ، على أن الطفل الوحيد ، يعتبر طفلا مشكلا فى ناحية أو أكثر ، ونستطيع أن نلخص هنا أهم المشكلات المترتبة على ذلك فيما يلى :

١ ــ يكون الطفل ذاتى المركز Egocenteric ، عنيدا ، صلبا .

٢ ــ يكون حساسا ، ميالا الى العزلة ، مترددا ، كثير الاعتماد على والديه .

وقد خرجت دراسة بوهانن Bohannon التى أجريت على ٤٨١

طفلا وحيداً نتيجة مؤداها ، أن غالبية هؤلاء الأطفال كانوا أقل من المتوسط فى الحيوية ، وفى الناحية الصحية ، كما انهم يعانون الكثير من الأمراض النفسية ، وكانوا غير مواظبين على الذهاب الى المدرسة وقدرتهم على التحصيل المدرسى اقل من المستوى العادى ، كما كانوا فى جملتهم أنانيين ، غير ميالين الى الاختلاط أو العمل مع الجماعة . وقد اضاف نيل Neil فى بحث آخر له آن الطفل الوحيد يكون غيورا ، ميالا الى الاعتداء والمشاجرة والسيطرة كما أضاف فنتن Fenton فى بحث ثالث الى انهم يتصفون بعدم الطاعة ، وعدم الاختلاط ، وعدم الرغبة فى ان يكونوا قادة ، والميل الى الاعتداء (٧) .

ورغم وجاهة ما ذهبت اليه نتائج الدراسات السابقة ، الا أن ما سبق الاشارة اليه من خصائص سلبية يتسم بها الطفل الوحيد ، لا تمثل قاعدة عامة وانما قد تنشأ فى ظل ظروف تربوية معينة تتمثل فيما يلى :

(أ) الا يتاح للطفل الوحيد فرصة الاختلاط بغيره من الأطفال فى محيطه، سواء أكان ذلك الاختلاط فى الأسرة نفسها أم خارج محيط الأسرة.

(ب) ان يحاط نمو الطفل الانفعالى ، بسياج يحول بينه وبين النمو الطبيعى او حسبما يقول علماء التحليل النفسى ، عندما يثبت الطفل عند المرحلة الاوديبية (مرحلة الارتباط بالأم) .

(جـ) أن يكون الوالدين شديدى القلق على الابن ، ويهتمون به بصورة أكثر من اللازم ، حيث يحدث ذلك فى حالات الانجاب المتأخر أو بعد فترة طويلة من العقم ، وكذلك عندما لا يكون هناك احتمالا للحصول على أبناء آخرين .

٣ ـ العقم :

تفرض طبيعة المجتمع المصرى بسماته وخصائصه الثقافية والعقائدية المتميزة ، أن يكون الانجاب من اهم القيم فى حياة الأسرة المصرية ، ولذلك فان استقرار الحياة الزوجية واستمرارها يكون رهينا معظم الوقت بحدوث الحمل فى أقرب وقت ممكن بعد الزواج . حيث يعد الانجاب رمزا للمكانة سواء بالنسبة للأم أو الأب ، كما يعد تخليدا لاسم الأسرة ، بالاضافة الى العديد من الاعتبارات الأخرى الاجتماعية والاقتصادية .

وقد يكون العقم من جانب الزوجة احيانا ، كما قد يكون من جانب الزوج فى احيان اخرى ، الا انه يعد شيئا معيبا بالنسبة للمراة اكثر منه بالنسبة للرجل ، حيث يعزى العقم دائما للمراة ، ولا يثبت عقم الرجل (خاصة فى الريف والطبقات الدنيا) الا اذا تزوج أكثر من مرة ولم ينجب.

وحيث أن المرأة لا تستكمل نضوجها النفسى والانثوى الا من خلال قدرتها على الانجاب ، فان العقم يكون أكثر وطأة عليها مقارنة بالرجل ، وتحت وطأة شعور المرأة العاقر بالقهر والعجز ، فانها تسـعى الى مواجهة هذا الشعور بالنكوص الى المستويات الخرافية ، والقـوى الغيبية ، والتمسك بالخرافات والشعوذة كمحاولة منها لقهر هذا القهر الذى تمارسه عليها ميكانزمات التخلف الاجتماعى ، والممثل فى قهـر الزوج ــ الذى يتهدد حياتها معه ، احتمال اتخاذه لزوجة أخرى بهدف الانجاب ــ وقهر اهل الزوج ، وقهر أهلها انفسهم ، وقهر الأصدقاء والأقارب والجيران ، وذلك من خلال نظرتهم الى المرأة العاقر كشبيـه امراة ، وليست كاملة الانوثة .

وحول العقم تقول الحالة رقم (٣) * : « فقدت الثقة فى انى اقدر ابتدى حياة خاصة جديدة كويسة مع راجل تانى وانا فى السن ده ، خصوصا وانا مش باخلف .. هوه مش مهتم بحكاية الخلف .. انمـا بالنسبة ليه .. دى هيه عقدة حياتى .. حاسة ان ناقصنى اهم واكبر حاجة فى الدنيا .. ثقتى فى نفسى بقت مهزوزة .. حاسة انى ما اساويش حاجة .

اول ما رجع جوزى لمراته الأولانية .. حسيت بامتهان جامد جدا لكرامتى حسيت انى انشرخت من جوايـا .. عملته دى خلتنى احس انى بقيت نص ست .. وبعدما يأست من انى اخلف وابـقى أم .. حسيت انى فقدت نصى التانى .. وبقيت ولا حاجة .

الدكاترة حاولت كثير فى حكاية الخلف .. مافيش قدامى دلوقتى الا انى اجرب حكاية أطفال الأنابيب .. انما انا بقالى سنه وانا باعمل محاولات فى اتجاه تانى خالص .. باروح للمشايخ .. وبتوع الجن .. وكل ما افشل مع واحد اسيبه واروح لغيره .. صرفت فى الحاجات دى الوفات .. انما ما فيش نتيجة .. اللى يقولى ان معمول له عمل .. واللى يقول ان فيه سحر .. واللى يقول ان فيه مس شيطانى .. حاجات كتير قوى مش عارفه اصدق منها ايه واكذب ايه .. انما اللى انا واثقه

(*) تعانى الحالة من مشكلات زوجية بسبب عودة زوجها الى زوجتـه الاولى .

منه ، ان الأذيه اللى انا فيها دى من مراته الأولانية .. اكيد هيه عامله لى عمل عشان ترجعه ليها .. وكمان عشان تأذينى بعدم الخلفة » .

وهكذا نرى ان المراة تحت وطأة العجز عن تحقيق أمومتها .. وعدم قدرة التكنولوجيا الطبية الحديثة عن ايجاد الحلول الحاسمة لعلاج العقم ، فانها تنكص الى الخرافة والغيبيات ، بوصفها الحيل الدفاعية التى تدافع بها المراة عن عجزها وفشلها فى أن تكون امرأة خصبة وقادرة على الانجاب * .

٤ ــ الغيرة من الابناء :

قد يحدث بعد ميلاد الطفل ، أن يصبح الطفل فى نظر أحد الوالدين ــ وخاصة الأم ــ مركز انتباهها ، وهو اذ ذاك يكون بمثابة المحور الذى تتركز حوله كل اهتماماتها ، وهكذا تتحول حياتها العائلية وحبها، من الزوج الى الطفل ، وهنا تدب الغيرة فى نفس الأب ، ويبدأ النزاع بين الزوجين على اساس ان الزوجة تهمل واجبات الزوج .

وقد يحدث فى حالات أخرى أن يلعب الأب ذلك الدور ، فيهمل الأم وتفتر العلاقة بينهما ، حيث يحول الأب حبه كله نحو الطفل (٨) .

وقد أشار لوماسترز Lemasters فى احدى دراساته الى أن مفردات العينة من الآباء يرون أن ولادة الطفل الأول احدثت تغييراً وتبديلا كليا فى حياة الحب ، حيث يشعرون ان مزاحمة الطفل لهم عند شريكة الحياة قد ابعدتها عنهم ، ويرجع ذلك الى أن الأمهات يتهيأن خلال مرحلة الحمل والولادة للقيام بأدوارهن تجاه الوليد ، أما الأب فانه يقف بعيدا ، فقد شارك فى انجاب الطفل فى فصل واحد من فصول الحب وليس له بعد ذلك اى دور فى نموه وتكوينه فى الأسابيع الأولى (٩) .

ان جمود الأب وتزمته قد يزداد حدة عندما يشعر أن زوجته تجامل الابن على حساب أحاسيس الأب ، وتأخذ جانب الابن ضد الأب ، ومن المحتمل أيضا ان يحس الزوج بالغيرة من ابنه ، اذا كان هذا الزوج قد عاش طفولة غير آمنة ، طفولة دائمة القلق . وأحيانا يكون الزوج قد عاش طفولة شقية لأن أمه كانت تفضل أخاه عليه . وأحيانا يكون الزوج قد تزوج زوجته رغم ارادتها ، وتعيش فى أحاسيس كراهية دفينة لهذا الزوج ، ولذلك فهى تحاول أن تعوض فشلها فى حب الزوج بمزيد من الحب للابن ، وتحاول لا شعوريا أيضا ان تدعم علاقتها

بالابن ، فتثير غيرة الأب ، وتزيد كمية المعارك بينها وبين الزوج ، وبين الزوج وبين الابن (١٠) .

وعندما تحاول الأم ان تعوض الابن بالحنان عن تزمت أبيه ، فان حنان الأم ، يصبح موضع شبهة فى نظر الأب ، حيث أن الأم تفسد ابنه بالتدليل لذلك يتمادى الأب فى التزمت والعنف ، وتصبح محاولات الأم تعويض الابن بالحنان عن تزمت الأب كالقاء البنزين على النار ، انها تزيد من العداء بين الأب والابن .

ولذلك فانه من المفيد فى أمثال هذه الحالات ، ان تمتنع الأم عن الدفاع عن الابن ، عندما يقوم الأب بتوجيه اللوم اليه ، حيث يمكن للأب والابن ان يقيما علاقة أكثر توافقا فى حالة غياب الأم عن الصورة ، وكذلك فان محاولة الأم اظهار تفهمها لمشاعر الأب ، وأنها تقدر وتحترم فيه خوفه على الابن فان هذا يقلل من أوهام الأب ويخفض نسبة قلقه وغيرته .

ثانيا — المشكلات الخاصة بالتوتر والصراع داخل الأسرة :

لا يستطيع نسق الأسرة مثله فى ذلك مثل الانساق الاجتماعية الأخرى أن يقوم بوظيفته على خير وجه الا من خلال التفاعل الكامل بين كل من الزوج والزوجة ، وذلك على أساس أن كلا منهما يمثل مركزا أو مكانة متمايزة عن الأخرى ويؤدى كل منها دوراً متمايزاً عن الآخر .

لذلك ، فان المشكلات التى تواجهها الأسرة ، مثل مشكلة التكيف ، ومشكلة تحقيق الهدف ، ومشكلة التكامل ، ومشكلة خفض التوتر ، وهى المشكلات التى قد تنتهى بالأسرة الى التفكك ، وهى فى نفس الوقت المشكلات الأربع الأساسية التى يواجهها النسق الاجتماعى لكى يستمر فى البقاء ، تعد المظاهر الأساسية للمشكلات الأسرية بكل أنماطها ، والتى نستطيع التعرض لها من خلال الآتى :

١ — مكانة المرأة وموقعها فى بناء السلطة :

يتحدد وضع المرأة ودورها فى أى مجتمع ، وفقا للمعايير الثقافية السائدة فيه ، حيث تتحدد هذه المعايير من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية ، والتى تدعم مكانة المرأة من خلال مساواتها بالرجل فى المشاركة الكاملة فى قضايا المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والتربوية والسياسية ، ولذلك ، فقد تعرضت مكانة المرأة للعديد من أوجه التغير على مدار التاريخ ، حيث يتضح لنا ذلك من خلال ما يلى :

(أ) مرحلة ازدهار مكانة المرأة تاريخيا :

يذهب البعض ، الى ان حواء هى التى أخرجت آدم من الجنة ، كما يذهب البعض ايضا ، الى أن المرأة كانت وراء مقتل هابيل على يد أخيه قابيل ولذلك فقد حاول الرجل منذ بداية المرحلة الأبوية أن يلقى تبعة خروجه من الجنة على كاهل المرأة ، فاستلب منها شيئا فشيئا سلطتها ومكانتها ، وأخذ يؤكد على تهمشها وتدنى مكانتها .

ويعد تناول تاريخ المرأة الاجتماعى عبر العصور الماضية من أشق الأمور على المهتمين بقضايا المرأة ، وذلك لأن التاريخ كما يذهب البعض « تاريخ الرجل ، أما المرأة فقد توارت خلفه » .

ورغم انه من الشائع أن التاريخ يصنعه الرجال ، الا أنه على مدار التاريخ كان للمرأة دائما دوراً سافراً أحياناً ، ومستترا فى أحيان أخرى فى صياغة التاريخ وتطور المجتمعات الانسانية .

فيذهب بعض العلماء ، الى أن نظام القرابة فى المجتمعات الانسانية فى العصور السحيقة ، كان يتبع النظـام الأمى ، أى كان الأطفـال يتبعون أمهاتهم ، وكانت الكلمة العليا للأم ، ويعزون السبب فى ذلك ، الى أن المرأة قد جذبت الرجال اليها منذ العصور السحيقة تحت تأثير الغريزة الجنسية وكانت تتحكم فيهم وتفضل شخصـا على شخص آخر . ومن هنا ، اتت سيطرتها ورئاستها للأسرة ، ولكن بعضهم الآخر يذهب الى أن الرجل فى المجتمعات الأولى ، كان رئيس الأسرة ، لأنه اقوى من المرأة ، ويقوم بالأعمال الهامة ، ولم تظهر الأسرة الأمومية ، الا عندما بدأ الانسان يرتحل وراء الكلاء ، ويترك الزراعة للمرأة لأنها تستطيع تحملها ، حيث لا تحتاج الزراعة لسفر شاق كالصيد والرعى ، وحينئذ ظهرت أهمية المرأة بالنسبة للأولاد لبعد ابيهم ، ولأنه لا يأتى الا كل مدة الى المنزل ، اذ يقضى حياته متنقلا وراء الماشية والكلأ (١١) .

وقد اتفق علماء التاريخ ، على أن مكانة المرأة المصرية القديمة كانت كمكانة الزوج ، كما كانت مكانة الابنة كالابن ، وكانت المرأة لها مكانتها ، سواء أكانت أما أم لا ، فالكرامة كانت للمرأة بحكم كونهـا امرأة . وكانت الزوجة فى التاريخ المصرى القديم ، شريكة الرجل فى نواحى حياته الدنيوية ، بل كان الزوج ينتسب الى زوجته ، كما ينتسب الأبناء اليها ايضا .

وتشير رسوم المقابر الى أن الحياة العائلية فى مصر الفرعونية ، قد بلغت أقصى ما ينتظر لها من كمال ، فالمرأة هى زوج الرجل أو شريكته

فى الحياة ، لها ماله ، وعليها ما عليه من حقوق . وليس فيما صور المصريون من نواحى حياتهم ، ما يشير الى هضم حقوق المرأة ، أو الغض من قيمتها (١٢) .

ويشير المؤرخون الى أن المرأة فى العصر الجاهلى ، كانت هى التى تختار زوجها ، وتحادثه فى أمر الزواج . وكان الأطفال ينسبون الى الأم فى بعض القبائل .

وكان نظام القرابة فى تلك القبائل ، يقوم على أساس الأم لا الأب ، وتبقى المرأة بعد زواجها فرداً فى عشيرتها ، وينتقل زوجها للعيش معها، وكان لها الحق فى اختيار زوجها أو تطليقه .

وقد كتب أبو فرج الاصفهانى فى كتابه الأغانى يقول : « والبدويات منهن حين يطلقن أزواجهن ، يحولن خيامهن ان كانت الى الشرق فالى الغرب ، وان كانت الى الجنوب فالى الشمال . وكان الطلاق يتم بمجرد أن تحول المرأة باب خيمتها أما فى المدن ، فلم يكن للمرأة حقوق نساء البادية » (١٣) .

(ب) مرحلة تدنى مكانة المرأة :

يقول حسن ظاظا ، ان « الرجل » ، هذا المخلوق القوى الخشن ، هو الذى صنع النظام الاجتماعى فى قديم الزمان قوة واقتداراً ، وجعل الأصل فيه التذكير ، ثم جاء التأنيث شيئاً فشيئاً ، ومع ذلك ، فقد بقيت بصمات الرجل على كل شىء ، على المجتمع ، وعلى المال وعلى الشرائع والقوانين . ولذلك ، فلا عجب اذا وجدنا اليهودى ، وهو انسان لم تتخلص عقليته بعد من البدائية غير المستنيرة ، يحمد الله وهو يصلى بين يديه ، على انه قد خلقه رجلا ، ويوجب على المرأة فى هذه الفقرة ان تقرأ ايضا ، محوراً صنعه الرجل من أجلها ، تحمد فيه الله الذى خلقها حسب ارادته التى لا راد لها (١٤) .

وقد قطع الدين اليهودى شوطا كبيراً فى الحط من قدر المرأة فى مجتمعهم ، فالزوج يرث الزوجة ، والزوجة لا ترث الزوج ، والذكور يرثون الأب ، والاناث لا يرثون الأب ما دام هناك أخوة من الذكور . بل لقد جاء فى التلمود « ان كل من يأخذ بنصيحة زوجته مثواه جهنم » (١٥) .

ويشير شكرى النجار ، الى انه قد ساد الاعتقاد لقرون طويلة ، بأن المرأة ، ادنى منزلة من الرجل ، لأن « عضلاتها اضعف نموا من

الرجل » ولأن تكوينها الجسدى له دخل كبير فى تحديد نوع العمل الذى يمكن ان تمارسه وبالتالى فى تحديد المكانة الاجتماعية التى تشغلها . وكذلك كان القتال المتواصل واضطلاع الرجل بالحرب والاغـارة ، وابتعاد المرأة عن ذلك النشاط العسكرى ، من الأسبـاب التى أدت أيضا الى تدهور منزلتها الاجتماعية . كذلك فقـد أدى الى تدهـور مكانتها ، قيامها بالأعمال التى يترفع عنها الرجل (١٦) .

وقد بلغ من تدنى مكانة المرأة فى الديانة الهندوسية ، أنه وفقـا لشريعة منو — أول من خلق من البشر حسب معتقداتهم — فان الزوجة والابن والعبد اعتبرهم القانون غير أهل لتملك أى شىء بأنفسهم ، كل ما قد يكسبونه هو ملك لمن يتبعونه (١٧) .

كذلك الحال فيما يتعلق باختيار اقامة الزوجين ، ففى ظل الشرائع القديمة ، كان يحق للزوج بمفرده أن يحدد المكان الذى تقيم فيه الأسرة، وكان على الزوجة أن تلحق به فى هذا المكان (١٨) .

ويشير برتراند راسل الى أن نظمنا كلها ترجع الى مصدر تاريخى واحد هو (السلطة) ، فالسلطان المطلق الذى كان يتمتع به الحاكم الشرقى المستبد كان يقابله من الناحية المدنية الاله الواحد الذى لا حد لقدرته والذى كان تمجيده هو غاية ما يهدف اليه الناس ، والذى لا حق لانسان قبله .

وقد آل هذا السلطان الى الامبراطور والبابا ، والى ملوك العصور الوسطى ، والى نبلاء النظام الاقطاعى ، بل الى كل أب وزوج فى علاقته مع أولاده وزوجته . وتجسد السلطان الالهى فى سلطان الكنيسة ، وقامت الدولة والقانون على سلطة الملك ، ونشأت الملكية الفردية فى الأراضى من سلطة سادة الاقطاع المنتصرين ، وتحكمت فى الأسرة سلطة رب العائلة الذى منحته القوانين الرومانية مختلف الحقوق (١٩) .

وقد كانت النتيجة الطبيعية للتطور الاقتصادى والاجتماعى الاتجاه نحو تمجيد الرجل على حساب المرأة . فلم يتوان الفلاسفة والحكمـاء والفقهاء وغيرهم عن حث الرجل على فرض سيطرته على المرأة وحث المرأة على الخضوع لزوجها خضوعا مطلقا . فمنو يحدد واجب الزوجة نحو زوجها فيقول « ويجب على المرأة الفاضلة أن تقدس زوجها على الدوام كرب ، وان كان فاسد السيرة عاطلا من الصفات الحميدة منهمكة فى ضروب الملذات » . ويلخص كونفوشيوس واجبات المرأة فيما يعرف بالطاعات الثلاث « طاعتها لأبيها فى صغرها وطاعتها لزوجهـا أثناء

زواجها وطاعتها لابنها عند ترملها » ، ويرى القديس بولس « ان الرجل لم يشتق من المراة وانما المراة من الرجل . ولن الرجل لم يخلق من اجل المراة وانما المراة من اجل الرجل ، وكما ان الكنيسة خاضعة للمسيح فكذا ينبغى أن تخضع النساء فى كل شىء لأزواجهن » . ويبرر القديس امبرواز خضوع المراة للرجل بقوله « لقد سبق آدم الى الخطيئة بواسطة حواء لا حواء بواسطة آدم . فمن ساقته المراة الى الخطيئة من العدل أن تتقبله كسيد » .

وفى المجتمعات المدنية القديمة تفقد المراة أهميتها الاقتصادية ويصبح الرجل كاسب القوت الوحيد فى الأسرة . فهو الذى يمارس التجارة او يباشر الحرف أو يصلح الأرض . اما المراة فينكمش نشاطها وينحصر دورها فى الأعمال المنزلية . ويستتبع انتشار الرق اعفاء المراة فى الطبقات الموسرة من القيام بالأعمال الخارجية بل حتى من القيام بالأعمال المنزلية . وتصبح المراة فى هذه الطبقات اداة لتسلية الرجل ومصدراً لمتعته ووسيلة للحصول على ذرية شرعية . ويؤدى ذلك مع الزمن الى الحد من حريتها وتضييق الخناق عليها . ففى كثير من بلاد الحضارات القديمة فرض الحجاب على النساء الحرائر والزمن القعود فى البيت وعدم الخروج منه الا لضرورة . وبذا ازدادت حدة الفوارق بين الجنسين . فالرجل يخرج الى الحياة العريضة يكتسب معرفة ويزداد خبرة ، أما المراة فتبقى قعيدة البيت فيضيق أفقها وتسوء طباعها ، ولعل هذا هو ما يفسر الأقوال الشائعة عن المراة فى هذه المجتمعات القديمة والتى تكشف عن سوء الرأى فيها .

فلدى الاغريق يقول فيثاغورس : « هناك عنصر خير خلق النظام والنور والرجل وعنصر شرير خلق الفوضى والظلمات والمراة » . وكان ارسطو يرى أن المراة انما هى امراة بسبب نقص فيها وانها ينبغى أن تعيش محبوسة فى دارها وخاضعة للرجل » . وفى الهند يقول منو : « جعل الخالق قسمة النساء فى حبهن لفراشهن ومقعدهن وزينتهن وفى هواهن وغضبهن وسوء ميولهن » . وفى اليابان نقرأ فى أحد كتبهم القديمة أن « بعقل الانثى خمسة أمراض : العصيان والغضب والميل الى الافتراء والغيرة وقلة الفهم . فسبع أو ثمان من كل عشرة نسوة يقاسين من هذه النقائص . وهذا هو السبب فى أن النساء أدنى من الرجال وقلة الفهم هى بخاصة أصل هذه النقائص (٢٠) .

لقد كان المثل الأعلى للزواج فى الماضى يقوم على سلطة الزوج ، هذه السلطة التى كانت الزوجة تعترف بها كحق عليها لزوجها ، فكان الزوج حراً ، أما الزوجة فكانت مستعبدة باختيارها ، وكان من المسلم

به ، فى جميع الأمور التى تهم الزوج والزوجة على السواء ، أن يكون حكم الزوج هو الحكم النهائى . وكان على الزوجة أن تكون وفية ، بينما لم يكن على الزوج ، اللهم الا فى المجتمعات الشديدة التدين ، الا أن يلقى حجابا من الحشمة على خياناته . ولم يكن تحديد النسل ممكنا الا بوسيلة ضبط الشهوات ، ولم يكن للزوجة حق معترف به فى المطالبة بضبط الشهوة ، مهما تكن قد قاست من كثرة الأبناء .

وطالما كانت سلطة الزوج عقيدة يؤمن بها الرجال والنساء على السواء . بحيث لا تقبل المناقشة ، وكان هذا النظام مرضيا ، وان لم يكن كل الرضا فقد كان يتيح لكل من الطرفين قدرا معينا من حاجتهما الغريزية ، لا يمكن تحقيقها عند المتعلمين فى الوقت الحاضر الا نادراً . فارادة الزوج وحدها هى ما كان يجب أن يقام له وزن ، ولم يكن ثمة حاجة الى هذه التنظيمات العسيرة التى نحتاج اليها حينما لا يكون بد من الوصول الى قرارات مشتركة يتفق عليها طرفان متكافئان ، ولم تكن رغبات الزوجة تؤخذ بنظرة الجد الى الدرجة التى تجعلها تتعارض وحاجيات الزوج ، ولم تكن الزوجة نفسها ، ما لم تكن أنانية مغالية فى أنانيتها ، لتهتم بتطورها النفسانى ، ولم تكن ترى فى الزواج شيئاً الا انه طائفة من الواجبات ، ولأنها لم تكن تهتم بالسعادة أو تنتظر قدراً كبيراً منها ، كان ما تقاسيه أقل مما تقاسيه الزوجة فى زمننا هذا اذا لم تتحقق سعادتها ، لقد كان ما تقاسيه خاليا من أى عنصر من عناصر السخط أو المفاجأة ، ولم يكن يتحول بسهولة فيكون مرارة أو شعوراً بالضرر (٢١) .

(جـ) مكانة المرأة فى الاسـلام :

كان المصريون القدماء ، يعتقدون ان الأرض والسماء كانتا زوجين من ذكر وانثى ، ثم ولد لهذين الزوجين ابنان ، هما اوزوريس الـه الخير ، وست اله الشر ، وبنتان هما ايزيس ونفتيس (٢٢) .

أى أن المساواة بين الرجل والمرأة قد ظهرت فى أقدم المعتقـدات الدينية ممثلة فى كون الأرض والسماء زوجين من ذكر وانثى ، وكأنما تقاسم كلاهما العالم بأسره ، سمائه وأرضه .

وقد جاء القرآن الكريم خاليا من تلك المزاعم التى تذهب الى تدنى وضع المرأة بسبب غوايتها لآدم عليه السلام بالأكل من الشجرة التى حرمها الله عليهما . وتقطع نصوص القرآن بأن الأمر الالهى كان موجها الى آدم وحواء على السواء .

يقول تعالى : « ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة ، فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووری عنهما من سوءاتهما ، وقال : ما نهاكما وبكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين » .

ثم كانت التوبة منهما معا « قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » (٢٣) .

وفى سورة البقرة : « فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه » (٢٤) .

وتشير بعض الكتابات ، الى انه لا يوجد فى شريعة الاسلام نص أو اثر يشير اية اشارة الى ما تضمنته بعض المذاهب والأديان التى افترت عليه الكذب وادعت ان المرأة مخلوق شيطانى أو نجس ، حيث يتضح ذلك من قول الرسول عليه السلام : « النساء شقائق الرجال » ، وفى قوله أيضا فى الحديث الصحيح « المؤمن لا ينجس » (٢٥) .

فالمرأة هى الزوجة التى هى السكن للرجل ، والرجل السكن لها ، حيث يقول تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » (٢٦) . وقال كذلك : « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » (٢٧) .

فالمرأة هى الابنة والأخت التى تولد كما يولد أخوها الذكر من ذات الصلب ومن نفس الرحم ، ويقول تعالى فى ذلك : « يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكرانا واناثا » (٢٨) . والمرأة أيضا هى الأم التى ورد فى شأنها الأثر الكريم (الجنة تحت أقدام الأمهات) ، وهى قدمها الله تعالى على كل من عداها فى حق صحبة الأبناء لها ، ففى الصحيح سأل سائل رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحق الناس بحسن صحبتى ؟ قال عليه الصلاة والسلام : أمك ، وقال السائل : ثم من .. قال صلى الله عليه وسلم : ثم أمك ، قال السائل : ثم من ؟ قال عليه السلام : ثم أمك ، قال الرجل : ثم من ؟ .. قال صلى الله عليه وسلم فى الرابعة : ثم أبوك (٢٩) .

فالأصل هو المساواة بين الرجل والمرأة ، ولكن الاستثناءات أو التمايزات التى خص بها الرجل فى بعض القضايا ، عوض المرأة عنها ببعض الميزات كما رأينا فى الحديث النبوى السابق .

وتذهب بعض الآراء المتشددة الى ان قضية المساواة بين الرجل

والمرأة لا وجود لها اصلا . واذا كان الرجل يتمتع بامتيازات خاصة كالنفوذ الاجتماعى وحرية التنقل ، فان عليه أعباء ثقيلة تتمثل فى اعالة أسرته ماديا ، والمرأة بحسب المجتمع الاسلامى المحافظ ، لا ينبغى عليها أن تفكر فى كسب عيشها ، لأن هناك دوما العائلة الكبرى التى تستطيع المرأة أن تلجأ اليها وتعيش فى كنفها دون أن تحسب حسابا لغائلة الفقر والجوع (٣٠) .

وتتبدى لنا غرابة هذا الرأى الذى لا يتناسب مع القرن العشرين، حيث تفككت الروابط الأسرية القبلية ، وحيث سيطر النمط النووى على الأسرة فى معظم انحاء العالم ، مما يجعل من قوامة الرجل بسبب قدرته المادية موضوعا فى غير موضع .

ولقد نشأت فكرة القوامة فى الاسلام ، من وجهة نظر البعض الى أن الاسلام نشأ فى بلاد تقوم الحياة فيها على الزراعة والرعى ، ولذلك تحتاج الى تقسيم العمل ، بحيث يكون اختصاص المرأة رعاية الأبناء وتنظيم شئون المنزل وللرجل اختصاصه فيما يتعلق بالجوانب الاقتصادية وحماية الأسرة .

ويقول الزمخشرى فى مجال القوامة : « ان الولاية انما تستحق بالعقل لا بالتغلب والتسلطية والقهر ، وقد ذكروا فى فضل الرجال العقل والحزم والقوة والكتابة فى الغالب والفروسية والرمى ، وأن منهم الأنبياء والعلماء وفيهم الامامة الكبرى والصغرى ، والجهاد والأذان والاعتكاف ، وهم اصحاب اللحى والعمائم ، وبسبب ما أخرجوا من نكاحهم من أموالهم فى المهور والنفقات (٣١) .

ويؤكد الامام الرازى على قوامة الرجل بقوله : « ان التفاضل بين الذوات العاقلة يكون بأمرين ، العلم والقدرة ، وقد بحثنا فوجدنا أن الرجل اكثر علما ، واكثر قدرة اما بالقوة واما بالعقل (٣٢) .

أى أن البعض قد فسر القوامة تفسيرات اقتصادية ، على حين اجتهد البعض الآخر فى اثبات قوة الرجل وضعف المرأة بيولوجيا وعاطفيا بل وعقليا (٣٣) ، فى حين ان الاسلام قد حدد طبيعة سلطة الرجل فى الأسرة اذ جعل مفتاحها كلمة « قوام » اى القائم على شئون الأسرة ، وتقتضى القسط فى شئون من أوكل اليه أمرهم ، وذلك بخلاف ما اذا كان التعبير عنها بكلمة سلطة أو نحوها ، والتى قد يفهم منها حرية التصرف المطلقة .

وتنطوى كلمة قوام على امرين هامين (٣٤) .

١ — أن يأخذ الرجل على عاتقه توفير حاجات المراة المادية والمعنوية بصورة تكفل لها الاشباع المناسب لرغباتها وتشعرها بالطمانينة والسكن .

٢ — أن يوفر لها الحماية والرعاية ويسوس الأسرة بالعدل فى حدود سلطته الأسرية .

أى أن القوامة لا تعنى أن المراة جنس أدنى من الرجل او ان حقوقها الانسانية والأساسية أدنى مرتبة من حقوق الرجل ، وانما هى درجة للرجل فى مقابل واجبات يلتزم بها لتستقر الأسرة .

(د) مكانة المراة فى ظل خروجها للعمل :

تشير بعض الكتابات ، الى وجود علاقة وثيقة بين التصنيع وتحرير المراة حيث كانت الثورة الصناعية وراء الحركات النسائية التى تزعمتها النساء وايدها فيها بعض الرجال منذ أوائل القرن الحالى وحتى الآن ، وحيث ترى أن عدم استقلال المراة الاقتصادى يؤدى بصورة تلقائية لتبعية المراة للرجل (٣٥) .

فقد أدى التصنيع الى تحول الشكل التقليدى للأسرة من اسرة ممتدة الى أسرة نووية تقوم فيها المراة بالعمل خارج المنزل طبقا للمعايير الجديدة التى فرضتها الاتجاهات المادية الجديدة وعمليات التحديث ، مما أدى الى تقليص سلطة الرجل الى حد ما ، وهو نفس ما تحقق للمراة فى المجتمعات القبلية .

فقد كان يسود العلاقات بين الزوجين فى المجتمعات القبلية نوع من المساواة ، وترجع هذه المساواة التى أن دور المراة فى هذه المجتمعات لا يقتصر على الأعمال المنزلية ، وانما يمتد الى الحياة الاقتصادية ، فالمراة القبلية تسهم بنصيب قل أو كبر فى توفير أسباب العيش لأسرتها، وتتمتع بحرية الاجتماع بالرجال والحديث اليهم فى شتى الظروف والمناسبات .

وقد جاءت الدساتير المصرية كلها لتنص على اعطاء النساء حقوقا مساوية لحقوق الرجال فى ميادين الحياة السياسية والاجتماعية والمهنية والثقافية ، دون اخلال بأحكام الشريعة الاسلامية ، كما كفلت الدولة بمختلف مؤسساتها وقوانينها مساعدة المراة على التوفيق بين واجباتها نحو الأسرة وعملها خارج المنزل ، حيث تم وضع بعض القيود الخاصة بتشغيل النساء ، حيث تنص المادة ١٣٢ من قانون العمل على انه « لا يجوز تشغيل النساء فى الأعمال الضارة صحيا أو أخلاقيا ، وكذلك

الأعمال الشاقة ، أو غيرها من الأعمال التى تتحدد بقرار من وزير العمل » . كما تنص المادة ١٣١ من القانون ، على أنه « لا يجوز تشغيل النساء فى الفترة ما بين الساعة الثامنة مساء والسابعة صباحا الا فى الأحوال والأعمال والمناسبات التى يصدر بتحديدها قرار من وزير الشئون الاجتماعية » . ٢١

وتتحدد دوافع المرأة للعمل كل حسب ظروفها الخاصة ، وكذلك ظروف مجتمعها وثقافته وقيمة ، فالمرأة فى الجزائر على سبيل المثال تخرج للعمل من أجل ثلاثة أهداف رئيسية كما جاء فى نتائج احدى الدراسات هناك ، الأول يتمثل فى المساعدة المباشرة فى اعالة الأسرة والوفاء باحتياجاتها المادية ، حيث أشار الى ذلك ٤٥٪ من مفردات الدراسة ، ويتمثل الثانى فى الرغبة فى تحسين الحالة الاقتصادية للأسرة ، حيث أشار الى ذلك ٤٥٪ ، على حين وجد أن ١٠٪ فقط من النساء قد اقبلن على العمل من أجل تحقيق الاستقلال المادى بعيداً عن سلطة الأب أو الزوج .

وتقترب نتائج هذه الدراسة مع نتائج احدى الدراسات المصرية التى اشارت نتائجها الى أن ٥٣٪ من النساء العاملات قد اقبلن على العمل بسبب حاجتهن المادية الى تحقيق الاكتفاء المادى ، على حين أو ٣٥٪ يعملن لرفع مستوى دخل الأسرة للتمتع ببعض مظاهر الرفاهيـة فى الانفاق ، على حين اشار ١٢٪ منهن الى الاستقلال الاقتصادى بعيداً عن سلطة الأب أو الأم (٣٩) .

وتختلف نتائج الدراستين السابقتين عن اتجاه النساء نحو العمل فى الدول المتقدمة ، حيث نجد أن دافع الاستقلال المادى عن الرجل يأتى فى مقدمة الأسباب التى تدفع المرأة الى العمل ، حيث يحقق لها ذلك الشعور بالأمان وعدم الحاجة الى الرجل والتخلص من سلطته ، كما يرضى لديها نوازع الاشباع النفسى من خلال تحقيقها لذاتها وثقتها فى نفسها (٤٠) .

واذا كان عمل المرأة يضفى مكانة متميزة لها داخل نسق الأسرة ، فان بعض الدراسات تشير الى أن المرأة تحصل على جانب من السلطة الى جوار سلطة الرجل مع تقدمها فى العمر وزيادة عدد أولادها (٤١) .

ويشير ابراهيم سعد الدين ، الى أن هناك دوراً غير منظور تقوم به المرأة الريفية فى توجيه هذه القرارات ، وان كانت تحرص فى اغلب الأحيان على ابقاء هذا الدور غير معروف خارج نطاق علاقتها بـرب

الأسرة ، وذلك لأنها تحرص على اضفاء صفة المهابة والسيطرة على رب الأسرة أمام الآخرين ، لانها تستمد قيمتها الاجتماعية لدى هؤلاء الآخرين من القيمة الاجتماعية لرب الأسرة عندهم (٤٢) .

ولعل ذلك ما يلاحظه البعض منا فى نطاق أسرنا ، حيث يكـون للنساء المسنات وضعا متميزاً فى مستوى السلطة داخل الأسرة بالنسبة للعديد من القرارات الخاصة بشئون الأسرة نفسها مثل أوجه الانفاق وكيفية توزيع ميزانية الأسرة والقرارات الخاصة بزواج الأبناء والعلاقات مع الأهل وما الى ذلك من الأمور التى تتصل بقدرتها ــ بحكم كبر سنها وزيادة خبرتها ، وأمومتها ــ من حيث وزن الأمور والاصابة فى اتخـاذ قراراتها .

٢ ــ توزيع الأدوار داخل الأسرة :

كثرت فى مجال علم الاجتماع التعريفات الخاصة بمفهـوم الدور ، فنجد أن تالكوت بارسونز Parsons على سبيل المثال ، يرى ان الدور هو مفهوم الفرد لموقفه فى ضوء مركزه ومكانته الاجتماعية وكذلك مراكز ومكانات الآخرين . كما أن الدور هو جزء من النسق الموجـه للفرد الذى يقوم بفعل ما ، بحيث ينتظم هذا الفعل مع مجموعة التوقعات التى تتكامل مع مجموعة معينة من المعايير والقيم (٤٣) . ويتفق ذلك مع تعريف سارجنت Sargent للدور ، حيث يرى انه نمط من السلوك الاجتماعى للفرد ، والذى يتفق مع توقعات الآخرين (٤٤) . كذلك يشير كنجزلى ديفيز Kingsley Davis الى أن الدور هو المظهر التفاعلى أو الدينامى للمركز أو الوظيفة ، أى انه الطريقة التى ينجز بها الشخص متطلبات مكانته أو مركزه (٤٥) .

وقد نشأت نظريـة الدور وتطـورت فى ظـل عـلم الاجتمـاع الغربى (٤٦) ، وتقوم على خمسة افتراضات أساسية هى :

١ ــ ان بعض انماط السلوك تعد صفة مميزة لأداء الأفـراد الذين يعملون داخل اطار معين .

٢ ــ ان الأدوار غالبا ما ترتبط بعدد معين من الأفراد الذين يشتركون فى هوية واحدة .

٣ ــ ان الأفراد غالبا ما يكونون مدركين للدور الذى يقومون به .

٤ ــ ان الأدوار تستمر بسبب ما يترتب عليها من نتائج ، وبسبب ارتباطها بالسياق الخاص بالنظم الاجتماعية .

٥ ــ ان الأفراد يجب تأهيلهم للأدوار التى يقومون بها (٤٧) .

وتثير نظرية الدور اشكالية صراع الأدوار ، فالفرد لديه مجموعة من الوظائف ، وله فى كل وظيفة منها دوراً محدداً ، ولذلك تثور مشكلة صراع الفرد فى محاولته التوفيق بين أدواره المختلفة ، والتى قد تكون متعارضة أحيانا (٤٨) ، ووفقا لذلك ، فان المرأة تعد أشد الفئات تعرضا لصراع الأدوار ، فهى ابنه وأم وزوجة وموظفة ونقابية وناخبة ، وهو ما يثير لديها اشكالية الصراع من أجــل التوفيق بين هــذه الأدوار جميعا (٤٩) .

ولذلك فان الصراع الأسرى ينشأ داخل الأسرة ، عنــدما تتباين وجهات نظر الزوجين حول أهمية أدوارهم الأسرية ، وعند حدوث تغيير فى ادوارهم نتيجة لظروف طارئة أو أسباب أخــرى ، مثل اشتغــال الزوجة ، أو مجىء طفل جديد فى الأسرة ، أو مرض أحد الزوجين ، فقد ينشأ الصراع بين الزوجين لرغبة أحدهما فى تغيير الأدوار المتوقعة منه ، كأن تقبل الزوجة فى بداية حياتها الزوجيــة بأن ينفــرد الزوج بالسلطة والانفراد بالقرارات الأسرية ، ولكنها بعــد مضى فترة من الزواج ، ترفض دور التابع للزوج أو تطالب بالمساواة والمشاركة فى القرارات الأسرية ، مثلها مثل الزوج .

وفى كثير من الأحيان يختلف الزوجان فى الأمور التى تتعلق بالأبناء وتوزيع الأدوار عليهم ، اذ قد يميل احدهما الى تدليل الأبناء أو التفرقة بين الذكور والأناث فى المعاملة بينما يرى الطرف الآخر ضرورة الاعتدال فى التربية والمعاملة ودرجة الحرية المسموحة للأبناء . ويعد التمييز النوعى للأدوار مصدرا أساسيا للتوتر والخلافات الأسرية سواء بالنسبة للأبناء أو الوالدين ، فقد ترفض الزوجة التقسيم التقليدى للواجبات الأسرية بحيث تختص الزوجة بالرعاية الجسمية والصحية والغذائية الطفل فى سنواته الأولى بينما يختص الزوج بالجانب المادى فقط . وقد أثبتت كثيراً من الدراسات الامبيريقية فى مجتمعات متباينة من حيث درجة التقدم الاقتصادى والاجتماعى والثقافى . ان التقسيم التقليدى للعمل بين الزوجين أصبح مرفوضا خاصة من جانب الأمهات العاملات اللائى يشاركن فى دخل الأسرة . كما أن وجهة نظر كل من الزوجين نحو العدد الأمثل للأبناء قد يكون مصدراً للصراع والخلافات الأسربة فقد يفضل الزوج عدداً كبيرا من الابناء أو استمرار الزوجة فى الأنجاب حتى تنجب الذكر الذى سوف يحفظ اسم العائلة (٥٠) .

ونستطيع ايجاز أهم مظاهر صراع الأدوار داخل الأسرة فيما يلى :

(أ) الدور الاقتصـــــادى :

من المتفق عليه ان صراع الدور Role Conflict ، هو عدم الاتساق بين دورين أو أكثر يتوقع ان يقوم بهما الفرد فى وضع معين ، وحينئذ يتداخل اداء احد الأدوار مع دور آخر أو يتصارع معه . وان حالة الصراع هذه ، قد لا تستغرق فترة طويلة ، لأنه من الممكن مواجهة المتطلبات المتصارعة ، دون صعوبة كبيرة ، أو قد تصبح مشكلة مستمرة على مدى حياة الفرد .

ولذلك ، فان تحليل صراع الدور وحله ، من المسائل الهامة فى دراسة القيم والبناء الاجتماعى بوجه عام (٥١) ، فكثيراً ما ينشأ الصراع الأسرى والخلافات بين الزوجين بسبب قصور الموارد الاقتصادية عن سد احتياجات الأسرة وهذه الاحتياجات تختلف من مجتمع لآخر . ومن طبقة لأخرى فما يعد حاجات ضرورية بالنسبة لفئة من الناس قد يكون مظهراً من مظاهر الرفاهية فى فئة أخرى ومن ناحية أخرى قد يكون توفر الموارد الاقتصادية والثراء مصدراً للخلافات الأسرية خاصة اذا أسىء استغلالها . كما ان اختلافات الزوجين فى طرق الانفاق واسراف احدهما او تقتيره يزيد من الخلافات الأسرية . وفى المجتمعات التقليدية يقف الرجل من الحرية المصاحبة للاستقلال الاقتصادى للمرأة موقفا متشدداً. فالزوج على الرغم من تقبله لاشتغال الزوجة واشتراكهما فى دخـــل الأسرة الا أنه ينكر عليها استمتاعها بما يحققه العمل الخـــارجى من طموح شخصى ومكانة اجتماعية واحساس بالثقة نتيجة لشعورهـــا بأهمية العمل الذى تقوم به بالنسبة لذاتها ولأسرتها ولمجتمعهـــا . بالاضافة الى ما يحققه اشتغال الزوجة من شغل وقت الفـــراغ من ناحية والشعور بالاستقرار وعدم الخوف من المستقبل غير المأمون .

ولا يمكننا أن ننسى ان الدخل الاضافى للزوجة العاملة يعد أحـــد أسباب النزاع بين الزوجين لدى بعض الأسر فى الحالات التالية (٥٢) :

١ ــ عندما تكون الأسرة فى حاجة اليه بينما تمتنع الزوجة عن الاشتراك فى مواجهة احتياجات أسرتها .

٢ ــ يطالب بعض الأزواج زوجاتهم العاملات بأن يسهمن بدخلهن كله فى نفقات البيت على ان يترك لهن ما تبقى من دخل الزوج بعد استئثاره بمصروف شخصى كبير .

٣ ــ بعض الأزواج يأخذون دخل الزوجة ويتولـــون هم بأنفســـهم الصرف على التزامات الأسرة .

٤ ــ بعض الأزواج والزوجات لا يحترمون الارتباطات المادية للطرف الآخر نحو اهله مما يثير الشجار بينهما .

وفى ظل الشرائع القديمة كان الزواج يستتبع التزام الزوج بالانفاق على زوجته وأولاده ولم يكن يقع على عاتق الزوجة التزام مماثل . ومع ذلك ففى الشرائع التى تأخذ بنظام الشركة فى الأموال أو بنظام البائنة تسهم الزوجة فى نفقات الحياة الزوجية بايراد هذه الأموال . وتتجه القوانين الحديثة نحو الزام الزوجة بالمساهمة فى اعباء الحياة الزوجية. والقاعدة أن الزوجة تفى بهذا الالتزام عن طريق قيامها بادارة البيت ورعاية الأسرة . واذا اشتغلت الزوجة بعمل خارج البيت كان عليها أن تسهم بجزء من أجرها فى مصاريف البيت ويتفاوت هذا الجزء تبعـــا للقوانين فهو فى ولاية نبراسكا بالولايات المتحدة الأمريكية ١٠٪ مـــن الأجر أو المرتب ، بينما هو فى الاتحاد السوفيتى ٥٠٪ كقاعدة عامة ، وفى المانيا الغربية للزوج أن يطلب الى المحكمة أن تأمر زوجته بالعمل فى الخارج اذا كان اجرها عن هذا العمل ضروريا لاعالة البيت . وفضلا عن هذا فان القوانين الحديثة تنص على الزام الزوجة بالانفاق على زوجها اذا كان فقيراً وعاجزاً عن العمل أو عاطلا منه (٥٣) .

ويرى البعض ، أنه عندما أتاح العصر الحديث للمرأة فرصة أن تخرج للعمل من البيت ، فان ذلك قد تم فى ظل سيطرة الرجل ، وأنه فى ظل القوانين الحالية ، فان هذا لا يعنى الا مزيداً من الاستغلال للمرأة والذى يسبب لها الارهاق الجسدى والنفسى ، وكثيراً من الأمراض والمشاكل ، التى تحول بينها وبين الحياة الصحية السليمة (٥٤) حيث تشير نوال السعداوى الى زيادة نسبة الأمراض النفسية بين النساء العاملات ، عن النساء ربات البيوت فالمرأة العاملة تقوم بجميع واجباتها تجـــاه العمـــل ، وكذلـــك تجـــاه أسرتهـــا ، لكنهـــا لا تحصـــل على الحريات والحقوق الاجتماعية أو الفكرية التى يتمتع بها زوجها(٥٥) بالاضافة الى ذلك ، فعليها عندما تعود الى البيت ان تخدم هذا الزوج وتخدم أطفالها ، والا اتهمت بالتقصير ، ونالها العقاب الذى يتفاوت من مجرد اللوم والتأنيب الى الضرب أو الطلاق او الزواج بأخرى .

واذا عدنا الى حالات الدراسة ، للتعـــرف على مكانـــة المرأة فى الأسرة ومدى تأثير عملها على هذه المكانة ، فان ذلك يتبين لنا من خلال ما جاء على لسان الحالة رقم (٤) اذ تقول : « علاقتى بجوزى كان

ممكن تكون تسلطية من ناحيته .. لولا أن شخصيتى قوية وماباديلوش فرصة انه يسيطر عليه أو يتحكم فيه .. خصوصا وانى دائما باحسسه

انى مش محتاجاه ماديا .. بدليل انى طلبت الطلاق اكثر من مرة » .
وتقول فى موضع آخر : « ظروفنا المالية تعتبر ممتازة .. وجوزى بيصرف عليه بمنتهى الكرم وعلى البيت .. على حين ان أنا مدبره جداً .. وباعمل للقرش ميت حساب .. وعشان كده ما بطلتش حكاية الدروس الخصوصية .. جوزى عارف ان عندى حساب فى البنك .. وانى باحط كل قرش يخصنى فيه .. وهو عمره ما اعترض على الموضوع ده » .

ويختلف موقف الزوج من عمل الزوجة ، باختلاف مواقف وظروف كل زوج عن الآخر ، حيث يتضح ذلك من خلال الحالة رقم (٩) حيث يقول : « مراتى كانت بتشتغل قبل ما نتجوز ، انما أنا ما ضغطش عليها انها تسيب الشغل .. هيه فضلت تقعد فى البيت لأن مرتبها كان بيتصرف على اللبس والمواصلات .. وحبيت انى أرحمها من البهدلة .. وأنا باديها مصروف كل شهر لها شخصيا .. تحوشه تشترى بيه ذهب .. تديه لأهلها أو ترميه فى الشارع .. هيه حرة تعمل اللى تعمله بيه .. انما هيه اللى بتتولى الصرف على البيت » .

واذا كانت الحالة السابقة قد فضل صاحبها ان تترك زوجته العمل ، وان تتفرغ للبيت بسبب عدم حاجته المادية الى دخلها ، فاننا نجد نموذجا آخر من الرجال يدفع زوجته دفعا الى العمل حيث يتضح ذلك من قول الحالة رقم (١٠) : « مراتى بتشتغل من زمان من أول ما أخدت دبلوم التجارة .. بتشتغل فى قطاع خاص .. لما ولدت كانت عايزه تأخذ اجازة سنة ولا اثنين عشان تربى البنت .. أنا خفت ان الشغل بتاعها يستغنى عنها ويعين حد تانى .. فاقنعتها انها ترجع للشغل .. وفعلا رجعت الشغل بعد ٣ شهور من الولادة .. لأن احنا محتاجين كل قرش نقدر نوفره .. عشان ننتقل فى شقة نقعد فيها لوحدنا » .

(ب) الدور التربوى :

يرى علماء الانثروبولوجيا ، كنتيجة لدراساتهم المقارنة لحياة القبائل والشعوب ، ان طابع البيئة ونظام المجتمع ، ينعكسان على نظام الأسرة ، وبالتالى على الطابع المميز لشخصيات أفرادها . فالعلاقة بين الزوجين ، من حيث السيادة والتبعية ، ومن حيث توزيع المسئولية داخل الأسرة ، ورعاية الأبناء ، وعادات معاملة الأطفال وتنشئتهم ، وما يميزها من لين أو شدة يتأثر كل هذا بالوسط الاجتماعى العام

والتقاليد والعرف والثقافة التى يتميز بها المجتمع المحيط بالأسرة ، ولذلك تختلف الأسرة الأوربية عن الأسرة الشرقية كما تختلف الأسرة ، فى الحضر عنها فى الريف .

وقديما كان للأب الحق فى أن يتخذ بمفرده كل القرارات المتعلقة بالأولاد ، أما فى الوقت الحاضر فتنص الشرائع الحديثة على أن الاجراءات الخاصة بالأولاد يتخذها الوالدان بالاتفاق فيما بينهما ، واذا تعذر هذا الاتفاق عرض الأمر على السلطة المختصة لاتخاذ القرار اللازم وتستهدف هذه السلطة فيما تتخذ من قرارات مصلحة الأولاد أولا وأخيراً . ففى روسيا قبل الثورة مثلا كانت الزوجة تعتبر بمنزلة الابن فى علاقتها بزوجها وكانت السلطة على الأولاد للأب دون الأم . وكان المثل الشعبى يقول « عامل أباك كاله وأمك كمثيل لك » . وبعد الثورة أصبحت السلطة على الأولاد حقا مشتركا للأب والأم على قدم المساواة ، وفى المانيا الغربية كان للأب أن يتخذ منفرداً كل اجراء يتعلق بولده سواء تعلق بشخصه أم بماله ، وفى ظل قانون الأسرة الجديد أصبح من اللازم اجراء التصرفات المتعلقة بالولد بالاتفاق مع الأم (٥٦) .

ومن المتعارف عليه بين علماء الاجتماع الغربيين ، أن الأسرة تحدد الى حد كبير كلا من الشخصية ونمو الذات ، كما انهم كثيراً ما يرجعون العلاقات بين الأفراد والمجموعات الاجتماعية ، الى اسقاط العلاقات التى يكونها الفرد فى اتصاله بوالديه (٥٧) . ولذلك فان الوظيفة ترى ان الشخصية لا تولد ولا تكون متوارثة ، وانما هى من صناعة الأسرة التى تلعب دوراً كبيراً فى خلق الشخصية الانسانية من خلال التنشئة الاجتماعية (٥٨) ، مما يعنى أن بناء الشخصية مهمة تقع على عاتق كلا من الزوجين ، ولا ينفرد بها الزوج او الزوجة فقط .

فالطفل فى عامه الاول يحتاج الى قدر كبير من رعاية الأم ، فعليها ان تطعمه بنفسها ، وتبدل ملابسه عدة مرات خلال النهار ، كذلك فانه يحتاج لكى يتطور نفسيا الى من يحنو عليه ويبقى فى صحبته اثناء الساعات التى يكون فيها مستيقظا (٥٩) ، ولكن الطفل فى المراحل العمرية التالية يكون فى حاجة الى رعاية الأب ، وهو ما يثير قلق كثير من الأمهات ، كما يذهب د. سيوك ، فالأب أحيانا لا يبدى أى ميل لمداعبة الأطفال ، أو هو دائم الغياب عن المنزل لأنه مشغول بالعمل ،

وهكذا لا يستطيع الطفل أو الطفلة أن يكون فكره واضحة من دور الرجل عموما فى الحياة ، مما يولد نوعا من الاحساس بعدم الأمان ؛ ولذلك فان بعض الأمهات يصرخن فى الأزواج ، وتطالب كل امـرأة زوجها بأن يقضى بعض الوقت فى رعاية أبنائه (٦٠) .

وينزع بعض الآباء الى عدم معاقبة الطفل ، وترك هذه المهمة الى الأم ، حتى لا يفقد حب طفله له ،الا أن علماء النفس والمهتمون بالطفولة يرون أن الطفل بذكائه الفطرى ، يعرف أن الأب يشعر بالغضب عندما يخطىء الابن أو يتصرف بسلوك سىء ، وبهذا فان خوف الطفل يزداد عندما لا يعلن الأب عن هذا الغضب ، ويزداد قلقه ، ولكن عندما يوجه الأب اللوم الملائم ، فان الطفل يتخفف من أثقال الاحساس بالذنب . ويتوجه د. سيوك للأب بقوله : « لا داعى للخوف من أن يكرهـك الأبناء ، انهم سوف يزدادون حبا لك واغتباطا بصداقتك عندما تؤكد سلطتك كأب رحيم ، وعلى الزوجة أيضا أن تساعد زوجها فى هـذا المجال . وأسلوب مساعدة الزوجة لزوجها فى مثل هذه الحالات ، هو الا تعارضه عندما يبدأ فى اتخاذ موقف حازم من أحد الأبناء .

وتعتبر « حكاية الحواديت » بالنسبة للطفل سواء من جانب الأم أو جانب الأب ، من أهم الوسائل التربوية لنقل قيم المجتمع الى الطفل ، خاصة فى السنوات الأولى من العمر . وعندما يرتفع مستوى ادراك الطفل ، فان القصص المصورة تمثل أهمية كبيرة فى تأصيل عادة حب القراءة فى الطفل ، حيث تذهب بعض النظريات الحديثة الى أن الطفل منذ نهاية شهره الثانى عشر ، يستطيع أن يتعـامل مـع الكتـاب المصور (٦٢) .

وقد كثر الحديث فى السنوات الأخيرة عن مشكلات المراهقـين النفسية وعلاقتها بخروج المرأة الى العـمل ، الا أن بعض البحـوث اشارت الى أن صحة الأطفال النفسية تتأثر بعلاقة الأب والأم غير المتساوية أو المشاكل الاقتصادية ، أكثر مما تتأثر ببقاء الأم فى البيت طول الوقت ، أو خروجها للعمل ، كما أشارت أيضا الى أن مشاكل المراهقين النفسية ، تزيد فى العائلات التى تتفرغ فيها الأمهات لأعمال البيت وتربية الأبناء ، حيث اتضح من أحد أبحاث ان الأمهات العاملات يتمتعن بصحة نفسية أفضل من الأمهات المتفرغات للبيت (٦٣) .

كذلك فقد كثر الحديث أيضا حول أثر هجرة الآباء للعمل فى الخارج

على مستويات عملية التنشئة الاجتماعية للأبناء ، وعلى ظاهرة جناح وانحراف الأحداث ، ولكن الحقائق المجردة ، تشير الى عدم صحة هذا الزعم على طول الخط ، أو الأخذ به على أساس أنه مقولة ثابته حيث أن ذلك لا يعد ظاهرة عامة وانما هى جالات فردية ، فكم من الآبـــاء الغائبين ، رغم وجودهم داخل الأسرة ، وذلك لانشغالهم الشـــديد بأعمالهم ، أو بالسعى نحو رفع مستوى الدخل فى أكثر من عمل .

واذا انتقلنا الى حالات الدراسة ، للتعرف على دور كل من الأب والأم فى العملية التربوية ، فاننا نجد أن هناك بعض الاتجاهات التربوية التى تختلف من أسرة الى أخرى ، حيث يتضح ذلك بالنسبة للحالة رقم (٤) ، اذ تقول : « البنات عندى هاديين قوى .. والبنت الكبيرة عندها ميول فنية واضحة .. خصوصا بالنسبة للموسيقى .. عشان كده اشتريت لها أورج صغير من وهيه عندها ٣ سنين .. وناويــه أجيب لها مدرسة فى البيت تعلمها العزف على النوتة » ، وتقول نفس الحالة فى موضع آخر : « جوزى يحب البنات بطريقة غير عاديه .. وبيدلعهم على طول الخط .. ولما واحدة فيهم تعمل حاجـــة غلــط ما يحاولش حتى مجرد انه يلفت نظرهم ان ده غلط .. لما باحــاول أفهمه ان ده غلط وان الدلع بيوظ البنات .. يقولى : هو انتى عايزه البنات تكرهنى » .

وفى مجال التربية والتنشئة الاجتماعية أيضا ، يقول الحالـــة رقم (٦) « وقت مراتى طول ماهيه فى البيت مكرس للولد .. يعنى ممكن تقعد بالساعات تحكى له حواديت .. وتلعب معاه باللعب بتاعته .. وغالبا انا باشترك معاها فى الحاجات دى .. ده غير ان عملية الخروج والفسح مع الولد تقريبا كل يوم شىء مقدس .. ما فيش حاجة اسمها تعبانين أو مش فاضيين .. الطفل محتاج ان أهله يكونوا واعيين تماما بأن كل فترة عمرية لها أنواع معينة من اللعب .. وكل سنة تمر على الطفل بيتغير شكل ومضمون اللعبة .. يعنى ابنى دلوقتى عـــنده كمبيوتر والبرامج بتاعته غير البرامج اللى كـــانت عنـــده السنة اللى فاتت » .

(جـ) الأعمال المنزليـــة :

تعانى الأسرة فى المجتمعات التقليدية من الصراع بين ما هو تقليدى وما هو جديد ، خاصة فى ظل تحول الأسرة فيها من نظام الأسرة الممتدة الى الأسرة النووية ، حيث ترتب على خروج المرأة الى العمل ازدواجية أدوارها ، فبعد أن كانت فى ظل الأسرة الممتدة مجرد أداة للانجـــاب

ورعاية الأطفال فقط أصبح عليها فى ظل نظام الأسرة النووية ان تزاوج بين نفس أدوارها التقليدية ودورها الجديد كامراة عاملة .

وتشير سهير لطفى ، الى أن ذلك يرجع الى ان كلا من الرجل والمراة لم يتغير نمط تفكيرهما عن النمط التقليدى ، ولم يتقبل الرجل بعد أن يكون على علاقة الند للمراة فى مشاركتها فى شئون الأسرة ، فلم يقدم لها أى نوع من المساعدة ، أى ان نوعية التغير الذى طرأ على شكل الأسرة لم يكن تغييراً حقيقيا فى المضمون ، وانما كان أقرب الى التغير الشكلى المظهرى ، مع استمرار بقايا ثقافة الأسرة العشيرة والأسرة الممتدة ، التى دعمت بتفسير بعض نصوص الشريعة الاسلامية، بشكل يحقق هدف الرجل فى التسلط والسيطرة وامتلاك المراة (٦٤) .

ويتضح ما جاء فى السطور السابقة من كون أن كلا من الرجل والمراة لم يتغير نمط تفكيرهما عن النمط التقليدى من خلال ما جاء على لسان الحالة رقم (٢) اذ تقول : « جوزى طول عمره كان عايش مع أهله .. وكانت كل حاجة بيلاقيها على الجاهز .. أنا عمرى ما طلبت منه يعمل حاجة فى البيت .. حتى الشاى بتاعه .. انا اللى احسب أعمله .. برضه الراجل راجل .. والست ست .. وأى حاجة جوه البيت المفروض دى تبقى من واجبات الزوجة . امال تبقى ست بيت ازاى .. صحيح أنا اتعلمت واشتغلت زيبى زيه بالضبط .. انما برضه فى حاجة اسمها أصول .. وأنا أحب ان الراجل يبقى راجل .. يعنى مش متصوره انى أشوف جوزى فى يوم بيمسح والا بيكنس .. دى حاجة قلة قيمة فعلا للراجل .. الحاجة الوحيدة اللى جوزى ممكن يعملها وهو قاعد فى البيت .. انه يقعد يلعب مع الأولاد .. انما أول ما العيل يعيط ويكون عايز ياكل أو يغير هدومه بروح منادينى عشان أسيب اللى فى ايدى وأشوف العيل عايز أيه .. يعنى انا اللى أرضع والكل واحمى واغير الهدوم .. وأنا اللى اقعد أحكى حواديت علشان يناموا .. وأنا اللى اشخط واغضب لو حد منهم عمل حاجة غلط .. وهو ما يظهرش أبداً الا اذا كان الجو عال ٢٤ قيراط » .

ويتضح فى الصورة السابقة النموذج الكامل لنمط تقسيم العمل داخل المنزل والذى لم يطرأ عليه نفس التغير الذى طرأ على دور المراة الاقتصادى من حيث مقاسمتها للرجل تحمل عبء الصرف على متطلبات الأسرة ، وتشير اجلال حلمى ، الى أن مرد ذلك هو أن المراة تحتل مكان التابع بالنسبة للرجل ، وذلك لاعتزاز المجتمعات التقليدية بالذكور . ويعد ذلك من مصادر الصراع الأسرى ، لأن اقبال

المجتمعات النامية على البرامج التنموية ، جعلهم يأخذون بمبدأ المساواة بين المرأة والرجل فى التعليم بصفة خاصة ، مما أدى الى زيادة وعى المرأة واقبالها على تبنى الأفكار التحررية للحركات النسائية والراديكالية ، ولذلك بدأت المرأة تطالب بمزيد من المساواة والمشاركة فى اتخاذ القرارات الشخصية والأسرية (٦٥) .

وفى الوقت الذى أصبحت تقضى فيه المرأة فى العمل عدداً مساوياً للساعات التى يقضيها الرجل ، فاننا نجد أن مجموع الساعات التى تبذلها المرأة فى الأعمال المنزلية تفوق الساعات التى تقضيها فى العمل خارج المنزل .

أما بالنسبة للمرأة غير العاملة ، فان بعض التقديرات تذهب الى أن عدد الساعات التى تقضيها فى الأعمال المنزلية عالميا تتراوح ما بين ١٢ — ١٤ ساعة يوميا ، وأن قلت فى الحضر عنها فى الريف (٦٦) . ولكنها لا زالت تزيد بصورة كبيرة عن عدد الساعات التى يقضيها الرجل فى العمل .

ويبدو ان اتجاه الأفراد نحو مشاركة الرجل فى الأعمال المنزلية يرتبط الى حد كبير بأنماط التنشئة الاجتماعية ، والقيم الخاصة بمكانة المرأة والرجل داخل الأسرة ، بالاضافة الى مدى سيطرة الأفكار التقدمية والتحررية على فكر كل من الزوج والزوجة ، حيث يتضح ذلك من قول الحالة رقم (٦) : « أنا باعتبر انى أنا ومراتى عاملين شركة سوا وعايزين الشركة تنجح وتكبر كل يوم .. حتى الواجبات المنزلية .. كل واحد فينا حاسس انها مصلحة مشتركة .. مافيش واحد يبقى عليه كل حاجة والتانى قاعد يتفرج .. مافيش مانع انى أمسك المكنسة وأنظف البيت اذا كانت مراتى مشغولة فى حاجة تانية .. أو اننا نقف مع بعض فى المطبخ نساعد بعض فى عمل أكله وتنظيف المطبخ بعد كده .. يعنى مافيش حاجة اسمها أنا تعبان لأنى باشتغل بره طول النهار .. لأنها هيه كمان كانت بتشتغل طول النهار » .

ثالثا — المشكلات الخاصة بالفروق الفردية بين الزوجين :

تتأثر العلاقة الزوجية بمجموعة من العوامل التى قد تتمثل فى اختلاف الخبرات السابقة لكل منهما ، ونمط التنشئة الاجتماعية الذى تلقياه فى مختلف عمريهما ، وكذلك باختلاف نوعية القيم والأخلاقيات والاتجاهات التى كانت تسود حياتهما فى مراحلهم العمرية المختلفة ، حيث تنعكس كل هذه العوامل على انماطهما الشخصية ، كما تحدد

اوجه التوافق او الصراع فى حياتهما الزوجية ، الى جانب دورها فى تحديد الفروق الفردية بين كل منهما ، والتى تعد فى كثير من الأحيان عاملا من عوامل عدم التوافق الأسرى ، والتى يمكن ايجازها فيما يلى :

١ ــ الفروق العمريــة :

تذهب بعض الآراء الى أن فارق العمر بين الزوجين يجعل هناك فوارق أخرى فى الذوق والتصرفات وأسلوب المعيشة والهوايات (٦٧). على حين يرى البعض الآخر ان تقارب الزوج والزوجة من حيث العمر يعد من بين العوامل الكفيلة بالتوافق بين الزوجين (٦٨) . وهو ما كان معمولا به فى الماضى ، اذ تشير علياء شكرى الى ما كان يحدث قبــل عشرين عاما ، حيث ساد زواج الشباب من زملاء الدراسة والعمل ، او من المتقاربين فى السن عموما ، رغبة منهم فى تجنب اسلوب الأسرة التقليدى فى الزواج ، الذى لم يكن يقيم لعلاقات الحب والتفاهم وزنا يذكر . وتضيف علياء شكرى ، ان السنوات العشر الأخــيرة حملت معها موضة جديدة مع الارتفاع التدريجى لنفقات تاثيث بيت الزوجية ونفقات المعيشة ... الخ .. حيث بدأت موضة زواج الرجال الناضجين فى الظهور (٦٩) .

وينطبق ذلك الى حد كبير على بعض حالات الزواج حاليا ، حيث تشعر الفتاة بحاجتها الى الرجل الأقوى منها فى المركز والمادة ، حتى تشعر بالحماية والأمان ، والذى يصعب تحقيقه فى ظــل الزواج من الرجل الذى يقاربها فى السن ، وان كان هذا الزواج غير المتكافىء فى السن يؤدى الى عدم التوافق بين الزوجين كما يتضح من الحالة رقم (٣) اذ تقول : « أما باستعرض العشر سنين اللى فاتوا من عمرى بعدما اتخرجت من الجامعة .. باحس الى اللى حصل فيها حصــل لواحدة تانية مش ليه انا بالذات .. مشرِدى الحياة اللى كنت رسماها ومخططة ليها أيام ما كنت صغيرة .. حاسة أنى كبــرت فى العشر سنين دول ميت سنة مرة واحدة .. حاسة أنى عجزت وشخت قبل الأوان ... الظاهر ان الخمسة وعشرين سنة فرق بين عمرى وعمر جوزى انضافت لعمرى أنا » .

وهكذا نرى ان القيم المادية التى انعكست على المجتمع المصرى فى السنوات الأخيرة ، والتى امتدت الى نسق الزواج والأسرة ، كان لها من الآثار السلبية اضعاف ما كان لها من آثار ايجابية ، حيث يؤدى الزواج المبنى على المصلحة المادية ، دون اعتبار لفــارق السن بين الزواج الى قدر كبير من التماسة الزوجية .

٢ ــ اختلاف درجة التعلــــم :

يؤدى نمط التنشئة الاجتماعية فى المجتمعات التقليدية ، الى عدم تقبل الرجل بأى حال من الأحوال ان تنمو المرأة ــ وبخاصة زوجته ــ اكثر منه فى الجوانب المعرفية والوظيفية والمادية . واذا ما حدث هذا فانه يشعر بعدم الارتياح أو التوافق معها ، حتى اذا تظاهر بغير ذلك، اذ يشعر داخليا بضرورة اثبات ذاته ، وبالتالى ، يبدأ فى استخــدام سلوك التحدى أو العناد ، أو ممارسة ضغوط على الزوجة فى المواقف المختلفة حتى شعر دائما بقوته وسلطته ، مما يتسبب فى كثرة الخلافات وتفاقمها بين الزوجين ، والذى قد يصل الى حد الطلاق أو التفكير فيه فى بعض الأحيان ، حيث يتضح ذلك من خلال الحالة رقم (٤) اذ تقول : « اعتقد أن رغبته فى السيطرة والتسلط وان كلمته هيه اللى تمشى .. سببها انه حاسس انى متميزة عنه من ناحية عيلتى .. وكمان مستوى تعليمى .. والحكاية دى محسساه بالنقص » .

وتضيف الحالة فى موضع آخر : « باحس ان أنا فى وادى وهوه فى وادى تانى .. حياته كلها للشغل .. ووقت الفراغ عايز يقضيه فى المسارح والملاهى وقدام التليفزيون .. مافيش قضــية سياسية أو قضية عامة أقدر اتناقش فيها معاه .. وده طبعا عشان الفارق الثقافى اللى بينا .. وده اللى بيخلينى أحيانا أحس ان حياتنا صعب تستمر وافكر فى الطلاق » .

٣ ــ الفروق الطبقيــة :

كانت المكانة الاجتماعية من اهم مقومات الزواج فى الماضى ، حيث كان يراعى عند الاختيار للزواج ان يكون الزوجان منتمين الى نفس الطبقة الاجتماعية بحيث تكون أفكارهما وعاداتهما وثقافتهما متشابهة . الا أن التغيرات التى طرأت على أنماط القيم فى الفترة الحالية حالت دون تحقيق ذلك فى المجتمع المصرى بنفس الصورة السابقة ، أو بنفس القدر الذى ما زال متبعا فى بعض المجتمعات التقليدية .

وتشير علياء شكرى ، فى احدى دراساتها فى المملكــة العربيــة السعودية ان المكانة الاجتماعية لأسرتى الزوج والزوجة تلعب دوراً ملحوظا فى الاختيار للزواج ، فاذا كانت عائلة الفتاة كبيرة عريقة ، فهى تختار من يناسبها ، ولا يستطيع اى شاب خطبتها ، الا اذا كان مساو لها فى المكانة والمنزلة ، أو يعلو عنها (٧٠) .

ولذلك ، فان التفاوت في المكانة الاجتماعية يؤدى الى الصراع داخل الأسرة ، كما يؤدى الى عدم التوافق بين الزوجين ، حيث يتضح ذلك من الحالة رقم (١) التى تقول : « أنا كنت فى الأول مش مقتنعة بيه .. وكمان كنت عارفه انه بيحب بنت عمه وعايز يتجوزها .. أنا كنت حاسة ان ماما هيه اللى بتحاصره وبترمى الشبك حواليه .. وأنا فى نفس الوقت خصوصا بعدما كبرت .. كنت حاسة انه أنسب واحد من اللى حوالينا .. أنا حسيت انه فرصة بالنسبة لى .. خصـوصا ان ما بقاش حد عليه القيمة بيتقدم لى .. ثانيا انه كان تحت أيد بابا .. يعنى كان شمال شمال .. يمين يمين .. ثالثا كنت حاسة أنى بأكسر عينه بمستوانا المادى اللى كان مخليه عمره ما يحلم انه يوصل لواحدة زيبى .. المهم انى اتجوزته .. يمكن ما كنتش باحبه .. وما كنتش باحترمه قوى ، وماكانش هو ده اللى باحلم بيه .. انما كنت حاسه ان مصلحتى بتقول انى لازم أتجوزه » .

٤ ــ العلاقات القرابية :

تعتبر العلاقة مع الأهل من أهم أسباب الخلافات الزوجية وخاصة مع بداية الزواج ، خاصة العلاقة مع الحموات حتى مـع الاستقـلال بمسكن للزوجين . فالزوجة مع استقلالها بأسرتها الجديدة وزوجها ، يكون معياره بداية انه لا بد وأن يترك الزوج ارتباطه وعلاقته مع أسرته الكبيرة التى تربى فيها ، ويبدأ صراع الزوجة فى محاولة استقطابـه وجذبه الى اسرتها ، فى الوقت الذى تظل فيه أسرة الزوج فى محاولتها الابقاء على ابنها وأسرته الجديدة وتدفعه الى محاولة جـذب زوجته اليها . ومن المتعارف عليه فى المجتمع المصرى ان الزوجة تستمـر فى علاقتها الحميمة مع أسرتها وبشكل مستمر ، بينمـا يأخـذ الزوج فى الانسلاخ التدريجى عن أسرته الكبيرة وينضم الى اسرة زوجته تحاشيا لعمليات الصراع التى قد تنشأ عن اصراره على المضى فى الارتبـاط السـابق بأسرته . ويؤدى ارتباط احد الزوجين بأسرته الكبيرة بصورة مرضية الى نشأة بعض المشكلات الأسرية ، وذلك فى حالة التدخـل السـافر للأهل فى شئون الأسرة الصغيرة ، والذى كثيرا ما يحدث حاليا عند اضطرار الزوجين للسكنى مع أى من أسرة الزوجين ، وفى هذا الخصوص يقول الحالة رقم (١٠) « الحلم الوحيد اللى فى حياتى .. أنى أسكن أنا ومراتى فى شقة لوحدنا .. أنا حاسس انى مش متجوز مراتى بس .. انما كمان متجوز أمها معاها .. بتحط مناخيرها فى كـل حاجة .. وبتحشر نفسها فى كل صغيرة وكبيرة .. ساعـات باحس انها بتقوى بنتها عليه .. دايما بتقف جنب بنتها حتى ولو كانت غلطانه ..

انما اللى مخلينى مستحملها آن مراتى عاقلة قوى وبتحاول على قد ما تقدر انها تبعد امها عن التدخل فى حياتنا » .

ولا تقتصر المشكلات مع الأهل على الزوجين الذين يقيمان مع أهل أحد منهما فقط ، انما قد تظهر هذه المشكلات أيضا بين أحد الزوجين واهل الطرف الآخر رغم المعيشة المستقلة ، وذلك عندما يكون هناك فارقا فى المفاهيم والثقافة ، وعدم وجود اهتمامات مشتركة ، وفى ذلك تقول الحالة رقم (٤) : « أهل جوزى ناس طيبين .. بس أنا مش باقدر اتعامل معاهم بطريقة مريحه .. فيه فرق كبير بين طريقة حياتى وبين طريقة حياتهم .. اهتاماتى غير اهتماماتهم .. وطريقة تفكيرى غير طريقة تفكرهم » .

ويتوقف نمط العلاقة مع الأهل على مدى براعة الزوجين فى رسم وتحديد هذه العلاقة ، حيث يتضح ذلك من قول الحالة رقم (٦) : اذ يقول « أهلى مبسوطين من مراتى وبيحبوها جداً .. وهيه كمان بتحبهم ، وعموما أنا قدرت من الأول انى أخلى فيه حدود لتدخل أهلى فى حياتنا .. يعنى فيه حاجات معينة مش من حق أهلى يتدخلوا فيها حتى ولو بمجرد اقتراح .. يعنى احنا لينا خصوصياتنا اللى ما حدش يقدر يقرب منها .. ودى حاجة مريحة لكل الأطراف .. ومخليه علاقة أهلى بمراتى علاقة كلها احترام وحب » .

رابعا ـ المشكلات الخاصة بتعدد الزوجات :

فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحالى ، ذهب الخيال بالباحثين الى حد القول بأن الانسان فى اطواره الأولى لم يعرف زواجا ولا أسرة ، بل كان يعيش فردا فى قطيع .

فقد دفع الباحثين الى هذا القول أمران : أولهما مذهب التطور الذى كان قد بلغ ذروته فى ذلك الحين . وثانيهما ، تصور أن الزواج المبنى على وحدة الزوج والزوجة هو قمة التطور ، حيث أن الزواج السائد فى المجتمعات الأوربية كان الزواج الأحادى وهى اذ ذلك أكثر المجتمعات تقدما (٧١) .

ولما كانت بعض المجتمعات القديمة تمارس تعدد الزوجات وتعدد الأزواج ، فلابد ـ كما يرى البعض ـ أن الانسان البدائى كان يعيش فى حالة اباحية لا ضابط لها ، الا أن المعلومات المتزايدة عن المجتمعات البدائية أضعفت هذا الزعم ، فقد تبين ان الزواج المبنى على وحدة الزوجة بدأ فى أكثر المجتمعات بدائية وأقلها تطورا (٧٢) (٧٣) .

وقد قادنا الى هذا الحديث ما تعرضت له احدى حالات الدراسة (*) من اتخاذ زوجها لزوجة أخرى دون اخطارها بذلك ، طمعا في عدم حرمانه من الامتيازات والنجاحات والمنافع التى حققها من وراء زواجه بالزوجة الأولى والتى يصغرها في العمر بعدة سنوات ٠

وحتى تكتمل الصورة عن تعدد الزوجات فى العصر الحديث ، لابد وأن نلقى نظرة سريعة على ظاهرة التعدد ، فليس فى مقدورنا فهم الحاضر على حقيقته ، اذا لم يكن الماضى ماثلا أمام أعيننا فقد تعددت فى تاريخ الانسان أشكال الزواج ، فالى جانب الزواج الذى يقوم على زوج واحد وزوجة واحدة ، فقد عرف الانسان تعدد الزوجات كما عرف تعدد الأزواج ، الا أن وحدانية الزوج والزوجة كان ولايزال أكثر أنواع الزواج شيوعا حتى فى تلك المجتمعات التى تسمح بشكل آخر للزواج ٠ وتعدد الزوجات كان ولايزال أكثر شيوعا من تعدد الأزواج ٠

وهناك أسباب كثيرة تدفع الرجل فى المجتمعات القبلية الى اتخاذ أكثر من زوجة ٠ منها الرغبة في الحصول على ذرية وبأكبر قدر ممكن ٠ ومنها توسيع شبكة العلاقات التى تنشأ بين الرجل وأقارب زوجته والى أكبر حد ممكن ٠ ومنها أهمية المرأة الاقتصادية حيث تقوم المرأة فى بعض المجتمعات القبلية بالعمل الزراعى كله ، وتسهم فيه لدى البعض الآخر مساهمة فعالة / وزيادة الرجل عدد زوجاته تمكنه من زيادة قوته الاقتصادية ٠ وليس أدل على هذا مما روى من أن أحد زعماء القبائل الافريقيين لم يملك ، عندما شاهد للمرة الأولى محراثا ميكانيكيا ، أن صاح قائلا « ان هذا الشىء الذى أتى به البيض الى البلاد ليقوم مقام عشر زوجات » ٠ وليس فى التقاليد القبلية حد أقصى لعدد الزوجات ٠ وقد روى ان الرجال الأثرياء لدى الناندى يحوز الواحد منهم عددا من النساء يصل الى أربعين ٠ ويقال أن العرف لدى الاشانتى كان يحدد نساء الملك بـ ٣٣٣٣ زوجة ٠

وفى المجتمعات المدنية القديمة لا يلبث تعدد الأزواج أن يأخذ طريقه الى الاختفاء أما تعدد الزوجات فتكتب له الحياة فترة أطول ٠ ومع ذلك فاننا نلاحظ فى هذه المجتمعات اتجاهات نحو الحد منه ٠ وفى بعض الشرائع يتمثل التقييد فى وضع حد أقصى لعدد الزوجات ٠ فالتوراه مثلا تبيح تعدد الزوجات دون ما قيد بينما يشير التلمود الى أن الحكماء نصحوا بأنه لا ينبغى للرجل أن يتخذ أكثر من أربع زوجات ٠ ولدى الهندوس ، طبقا لما رواه البيرونى ، للرجل أن يتزوج من واحدة الى أربع وما فوق الأربع

(*) حالة الدراسة رقم (١) ٠

محرم عليه . ومنهم من يرى عدد النساء بحسب الطبقات حتى يكون للبرهمن اربعا وللشتر ثلاثا ولبيش اثنين ولشودر واحدة . وقد يتخذ التقييد صورة إعطاء الزوجة الأولى الحق في الطلاق عند اتخاذ زوجها زوجة ثانية أو الحق في الحصول منه على تعويض . وقد تستمد المرأة هذا الحق من القـــانون مباشرة وقد تستمده من شروط بهذا المعنى تضـــمن عقد الزواج . ومن الشرائع القديمة ما حرم على الرجل اتخاذ زوجة ثانية الا في حالات استثنائية وأوضح مثال لهذه الشرائع قانون حمورابى (حوالى ١٨٠٠ ق.م) الذى لم يكن يسمح للرجل باتخاذ زوجة ثانية الا اذا كانت الزوجة الأولى تخرج للعمل خارج البيت وتهمل بذلك شئون بيتها أو كانت عاقرا أو مريضة مرضا مزمنا ، بل أن من هذه الشرائع ما ذهب الى تحريم اتخاذ الرجل زوجة ثانية تحريما مطلقا ، كما هو الحال لدى الاغريق والرومان وفى بعض عصور الصين القديمة وفى المسيحية .

وتتشدد كثيرا من التشريعات الحديثة في تحريم تعدد الزوجات ، ففي البلاد التى تدين بالمسيحية ، لا زالت القوانين تحرم اتخاذ الرجل أكثر من زوجة فضلا عن اعتبار الزواج الثانى باطلا ويعرض صاحبه للعقوبة الجنائية . بل أن تحريم التعدد قد امتد الى بلاد كانت قوانيها وتقاليدها من قبل تسمح به ، مثل الهند على سبيل المثال . ففى الهند كانت تعاليم الديانة الهندوسية تسمح بتعدد الزوجات ، كما تسمح به القبائل العديدة المنتشرة فى شبه القارة الهندية ، لكن قانون الزواج الذى صدر فى سنة ١٩٥٥ ، قضى بتحريم تعدد الزوجات ، ولم يستثن من أحكامه سوى الهنود المسلمين . كذلك فان تونس حرمت تعدد الزوجات تحريما تاما ، وذلك بمقتضى قانون الأحوال الشخصية الصادر فى ١٩٥٦ (٧٤) .

وفى الوقت الذى نجـد فيه ان الدين الاســلامى قد شرع تعـــدد الزوجات ، فاننا نجد انه قد قيده بمجموعة من الشروط حيث اشترط المساواة بين الزوجات في الحقوق والواجبات ، كما أوجب على الرجل ان يعدل بين نسائه فى كل ما يستطيع العدل فيه ، فى المأكل والمشرب والملبس والمسكن والمبيت وما الى ذلك فان خاف الا يعدل ما صح له الزواج بأكثر من واحدة (٧٥) .

ورغم أن الاسلام ، قد جعل التعدد رهينا بتحقيق العدل والمساواة بين الزوجات ، وهو ما لا يمكن لأى رجل تحقيقه بسبب النوازع والميول البشرية وهو ما يعنى بالتالى تضييق الخناق على التعدد الى أقل الحدود الممكنة الا أننا نجد أن هناك على الجانب الآخر بعض الآراء التقليدية الجامدة ، التى ترى ترك العنان للتعدد ، وفى ذلك يقول أحد أصحاب هذه الدعوة « الزوجات الأربع التى يحق للمسلم أن يتزوجهن يشبهن وجهات الكعبة

الأربعة ، ويرمزن الى الاستقرار والرسوخ ، وكثيرون هم الذين لا يفهمون السر فى السماح للرجل بأن يتزوج بأكثر من امرأة ، لا بل كانت هذه الناحية موضوع نقد لاذع يوجه للاسلام ، كأن تعدد الزوجات محصور فى الاسلام وحده • وهنا تتقنع روح العصر التى يسمونها تحررا ، بقناع من التعصب المسيحى ضد تعدد الزوجات الى حد ينعتونه به باللاأخلاقية ، ويؤثرون عليه البغاء المنظم ، بينما الواقع أن هدف تعدد الزوجات هو الانقاص من العلاقات الجنسية الاباحية فى المجتمع قدر المستطاع • ووجهة نظر الغرب الى هذا الأثر لا تهمنا بقدر ما تهمنا وجهة نظر بعض المسلمين المصريين اليه ، أولئك الذين عجزوا أنفسهم عن فهم تعاليم الشريعة المتعلقة بتعدد الزوجات لا لسبب الا لأنهم يقيسون الأمور بمقياس الغرب الحديث (٧٦) •

وقد تناسى صاحب هذه الدعوة أن أهداف الزواج تتمثل فى مجموعة من الدوافع ، وهى الحب والشعور بالأمان الاقتصادى ، والرغبة فى الحياة الأسرية وانجاب الأطفال ، وكذلك الأمان العاطفى والهرب من الوحدة ، والشعور بالمشاركة والحماية ، ووجود الصحبة كما ذهب هنرى باومان Henry Bowman (٧٧) وهى كلها وحدة من العوامل التى لا تتجزأ ، والتى ليس فى مقدور واحد من البشر ان يمنحها جميعا بالتساوى وبالعدل لأكثر من امرأة واحدة •

ولقد أدرك المشرع المصرى استحالة تحقيق شرط العدل فى التعدد واعتبر أن عدم العدل يعد اضرارا بالمرأة ، ولذلك فقد أباح للمرأة طلب الطلاق فى حالة اتخاذ الزوج لزوجة أخرى : حيث تنص المادة رقم ١١ مكرر من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ، والمعدل بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥ والخاص ببعض أحكام الأحوال الشخصية : « يجوز للزوجة التى تزوج عليها زوجها أن تطلب الطلاق منه اذا لحقها ضرر مادى أو معنوى يتعذر معه دوام العشرة بين أمثالهما ، ولو لم تكن قد اشترطت عليه فى العقد الا يتزوج عليها » •

كذلك تنص نفس المادة ، على انه « اذا كانت الزوجة الجديدة لم تعلم انه متزوج بسواها ، ثم ظهر انه متزوج ، فلها أن تطلب التطليق كذلك » (٧٨) •

خامسا ـ المشكلات الخاصة بالتوتر الجنسى والعاطفى :

يعد التوافق الجنسى والعـــاطفى من أهم العوامل التى تؤدى الى التوافق بين الزوجين ، حيث تنعكس آثار هذا التوافق على سائر أفراد الأسرة •

ونستطيع ايجاز مظاهر التوتر الجنسى والعاطفى فيما يلى :

١ ـ الغيرة الزوجية :

تعد الغيرة مظهرا من مظاهر التوتر النفسى والعاطفى (٧٩) ، الذى قد يغزو الحياة الزوجية ويهددها بالفشل • وترجع مشاعر الغيرة من جانب المرأة ، الى أن المرأة قد تم تجريدها من كثير من حقوقها الاجتماعية والأخلاقية ، وضيقوا عليها الخناق ، حتى لم يعد فى امكان المرأة أن تعيش فى المجتمع ، الا فى كنف رجل ليعولها اقتصاديا وليحميها اجتماعيا • ووجدت المرأة نفسها فى وضع يفرض عليها الاحتفاظ بزوجها بأى شكل • انها تحاول الاحتفاظ به ، وتخشى أن يتركها ويذهب الى امرأة أخرى ، ولهذا فان المرأة تشعر بما يسمى (الغيرة) أكثر مما يشعر بها الرجل • أى أن غيرة المرأة على زوجها ليست الا محاولة واعية منها ، للاحتفاظ بذلك الزوج الذى لو تركها لانتهت حياتها الاقتصادية والاجتماعية والجنسية والأخلاقية ، لأنها خارج الزواج لا تستطيع أن تعيش اقتصاديا أو اجتماعيا •

وتصل الغيرة بالمرأة أحيانا الى حد أقدامها على القتل ، وهى ظاهرة قديمة قدم التاريخ ، حيث يذهب بعض المؤرخين الى أن زوجة بيبى الأول ، قد امتلأ قلبها كرها وحقدا عليه عندما تزوج للمرة الثانية ، حيث أدى زواجه الى أن تأكل الغيرة قلبها وتثير فى نفسها عاطفة الانتقام ، ولعلها ائتمرت بالملك لتقتله ، ولكنها أخفقت ، الا أنها نجحت فى الوصول الى علتها (زوجته الجديدة) فقتلتها (٨٠) •

وفى مجال غيرة الزوجة تقول الحالة رقم (٤) : « الغيرة أحيانا بتعرف طريقها لنفسى •• هيه فى الحقيقة مش غيره •• انما خوف من أن واحدة تانية تقدر تعوض جوزى عن اللى أنا مش قادره اديهوله •• فيه ستات تانية من اللى بيحتك بيها فى مجال عمله بيعطوه الشعور بانه شخصية وانه حاجة ماحصلتش وانه شيك •• وهوه من ناحيته طيب وأى كلام من النوع ده بيأثر فيه وبيصدقه وفى هذا الخصوص أيضا يقول الحالة رقم (١٠) « مراتى مجنونة بحاجة اسمها الغيرة •• يمكن دى أكثر حاجة بتعكنن علينا حياتنا •• بيتهيأ لها ان أى واحدة باكلمها تبقى حاطه عينها عليه » •

أما بالنسبة للغيرة من جانب الرجل ، فهى تأخذ شكلا آخر يختلف عنه بالنسبة للنساء ، حيث تتمثل لديه وبطريقة لا شعورية فى خوفه على شرفه وحرصا على الصفاء الجسدى لزوجته لضمان صفاء النسل ، هذا من جانب •

وعلى الجانب الآخر ، فان الغيرة من جانب الرجل تعد مظهرا من مظاهر سلطته وسيطرته الذكورية وتفوقه على المرأة عن طريق تملكها ، حيث تلعب غريزة التملك هنا دورا كبيرا فى حرصه على أن تكون زوجته له بمفرده والا يشاركه فيها رجل آخر باعتبار انها ملكية خاصة له ٠

وتذهب بعض الآراء السوسيولوجية الى أن غيرة الرجل هى تعبير عن مشاعر الخوف لديه من فقدان قدرته الجنسية ، حيث أن فقدان هذه القدرة ، التى يسيطر بها الرجل على المرأة ، سيكون مدعاة لأن تذهب زوجته الى رجل آخر (٨١) ٠

وتعد الغيرة لدى الرجل مؤشرا على عدم الثقة فى النفس والذى قد يترتب على الزواج غير المتكافىء من حيث المكانة الاجتماعية والفروق الطبقية ، أو من حيث الفرق بين عمر الزوجين ، أو عدم وجود أبناء لديهم ٠ وفى هذا الخصوص تقول الحالة رقم (٣) (*) : « جوزى بيغير عليه من دبان وشى ٠٠ وخصوصا أنه عارف ان مافيش عيل يربطنى بيه٠٠ وانى ممكن أسيبه فى أى لحظة ٠٠ وفى الحقيقة أنا بالعب بالورقة دى كويس قوى ٠٠ دايما باتفنن انى أثير غيرته عشان يتمسك بيه أكثر وما يطلقنيش » ٠

٢ ـ عدم التوافق الجنسى :

تشير بعض الدراسات الى أن عدم التوافق بين الزوجين والصراع الأسرى قد يكون رمزا لتوترات سلوكية تغاير تلك التى يصرح بها ، كأن تكون الخلافات حول المشكلات الاقتصادية ، تعبيرا مباشرا لعدم التوافق الجنسى بين الزوجين كما أن ما قد يبدو على أنه صراع ثقافى واختلاف بيئى ، قد يكون نتيجة لعدم التجاوب والألفة بين الزوجين ٠

وفى بعض الأحيان يرجع عدم التوافق الجنسى الى اختلاف المعايير والقيم الخاصة بالعلاقة العاطفية بين الزوجين ٠ فاذا كانت المجتمعات الغربية المتحررة تركز على الزواج باعتباره مصدرا للعلاقات العاطفية والجنسية وأن فشل الزواج فى تحقيق هذا الاشباع يهدد بالانفصال ٠ أما المجتمعات التقليدية المحافظة فلا تنظر للزواج من هذا المنطلق بل أن مناقشة العلاقة الجنسية بين الزوج والزوجة تعتبر محرمة ، لذلك نجد أن عدم التوافق الأسرى نتيجة للخلافات بسبب المادة أو بسبب توقعات الدور أو غيرها قد تكون تعبير غير مباشر لعدم التوافق الجنسى والعاطفى ٠ ومن

(*) زوج هذه الحالة يكبرها فى العمر بخمسة وعشرون عاما ٠

ناحية أخرى قد يكون الزوجان على وفاق عاطفيا ولكنهما متنافران جنسيا مما يزيد احتمالات النزاع والتوتر الأسرى بصورة قد يصعب معها أحيانا التوفيق بين الزوجين · وفى هذا الصـــدد يقــول ديكنســـــون وبيم Dickinson & Beam أن المشكلات الجنسية نادرا ما تسببها أمراض عضوية أو اختلال وظيفى بل ان معظمها يرجع للعوامل النفسية والثقافية · كما وجد ديفيز أن العلاقة الجنسية بكل من جانبيها الجسدى العاطفى تلعب دورا رئيسيا فى الحياة الزوجية ويرى الباحثون فى المشاكل الأسرية ان الصراع الأسرى يميل للانتشار من جانب محدد فى العلاقة الأسرية الى جوانب أخرى مثل المشكلات الاقتصادية التى قد تنتقل من المجال المادى الى المجال الجنسى أو العكس · فالسلوك الجنسى يختلف بين الأفراد كما يختلف مع نفس الزوجين من وقت لآخر ، كما ان الوفاق الزواجى يتأثر باتفاق الأزواج والزوجات فى اتجاهاتهم نحو العلاقة الجنسية وأهمية التعبير العاطفى السابق لها (٨٢) ·

ويرجع عدم التوافق الجنسى بين الزوجين الى مجموعة من الأسباب التى يمكن ايجازها فيما يلى :

(أ) الافتقار الى مشاعر الحب بين الزوجين ، والتى قد ترجع الى الزواج غير المتكافىء ، أو الاكراه فى الزواج ، أو القسوة فى المعاملة ·

(ب) البرود الجنسى لدى المرأة ، والذى يعد من بين الأمراض النفسية التى قد تصيب المرأة ·

(جـ) الضعف الجنسى لدى الرجل ، والذى قد يتمثل فى القذف السريع أو فى عدم الانتصاب ·

(د) القسوة الشديدة فى التعبير عن الرغبة الجنسية وفى ممارستها والتى يطلق عليها الســـادية Sadism اذا كانت من جانب الرجل ، والماسوشية Mechosism اذا كانت من جانب المرأة ·

(هـ) الشـــذوذ الجنسى ، والذى يطلق عليه الجنسية المثلية أو اللواط ، Homosexuality ، والذى يســـمى من يمارسه من الذكور بـ « لوطى » Homosexual على حين يسمى من تمارســـه من الاناث بـ « سحاقية » من كلمة « سحاق » Lesbian ، حيث يعد هذان النمطان من الشذوذ من الأمراض النفسية (٨٣)

ويعد عدم التوافق الجنسى فى بعض الأحيان من الأسباب التى تؤدى الى الطلاق ، حيث وجد فى احدى الدراسات الأمريكية التى أجريت فى كل من ولاية ايداهو Idaho ودترويت Detriot ، وبناء على المعلومات التى

أدلى بها المحامون فى كل من الولايتين ، ممن تم توكيلهم من جانب الزوجات فى طلب طلاقهن ان عدم التوافق الجنسى كان من بين الأسباب المؤدية الى طلب الطلاق (٨٤) ٠

وتأتى المشكلات الجنسية فى حياة الزوجين فى مرتبة متأخرة مقارنة بالمشكلات الأخرى ، خاصة فى المجتمعات التقليدية ومنها المجتمع المصرى ، حيث تمثل الروابط العائلية ومصالح الأبناء الأهمية الأولى فى حياة الزوجين بحيث تتضاءل أهمية عدم التوافق الجنسى الذى قد يؤدى الى تفسخ الحياة الزوجية ، أمام توحد رغبة الزوجين ومفاهيمهم الخاصة بضرورة حماية الأسرة من التفكك ، وعدم تعريض الاستقرار النفسى والعاطفى للأبناء للمخاطر الناتجة عن التفكك الأسرى ٠

المحور الثانى : المشكلات الأسرية ذات الجذور المجتمعية :

يشير ديفيد هيلنج الى أن جوهر البناء التحتي الاقتصادى ، يضم النقل والاتصالات ، وتوفير الطاقة والمياه ٠ ويحتوى البناء التحتى الاجتماعى الاسكان والخدمات الطبية كذلك ، وهو ما يسميه رجال الاقتصاد « برأس المال الاجتماعى » ٠ ورغم ان بعض الدول تفضل التنمية مع عجز البناء التحتى ، حيث السماح بتخلف البناء التحتي وتوفير ما يتطلبه ضغط الحاجة فقط ، الا أنه من المسلم به أن النشاط المنتج للسلع لا يمكن تأسيسه اذا لم يتيسر البناء التحتى اللازم (٨٥) ٠ وهو ما حدث للمجتمع المصرى فى السنوات الأخيرة والذى اثر تأثيرا كبيرا على الشباب فى مراحل نموهم النفسى والاجتماعى ، وحال دون تحقيق ذواتهم وهوياتهم من خلال الرغبة فى الزواج والاستقلال الأسرى ، حيث نستطيع بلورة بعض المشكلات التى يواجهها الشباب فى هذه المرحلة ، والتى ترجع الى أسباب وأصول مجتمعية فى الموضوعات التالية :

المشكلات الاقتصادية :

يشير سيد عويس فى احدى دراساته التى أجراها على مجموعة من الشباب حول نظرتهم المستقبلية الى الزواج الى أن جميع الشباب من الجنسين قد أشاروا الى أنهم يفضلون أن يعيشوا حياتهم الأسرية فى مسكن خاص (٨٦) ٠ وهذه هى أهم المشكلات الحيوية التى تواجه الشباب عند اقدامهم على الزواج ٠ فقد أخذت أزمة الاسكان التى تركتها الدولة كليا تقريبا للقطاع الخاص فى التفاقم ، حيث أخذ يهدر الامكانيات المادية المتاحة فى بناء المساكن الفاخرة ، التى تعجز امكانيات الشباب المحدودة عن مواجهة تكاليفها وأعبائها ٠ وأصبح الحصول على الشقة المناسبة الحلم

الذى لا قبل لكثير من الشباب على تحقيقه ، وفى هذا الخصوص يقول الحالة رقم (٧) : « احنا عايشين فى شقة مفروشة متواضعة جدا ·· مافيش وجه شبه بين حياتنا الحالية وبين حياتى أيام ما كنت قاعد مع أهلى » · ويقول الحالة رقم (١٠) : « الحلم الوحيد اللى فى حياتى ·· انى أسكن أنا ومراتى فى شقة لوحدنا ·· أنا حاسس انى مش متجوز مراتى بس ·· انما كمان متجوز أمها معاها » ·

وتتضح أهمية المسكن ، فيما يشير اليه ريتشمان Richman من أن حالة المرأة العقلية ترتبط الى حد كبير بنمط المنزل الذى تقيم فيه من حيث موقعه وعدد حجراته ، وكذلك أثاثه ، وان ذلك ينعكس على علاقتها بزوجها وأبنائها وان الانهيار العصبى للآباء والاكتئاب يكون نتيجة لبعض الظروف البيئية والاقتصادية ، وينعكس على الأبناء (٨٧) ·

وترتبط مشكلة الاسكان فى مصر ، بمشكلة انخفاض الدخول وكذلك قضية الفقر بين مفردات المجتمع المصرى · فقد أدت المتغيرات الاقتصادية الى أن اغتنى فقراء ، وافتقر أغنياء ، وانطلق قلة من المغامرين بامكاناتهم المادية المتنامية التى سخرت لهم قدرات فائقة فى الاقدام على أنشـــطة منحرفة ، نمت ثرواتهم ، وأضرت بغيرهم ، كالاتجار فى العملة ، واستجلاب المخدرات واستيراد السلع الفاسدة والمواد الاستهلاكية الضارة ، والمضاربة فى السوق السوداء ، فتضخمت ثرواتهم بشكل غير عادى ، فى الوقت الذى لا ينتجــون ، ولا يضــيفون للدخل القومى شيئا ، وبقيت الطبقة المتوسطة من محدودى الدخل وأغلبهم من موظفى الجهاز الادارى للدولة تعانى من مشكلات الحياة وأعبائها مما نتج عنه تفاوت هائل فى أسلوب معيشة الأغنياء · مقارنة بالفقراء ، فى حالة المسكن والأحياء التى يعيشون فيها ، ونوعية الخدمات الصحية والتعليمية والثقافية التى يحصلون عليها وحالة المرافق فى أحيائهم السكنية (٨٨) ·

وعن المشكلات الاقتصادية فى حياة حالات دراستنا تقول الحالة رقم (٣) (*) : « جوزى مالوش مصاريف لأنه ما بيدخنش ووقته كله فى الشغل ·· وأنا كمان ماليش طلبات ·· لا باشترى مكياج ·· ولا باعمل شعرى عند الكوافير ·· ولا باحط أحمر ولا أخضر ·· فلوسنا كلها يادوب بتروح على مصاريف الأولاد والبيت والمدارس ·· نفسى أشترى غسالة فول أتوماتيك لأن الغسالة العادية هدت حيلى » ، وتقول نفس الحالة فى موضع آخر « طموحاتنا فى المستقبل محدودة جدا يعنى باحلم ان يبقى عندنا شقة أوسع شوية وفى منطقة راقية عشان الأولاد تتربى فى وسط كويس

(*) تعمل الحالة طبيبة فى أحد مكاتب الصحة فى القاهرة ·

·· انما الشواهد كلها بتقول ان قدامنا عشرين سنة لحد ما يبقى عندنا شقة عدلة وفرش كويس » ·

وتأخذ المشكلات الاقتصادية أشكالا عدة ·· حيث لا تقتصر فقط على موظفى الدولة ، بل تمتد الى بعض الشباب ممن حاولوا الاتجاه نحو العمل الخاص ، وفى ذلك يقول الحالة رقم (٨) : « فى الأول كان عندى أحلام وردية انى أبقى صاحب عزبة بعد سنتين ثلاثة ·· ما تتصوريش المصاريف اللى بلعتها الأرض المستصلحة اللى اشتريتها ·· الأرض بعيدة جدا عن أى مجارى مائية ·· فعملنا بير (أسهب الحالة فى الحديث من مشاكل الآبار) ·· مشكلتى ومشكلة كل الناس اللى حواليه ان استغلال الأرض بطريقة سليمة عايز ألوفات ·· ولأن الأرض أصلا صحراوية فعايزة رعاية ومصاريف جامدة ·· يعنى مثلا الميه اللى بنيجى من البير فيها نسبة ملوحة عالية وده بيعجز الزرع ·· عشر مزارع من التمنتاشر مزرعة اللى حواليه أصحابها ســـابو أرضها تبور لأن مافيش أى عائد جاى منها ·· انما بالنسبة ليه ·· الأرض دى قضية حياة أو موت وقضية مستقبل » ·

ويتضح انخفاض معدلات الدخول فى مصر بالنسبة للطبقات محدودة الدخل من تلك البيانات التى تشير الى أن نصيب الأجور فى الناتج المحلى الاجمالى ، قد انخفض من ٤٩٪ فى النصف الثانى من الستينات وأوائل السبعينات الى ٤٤٪ ، فى منتصف السبعينات ، ثم الى ٣٧ر٦٪ فى عام ١٩٨٧/٨٦ ، ثم الى ما لا يزيد عن ٣٠٪ تقريبا فى عام ١٩٩٣/٩٢ ، أى أن نصيب الأجور قد استمر فى التدهور خلال العقدين الماضيين بشكل يكاد أن يكون مستمرا ومنتظما · وتشـير بعض الدراسـات الأخرى أن نحو ٢٠٪ ــ ٢٥٪ من عدد السكان يعيشون دون حد الفقر (٨٩) ·

ويتضح انخفاض معدلات الدخل فى مصر ، فى احصـــائية للبنك الدولى والتى تشير الى أن متوسط نصيب الفرد من الدخل سنة ١٩٩٤ كان ٦٤٠ ــ دولارا ، فى حين أنه قد بلغ فى سـويسرا ٣٦٠٨٠ دولارا سنويا (٩٠) ·

وفى ضوء هذا الانخفاض الهائل فى معدلات دخول الأفراد ، فان ذلك يعنى الحيلولة بين الشـباب وبين امكانية اشباع حاجاتهم الاقتصادية ، وما يترتب على هذا الاشباع من امكانية اشباع حاجاتهم النفسية الممثلة فى الزواج والاستقرار الأسرى ·

فأوضاع لقمة العيش منهكة بالنسبة للأغلبية الساحقة من هذا الجيل بما يضمه من طبقات دنيا ووسطى · ويعرف هذا الجيل جدلا مضطرما حول الهوية كما يعرف انشطارا ثقافيا بين « الخواجات » و « الدراويش »

داخل صفوفه ٠ ويفرض ذلك على هذا الجيل مسمى البحث عن « العدل » فى الشأن الاجتماعى والبحث عن « التبلور » فى الشأن الثقافى ٠ وكلا الأمرين يفترض وجود أصوات شابه « معبرة » عن مصالح جيلها ، حتى وان كانت « مزعجة » لبقية شركاء الكيان الاجتماعى والسياسى ٠ ولابد أن يكون التمثيل هنا « كافيا » لا « رمزيا » (٩١) فجيل الشباب لا يمثل قطاعا هامشيا بل هو القطاع الأكبر فى المجتمع كله ٠ والأهم من ذلك هو نوعية المشاكل التى يتعرض لها جيل الشـــباب بصورة مباشرة والتى تستلزم تحاورا اجتماعيا وسياسيا يشارك فيه بصورة مباشرة أصحاب الشأن ، وغنى عن الذكر أن قائمة المشاكل الطويلة انما تتصدرها قضية التعليم كما وكيفا ، وقضية التوظف ووجهها العكسى البطالة ، وقضية الاسكان نظاميا كان أم عشوائيا وكلها قضايا تعنى الشباب فى المقام الأول لكونها تمثل مشاكله العينية الأولية ، ولعل هذا هو ما أفرز قضية التطرف والارهاب فى مصر فى السنوات الأخيرة والتى سوف نتناولها بشىء من التفصيل فيما بعد ٠

ثانيا ـ مشـــكلة البطـــالة :

تشـــكل البطالة تحديا خطيرا من تحديات التنمية ، حيث يؤدى شيوعها الى تحول قطاع كبير من أفراد المجتمع الى قطاع غير منتج ، وهو ما يعلل الفجوة التى تفصل بين الدول المتقدمة الصناعية والدول المتخلفة ، حيث ترجع قوة الدول المتقدمة الاقتصـــادية الى القدرة الانتاجية الهائلة للقوى العاملة فيها ، واستثمارها الاستثمار الأمثل فى عمليات الانتاج ٠

وتأتى خطورة البطالة على المستوى الفردى من حيث ما يترتب عليها من انخفاض الدخل الفردى نتيجة اقتسام دخول الأفراد المنتجين مع الأفراد الآخرين غير المنتجين ، وما يترتب على ذلك من انخفاض مستويات المعيشه ، وعدم قدرة الأفراد على تحقيق متطلباتهم وتطلعاتهم ٠

وتأخذ البطالة حيزا كبيرا بين سائر المشكلات الاقتصادية فى مصر ، حيث يتبين لنا ذلك من خلال مناقشتنا للموضوعات التالية :

ـ حجـــم البطـــالة :

لا توجد حتى الآن احصاءات دقيقة تعطى صورة حقيقية عن حجم البطالة فى مصر ، كذلك يلاحظ التفاوت الكبير فى تلك التقديرات مما يثير الشك فى امكانية الاعتماد عليها والاطمئنان الى صدقها ٠

وفى هذا تختلف بيانات وزارة القوى العاملة ، عن بيانات الجهاز

المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، الذى يختلف بدوره فى بياناته عن بيانات المجالس القومية المتخصصة • ويساهم فى تضارب احصاءات البطالة فى مصر ، تعقد هذه الظاهرة بين بطالة موسمية وبطالة سافرة وبطالة مقنعة •

وبوجه عام ، تشير الاحصاءات الى ان عدد العاطلين فى منتصف الثمانينات قد بلغ ٤ر١ مليون فرد ، بما يساوى ٧ر١٠٪ من اجمالى قوة العمل وذلك بزيادة نسبتها ٧٥٪ من مستوى البطالة المسجل فى سنة ١٩٧٦ (٩٢) •

وقد تباينت التقديرات الخاصة بحجم البطالة ، خاصة السافرة منها، فتراوحت ما بين أقل من ٢ مليون متعطل الى أكثر من ٤ مليون ، بل هناك من التقديرات ما يفوق ذلك (٩٣) •

وتبلغ نسبة البطالة بين الحاصلين على مؤهلات جامعية أو أعلى ٨ر١٦٪ من عددهم و ٩ر٧٪ بين الحاصلين على شهادات فوق متوسطة و ٣ر٦٪ بين الحاصلين على شهادات متوسطة ، و ٦٪ بين الحاصلين على شهادة أقل من المتوسط و ٩ر٢٪ بين من يقرأ ويكتب ، و ١ر٤٪ بين الأميين، أى أن أقصى نسبة للبطالة تنتشر بين فئة المتعلمين (٩٤) •

ويلاحظ على مستوى المحافظات ، وجود مجموعة من المحافظات تعانى من مشكلة بطالة واضحة ومتزايدة مثل محافظات كفر الشيخ وأسوان والقيلوبية ثم بورسعيد والدقهلية على التوالى • ورغم أن محافظة القاهرة تأتى فى الترتيب الخامس من حيث معدلات البطالة ، الا أنها تمثل دائما المركز الأول من حيث الاعداد للمتعطلين فيها • وبوجه عام تظهر أعلى معدلات البطالة الحضرية فى محافظة كفر الشيخ ، بينما أعلى معدلات للبطالة الريفية توجد فى القليوبية •

الحياة ومشاكلها •

اشكال البطالة :

ـ البطالة الظاهرة أو السافرة :

وهى تعنى انخفاض فرص العمالة فى سوق العمل والانتاج ، نتيجة انخفاض معدلات الفائض فى العرض مع ارتفاع عدد القادرين على العمل أو الطالبين له • وبمعنى آخر ، فان البطالة السافرة ، تعنى وجود أفراد لديهم الامكانيات والقدرة على العطاء والمساهمة فى الانتاج ، ولكنهم لا يستثمرون هذه القدرة فى العمليات الانتاجية •

- البطالة المقنعة أو المستترة :

وهى تعنى ارتفاع معدلات العمالة ، مع عدم وجود ارتفاع مماثل فى معدلات الانتاج ، اى تكريس اعداد كبيرة من الأفراد للقيام ببعض المهام أو الأعمال فى بعض المجالات المعينة التى لا تتطلب هذه الاعداد الكبيرة ، وهو ما نراه بالنسبة للعمل فى القطاع الزراعى على سبيل المثال مع انتشار القزمية الملكية ، كذلك فان البطالة المقنعة ، تكون فى أغلب الأحيان معوقا للعملية الانتاجية ، خاصة فى قطاع الخدمات ، حيث تنخفض مستويات الخدمات المقدمة نتيجة لتشغيل اعداد كبيرة من الأفراد ، تفوق الاحتياجات الحقيقية لحجم العمل ، مما يؤدى الى نوع من التواكل بين العاملين والتعارض والتضارب فى وجهات النظر واجراءات العمل ، كما تؤدى الى تفشى ظاهرة الروتين والبيروقراطية .

(جـ) البطالة الموسمية أو العارضة :

وهى البطالة التى تظهر بشكل دورى أو موسمى ، وترتبط بصورة كبيرة بطبيعة النشاط الانتاجى نفسه ، وتذبذبه بين الحاجة الشديدة للأيدى العاملة فى بعض الأوقات ، وتراجع وتناقص هذه الحاجة فى أوقات أخرى .

وتستشرى البطالة الموسمية فى مجال العمل الزراعى ، نظرا لارتباط الزراعة بالفترات الموسمية ، التى تتناسب مع زراعة أنواع معينة من المحاصيل فى أوقات بعينها من السنة دون أوقات أخرى . وكذلك تظهر هذه البطالة الموسمية فى مجال السياحة الى حد ما ، وذلك لارتباط سياحة الآثار بفترة الشتاء فى جنوب مصر ، على حين نجد أن هناك بطالة موسمية بالنسبة للسياحة الترفيهية فى مجال الغطس والتزحلق على الماء على سبيل المثال فى شهور الشتاء .

كذلك ترتبط البطالة الموسمية بظاهرة عدم انتظام توافر فرص العمل ، مثال ذلك العمل فى مجال التشييد والبناء ، حيث تنتهى فرص العمل مؤقتا بانجاز واستكمال العمل نفسه ، حيث قد يظل العامل بلا عمل لفترة قد تطول أو تقصر انتظارا لظهور فرصة عمل جديدة فى هذا المجال . وينطبق ذلك أيضا على عمال التراحيل الذين تتذبذب فترات عملهم بين عمل وبطالة ، وفقا لموسمية العمل ، ومدى حاجته الى الأيدى العاملة بصورة متقطعة لا استمرارية فيها .

- أسباب البطالة :

ترجع البطالة الى مجموعة من الأسباب والتى تتمثل فى الآتى :

(أ) أسباب ترجع الى ظروف المجتمع التنموية والاقتصادية، وتتبلور حينما تزداد معدلات الأفراد غير المنتجين ممن هم فى سن العمل والانتاج نتيجة انخفاض معدلات فرص العمل المتاحة فى المجتمع ، وهى بذلك تكون ظروف قهرية خارجية تواجه الراغبين فى العمل، وتمنعهم من المساهمة والمشاركة فى العمليات التنموية والانتاجية ، رغم ظروفهم المواتية من حيث امتلاكهم القدرات والكفاءات التى تؤهلهم للقيام بالعمل فى مجال ما ، مثل خريجى الجامعات المؤهلين ذوى الكفاءات فى مجالات تخصص معينة . فبينما بلغ عدد الخرجين فى الفترة من ٧٤/٧٥ - ٧٩/٨٠ حوالى ٣٨٤٥٦٢ خريجا ، فان الأعداد التى تم توظيفها منهم هى ٢٨٤٦٠٠ فردا . وبينما بلغ عدد الخريجين من ٨١/٨٢ - ٨٥/٨٦ حوالى ٥٢٢٠٨٣ ، فقد تم توظيف ١٦٣٩٠٠ خريجا منهم فقط (٩٥) .

وفيما يتصل بهذه الجزئية بالنسبة لحالات دراستنا ، فان ذلك يتضح من قول الحالة رقم (١٠) : « من قبل ما أنخرج وأنا ما عنديش أمل انى ألاقى شغلانة كويسة .. أنا متخصص فى الماريخ .. عمرى ما حالاقى شغل الا فى الحكومة .. كان ممكن أصبر لحد ما أتعين .. طبعا كنت أتمنى انى اشتغل فى مجال تخصصى .. انما مش كل حاجة الواحد بيعوزها بياخدها » .

(ب) أسباب ترجع الى تقاعس الأفراد أنفسهم عن الانخراط فى سلك العمل، أو عزوفهم عن القيام بأعمال معينه رغم توافر فرص العمل المتاحة ، مثل عزوف بعض الأفراد عن العمل فى مجالات العمل اليدوى أو الحرفى، وترفع البعض عن العمل الزراعى رغم توافر فرصه ومجالاته ، وتفضيل البقاء دون عمل انتظارا لظهور فرص عمل مكتبية أو ادارية سواء فى قطاع الحكومة أو القطاع الخاص ، وتنتشر هذه البطالة بين الكثيرين من خريجى الجامعات ، الذين يرون أن فرص العمل المتاحة لا تتناسب مع مؤهلاتهم وتخصصاتهم،حيث تشير احدى الاحصاءات الصادرة سنة ١٩٩٣ ، ان نسبة المتعطلين لعدم وجود عمل اطلاقا هى ٦٦ر٧٪ من جملة عددهم بينما تبلغ ٣٨ر٥٪ بالنسبة لمن لا يجدون عمل يناسب المؤهل و ٩ر٧٪ بالنسبة لعدم وجود عمل يناسب المهنة ، و ٨ر١٠٪ لعدم وجود عمل بالأجر المناسب ، و ٧ر١٦٪ لعدم وجود عمل فى مكان مناسب ، وأما المتعطلون لأكثر من سبب فقد بلغت نسبتهم ٩ر١٨٪ (٩٦) .

(جـ) أدت الهجرة الداخلية بين الأقاليم / والتى كان هدفها الأساسى البحث عن فرص جديدة ، الى تزايد معدلات البطالة ، حيث اتجهت كثير من موجات الهجرة من مناطق اقامتها الأصلية الى مناطق ذات معدلات أعلى للبطالة مثل القاهرة .

(د) أدى التركيز على تخصيص مزيد من الاستثمارات داخل المناطق الحضرية ، الى اهمال القطاع الريفى نتيجة اتباع سياسات التنمية غير المتوازنة ، حيث لم تنجح هذه السياسات فى خلق فرص عمل كافية فى الحضر ، على حين استمرت معدلات البطالة فى الريف بسبب عدم اهتمام السياسات التنموية بالقطاع الريفى .

(هـ) يرجع ارتفاع معدلات البطالة بين الاناث عنها بين الذكور الى تحيز سوق العمل لصالح الذكور تجنبا لمشكلات تشغيل الاناث الخاصة باجازات الوضع وتربية الأطفال ، فضلا عن انخفاض معدلات التعليم بين الاناث بالقياس الى الذكور .

(و) بدأت بعض الدول النفطية فى الاستغناء عن جزء من العمـالة المصرية ، بعد استكمال بنيتها الأساسية واحتياجاتها التنموية ، خاصة فى ظل انخفاض أسعار النفط ، الذى قلص من تكالبها على العمـالة الخـارجية (٩٧) .

(ز) أدى تصاعد الحرب بين العراق وايران وكذلك الغزو العراقى للكويت الى عودة كثير من المصريين العاملين بالعراق والكويت ، مما رفع من معدلات البطالة .

(ح) ترجع البطالة أيضا فى مصر الى الأحداث الارهابية التى برزت بشكل محدود من خلال تجاوزات اتسم بعضها بالعنف ، وأقدمت عليها عناصر متطرفة فى شـكل اغتيالات وتعـديات على بعض المواطنين أو المسـئولين والأهـداف ، وأماكن التجمع ، حيث هـددت الاستقرار الاقتصادى ، وأثرت بصورة محدودة على موارد الدولة ودخلها من السياحة والاستثمار الأجنبى (٩٨) .

وهكذا يتبين لنا أن قضـية البطـالة منذ النصف الثـانى من الثمانينات ، قد أصبحت واحدة من المشـكلات الاقتصادية والاجتماعية الخطيرة والمزمنة ، حيث تتأتى هذه الخطورة من الطبيعة الهيكلية لهذه البطالة ، حيث لا ترجع الى سبب واحد ، وانما الى مجموعة من الأسباب والعوامل المتصلة بالنظم والسياسات التنموية والاقتصادية ، والتى يحتاج علاجها وتعديلها الى وقت طويل .

ثالثا ـ مشكلة الارهاب والتطرف :

تعني كلمة الارهاب « الاعتداء أو التهديد بالاعتداء على الأرواح او الأموال أو الممتلكات العامة والخاصة بشكل منظم من قبل دولة أو مجموعة ما ضد المجتمع المحلي أو الدولي باستخدام وسيله من شأنها نشر الرعب في النفوس لتحقيق هدف معين (٩٩) .

أي ان الارهاب هو تهديد باستخدام القوة أو استخدامها فعلا بواسطة جماعة سياسية أو عقائدية تجاه جماعة أخرى أو دولة أخرى .

وتعد ظاهرة الارهاب وليدة لظاهرة التطرف الديني الذي ظهر في المجتمع المصري في السنوات الأخيرة والتي انعكست على معظم حالات دراستنا الحالية كما سيتضح لنا في موضع لاحق مما يجعل من المتحتم علينا تناول أبعاد الارهاب والتطرف المختلفة ، وذلك من خلال الموضوعات التالية :

ـ أنواع التطرف :

ينقسم التطرف الى نوعين أساسيين هما :

(أ) التطرف السلبي :

ويبدو في الالتزام بمعتقدات وسلوكيات معينة خارج المألوف ، مع عدم فرضها على الغير ، ويبدو هذا النمط من السلوك في محاولة الانعزال عن البيئة الاجتماعية . كما في حالات الهجرة عن المجتمع بغرض اعتزاله ، مع الحكم على أفراده وحكامه بالضلال والكفر ، ووجوب المقاطعة في مختلف أوجه النشاط الاجتماعي ، وتجنب أي تفاعل أو تعاون أو تكيف مع أفراد ذلك المجتمع .

التطرف الديني الايجابي :

حيث يحاول أعضاؤه فرض معتقداتهم ونشر آرائهم بين أفراد المجتمع بمختلف الوسائل وكافة السبل ، مع امكانية استخدام وسائل العنف المختلفة تحقيقا لهذا الهدف .

وقد اتجهت بعض الآراء الى اعتبار التطرف نمط من أنماط الجريمة على حين يرى البعض أن أركان التجريم لا تتوافر في ظاهرة التطرف ، فالجريمة في جوهرها خروج عن القواعد الاجتماعية القانونية باتخاذ سلوك مناهض مع ما تقضي به تلك القواعد ، فهي اذا حركة في عكس اتجاه

القاعدة / أما التطرف ، فهو يبدأ حركته فى اتجاه القاعدة الاجتماعية أو القانونية / أو الأخلاقية ، ولكنها حركة يتجاوز مداها الحدود التى وصلت اليها القاعدة ، وارتضاها المجتمع • وقد تنتهى هذه الحركة بنشاط أو سلوك ايجابى مناهض للقاعدة الاجتماعية والقيم والمعايير السائدة ، قد يأخذ شكل طابع العنف ، وهو ما يشكل جريمة من الجرائم المعاقب عليها قانونا • وفى هذه التفرقة تكمن صعوبة التعامل مع المتطرف ، لأنه يبدأ مسيرته من داخل القاعدة ، وفى اتجاهها الصحيح (١٠٠) • وبالتالى لا يكون محل مؤاخذة من السلطة أو المجتمع • ولذلك تزداد صعوبة اتخاذ اجراءات الوقاية المناسبة تجاه التطرف نتيجة لما يلى :

(أ) عدم وجود معيار دقيق للتمييز بين الشخصية الدينية المعتدلة والمتطرفة فكل منهما يلتزم بقواعد الدين وأصوله ، ويظل الأمر هكذا حتى يفصح المتطرف عن نواياه جهرا ، أو يظهر بوضوح سلوكه المتسم بالعنف •

(ب) ان مدخل الدعوة الى التطرف هو نفس المدخل للدعوة الى الفكر الاسلامى وهى دعوة مشروعة لا غضاضة فيها ، تقوم بها أجهزة الدولة الرسمية ، والمنظمات ، والقاعدة الواسعة من المتدينين من أبناء المجتمع •

٢ ـ اسلوب عمل الجماعات الارهابية المتطرفة :

(أ) تتكون الجماعات الارهابية من مجموعات رباعية أو خماسية ، تقوم بتطبيق اجراءات أمن مشددة فيما بينها وعلى كافة المستويات •

(ب) تعمل على جذب الشباب من سن ١٥ الى ٣٥ سنة فى المساجد الأهلية والزوايا المختلفة ، لاستقطابهم لأفكار الجماعة واتجاهاتها •

(ج) تطرح أفكار الجماعة على العناصر الجديدة من خلال برامج تثقيف محددة المعالم ، تخدم أفكارهم ، وتتمشى مع أهدافهم ينشرون من خلالها المعتقدات الخاطئة •

(د) تهتم بالتدريب لاعداد الأفراد اعدادا مناسبا لأهدافهم (رياضة بدنية ـ رماية ـ دفاع عن النفس ••• الخ) •

(هـ) تسعى الى استقطاب عناصر من القوات المسلحة بصفوفها ، مع محاولة الحصول على الأسلحة والذخائر والمعدات ، بمختلف الطرق الممكنة •

(و) تسعى لاستغلال المشكلات الاقتصادية والاجتماعية ، والمعاناة الجماهيرية وبعض الأحداث السياسية التى تمر بها البلاد ·

٣ ـ مصـــادر تســـليح الارهـــاب :

يعتبر التســـليح من أهم الجـــوانب التى تعتمد عليها الجماعات الارهابية ، وتتعدد مصادر التسليح كما يلى :

(أ) سرقة مخازن الأسلحة والمفرقعات ، ومهاجمة رجال الدوريات والحراسة للاستيلاء على أسلحتهم وذخائرهم ·

(ب) سرقة محال السلاح والمفرقعات من خلال عمليات الســـطو المســـلح ·

(جـ) التصنيع المحلى للسلاح ، سواء تصنيع الأسلحة البسيطة أو القنابل الحارقة والمتفجرة ·

(د) تهريب الأسلحة والذخائر والمفرقعات الى داخل المجتمع من خلال الحدود والمنافذ المختلفة ·

(هـ) السطو المسلح على بعض المحال التجارية خاصة محال بيع الذهب لتوفير العملات اللازمة لشراء الأسلحة ، وتجنيد بعض العناصر عن طريق اغرائها ماديا ·

٤ ـ العناصر الرئيسية لفكر المتطرفين :

يشـــير ضياء رشوان فى تحليله للعنف الذى تمارسه الجماعات الارهابية الى اننـا لسنا أمام مجرد نمط من أنماط العنف السياسى أو الاجتماعى ، الذى يمارسه اسلاميون ، بل نحن أمام نمط خاص يمكن أن نسميه نمط « العنف الاسلامى » ، والذى يجد معظم جذوره وأركانه فى قراءة بعينها للاسلام ، والذى يكون من وجهة نظرهم دافع كاف لأن يجعل من العنف منهج حياة وحركة (١٠١) · وتتلخص العناصر الرئيسية لفكر المتطرفين فيما يلى :

(أ) الاسلام لدى هذه الفئة ، انما هو فى الأســـاس والأصل عقيدة ، أى توحيد كامل ومطلق وخشوع كامل للخالق · وهى قضية مطلقة لا تحتمل موقفا وســطا ، ولأن مجـال العقيدة ، أى عقيدة ـ هو التصديق الغيبى والعقلى ، فقد اكتسى مفهوم الايمان لدى أهل العنف

الاسلامى طابعا صارما لا يحتمل كثير تفسير أو تأويل ، فالمؤمن هو من يقر بالتوحيد ويجعل غاية وجوده عبادة الله ٠

(ب) التنفيذ الحرفى لكل ما أمر به الله فى القرآن الكريم ، أو عبر سنة رسوله ، وهنا يظهر ذلك المصطلح الغامض (الحاكمية) بسنده القرآنى الذى لا تكاد تخلو منه وريقة واحدة صادرة عن هؤلاء : « ومن لم يحكم بما نزل الله ، فأولئك هم الكافرون » ٠

(جـ) تكفير المجتمعات المعاصرة ، واباحة دماء أبنائها وأموالهم ، مع اعتبار أنها مجتمعات تعيش فى جاهلية ما قبل الاسلام ، نظرا لبعض المظاهر الشائعة مثل (الربا ــ الخمر ــ تبرج المرأة ــ فســـاد الخلق ٠٠٠ الخ) ٠

(د) لفظ الحياة الاجتماعية ، ورفض القيم الاجتماعية السائدة فى المجتمع ، وتحريم أنواع السلوك الاجتماعى المعتاد ، مثل (العمل بالدولة ــ التعليم ــ العلاج ــ الملكية الخاصة ــ عمل المرأة ــ مشاهدة التليفزيون والسينما والمسرح ــ الصلاة جماعة أو فى المساجد ــ الالتحاق بالجيش والدفاع عن البلاد ــ التقاضى والقوانين الوضعية ٠٠٠ الخ) ٠

(هـ) عدم الأخذ بأى مذهب من المذاهب فى التفســـير للقرآن والسنة ، وانكار الأحاديث النبوية التى رويت على لســـان الســـيدة عائشة ، مع اعتبار المذاهب والطرق الصوفية من البدع والضلالة (١٠٢) ٠

(و) مقاطعة غير المســـلمين من اليهود والمسيحيين مقاطعة تامة ، واباحة الاعتداء عليهم وأخذ أموالهم ٠

(ز) تحريم الولاء للدولة والمجتمع ، لأن الولاء لله وحده ٠

(ح) يرى أصحاب هذا الفكر ، أن الاستيلاء على السلطة السياسية هو المدخل الوحيد لاعادة أسلمة المجتمع ، واقامة دولة اسلامية ٠ وفى ذلك يقول سيد قطب : « وظيفة الاسلام هى اقصاء الجاهلية من قيادة البشرية » ٠ ولم يبتعد اتباع سيد قطب عن منهجه ، حيث نجد أن صالح سرية يجزم فى « رسالة الايمان » بأن : الجهاد لتغيير الحكومات واقامة الدولة الاسلامية فرض على كل مسلم ومسلمة » (١٠٣) ٠

(ط) الغاية من اقامة الحكم بما أنزل الله فى نظر المتطرفين ، ليست كما يتصـــور كثيرون ، مجرد اقـــامة دولة ومجتمع للحق والعدل والمســـاواة على نهج دولة الرسول فى المدينة ، فتلك هى غاية أطراف اسلامية أخرى أهمها الاخوان المسلمين ٠ أما لدى من يمارسون « العنف

الاسلامى » ، فانه لا غاية سوى الطاعة المطلقة لأوامر الله « يا أيها الذين آمنوا ، أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، ولا تبطلوا أعمالكم » بل ان التساؤل عن الحكمة من هذه الأوامر ، يعد خروجا عن تلك الطاعة • وفى ذلك يقول مؤسس تنظيم الجهاد محمد عبد السلام فرج فى مؤلفه (الفريضة الغائبة) : « ان اقامة الدولة الاسلامية ، هو تنفيذ لأمر الله ، ولسنا مطالبين بالنتائج » (١٠٤) •

٥ ـ أسباب التطرف الدينى والارهاب :

(أ) ما عانته الحركة الدينية المتطرفة ، من ضربات اجهاضية أمنية ، مما أدى الى ظهور جيل موتور من العناصر الشبابية ذات الفكر المتطرف •

(ب) تبنى البعض مبدأ تطبيق الشريعة الاسلامية ، وعدم اقتناعهم بمصداقية الجهات التى تقوم على دراستها وتنفيذها •

(جـ) ما أسفرت عنه تجربة الممارسة الديمقراطية من آثار جانبية بعد غيبة طويلة •

(د) عدم قدرة مؤسسات الدولة على احتواء الشباب وشغل أوقات فراغهم بما يؤدى الى التنفيس عن طاقتهم ، والتعبير عن مشكلاتهم وهمومهم •

(هـ) أدى الفراغ الدينى ، وعدم الوعى بالقواعد والأصول الدينية الصحيحة الى سهولة وقوع بعض فئات الشباب فى براثن التطرف والارهاب والانقياد الأعمى لزعماء هذه الحركات •

(و) تعطى البنية الاجتماعية والقيم السائدة أبعادا اضافية لظاهرة التطرف والارهاب ، كما هو الحال فى صعيد مصر • فالتضامن العائلى والقبلى ، يدفع فى ظل سياسات العنف الحكومية ، وخاصة العقاب الجماعى ، الى انخراط وحدات اجتماعية هامة فى الصعيد ، مثل العائلة والقبيلة فى نزاعات عنيفة مع السلطة • وتدفع قيمة الثأر التى تحتل مكانة محورية فى نمط القيم والبناء الاجتماعى فى الصعيد ، الى خلق نمط من العنف الثأرى مع الدولة ورموزها (١٠٥) •

(ز) ولا شك ان البطالة قد لعبت دورا كبيرا فى انتشار ظاهرة التطرف الدينى والارهاب ، حيث تؤدى احباطاتهم الممثلة فى عدم القدرة على تلبية احتياجاتهم المادية الدنيوية ، وحرمانهم من تحقيق تطلعاتهم

المستقبلية فى الحياة بطريقة مناسبة ، الى اللجوء الى استخدام العنف أملا فى تحقيق وتلبية احتياجاتهم وتطلعاتهم .

(ح) كان من أسباب ازدياد معدلات التطرف ، ذلك الاتجاه المتنامى للنمط الاستهلاكى الترفى ، الذى ساد بين فئات المجتمع والذى جاء على أثر تذبذب القيم الروحية فى المجتمع وسيطرة القيم المادية (١٠٦) ، حيث أدى ذلك الى افراز فروق طبقية حـــادة وصراعات قيميه ولدت الحقد الاجتماعى ، ومشاعر الاغتراب لدى أبناء المجتمع الواحد ، أشعر قلة منهم بوجوب التغلب على هذه الفجوة بينهم وبين الآخرين من خلال سلوك منحرف (اجرامى أو ارهابى متطرف) .

٦ ـ انعكاسات ظاهرة الارهاب على حالات الدراسة :

انعكست مشكلة الارهاب التى تصدرت مشكلات المجتمع المصرى فى السنوات الأخيرة ، على بعض حالات دراستنا ، حيث تمت هذه المرحلة من الدراسة فى الفترة من ١٩٨٩ ـ ١٩٩٤ وهى الفترة التى وصلت فيها العمليات الارهابية حد الذروة ، حيث يتبين لنا ذلك من خلال قول الحالة رقم (١) : « احنا شركا فى قرية سياحية كبيرة .. القرية كانت شغالة من نار أيام ما كان فيه سياحة كويسة .. انما دلوقتى للأسف وبعد حوادث الارهاب .. بقت حتى ما بتغطيش مصاريفها بالرغم من اننا خفضنا عدد الناس اللى كانوا يشتغلوا فى القرية .. بابا عنده أرض تانية فى سفاجا وكان متخيل ان ايراد قرية الغردقة مع قرض من البنك ممكن يبنى بيهم قرية جديدة فى سفاجا .. هوه لسة عليه فلوس للبنك من أيام ما عملوا قرية الغردقة .. وخايف ان لو السياحة فضلت نايمة كده انه يضطر يبيع فيلا فايد والفيلا اللى فى الساحل الشمالى عشان يقدر يسدد قرض البنك » .

وفى هذا الخصوص تقول الحالة رقم (٤) : « حكاية الارهاب دى أثرت قوى على موضوع ايجار الشقة المفروشة اللى بأجرها للعرب السنة دى والسنة اللى فاتت » .

ويقول الحالة رقم (٦) : « افتتحت الفندق بتاعى فى أوائل سنة ١٩٩٢ وكانت المؤشرات كلها بتقول ان المشروع حيغطى تكاليفه فى مدى ١٠ سنوات على الأكثر .. لكن للأسف بدأت حركات الارهاب .. وابتدى حجم السياح يتقلص بصورة ملحوظة .. لدرجة انى استغنيت عن اعداد كبيرة جدا من العاملين فى الفندق .. انما حتى الاعداد القليلة اللى لسة موجودة أنا بادفع مرتباتهم من جيبى دلوقتى .. عموما أنا أحسن من غيرى

لان ما اخدتش أى قروض من البنوك ٠٠ انما اللى فى ورطة صحيح ٠٠ همة أصحاب المشروعات الســـياحية اللى اخدين قروض ٠٠ لأن وضع السياحة لو استمر بالشكل ده ٠٠ معناه ان بيوت الناس دى حتخرب ٠٠ وحبخسروا اللى وراهم واللى قدامهم .

ويقول الحالة رقم (٧) : « شركة السياحة اللى كنت باشتغل فيها ٠٠ ابتدت تعاملنا ماليا معاملة فى غاية القسوة بعد نكسة السياحة ٠٠ ولقيت ان الفلوس اللى بآخذها من الشركة ما بتكفيش حتى أجرة الفندق اللى ساكن فيه فى الغردقة ٠٠ فرحت مقدم استقالتى وسبت الشركة ٠٠ ورجعت وقعدت مع أهلى فى القاهرة عشان أدور على شغل تانى » .

ويقول نفس الحالة فى موضع آخر : « شيء صعب جدا على النفس ان الواحد يكون عنده ٣٠ سنة وتخنيه الظروف عالة على أهله ٠٠ منهم لله بتوع الارهاب ٠٠ خربوا بيوتنا ٠٠ وقطعوا لقمة عيشنا ٠٠ كل اللى حيلتى أنا وأصحابى حطيناه فى مركز الغطس ٠٠ وحتبقى كارثة لو أن السياحة مارجعتش زى الأول ٠٠ ده فيه مليارات الناس حطيتها فى مشاريع سياحية ٠٠ ولو استمر الحال على كده حتتخرب البلد .

ويقول الحالة رقم (١٠) أيضا فى هذا الخصوص : « مراتى بعد ما الشركة الاستثمارية اللى كانت بتشتغل فيها استغنت عنها ٠٠ راحت اشتغلت فى مصنع بردى ٠٠ ويا دوب بعد شهرين ثلاثة المصنع استغنى عنها وعن مجموعة كبيرة من اللى كانوا بيشتغلوا هناك ، لأن سوق السياحة لما انضرب بسبب الارهاب ٠٠ صناعة البردى انضربت برضه » .

ولعل ما أشارت اليه آخر الاحصاءات عن تدنى أعداد السياح الذين وفدوا الى مصر لخير دليل على الآثار السيئة التى ترتبت على العمليات الارهابية ، حيث أشارت الى أن عـدد الليالى الســياحية قد انخفض من ٢١٧٣٦ ألف ليلة سياحية سنة ٩٢ الى ١٥٠٨٩ سنة ١٩٩٣ (١٠٧) .

وهكذا يتبين لنـــا ، ان التغيرات البنائية التى طرأت على المجتمع المصرى قد انعكست آثارها على الكثير من جوانب حياة فئة الشباب ـ كما رأينا من خلال التراث الاجتماعى ومن خلال حالات الدراسة ـ سواء من حيث العلاقة بين الزوجين والعوامل الشخصية الذاتية ـ ذات الأصـــول الاجتماعية والثقافية ـ على مستوى التوافق أو عدم التوافق بين الزوجين ، أو من حيث أثر التغيرات البنائية التى طرأت على المجتمع المصرى والتى بلورت مجموعة المشكلات التى أصبحت تواجه فئة الشباب فى السنوات الأخيرة ، والممثلة فى المشكلات الاقتصادية المترتبة على خلل السياسات التنموية والاقتصادية والتعليمية ، والتى كان لها كبير الأثر فى ارتفاع

معدلات البطالة ، وانخفاض معدلات الدخول ، وتفشى ظاهرة الفقر ، واتساع الفروق الطبقية ، وانعكاس ذلك على اتجاهات بعض الشباب فيما يتصل بظاهرة التطرف الدينى والارهاب ، التى عانى منها المجتمع المصرى فى السنوات الأخيرة ، والتى انعكست آثارها على معدلات الدخل القومى ، من جراء تقلص معدلات الدخل من السياحة ، مما انعكس بدوره على معدلات الدخل الفردى وتدنى مستوى معيشة الأفراد ٠

استخلاصات الدراسة الثالثة

جاءت نتائج دراستنا التتبعية الثالثة ، لتلقى الضوء على العديد من جوانب حياة أفراد المجتمع المصرى ، ممثلة فى حالات الدراسة خاصة فى ظل أدوارهم الجديدة فى مجال العمل والزواج والوالدية ٠ ولتشير الى أن المتغيرات الاقتصادية ، التى طرأت على المجتمع المصرى فى العقدين الأخيرين ، قد أدت الى تغيرات عميقة الأثر على بنية المجتمع ، والتى انعكست على حياة الأفراد وذلك بالنسبة لبعض القيم خاصة المادية منها والممثلة فى أساليب التفكير المادى وأوجه الانفاق ، ونمط المعيشة ، ذلك فى الوقت الذى لازالت فيه بعض الجوانب الثقافية التقليدية فى حياة هؤلاء الأفراد تمارس تأثيرات هائلة فى قيمهم وسلوكياتهم ومفاهيمهم ، مما يشير الى أن الثقافة المادية والمعطيات المادية المحسوسة تتغير بسرعة أكبر من الثقافة التكيفية الممثلة فى العادات والمعتقدات والفلسفات والقيم ، حيث يؤدى ذلك الى بروز ونشأة ظاهرة صراع القيم ٠ كذلك فقد اتضح من خلال هذه الدراسة أن أفراد المجتمع لا يمكن لهم أن يعيشوا بمعزل عما يدور بداخله من أوجه الخلل أو الصراع ، حيث تأثرت حالات الدراسة ـ بوصفهم جزءا من هذا المجتمع ـ بالمشكلات الاقتصادية الناجمة عن خلل السياسات فى هذا المجال ، وتغيرها واختلافها من حقبة زمنية الى أخرى وفقا لتغير شخوص ومكانات صانعى القرار ، كما تأثرت هذه الحالات أيضا بذلك الصراع العلنى ، الذى قام بين الحركات الارهابية وبين السلطة والذى انعكست آثاره على معظم أفراد المجتمع ومن بينهم حالات دراستنا ٠

وقد خرجت نتائج الدراسة لتشير الى الآتى :

١ ـ انعكست القيم المادية انعكاسا واضحا على انماط الاحتفالات بالمناسبات العديدة فى حياة الأسرة ، بحيث يمكن القول بأن هذه الأنماط فى الفترة الحالية ، قد أصبحت ذات صبغة طبقية ، فقد أصبحت حفلات الزفاف واعياد الميلاد ضربا من المباريات بين كبار رجال الأعمال والثراء فى الوقت الذى يعانى فيه الغالبية العظمى من عدم القدرة على مواجهة أدنى الحاجات الضرورية للحياة ٠

كذلك فقد أصبح نمط قضاء شهر العسل أيضا من الأنماط الطبقية ، والذى يختلف من شريحة اجتماعية الى أخرى ، وفقا لاختلاف القدرات المادية للعروسين كما يعكس القيم السائدة فى كل طبقة على حدة ٠

٢ ـ يعد الاحتفال بسبوع الطفل من الطقوس الاحتفالية الشائعة ٠

٣ ـ يعد ختان الأطفال من المناسبات الخاصة التى تحتفل بها الأسرة خاصة بالنسبة للذكور ٠ كذلك فمازال هناك بعض القيم المتخلفة التى تؤيد قضية ختان الاناث ، للحفاظ على عفافهن ٠

٤ ـ لا تفضل الأسرة المصرية الحضرية فكرة الابن الوحيد ، وتتدخل القيم التقليدية المتخلفة فيما يتعلق بحجم الأسرة المرغوب فيه ، حيث تتفق أو تتصارع اتجاهات الزوجين بالنسبة لأحجام أسرهم ، وفقا لانتماءاتهم التقليدية ، خاصة الريفية الحضرية ٠

٥ ـ تمثل الرضاعة الطبيعية اهمية كبرى بالنسبة للنساء ، فيما عدا من تتركز اهتماماتهن حول ذواتهن ويخشين على شكل قوامهن وأجسامهن ٠

٦ ـ تحظى متابعة الحمل والاشراف الطبى على عملية الولادة ، باهمية كبيرة ، وان كانت نفقات الرعاية الطبية الخاصة (خاصة العلاج فى المستشفيات الاستثمارية) تمثل ثقلا على عاتق أصحاب الدخول المحدودة للغالبية العظمى ٠

٧ ـ يعتمد نسق الأسرة بصورته الايجابية على مدى نجاح الزوجين فى تحقيق وانجاز أدوارهم الوظيفية ٠

٨ ـ رغم أن الانجاب خاصة بالنسبة للطفل الأول ، يعد قيدا على حرية الزوجين ومدى استمتاعهما بحياتهما الخاصة ، الا أن الوالدية باعبائها العديدة تلقى قدرا كبيرا من الترحيب خاصة بالنسبة للأم ، على حين تؤدى الى ظهور الغيرة لدى الأب من انصراف اهتمام زوجته عنه واستئثار الوليد باهتمامها ٠

٩ ـ يعد العقم من أكثر المشكلات اهمية فى حياة الزوجين ، خاصة بالنسبة للمرأة ، حيث ينتقص الى حد كبير من دورها كانثى وأم ٠

١٠ـ يختلف نمط السلطة فى الأسرة وفقا للانتماءات الريفية الحضرية للزوجين ووفقا لعمليات التنشئة الاجتماعية التى تعرضوا لها خلال مراحل حياتهم والتى قد تذكى الذكر عن الأنثى أو تساويه بها ٠

١١- يؤدى خروج المرأة الى تصارع أدوارها ، مما يوقعها فى دائرة من المشكلات النفسية والصحية ، حيث تسعى جاهدة الى عدم الاخلال بواحد من هذه الأدوار ٠

١٢- يقع العبء الأكبر من عمليات تنشئة الأبناء على عاتق الأم ، حتى فى ظل خروجها للعمل ، حيث يفضل الأب الابتعاد عن المواقف المشحونة بالتوتر بينه وبين الأطفال ، وترك هذه المهمة للأم ٠

١٣- على الرغم من خروج المرأة للعمل لأسباب اقتصادية ، ومحاولتها اضافة دخل جديد للأسرة لمواجهة مطالب أفرادها ، الا أن القيم التقليدية لازالت تحول دون مشاركة الزوج للمرأة فى الأعمال المنزلية ، والتى اتفق عرفيا على أنها من الأدوار الانثوية ، ويخرج عن هذا التعميم أولئك الأفراد الذين يؤمنون بأن الحياة الزوجية نوع من المشاركة فى كل أمور الحياة ٠

١٣- تؤدى الفروق العمرية بين الزوجين الى بعض المشكلات الأسرية ٠

١٤- تؤدى الفروق فى مستوى التعليم بين الزوجين الى عدم التوافق الأسرى ٠

١٥- تؤدى الفوارق الطبقية بين الزوجين الى زيادة حدة الصراع على المستوى الأسرى ٠

١٦- تتوقف علاقة الزوجين بأهل كل منهما على مدى تفتح وتفهم الزوجين لشكل هذه العلاقة ، حيث يؤدى عدم وضع حدود فاصلة لتدخل الأهل الى بعض المشكلات الأسرية ٠

١٧- يمثل تعدد الزوجات بعدا من أبعاد المشكلات الأسرية ، حيث يؤدى صراع الزوجات حول الرجل الى الكثير من أوجه التعاسة بالنسبة لكل الأطـــراف ٠

١٨- تعد الغيرة وعدم التوافق العاطفى والجنسى من مظاهر التوتر والصراع داخل الأسرة ٠

١٩- تمثل المشكلات الاقتصادية الخاصة بانخفاض معدلات الدخول ، وعدم القدرة على تلبية الحاجات الأساسية سببا من أسباب التوتر فى الأسرة ٠

٢٠- تمثل البطالة سواء بالنسبة للرجل أو المرأة العاملة جانبا من جوانب المشكلات الاقتصادية ذات الجذور المجتمعية ، والتى تنعكس آثارها على الحياة الزوجية والأسرية ٠

٢١- أدت الأحداث الارهابية فى أوائل التسعينات ، والتى أقدمت عليها العناصر المتطرفة فى شكل اغتيالات وتعديات على بعض المواطنين أو المسئولين أو الأهداف ، الى أن تتأثر مجريات حياة اعداد كبير من أفراد المجتمع ، ومنهم حالات الدراسة ، حيث انضم البعض منهم الى فئة العاطلين نتيجة الاستغناء عنهم كقوى عاملة ، بالاضافة الى انخفاض وتدهور مستوى دخولهم نتيجة الأزمة التى تعرضت لها صناعة السياحة فى مصر .

الهوامش :

١ -

Henry A. Bowman, Marriage for Moderns, McGrow Hill, New York, 3rd (ed.), 1954, p. 42.

٢ -

Kingsley Davis, Human Society, The Macmillan Company, New York, 1949, p. 394.

٣ -

G.P. Murdock, Social Structure, Macmillan Co., New York 1949, p. 91.

٤ -

Henry A. Bowman, Marriage for Moderns, Op. Cit., p. 161.

٥ - بنجامين سبوك ، موسوعة العناية بالطفل ، ترجمة عدنان كيالى وآخرون ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، سنة ١٩٧٥ ، ص ٢١ ، ص ٢٢ .

٦ - أوسفالد كوله ، ولدك هذا الكائن المجهول ، ترجمة أمين رويحه ، دار القلم ، بيروت ، سنة ١٩٧٤ ، ص ٨٥ .

٧ - مصطفى فهمى ، سيكلوجية الطفولة والمراهقة ، مكتبة مصر ، القاهرة سنة ١٩٧٩ ، ص ١٧٠ .

٨ - مصطفى فهمى ، سيكلوجية الطفولة والمراهقة ، مكتبة مصر ، القاهرة سنة ١٩٧٩ . ص ١٧٠ .

٨ م- نفس المرجع . ص ١٦٣ .

٩ - أوسفالد كوله ، ولدك هذا الكائن المجهول ، مرجع سابق ، ص ٨٥ .

١٠ - بنجامين سبوك ، حديث الى الأمهات ، ترجمة منير عامر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٧ ص ١٢٢ .

١١ - حسن شحاته سعفان ، الموجز فى تاريخ الحضارة والثقافة ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٦٩ .

١٢ - أحمد بدوى ، فى موكب الشمس ، الجزء الأول فى تاريخ مصر الفرعونية من فجره الصادق حتى آخر الضحى . الطبعة الأولى ، مطبعة لجنة البيان العربى ، سنة النشر لم تذكر ، ص ٢١٢ .

١٣ - نوال السعداوى ، الأنثى هى الأصل ، الطبعة الأولى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص ١٧٢ .

١٤ - السيد محمد عاشور مركز المرأة فى الشريعة اليهودية ، دار الاتحاد العربى للطباعة ، القاهرة ، سنة ١٩٧٤ ، ص ٣ - ٤ .

١٥ ـ نفس المرجع ، ص ٥٣ ٠

١٦ ـ شكرى نجار ، ظاهرة انتقاص المرأة ، مجلة الفكر العربى ، معهد الانماء العربى للطباعة ، القاهرة ، سنة ١٩٧٤ ، ص ٣ ـ ٤ ٠

١٥ ـ نفس المرجع ، ص ٥٣ ٠

١٦ ـ شكرى نجار ، ظاهرة انتقاص المرأة ، مجله الفكر العربى ، معهد الانماء العربى ، بيروت ، سبتمبر ١٩٨٠ ، ص ٧٢ ٠

١٧ ـ محمود سلام زناتى ، شريعة منو (ترجمة) ، مجلة الدراسات القانونية جامعة أسيوط ، كلية الحقوق ، سنة ١٩٨٧ ، ص ٢٦٠ ٠

١٨ ـ محمود سلام زناتى : الزواج والأسرة فى الشرائع الحديثة ، كتاب الموسم الثقافى لجامعة الكويت ، العام الجامعى ٦٨/٦٩ ، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧ ٠

١٩ ـ برتراند راسل ، نحو عالم أفضل ، ترجمة درينى خشبه وعبد الكريم أحمد ، العالمية للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ١٤٦ ٠

٢٠ ـ محمد سلام زناتى ، الزواج والأسرة فى الشرائع الحديثة ، مرجع سابق ، ص ٢٨٦ـ٢٨٧ ٠

٢١ ـ برتراند راسل ، نحو عالم أفضل ، مرجع سابق ، ص ١٤٦ ٠

٢٢ ـ أحمد بدوى ، فى موكب الشمس ، مرجع سابق ، ص ٧٠ ٠

٢٣ ـ القرآن الكريم : سورة الأعراف ٠

٢٤ ـ القرآن الكريم : سورة البقرة ٠

٢٥ ـ المرأة المسلمة فى المجتمع المسلم (ورقة عمل مقدمة من الاخوان المسلمين) مؤتمر الحوار الوطنى ، النقابة العامة للمحامين ، القاهرة ، ٢٧/٣/٩٤ ـ ١٤/٤/١٩٩٤ ، ص ٢ ٠

٢٦ ـ القرآن الكريم ، سورة الروم ٠

٢٧ ـ القرآن الكريم ، سورة البقرة ٠

٢٨ ـ القرآن الكريم ، سورة الشورى ٠

٢٩ ـ صحيح البخارى بشرح السندى ، الجزء الأول ، مطبعة دار احياء الكتب العربية ، سنة النشر لم تذكر ، ص ٣٩٢ ٠

٣٠ ـ سيد حسين نصر ، الاسلام أهدافه وحقائقة ، الدار المتحدة للنشر بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٤ ، ص ١٠٨ ٠

٣١ ـ الزمخشرى ، الكشاف عن حقائق التنزيل تحديد الاقاويل فى وجوه التأويل ، الجزء الأول دار النشر لم تذكر ، سنة ١٩٦٦ ، ص ٥٢٣ ٠

٣٢ ـ الرازى ، مفاتيح الغيب ، الشهير بالتفسير الكبير ، الجزء الثانى ، سنة النشر لم تذكر ص ٤٣٤ ٠

٣٣ ــ هبة رؤوف عزت ، المرأة والعمل السياسى ، رؤية اســـلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، سنة ١٩٩٢ ، ص ١٥٠ ٠

٣٤ ــ نفس المرجع ، ص ١٤٨ ٠

٣٥ ــ

Florence Guy Seabury ; The General Attack on the subordination of women, in he New Feminism in Twentieth Century, Heath and Company, London, 1991, p. 28.

٣٦ ــ محمود سلام زناتى ، الزواج والأسرة فى الشرائع الحديثة ، مرجع سابق ، ص ٢٨٥ ٠

٣٧ ــ محمد حلمى مراد ، الوجيز فى قانون العمل والتأمينات الاجتماعية ، مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ١٠٤ ٠

٣٨ ــ مصطفى بوتفنوشت ، العائلة الجزائرية : التطور والخصائص الحديثة ، ترجمة دمرى احمد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٨٤ ، ص ٢٩٠ ٠

٣٩ ــ زينب عبد المولى ، المرأة والعمل ، مطبعة الحرية الحديثة ، القاهرة ، سنة ١٩٩٣ ، ص ٩٦ ــ ١١٢ ٠

٤٠ ــ

Lori Hopkinz ; Women Roles in Morern Life, MacGrow Hill, New York, 1992, pp. 41-49.

٤١ ــ مصطفى بوتفنوشت ، العائلة الجزائرية ، مرجع سابق ، ص ٢٩٧ ٠

٤٢ ــ ابراهيم سعد الدين ، المرأة الريفية والتعاونيات ، الندوة الدوليــة عن المرأة الريفية والتنمية ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعــة عين شمس ١٩٨٠ ، ص ١٢٧ ٠

٤٣ ــ

Talcot Parsons, The social system, Routledge and Kegan Paul Ltd., London, 1970, p. 65.

٤٤ ــ

Stansfeld Sargent, Concept of role and ego, in Contemporary Psychology, in Johns H. Rohrer and Muzaffer Sherif (eds.) Social psychology at the crossroads, Harper and Brothers, New York, 1951, p. 53.

٤٥ ــ

Kingsley Davis, Human Society, Op. cit., p. 90.

٤٦ ــ

Edwin Thomas and Brue J. Biddle, The Nature and History of role theory in : Brace J. Biddle (ed.) Role Theory, Academic press, New York, 1979, p. 334.

٤٧ ــ

Margeret Conway and Frank B. Feigert., Political Analysis An Introduction, 2nd (ed.) Allyn and Bacon, Boston, 1978, p. 189-197.

٤٨ ـ
Vilhelm Aubert ; Elements of Sociology, Heneman Publishers, London, 1968, pp. 46-48.

٤٩ ـ
Ann Philippes, Divided Loyalities : Dilemmas of sex and chase, Virago Press, London, 1987, pp. 3-12.

٥٠ ـ اجلال اسماعيل حلمى ، دراسات عربية فى علم الاجتماع الأسرى ، دار القلم للنشر والتوزيع ، الطبعة الاولى ، دبى ، ١٩٩٠ ، ص ٢٠٤ .

٥١ ـ محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٧٩ ، ص ٣٩٢ .

٥٢ ـ اجلال اسماعيل حلمى ، دراسات عربية فى علم الاجتماع الأسرى ، مرجع سابق ، ص ٦٩ .

٥٣ ـ محمود سلام زناتى ، الزواج والأسرة فى الشرائع الحديثة ، مرجع سابق ، ص ٣٩٠ .

٥٤ ـ باسمه كيال ، سيكلوجية المرأة ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، سنة ١٩٨٣ ، ص ٢٤٤ .

٥٥ ـ نوال السعداوى ، الانثى هى الاصل ، الطبعة الأولى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٤ ، ص ١٥٥ .

٥٦ ـ محمود سلام زناتى ، الزواج والاسرة فى الشرائع الحديثة ، مرجع سابق ، ص ٣٨٥ .

٥٧ ـ اسييوف ، قضايا علم الاجتماع ، دراسة نقدية لعلم الاجتماع الرأسمالى ، ترجمة سمير نعيم وفرج أحمد فرج ، دار المعارف ، ١٩٧٠ ، ص ١٤٣ .

٥٨ ـ
Talcot Parsons, the American Family, its Relations to Personality and the social sructure, in T. Parsons and R.F. Bales, Family Socialization and Interaction Process, Routledge and Kegan Paul, London, 1956, p. 16.

٥٩ ـ بنجامين سبوك ، موسوعة العناية بالطفل ، مرجع سابق ، ص ٩٨ .

٦٠ ـ بنجامين سبوك ، حديث الى الأمهات ، ترجمة منير عامر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ١٢٧ .

٦١ ـ نفس المرجع ، ص ١٢٥ .

٦٢ ـ مصطفى الديوانى ، أطفالنا ومشاكلهم الصحية ، مرجع سابق ، ص ٨٤ .

٦٣ ـ نوال السعداوى ، الأنثى هى الأصل ، مرجع سابق ، ص ١٨٦ .

٦٤ ـ سهير لطفى ، وضع المرأة فى الأسرة العربية ، وعلاقته بأزمة الحرية والديمقراطية ، ندوة المرأة ودورها فى حركة الوحدة العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، سنة ١٩٨٢ ، ص ١٣٠ .

٦٥ ـ اجلال اسماعيل حلمى ـ دراسات عربية فى علم الاجتماع الأسرى ، دار القلم للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، دبى ، ١٩٩٠ ، ص ١٩٧ .

٦٦ ـ أحمد عامر ، المرأة المصرية والمشاركة السياسية ، مؤتمر حول بعض الجوانب الاجتماعية والقانونية للمرأة فى مصر ، الاسكندرية ، ١١ ـ ١٦ يونيو ١٩٨٨ ، ص ٥٥ـ٥٩ .

٦٧ـ يوسف سعد ، نصائح للمرأة فى الحب والزواج ، المركز العربى الحديث ، القاهرة ، سنة النشر لم تذكر ، ص ٤٥ .

٦٨ ـ محمد شفيق ، التشريعات الاجتماعية العمالية والأسرية ، المكتب الجامعى الحديث ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ١٠٩ .

٦٩ ـ علياء شكرى ، الاتجاهات المعاصرة فى دراسة الأسرة ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ١٩٠ ـ ١٩١ .

٧٠ ـ علياء شكرى ، بعض ملامح التغير الاجتماعى والثقافى فى الوطن العربى ، دراسات ميدانية فى بعض المجتمعات المحلية فى المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، سلسلة علم الاجتماع المعاصر ، القاهرة ، سنة ٧٩ ، ٧٩ ص ٤٦٠ .

٧١ ـ محمود سلام زناتى ، الزواج والأسرة فى الشرائع الحديثة ، مرجع سابق ، ص ٢٧٩ .

٧٢ ـ محمد الجوهرى ، الانثروبولوجيا ، أسس نظرية وتطبيقات عملية ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص ٢٧١ ـ ص ٢٩٩ .

٧٣ ـ رالف ل بيلز ، وهارى هويجر ، مقدمة فى الأنثروبولوجيا العامة ، ترجمة محمد الجوهرى والسيد محمد الحسينى ، الجزء الأول ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ٥٤٩ .

٧٤ ـ محمود سلام زناتى ، الزواج والأسرة فى الشرائع الحديثة ، مرجع سابق ، ص ٣٨٢ ـ ص ٣٨٣ .

٧٥ ـ عبد الحميد لطفى ، علم الاجتماع ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر مرجع سابق ، ص ٣٨٢ ـ ص ٣٨٣ .

٧٦ ـ سيد حسين نصر ، الاسلام : أهدافه وحقائقه ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، سنة النشر لم تذكر ، ص ١٠٦ .

٧٧ ـ

Henry A. Bowman, Marriage for moderns, McGraw Hill, New York, 3rd (ed.,) 1954, p. 29-30.

٧٨ ـ الأحوال الشخصية للمسلمين طبقا لأحدث التعديلات ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ، سنة ١٩٨٥ ، ص ٧٠ .

٧٩ ـ

Sandra Selloro, Marriage and Love, Freeman and Company New York, 1993, p. 171-173.

٨٠ ـ أحمد بدوى ، فى موكب الشمس ، مرجع سابق ، ص ٢١٩ .

٨١ ـ نوال السعداوى ، الرجل والجنس ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٥ .

٨٢ ـ اجلال اسماعيل حلمى ، دراسات عربية فى علم الاجتماع الأسرى ، دار القلم للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، دبى ، سنة ١٩٩٠ ، ص ٢٠٥ ٠

٨٣ ـ سيجموند فرويد ، ليونارد دافنشى : دراسة فى السلوك الجنسى الشاذ ، ترجمة عبد المنعم الحنفى ، مكتبة مدبولى ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٧ ، ص ٦ ـ ص ٢٤ ٠

٨٤ ـ

Robert O. Blood ; Marriage, The Free Press of Glencoe, New York, 1922, p. 233.

٨٥ ـ ديفيد شلنج ، فجوة البناء التحتى ، مقال فى كتاب الاقتصاد والمجتمع فى العالم الثالث ، ترجمة محمد الجوهرى وآخرون ، دار المعارف سنة ١٩٨٢ ، ص ٢٢١ ٠

٨٦ ـ سيد عويس ، حديث عن المرأه المصرية المعاصرة ٠ دراسة ثقافية اجتماعية ، مطبعة أطلس سنة ١٩٧٧ ، ص ٢٠٩ ٠

٨٧ ـ

William B. Richman, Urbanization, Englewood Cliffs, New Jersy, 1993, p. 15-16.

٨٨ـ سمير نعيم ، أهل مصر ، دراسة فى عبقرية البقاء والاستمرار ، مركز كمبيوتر واوفست المنصورة سنة ١٩٩٣ ، ص ٦٠ ٠

٨٩ ـ مجدى صبحى الأزمة الاقتصادية والاجتماعية فى مصر ، مؤتمر الحوار الوطنى ، النقابة العامة للمحامين ، القاهره ٠ القاهرة ٩٤/٣/٢٧ ، ٩٤/٤/١٤ ، ص ٤ ٠

٩٠ ـ البنك الدولى ، تقرير عن التنمية فى العالم ١٩٩٤ ، التنمية الأساسية من أجل التنمية ، مؤشرات التنمية الدولية ، مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص ١٩٤ ٠

٩١ ـ أحمد عبد الله ، التمثيل السياسى للشباب المصرى ، مؤتمر الحوار الوطنى النقابة العامة للمحامين ، القاهرة ، ٩٤/٣/٢٧ ـ ١٩٩٤/٤/١٤ ، ص ٢ ٠

٩٢ ـ معهد التخطيط القومى ، تقرير التنمية البشرية ١٩٩٤ ، مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص ٢٦ ٠

٩٣ ـ محمد شفيق ، التنمية الاجتماعية ، دراسات فى قضايا التنمية ومشكلات المجتمع ، المكتب الجامعى الحديث ، الاسكندرية ١٩٩٤ ، ص ٣٤٤ ٠

٩٤ ـ الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، التشريع اربع سنوى لبحث العمالة بالعينة فى جمهورية مصر العربية ، مايو ١٩٩٣ ، ص ٨٠ ـ ٨٢ ٠

٩٥ ـ محمد شفيق ، التنمية الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٣٤٠ ٠

٩٦ ـ الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، التشريع الربع سنوى لبحث العمالة بالعينة فى جمهورية مصر العربية ، مرجع سابق ، ص ٨٣ ـ ٨٥ ٠

٩٧ ـ سلوى سليمان ، البطالة فى مصر ، المؤتمر الأول لقسم الاقتصاد ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ٥٨٨ـ٥٨٩ ٠

٩٨ ـ محمد شفيق ، مشكلة البطالة فى مصر : حجمها ـ أسبابهـا ، بحث مقدم الى ندوة دور القوات المسلحة فى المساهمة للقضاء على مشكلة البطالة فى الدولة ، مركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة ، سنة ١٩٩٣ ، ص ٤ .

٩٩ ـ محمد شفيق ، الارهاب وعلاقته بالمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية ، أكاديمية الشرطة ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ٦٤ .

١٠٠ ـ محمد شفيق ، الأبعـاد الاجتماعية للتطرف العقائدى : طبيعته ـ اسبابه ـ اثاره ـ ومواجهته ، بحث مقدم الى ندوة « قضايا الساعة الأمنية تحت المجهر » ، أكاديمية الشرطة ، هيئة التدريب والتنمية معهد القادة لضباط الشرطة ، يونيو ١٩٨٧ ، ص ١٥ .

١٠١ـ ضياء الدين رشوان ، العنف فى مصر . المسببات ـ الممارسات ـ المعالجات ـ ورقة عمل مقدمة لمؤتمر الحوار الوطنى ، النقابة العامة للمحامين ، القاهرة فى ٩٤/٣/٢٧ ـ ٩٤/٤/١٤ ، ص ٣ .

١٠٢ـ فاروق فريد شكرى ، العنف السياسى والتطرف الدينى فى مصر وأثره على أمنها القومى ، أكاديمية ناصر العسكرية العليا ، كلية الدفاع الوطنى ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ١٥ ص ١٩ .

١٠٣ـ ضياء الدين رشوان ، العنف فى مصر ، مرجع سابق ، ص ٦ .

١٠٤ـ نفس المرجع ، ص ٢ ـ ٤ .

١٠٥ـ أحمد عامر : نظام الثأر كحقيقة حضارية والضبط السياسى فى سيناء والصعيد والصحراء الغربية ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٢ ، ص ٨ .

١٠٦ـ محمد صفيق ، الجريمة والمجتمع ، محاضرات فى الاجتماع الجنـائى والدفاع الاجتماعى ، المكتب الجامعى الحديث ، الاسكندرية ، ١٩٨٧ ، ص ٢٢٧ .

١٠٧ـ الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، الكتاب الاحصائى السنوى ١٩٥٢ ـ ١٩٩٣ ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص ٣٦١ .

نماذج من الشباب المصري المعاصر

حالات الدراسة

١٩٨٤ - ١٩٩٤

أولا : حالات الاناث

حالة رقم (١) الدراسة الأولى ١٩٨٤ ..

تبلغ من العمر الثالثة والعشرين عاما ، وهى طالبة بالسنة الرابعة بكلية التجارة ، ينحدر الأب من أصل ريفى ، على حين تنحدر الأم من أصل حضرى ، كان الأب يعمل موظفا فى شركة مصر للطيران ، ثم ترك الخدمة ليعمل لدى واحدة من كبرى شركات الاستيراد الخاصة ومن خلال هذا العمل اكتسب الخبرة والاتصالات التى مكنته من افتتاح شركة خاصة به لتجارة العدد والآلات ، وهو حاصل على ليسانس آداب قسم انجليزى .

أما الأم فحاصلة على شهادة للتمريض وكانت تعمل فى مستشفيات القوات المسلحة ، وعندما استقرت أوضاع عمل الزوج ، اعتزلت عملها وتفرغت كربة أسرة .

وتسكن هذه الأسرة فى فيلا فى مصر الجديدة مكونة من ثلاثة أدوار تحتوى على ٧ حجرات وثلاثة حمامات وصالتين ، كما تحتوى على حديقة خلفية صغيرة ، وحديقة أمامية كبيرة . وقد انتقلت الأسرة لهذا السكن الجديد منذ ثلاث سنوات فقط ، حيث كانت تسكن فى شقة مكونة من حجرتين باحدى المناطق الشعبية .

ودخل الأسرة الشهرى مرتفع جدا حيث يزيد عن خمسة آلاف جنيه شهريا وان لم تستطع الحالة تحديد المبلغ تماما .. وللحالة شقيق آخر في السنة الثانية بكلية الآداب قسم الانجليزى .

ولنترك الحالة تتحدث عن نفسها :

احنا كنا عايشين فى مستوى كويس جدا .. صحيح كنا ساكنين فى منطقة متوسطة انما ده لأن ماما كانت بتحب الجيران ومش هاين عليها تسيب المنطقة .. انما احنا أثرنا عليها وخليناهم يشتروا لينا الفيلا .. وخصوصا ان ثمنها كان لقطة .. كانت بـ ٨٠ ألف جنيه بس .. صحيح

كانت مكسرة ومبهدلة ، انما احنا صرفنا عليها حوالى ٣٠ ألف جنيه علشان تبقى معقولة تناسب مستوانا ٠٠

بابا لأنه بيشتغل في مصر للطيران ٠٠ كان لينا كل سنة تذاكر مجانى للخارج كل سنة ٠٠ انما واحنا صغيرين كان بابا دايما مشغول٠٠ وكان هوه دايما يسافر لوحده ٠٠ من حوالى خمس سنين بقينا كلنا بنسافر معاه ٠٠ عادة بنسافر نقضى شهرين فى أوربا ٠٠ وأحيانا بنسافر فى اجازة نص السنة علشان (الشوبنج) ٠٠ اشترينا من بره معظم أثاث الفيللا ٠٠ وطبعا كل الأدوات الكهربائية الحديثة حتى « الميكروويف » عندنا منه اثنين ٠

أنا باخد مصروف فى الشهر حوالى ٣٠٠ جنيه واخويا كمان بياخد زيى ٠٠ انما ده يا دوب بيكفينى بالعافية ٠٠ وعادة على نص الشهر أروح لبابا وأقول له شنطتى بردانة وعايزة تدفى ٠٠ فيروح مطلع لى ٥٠ أو ١٠٠ جنيه ٠٠ أنا أصلى بأموت فى الفسح والخروج ٠٠ وكل يوم والتانى أروح حمام سباحة أو أتغدى فى أوتيل من الأوتيلات الكبيرة ٠٠ وطبعا مابحبش أروح لوحدى٠٠فاعزم معايا اثنين والا ثلاثة من الشلة٠٠الفلوس بتطير من ايدى زى العصافير ٠٠ مش عارفه ليه ٠٠ طبعا المصروف بتاعى ده حاجة خاصة بيه أنا ٠٠ انما ملابسى ومكياجى ومصاريف العربية كل الحاجات دى على حساب بابا ٠٠

بابا من دلوقتى عامل حساب الشقق اللى حنتجوز فيها أنا وأخويا٠٠ اشترى أرض فى مصر الجديدة علشان نبقى قريبين منهم وبنى عمارة ٢٠ شـقة باع ١٦ بالتمليك ٠٠ وحجز لكل واحـد مننا شقتين فتحهم على بعض ٠٠

هوه كمان حاطط لكل واحدة فينا فى البنك مليون جنيه ٠٠ حتى ماما كمان ٠٠

بابا وماما بيحبونى جدا ، وحنينين قوى على وعلى اخويا .. السنة اللى فاتت جالى دور برد جامد وبعده حصل حاجة فى وشى زى الشلل ٠٠ بعدها بيومين كنت فى مستشفى لندن ٠٠ مافيش نسبة بين هنا وهناك أول ما شافونى الدكاترة عرفوا أنا عندى ايه علطول ٠٠ وبعد أسبوع كنت فى مصر ٠٠ هنا بقى كان حلنى على بال مايعرفوا أنا عندى ايه ٠٠

أنا ماعنديش مشاكل بالنسبة للتعليم ولا الجامعة ٠٠ الا حكاية الزحمة اللى بتبقى دايما فى المدرجات .. لدرجة انى أنا شخصيا بأجر من

فراش الكلية كرسى أقعد عليه .. لأنى حتى لو لقيت مكان فاضى فى المدرج ٠٠ وده نادر لما بيحصل ٠٠٠ بأقرف أقعد وأتحشر فى وسط الطلبة وفى وسط التراب والقذارة اللى ماليه المكان ٠٠ على العموم أنا مش محتاجة انى أحضر كل المحاضرات ٠٠ أنا بآخد دروس من سنة أولى تقريبا فى كل المواد ، يا دوب باحضر السكشن أحيانا .. المعيدين والمدرسين المساعدين عندنا عادة بيدوا الدروس لمجموعات مكونة من ٥ أو ٦ من الطلبة ٠٠ انما أنا بأحب دايما آخد الدرس لوحدى ٠٠ وهمه طبعا ماعندهمش مانع مادام أنا بادفع لهم قد اللى بتدفعه كل المجموعة ٠٠

أنا شخصيا مش شايله هم حكاية الوظيفة والتعيين بعد التخرج ٠٠ بابا حيشغلنى معاه فى الشركة بتاعته ٠٠ أهم حاجة فى الموضوع ده انى حأبقى على راحتى ٠٠ أروح وقت ما أنا عايزة ٠٠ وأغيب وقت ما أنا عايزة ٠٠ أنا عمرى مافكرت انى أشتغل لا فى الحكومة ولا فى القطاع الخاص٠٠ أنا بآخد ٣٠٠ جنيه فى الشهر أو أكثر مصروف ايدى ومابيكفوش ٠٠ يبقى حآخد كام لما أتخرج ٠٠ علشان كده أنا حآخدها من قصيرها وأشتغل فى شركة بابا ٠٠

أنا ماعنديش أى مشكلة فى حياتى٠٠لأن بابا عنده أصحاب ومعارف على مستوى فى كل مكان ٠٠ ده حتى رخصة السواقة بتاعتى جات لى البيت لحد عندى من غير ما اتبهدل فى المرور أو أعمل امتحان ٠٠

من أول سنة دخلت فيها الجامعة وبابا بيغير لى أنا وأخويا العربية كل سنة ٠٠ أيام ثانوى كان عندى فولكس ٠٠ السنة دى كان عندى مرسيدس ١٩٠ ٠٠ انما أنا زهقت من المرسيدس ، دى بقالها عندى سنة كاملة ٠٠ وعلشان كده بابا جاب لى السنة دى B.M.W. ٠٠ وعلشان أخويا مايزعلش غير له عربيته كمان وجاب له أخت بتاعتى بس لون تانى ٠٠

أنا ماعنديش وقت فراغ لأنى باستغله كويس ٠٠ أنا باسافر مع العيلة فى الصيف أوربا كل سنة ٠٠ وأحيانا كثيرة فى اجازة نص السنة كمان ٠٠ بقية الوقت باقضيه فى حمام السباحة فى شيراتون هليوبوليس أو فندق السلام .. احنا مشتركين فى نادى الشمس ونادى الضباط لأن ماما كانت نقيب فى هيئة التمريض فى الجيش ٠٠ انما مستواهم بقى مش قد كده ٠٠ انما أحيانا باضطر أروح النادى لأن معظم أصحابى بيروحوا هناك ٠٠ ولما مايكونش فيه بروجرام خروج ٠٠ باتفرج على الفديو ٠٠ عندنا حساب مفتوح فى أكثر من نادى للفديو ٠٠ دايما بنشترى آخر الأفلام والمسرحيات مهما كان ثمنها غالى ٠٠ وبقية الوقت باسمع فيه موسيقى ٠٠ أنا عندى أصحاب فى الشلة بيدخنوا حشيش٠٠

أنا جربته مرة واحدة بس ماعجبنيش طعمه .. السجاير من غير حاجة طعمها أحسن ·· أنا بادخن تقريبا من توجيهى ·

أنا طبعا موافقة أن الشعب يشترك فى تسديد ديون مصر ·· انما لازم يبقى فيه عدل فى النقطة دي ·· لازم كل الناس تدفع زى بعضها مش يقولوا ان الطبقة الغنية هى اللى تتحمل معظم المبلغ ·· لأن ماتنسيش ان الواحد مهما كان غنى عليه مصاريف والتزامات ·

التحليل والتعليق على الحالة

تعد هذه الحالة نموذجا فريدا لبعض فئات الانفتاح الاقتصادى بكل معاييرها وأبعادها وقيمها وسلوكياتها ، وكذلك لانعكاساتها على النسق القيمى ·

فالأب بدأ حياته موظفا فى شركة مصر للطيران ، ومن ثم بدأت أولى خطواته نحو المشروعات التجارية من خلال عمله هذا ، فكما هو معروف ساد لفترة ما فى مصر الحظر على استيراد وجلب العديد من السلع بقصد الاتجار ، وانحصر ذلك فى نطاق الاستخدام الشخصى ، ومع ذلك كانت أمثال هذه السلع تنتشر فى الأسواق بصورة غير شرعية ·· وكانت المؤشرات تدل فى ذلك الوقت على أن هذه السلع تجد طريقها للسوق المحلية عن طريق الأفراد من تجار الشنطة ، وبعض العاملين فى مجال الطيران ·· وهذا يفسر عمليات السفر المتكررة لوالد الحالة الى الخارج بمفرده لسنوات طويلة ·· اذ أن تكاليف السفر لم تكن تتمثل فى ارتفاع أسعار الطيران بقدر ما كانت تتمثل فى ارتفاع أسعار الفنادق والأطعمة والمواصلات بالمقارنة بالأسعار التى كانت موجودة فى مصر فى ذلك الوقت، الى جانب انخفاض مستوى الأجور الشديد لفئات الموظفين · ومن ثم كانت عمليات السفر فى معظمها قاصرة على طبقة الأثرياء ورجال الأعمال ، والسفريات الخاصة بالمأموريات ·

ثم استطاع الأب من خلال علاقات العمل التى عقدها مع احدى كبريات شركات الاستيراد الخاصة ، أن يكتسب الخبرة فى مجال العمل ، وأن يكون قنوات اتصال جيدة مع المصانع الأجنبية ، وكذلك تكوين بعض رأس المال الذى مكنه من أن يستقل بالعمل لحسابه ، وأن يكون شركة خاصة به ·

ويتسع نطاق العمل ، وترتفع نسبة الأرباح من خلال فروق الأسعار المستورد بها وأسعار البيع فى السوق المحلية ، ومن ثم تراكم فائض قيمة الأرباح ، ثم ينعكس ذلك على أوضاع الأسرة ، حيث تنتقل من الشقة التى كانت تسكنها لمدة تزيد عن ٢٠ عاما والمكونة من حجرتين وصالة باحد

الأحياء الشعبية الى فيللا بلغت تكاليفها النهائية ١١٠ ألف جنيه ٠ ويتم تجهيز الفيللا بعشرات الآلاف من الجنيهات ، وتبدأ أنماط معيشية واستهلاكية وترفيه مشابهة لتلك الأنماط الأوربية ان لم تكن تفوقها ، وذلك نتيجة توافر وتراكم رأس المال ٠ ويزداد الاتجاه نحو السلوك الاستهلاكي الترفي بكل أبعاده ٠ فالأب يقوم بتغيير سيارات أبناءه كل عام وفقا لآخر صيحة فى انتاج السيارات ، وتبدأ الأسرة فى قضاء اجازاتها فى الخارج ، وشراء مستلزماتها ، وكذلك الأمر بالنسبة للعلاج ٠ ثم يقوم الأب بفتح حسابات ثابتة لكل من الأبناء والزوجة فى البنوك تبلغ ٣ مليون جنيه ٠ فهو من جهة يقوم بتأمين مستقبلهم ، ومن جهة يقوم بتشتيت الثروة وتوزيعها حتى لا تتضح الأبعاد الحقيقية لرأس المال الذى يمتلكه ٠

ويمتد نشاط الأب التجارى من نطاق استيراد العدد والآلات نتيجة زيادة الأرباح المتحصلة ، الى الاتجاه نحو مشروعات تجارية أخرى مربحة، فهو يقوم ببناء عمارة مكونة من ٢٠ شقة ٠٠ يحجز منها ٤ شقق لتأمين أبناءه من حيث توفير المسكن ، ويقوم ببيع باقى الشقق ٠ ومن خلال حصيلة هذا المشروع الجديد مضافا اليه جزء من الأرباح الأخرى المستمرة من الشركة ، ينتقل من مشروع تجارى الى آخر ، وهو بذلك يقوم بعمليات تنموية متتالية لرأس المال ، يكون المواطن العادى طرفا سالبا فيها ٠

فهو عندما يقوم ببيع العدد والآلات الى الشركة المحلية ، يغالى فى تحديد هامش الربح ، استنادا الى كونه الوكيل الوحيد للشركات الأجنبية التى يقوم بتسويق منتجاتها ، ومن هنا تبدأ آليات السوق العالمى فى التفاعل مع البناء الاقتصادى للمجتمع ، اذ يترتب على رفع مستوى هامش الربح الذى يحدده الى أن تقوم الجهات التى يتعامل معها بالتالى برفع أسعارها حتى تحقق هى الأخرى هامش الربح الذى ترغب فيه ٠ وتنتقل هذه السلع الى أيدى الحرفيين والورش بذلك السعر المرتفع ، مما يؤدى بهم الى رفع أسعار خدماتهم حتى يحققوا هم أيضا هامش الربح الذى يرونه مناسبا لهم ، ومن ثم تصل لنا الخدمة فى صورة أسعار مبالغ فيها ٠٠ والتى يكون أفراد المجتمع ممن يحتاجون الى تلك الخدمة هم ضحايا تلك الدائرة فى نهاية الأمر ٠

وتنعكس القيم المادية الجديدة على حياة الحالة ، حيث تصطبغ كل سلوكياتها وقيمها وأنشطتها اليومية بتلك الصبغة المادية ٠ فهى تقوم بشراء التعليم ممثلا فى الدروس الخصوصية التى تتلقاها بمفردها ، وفى تأجير المقعد الذى تجلس عليه أثناء المحاضرة ، وهى تشترى أصدقاءها ممن لا قبل لهم على مجاراتها فى الانفاق ، حيث تقوم بدعوتهم الى الغذاء فى الأماكن ذات الأسعار المرتفعة ، كما تقوم بشراء وسائل أوقات الفراغ ،

حيث تتوفر لديها القدرة المادية على شراء آخر الانتاج المسرحي والسينمائى، والتردد على حمامات السباحة فى أغلى الفنادق . بل يمتد السلوك الأهوج بها الى الدخول فى تجربة تعاطى المخدرات .

وتنعكس نظرة الحالة المادية على كل من القيم العامة والخاصة ، فهى ترى أنها قد أصبحت فوق مستوى الزملاء من الطلبة ، بحيث تتأفف من أن تجلس بينهم فى المحاضرات . كما ترى أنها قد أصبحت فوق مستوى رواد كل من نادى الشمس ونادى الضباط ، حيث نرى أن مستواهم لم يعد لائقا بها .

كذلك فان العمل بعد التخرج لا يمثل بالنسبة لها قيمة فى حد ذاته ، وانما تنظر اليه كنوع من التغيير أو التجديد . ومن ثم فهى ترغب فى العمل مع والدها حتى لا تتحمل مسئولية العمل والتبعات الخاصة به .

وفى نهاية الأمر ، ومع كل المكاسب والمزايا التى تتمتع بها والتى هيأتها لها النظم الاقتصادية للدولة ،، تكاد الحالة أن تتنكر لمسئولية فئة الانشتاح الاقتصادى تجاه المساهمة فى تسديد ديون هذه الدولة ، اذ ترى أن أمثالها من أفراد الطبقة الثرية عليهم من الالتزامات والتبعات ما لا يميز دورهم فى هذا الخصوص عن دور سائر فئات الشعب الأخرى . وتنسى أو تتناسى أنها وأفراد طبقتها قد وصلوا الى ما هم فيه من ثراء على حساب عرق وجهد وشقاء الأكثرية الشعبية المطحونة .

ومن خلال ملاحظاتى وانطباعاتى الخاصة بتلك الحالة ، تبين لى من طريقة حديثها أنها تتمتع بدرجة عالية من الغرور ، اذ تشعر بأنها فتاة من نوع خاص ، وأن الجامعة ليس بها من يدانيها ، وذلك على الرغم من افتقارها الشديد لأى مقياس من المقاييس الجمالية ، رغم استخدامها لكميات هائلة من الأصباغ وأدوات التجميل ، وقيامها بتغيير لون شعرها ، وارتدائها لأحدث صيحة فى عالم الأزياء التى لا تنسجم مع تكوينها الجسمانى ، مما عكس عليها مظهرا أدعى الى السخرية .

كذلك فقد تميزت الحالة بدرجة عالية من السطحية فى التفكير و « الهيافة » ، اذ لا أجد تعبيرا آخر أكثر قدرة على توضيح ما شعرته حيالها خاصة وهى تتحدث عن مطاردة عشرات الشباب المعجبين بشخصيتها ورجاحة عقلها ، وهى لا تدرى أنهم انما يطاردون السيارة ال B.M.W. التى تستخدمها ، والثروة التى تمتلكها ، وهذا مؤشر آخر على انحراف القيم لدى بعض الشباب المصرى المعاصر ، والذى يحتاج منا الى وقفة أخرى فى موضع آخر .

حالة رقم (١) الدراسة الثانية ١٩٨٤ ـ ١٩٨٩

تبلغ من العمر حاليا الثامنة والعشرين ، وهى لا زالت تسكن مع أسرتها بسبب عدم زواجها حتى الآن · والأسرة تسكن فى واحدة من العمارات التى قاموا ببناءها فى مصر الجديدة أيضا ، بعد أن باعوا الفيلا التى كانوا يسكنون فيها ، والشقة تقع فى الدور الأخير من العمارة ، وتحتل المساحة الكلية لها. والشقة مكونة من ثمان غرف ومطبخين وأربعة حمامات ، وبها ثلاث حجرات للنوم ملحق بكل منها حمام خاص ، ويطل جانب كبير من الشقة على الشارع ، على حين يحيط بها من الجوانب الأخرى « روف » كبير يتوسطه حمام للسباحة ، ويحيط بحمام السباحة ممشى عريض مفروش « بالترتان » ، ويوجد فى جانب من الممشى مظلة كبيرة ثابتة وضع تحت جزء منها مجموعة من المقاعد المريحة المزودة بالمساند و « الشلت » الأنيقة .

وفى الجزء الآخر أسفل المظلة وقريبا من المقاعد المتناثرة يقبع بار خشبى نصف دائرى صفت أمامه مجموعة من المقاعد العالية التى لا ظهر لها ، وخلف البار وضعت قطعة أنيقة من الموبليا ذات أرفف وضلف زجاجية ، اصفطت فيها كمية هائلة من زجاجات المشروبات الروحية والكؤوس والأكواب ·

والأسرة المقيمة حاليا فى الشقة مكونة من الأب والأم والفتاة « الحالة » وشقيقها الأصغر الذى يبلغ من العمر حوالى ٢٥ سنة ، والأب لا زال يعمل فى مجال الأعمال الخاصة ، على حين اتجهت الأم الى العمل فى بعض المشروعات التجارية ، حيث بدأت بالعمل فى مجال المبانى والعقارات بسبب عدم تفرغ زوجها ، ثم توقفت عن هذا النشاط بسبب ارتفاع أسعار مواد البناء ، وثبات أسعار الشقق النسبى فى الفترة الحالية ، والذى أدى الى انخفاض نسبة العائد المادى من مثل هذه المشروعات · وقد انتقلت الأم حاليا الى نوع آخر من النشاط تشاركها فيه ابنتها ، وهو العمل فى مجال الملابس الجاهزة و « الاكسسوارات » النسائية · وتتم ممارسة النشاط الحالى من خلال مصنع صغير للملابس الجاهزة النسائية بالاضافة الى اتيليه متسع فى أحد المراكز التجارية الكبيرة بمصر الجديدة ·

ولندع الحالة تتحدث عن نفسها :

اتخرجت دلوقتي بقالي خمس سنين ٠٠ أصلى زى ما انتى عارفه بحت في سنة رابعة ٠٠ يا ساتر أيام الكلية دى كانت مقرفه ٠٠ صحيان بدرى ومذاكرة ودروس خصوصية ودوشة وهوسة٠٠واللا الكلية وقرفها٠٠ زحمه وظيطه وقذارة ٠٠ يا ساتر لما كنت باجي على نفسي وأروح أحضر محاضرة ٠٠ كنت مضطره انى أتعامل مع مستويات تعبانة وزى الزفت٠٠ واللا ريحة المدرجات والعرق ٠٠ ايه ده ٠٠ ده لسه فيه ناس ماسمعوش عن البرفانات والديودورون « الروائح المزيلة للعرق » ٠٠ بصراحة الكلية ٠٠ مش الكلية وبس ٠٠ الجامعة كلها للمت ٠٠ أولاد فلاحين على أولاد بوابين على أولاد سمكرية ٠٠ المفروض أن التعليم مايكونش لكل من هب ودب ٠٠

أنا رفضت أدخل الجامعة الأمريكية ٠٠ الشغل فيها نار ٠٠ أنا كنت عايزة شهادة وخلاص وأديني خدتها ٠

على العموم أهى سنين الكلية فاتت بالطول وبالعرض ٠٠ وأخدت الشهادة فى الآخر .. طبعا الشهادة دى كلام فارغ لأننى مش باشتغل بيها ومش محتاجاها ٠٠ بابا عنده فلوس تكفينا مليون سنة لقدام ٠٠ طب واشتغل ليه ٠٠ ؟

حياتى دلوقتي ما اتغيرتش كثير عن أيام الكلية ٠٠ طول عمرى باحب العيشة الناعمة٠٠ماباستحملش مسئولية الشغل٠٠بعد ما اتخرجت حاولت أشتغل مع بابا فى الشركة ٠٠ انما الظاهر انى ما اتخلقتش للشغل .. كل يوم والتانى كان يدب معايا خناقه.. مره عشان طيرت منه صفقة كبيرة ٠٠ حاجات بالشكل ده ٠٠ آخر مازهق قالى يا بنت الناس اقعدى فى البيت واللى انتى عايزاه خديه ٠٠ وبعدين أنا حاسباها فى مخى ٠٠ أشتغل ليه وأنا مش ناقصنى حاجة ٠٠ ربنا يخليلى بابا اللى مش مخلينى عايزة حاجة ٠٠٠

من ساعة ما ماما عملت الاتيليه والمصنع وانا لاقيه حاجة مسلياني شويه ٠٠ آديني باصحى على الساعة اتناشر واللا واحدة الظهر ٠٠ لو ماكانشي عندى بروجرام خروج مع الشلة وزهقانة من البيت ومن نزول البيسين باخد بعضي وأروح على الأتيليه ٠٠ آديني باشوف لو كان فيه موديل فستان جديد والا حاجة٠٠وباتفرج على الستات الداخلة والخارجة٠٠ ماما دبستنى كام مرة فى انى أروح المصنع ٠٠ انما ده مشوار دمه تقيل قوى ٠٠ أصله فى حته بلدى ٠٠ والعمال مقرفين ٠٠ والمكن عامل دوشه٠٠ وحاجة مش ظريفة أبدا ٠٠ أنا كفاية عليه قوى لحد كده ٠٠ آديني باجي مرتين والا ثلاثة كل أسبوع للأتيليه ٠٠ وكفاية عليهم قوى كده ٠٠

المصنع عاملينه باسم ماما .. انما الأتيليه عاملينه باسمى ..
المصنع اتكلف مبالغ كبيرة قوى .. انما الأتيليه ما اتكلفش كتير يمكن ٤٠٠ أو ٥٠٠ ألف جنيه بس .

انتاج المصنع بيتعرض ويتوزع على محلات كثيرة .. انما بيعمل لينا شغل مخصوص .. يعنى موديلات ماتلاقيهاش فى أى محل تانى .. ماتلاقيهاش الا عندنا فى الأتيليه .. والله أسعارنا مش غاليه يعنى بيبتدى ثمن الفستان مثلا من ٤٠٠ جنيه لحد ٢٠٠٠ جنيه .. انما فساتين الأفراح بقى هيه اللى ثمنها فوق شوية ساعات بيوصل ثمن الفستان ١٥ ألف أو عشرين ألف .

ماما بتتجنن منى لما أحيانا يكونوا عاملين موديل عينة ويطلع حلو ويعجبنى .. ما بأخليهاش تعمل غيره .. عشان مافيش واحدة تانية فى البلد تلبس زيى .

ايراد المصنع والأتيليه مش قد كده .. بعد الأجور والتكاليف والضرائب بتصفى الحكاية على ملاليم .. يعنى يادوب كام ألف جنيه فى الشهر .. لو كنا معتمدين عليهم بس كان زماننا بنشحت .

الاحتكاك بالعمال شىء مقرف .. كلهم حرامية .. عايزين ياخدوا فلوس من غير مايشتغلوا .. مع أن مواعيد الشغل عندنا مريحة جدا .. من الساعة ٨ الصبح لحد الساعة ٦ بالليل .. يعنى عشر ساعات بس .. ومابيكفيهومش أنهم بيضيعوا ساعة بحالها وقت الغدا .. تلاقيهم الصبح كمان مابيجوش فى مواعيدهم .. آل المواصلات صعبة آل ..

عمرى ما اتعاملت مع بتوع الضرائب .. أصلى أنا باغرق فى شبر ميه فى الحاجات دى .. ماما هى اللى ناصحة قوى .. بتعرف تعاملهم ازاى .. وبتتعرف حسب شخصية مأمور الضرائب اللى بييجى .. لو حست أنه عايز يأكل بتأكله وهيه الكسبانه .. واذا أحست أنه جد وطالع فيها ومش بتاع رشوه .. بتوريه دفاتر تانية خالص غير الدفاتر الحقيقية .. أنا صحيح خريجة كليـــة التجـارة انما بقى ماليش فى الحسابات .. الحسابات دى كلها فيه واحد محاسب مخصوص ماسكها .

الشقة بتاعتنا اللى قاعدين فيها دلوقت يا دوب مكفيانا بالعافيه.. هيه صحيح ٨ أود .. انما مافيهاش غير ٣ أود نوم بس .. معظم الشقة عاملينها رسبشن لأن بابا عنده أصحاب وزبائن وعملا تقال قوى .. وكل يوم والتانى عامل قعده أو عزومه أو رسبشن .. كل أصحابنا من الوزرا وكبار البلد .

من ساعة ماكنت فى الكلية .. وحتى قبل الكلية .. وانا بيجيلى عرسان كتير .. انما لحد دلوقتى مالاقيتش الراجل اللى يناسبنى .. كل

واحد يتقدم لازم يكون فيه عيب .. حتى المرتين اللى اتخطبت فيهم .. كنت كل مرة باكتشف حاجة ماتخليش الجوازة تكمل ..

أنا باعرف شخصية الواحد من عربيته .. لأن الراجل اللارج مش ممكن يقدر يستعمل عربية أى كلام .. خطيبى الأولانى كان مش بطال .. انما يعنى كان شكله معقول .. وبيشتغل مع أبوه فى الأعمال الحرة .. وكان مثقف وشخصيته لطيفة .. وأبوه كان صاحب بابا .. اتعرفت عليه وقعدنا متصاحبين فترة وحسيت أنه مناسب ليه .. كان فيه عيب فظيع جدا .. وهوه أنه بخيل .. صحيح كان متفق معايا انه يغير لى عربيتى كل سنة زى بابا ما بيعمل .. وصحيح كان عنده شقة تجنن .. وبيصرف بالهبل هو وعيلته .. وكان لارج قوى فى مصاريفه لما بنخرج سوا .. وجاب لى شبكة سوليتير سبعة قيراط بالمحبس .. انما ظهر بخله واحنا بنتفق على حفلة الفرح .. حسيت أنه مستخسر يجيب نمر غالية .. وكمان كان عايز يعمل الفرح على الضيق .. يعنى يا دوب كده نعزم ٥٠٠ أو ٦٠٠ واحد .. طبعا أنا وبابا حسينا أنها حتبقى فضيحه .. بابا كان مستعد أنه يدفى باقى تكاليف الفرح .. انما هوه رفض .. آل يعنى عنده كرامة .. على العموم أنا حسيت أنه حيتعبنى بعد كده فى حكاية الفلوس والمصاريف .. واديته شبكته وحاجته وقلت له مع السلامة .

ثانى واحد بقى .. كان يجنن .. اتعرفت عليه فى عيد ميلاد واحدة صاحبتى .. ماكانش فيه ولا عيب واحد .. كان بالضبط الراجل اللى بادور عليه مال وشياكة وعيله وعزبة ومصاريف ومظاهر .. انما اكتشفت أنه مقلب .. طلع مستشيخ بعد ما اتعرفت عليه عند صاحبتى .. قابلته بالصدفة مرتين ثلاثة فى النادى .. حسيت أنه مهتم بيه .. وانا كمان ابتديت أهتم بيه بعد كده قعدنا نتقابل بره كذا مره لحد ما قاللى أنه عايز يخطبنى .. كل ما كان يلاقينى قاعده بالمايوه وسط أصحابى يقوللى قومى البسى كاش مايوه .. وكمان ماكانش صاحب مزاج .. مايشربش.. وكان دايما يقول أنا مش عارف ازاى باباكى ومامتك حجاج وعندهم بار فى البيت .. زهقنى .. كل حاجة يقول قال الله وقال الرسول .. حسيت انه ممكن بعد كده يتحكم فيه ويطلع روحى ..

طبعا أنا لازم أتجوز فى يوم من الأيام .. لأن مش معقول أفضل طول عمرى مصاحبه .. كون البنت يكون عندها بوى فرند حاجة وانها تكون متجوزاه دى حاجة تانية خالص .

أنا أحب اللى أتجوزه يكون مقطع السمكة وديلها قبل الجواز .. علشان يكون شبع خلاص من كل حاجة ويبقى مخلص ليه .. ما أحبش الراجل المقفل .. أحب الراجل الاسبور .. لازم يكون مقتنع ان من حقى يكون ليه صداقات مع الشباب قبل الجواز .. زيى زيه بالضبط .. المهم الاخلاص بعد الجواز .

الحالة رقم (١) الدراسة الثالثة ١٩٨٩ ــ ١٩٩٤

تبلغ الحالة حاليا الثالثة والثلاثون من العمر ، وقد تزوجت منذ سنتين أى فى سن الواحد والثلاثون بشاب يصغرها بثلاثة أعوام ، وزوجها حاصل على نفس مؤهلها الدراسى ، أى بكالوريوس التجارة ، وكان يعمل لدى والدها رجل الأعمال الثرى ويسكن حاليا شقة فاخرة بنفس العمارة التى يمتلكها ويقيم فيها والدى الحالة ، وهى مكونة من ست حجرات ويربطها بشقة الوالدين سلم داخلى ٠ وزوج الحالة يشترك حاليا مع شقيقها فى ادارة أعمال الوالد الذى أقعده المرض تقريبا عن الممارسة الفعلية لمعظم أعماله الخاصة ٠ ولدى الحالة حاليا طفل رضيع لديه أربعة أشهر ، وتتولى تربيته مربية ألمانية ٠ والحالة لا تزال تمارس نفس نمط الحياة اللامبالية المتحررة التى كانت تمارسها منذ سنوات الدراسة ٠

ولندع الحالة تتحدث عن نفسها :

جوزى كان بيشتغل عند بابا من أول ما اتخرج ، يعنى من حوالى تسع سنين ٠٠ ابتدى كمندوب مبيعات ٠٠ انما كان ملحلح قوى ٠٠ وكان عنده طموح جامد انه يثبت وجوده وانه يوصل ٠٠ هوه أصلا من الريف ومن عيلة بسيطة ٠٠ وبابا كان مبسوط من أخلاقه وطريقته فى الشغل ٠٠ وعشان كده قربه منه وابتدى واحدة واحدة يعتمد عليه فى كل حاجة ٠

لما فكيت خطوبتى فى المرة الثانية ٠٠ كنت حاطه فى مخى أنى لازم أتجوز واحد أحسن من خطيبى ميت مره ٠٠ وقعدت حوالى سنتين أرفض كل اللى بيتقدموا لى وأطلع فى كل واحد عيب ٠٠ فجأة وخصوصا بعد ما عديت ٣٠ سنة ٠٠ حسيت ان الفرص الكويسة عماله بتقل ٠٠ لدرجة أن اتقدم لى واحد كان متجوز قبل كده ومطلق مراته ٠٠ ومرة ثانية اتقدم لى واحد عنده ٥٠ سنة ٠

أنا كنت فى الأول مش مقتنعه بجوزى ٠٠ وخصوصا انه أصغر منى فى السن ٠٠ وكمان كنت عارفه انه بيحب بنت عمه وعايز يتجوزها٠٠ المهم مش عارفه ازاى ده حصل ٠٠ أنا كنت حاسة ان ماما بتحاصره وبترمى الشبك حواليه ٠٠ وأنا فى نفس الوقت كنت حاسه انه أنسب

واحد من اللى موجودين حوالينا ٠٠ صحيح هو ماحلتوش حاجة تستاهل ٠٠ انما بابا ابتدى يديه فرص كثير انه يعمل قرش كويس ٠٠ وهوه كان ناصح ٠٠ كان بيستغل كل فرصه انه يتقدم كل يوم خطوه لقدام ٠٠ المهم وافقت عليه أولا لأنى حسيت انه فرصة بالنسبة ليه خصوصا ان مابقاش حد عليه القيمة بيتقدم لى ٠٠ ثانيا انه كان تحت ايد بابا ٠٠ يعنى كان شمال شمال يمين يمين ٠٠ ثالثا كنت حاسه انى باكسر عينه بمستوانا المادى اللى عمره ما كان يخليه يحلم انه يوصل لواحدة زيى ٠

المهم انى اتجوزته ٠٠ يمكن ماكنتش باحبه ٠٠ وماكنتش باحترمه قوى ٠٠ ماكانش هوه اللى باحلم بيه ٠٠ انا كنت حاسه ان مصلحتى بتقول انى لازم أتجوزه ٠

بابا عمل لينا فرح ولا ألف ليلة وليلة ٠٠ اتكلف حوالى ٢٠٠ ألف جنيه فى أكبر أوتيل فى مصر ٠٠ وكان معزوم أشهر وأكبر ناس فى البلد ٠٠ سواء من الوزراء أو رجال الأعمال أو التجار التقال قوى ٠٠ الفرح قعد لحد الساعة ٦ الصبح ٠ والنمر بتـــاعة الفرح كلها كانت سوبر ٠٠ يمكن كان أحسن فرح اتعمل فى البلد كلها ٠ فستان الفرح اشتريته من فرنسا وكملنا الشغل والتطريز بتاعه فى مصر .. أنا سافرت باريس مخصوص قبل الفرح عشان الفستان والجزمة والجوانتي والطرحة وبوكيه الورد ٠٠ كل حاجة كانت من باريس حتى بدلته وجزمته والببيون بتاعه ٠٠ كل حاجة كانت من باريس ٠٠ البلد كلها قعدت تتكلم على الفرح بتـــاعى ٠٠ ده حتى بيقولوا ان فيلم الفيـــديو بتاع الفرح طبعوه وبيوزعوه فى الدول العربية زى ما بيعملوا مع أفراح أولاد الفنانين ٠

المصـــنع بتاعنا قعد أســبوع ما يشتغلش فى حاجة غير فساتين المدموزيلات دينور « وصيفات الشرف » ٠٠ كان عددهم ٣٠ بنت ٠٠ وفساتينهم كانت تجنن ٠٠ الفساتين أخذوها كلها هدايا ٠٠ على العموم مش مهم دى حاجة بسيطة ٠٠ الفساتين كلها ما حصلتش ثمن فستان الفرح بتاعى٠٠لأن فستانى اتكلف حوالى ٢٠ ألف جنيه٠٠واللا الشمبانيا اللى كانت فى الفرح ٠٠ اتحط قزازه على كل ترابيزة فيها حد بيشرب ٠

شهر العسل قضيته فى أمريكا وأوروبا٠٠بصراحة ما كانش شهر٠٠ احنا لفينا ثلاثة شهور تقريبا ٠٠ بابا كان عامل لينا حساب مفتوح ٠٠ لفينا أشهر الأماكن فى أمريكا وأوروبا ٠٠ كانت أول مرة أروح أمريكا ٠٠ رحت ديزنى لاند ، وديزنى وورلد ولاس فيجاس وشلالات نياجرا ٠٠ كنت عايشه ملكه ٠٠ أحسن أوتيلات وأحسن أماكن ٠٠ وفى كل حته كنت بالاقى ناس مستنينا من طرف بابا وعاملين لينا بروجرام كامل ٠٠ طبعا أنا كنت متعوده على كده ٠٠ ماكانتش حاجة غريبه عليه ٠٠ أنا طبعا

معروفه بنت مين ٠٠ اذا كان ده ما يتعملش ليه ـ أمال يتعمل لمين٠٠؟٠٠ جوزى بقى ما كانش مصدق نفسه ٠٠ كان دايما يقولى : أنا أكيد باحلم٠٠ افرصينى عشان أحس انى صاحى وانى مش باحلم ٠

الشبكة بابا هوه اللى دفع ثمنها ٠٠ انما طبعا ما حدش عرف الحكاية دى ٠٠ الشبكة كانت خاتم سوليتير بالمحبس الألماظ وكولييه ذهب بالألماظ لأن البلاتين بقى موضه قديمه ٠٠ الشبكة لوحدها وصل ثمنها أكثر من ٢٠٠ ألف جنيه ٠٠ أصحابى كلهم كانوا حيتهوسوا ٠٠ حسوا ان عريسى راجل لقطه ٠٠ ما حدش عارف اللى فيها ٠٠

انا ولدت فى مستشفى ٠٠ ! ٠٠ دى أغلى وأحسن مستشفى فى مصر ٠٠٠ بابا كان عايز يسفرنى أولد فى انجلترا ٠٠ أهه من ناحية يكون فيه رعاية طبية متميزه ٠٠ ومن ناحية تانية البيبى كان حياخد الجنسية الانجليزية ٠٠ طبعا دى ميزه ان الولد يكون عنده جنسية انجليزية ٠٠ انما حالتى ما كانتش تستحمل السفر فولدت فى مصر ٠٠ الولاده بالبقاشيش بالمصاريف الجانبية بتاعة الحضانة اتكلفت حوالى عشر آلاف جنيه ٠٠ طبعا كل ده بابا اللى كان بيدفعه ٠٠ طبعا ده مش كثير٠٠ لأن المستشفى كانت الخدمة فيها ولا فندق خمس نجوم ٠٠ والممرضات والتمرجيه كانوا حواليه زى النحل طول النهار ٠٠ طبعا لأن البقشيش كان عامل ليهم زى السحر ٠٠ مع ان فى كل حته مكتوب ممنوع البقشيش ٠٠ انما همه المصريين كده ما تاخدش منهم شغل الا اذا كان الواحد ايده فى جيبه علطول ٠

أنا مش عايزه أخلف تانى ٠٠ كفاية عليه ابن واحد ٠٠ يا دوب أقدر أخلى بالى منه ٠٠ ده بياخد منى وقت كثير قوى ٠٠ ولسه لما يكبر ويروح المدرسة حاجيب له وقت منين ٠٠ وبعدين أنا تخنت بعد الولاده واضطريت أعمل عملية شفط ٠٠ مش عايزه جسمى يبوظ تانى ٠٠ جوزى نفسه يكون عنده ٣ أو ٤ أولاد ٠٠ بيقول ان اخواته كانوا تسعه ـ وانه بيحب العيلة الكبيره ٠٠ ده حتى بيتحايل عليه انى أجيب كمان حتى ولو طفل واحد عشان ابننا ما يكونش وحيد ٠

ماما وجوزى كانوا مصرين انى أرضع البيبى من صدرى ٠٠ انما أنا رفضت بشده ٠٠ كنت خايفه ان صدرى يبوظ ٠٠ وعلى العموم أنا ماشيه مع دكتور كويس جدا بييجى يشوف البيبى كل أسبوع أو كل ما أكلمه فى التليفون ٠

عندى اثنين من صاحباتى غاويين الفنجان ٠٠ يعنى لو سمعنا ان فيه واحده فى الهرم بتعرف تقرا الفنجان ٠٠ نقلب عليها الدنيا لحد

ما توصل ليها .. ده فله ناس بتقرأ الفنجان .. الواحده من دول .. وكأنها بتقرأ حياتك كلها من كتاب مفتوح قدامها .. انا دلوقتي بقيت مدمنه قعدات قراية الفنجان ٠٠ دى قعدات تجنن ٠

السبوع بتاع ابنى عملناه لما خرج من المستشفى ٠٠ وكمان خليت الدكتور (طاهره) قبل ما يخرج من المستشفى ٠٠ ماما شجعتنى على كده وقالت انه مش حيحس بالالم وهو صغير ٠٠ السبوع بتاعه كان خرافه٠٠ عملنا حفلة فى الروف حوالين البيسين .. كان سبوع فرانكو آراب .. يعنى كان فيه نمر لثلاثة مطربين مشهورين ٠٠ وجت واحده رقاصه من أحسن رقاصات مصر ٠٠ والشغالين عملوا سبوع شعبى ٠٠ يعنى جابوا هون وقعدوا يدقوا عليه ٠٠ وحطوا الولد فى منخل كبير « غربال » وفرشناه بمرتبه مدوره مفروش عليها تل لبنى بفيونكات على جوانب المنخل ٠٠ وقعدوا يغنوا زى الفيلم بتاع كريمه مختار اللى اسمه « الحفيد » ٠٠ ويقولوا له اسمع كلام أمك وماتسمعش كلام أبوك ٠٠ اسمع كلام ستك أم أمك وماتسمعش كلام ستك أم أبوك ٠٠ وحاجات كتير قوى كانت أوريجينال خالص ٠٠ وطبعا عملنا بوفيه كبير جدا ٠٠ وكل الأكل جبناه جاهز من أوتيل ٠٠ لأنه خمس نجوم ٠٠ وكل المعازيم كانوا كلاس خالص ٠٠ ووزعنا عليهم طقاطيق فضه فيها شيكولاته وملفوفه بالتل اللبنى ٠٠ بابا كان بيصرف بالهبل فى السبوع ٠٠ مش عارفه أمال فى أعياد الميلاد حنعمل ايه ٠٠ واللا يوم ما يروح المدرسة ٠

جوزى كان عايش لوحده قبل ما نتجوز ٠٠ عشان كده هو شاطر قوى فى شغل البيت ٠٠ وكمان مرتب زيادة عن اللزوم ٠٠ يعنى أحيانا يقوم يوضب العشا بنفسه لو ما كناش اتعشينا عند ماما ٠٠ وممكن قوى يعمل الرضعه للولد ويقعد يرضعه ويغير له ٠٠ أنا بقى ماليش فى الحاجات دى ٠٠ أمال أنا جايبه الداده ليه ٠

احنا شركا فى قريه سياحيه فى الغردقة ٠٠ وكانت القرية شغاله من نار ٠٠ انما دلوقتى للأسف وبعد حوادث الارهاب ٠٠ بقت ما بتغطيش مصاريفها بالرغم من اننا خفضنا عدد الناس اللى كانوا بيشتغلوا فى القرية ٠٠ يعنى مثلا فى الأول ما بيكونش فيه ولا أوده فاضيه فى الهاى سيزون أو وقت الكريسماس ٠٠ انما السنة دى يا دوب ٢٠٪ من الأود هيه اللى بتتأجر ٠٠ وباقى الأود فاضيه ٠٠ بابا عنده أرض تانية فى سفاجا ٠٠ وكان متخيل ان ايراد قرية الغردقة مع قرض صغير من البنك ممكن يبنى بيهم قرية جديدة فى أرض سفاجا ٠٠ هو دلوقتى خايف ياخد قرض من البنك وما يقدرش يسدده لأن لسه عليه فلوس للبنك من أيام

ما عملوا قريه الغردقة ·· وخايف انه لو السياحة فضلت نايمه كده انه يضطر يبيع فيلا فايد والفيلا اللى فى الساحل الشمالى علشان يقدر يسدد قرض البنك ·

أنا مابدخلش فى حياة جوزى أو شغله أو فى علاقته مع أحد ·· هوه كمان مالوش دعوه بيه ·· يعنى عودته انه ما يسألنيش رحت فين وعملت ايه ·· ســـاعات أحكيله بمزاجى عن بعض حاجات وســـاعات ما أحكيش عن أى حاجه ·

وأنا كمان مش غاويه وجع دماغ ·· لا بسأله رحت فين ولا جيت منين ·· لأنه معظم الأيام بيبات بره البيت * أما بيسافر الغردقة عشان القرية السياحية أو بيروح بورسعيد أو اسكندرية عشان يخلص شغل ·· وساعات كتير ما أبقاش عارفه هو بايت فين ·· وماباحاولش أعرف لأنى عارفه كلها مشاوير شغل وأنا مش عاوزه أوجع دماغى ·

وقت فراغنا بنقضيه اما قدام التليفزيون اذا كنا فى البيت لأن عندنا « دش » ، من أحدث وأغلى الأجهزة اللى وصلت مصر ·· أو نتفرج على أفلام فديو ·· وساعات كتير باروح المسرح مع أصحابى لأنى باموت فى المسرحيات ·· السوق مليان مسرحيات تجنن ما بتخليش الواحـد يبطل ضحك ·

القرارات بتاعتنا كلها غالبا بياخدها بابا وماما بالنيابة عننا ·· همه بصراحـة شايلين عننا كل همومنا ومشـاكلنا ·· وان كان والحمد لله معندناش هموم ولا مشاكل ·

(★) علمت الباحثة من عدة مصادر موثوق منها أن زوج الحالة السابقة قد تزوج سرا من ابنة عمه التى كان على علاقة حب معها وكان ينتوى الزواج منها قبل زواجه من الحالة موضوع الدراسة ·· وانه قد اشترى لها شقة قريبة الى حد ما من مسكن الزوجية الأول ·· وانه يقضى معها معظم الليالى التى يدعى فيها أن لديه أعمال خارج القاهرة ·· وقد يسر له زواجه من الحالة وانخراطه فى العديد من المشروعات الخاصة به من توفير مستوى معيشى مرتفع لابنة عمه ولطفليه اللذين أنجبهما منها فى سنتين متتاليتين ·· ويعلل اقدامه على هذا الزواج الثانى بأن ابنة عمه نموذج مثالى لربة البيت والزوجة والأم بصورتها التقليدية وهو ما افتقده فى زواجه الأول ·· وقد صرح بأنه ينتوى ابقاء أمر هذا الزواج فى طى الكتمان طالما ساعدته الظروف على ذلك ·· حيث ان معظم أعماله ومشروعاته الخاصة تعتمد على استمرار ارتباطه بأسرة زوجته الأولى ·

حالة رقم (٢) الدراسة الأولى ١٩٨٤

هي طالبة في كلية الطب بالسنة الخامسة ، الأم والأب من أصل ريفي ولكن الأب تطوع للعمل في القوات المسلحة وترقى فيها حتى وصل الى رتبة نقيب ثم أحيل الى الاستيداع ، الأم تقرأ وتكتب ولكنها غير حاصلة على شهادة الابتدائية ، وهي ربة بيت · عدد أبناء الأسرة ستة ، أصغرهم الحالة موضوع الدراسة · وثلاث اناث متزوجات بعد أن أنهين دراستهن الجامعية ، أما الاخوة الذكور فأحدهما طبيب مبتدىء والآخر مهندس زراعي ، يبلغ معاش الأب نحو ١٤٠ جنيها · وسكن الأسرة مكون من ثلاث حجرات صغيرة وصالة بمنطقة المطرية ·

ولندع الحالة تتحدث عن نفسها :

بابا طلع معاش بقى له سنتين ·· وطبعا المعاش مش كبير ·· انما بالرغم من ان اخواتى كلهم بيشتغلوا ·· انما مابيرضاش ياخد منهم أى مساعدة · أولا لأن مرتباتهم بسيطة جدا ·· وثانيا لأنهم لازم يكونوا مستقبلهم علشان يقدروا يتجوزوا ·· وبابا بيقول كفاية انهم يتحملوا مصاريفهم الشخصية ·· ال ١٤٠ جنيه بتكفينا بالعافية انما أهى ماشية والحمد لله ··

احنا أكبر مشكلة عندنا فى كلية الطب مشكلة مشرحة الكلية ·· أولا بتكون زحمة جدا ·· فمابنعرفش الدكتور بيقول ايه والا بيعمل ايه، وكل واحد بيسابق التانى علشان يبقى جنب الجثة أو النموذج البلاستيك ·· بالاضافة لأن عدد الجثث والنماذج بيكون أقل بكثير من العدد المفروض توفيره ·· وبيقولوا ان فيه أزمة فى الحصول على الجثث ·

المشكلة الثانية مشكلة الكتب ·· ثمنها غالى قوى ·· حد يصدق ان الكتاب الأجنبى اللى متصور ندفع فيه ١٥ أو ٢٠ جنيه ·· وهو كله على بعضه مايتكلفش خمسة جنيه ·· وياريت الواحد بيحتاج كتاب والا اتنين انما على الأقل كل سنة سبع أو ثمن كتب ·· طيب واحدة زيى من أسرة ماشية بالعافية تجيب منين ·· ؟ أنا لولا ان عندنا بعض كتب بتاعة أخويا ماكنتش قدرت أكمل الكلية ·

أنا عمرى ما أخدت دروس خصوصى ·· اذا كان الكتب ومش قادرة على تمنها أبقى حاقدر على تمن الدروس ·· زمايلى اللى بياخدوا دروس بيقولوا ان الكورس الواحد فى المادة الواحدة بيتكلف ٥٠٠ جنيه ·· يعنى أكثر من معاش بابا فى ٣ شهور ·

المشكلة اللى عامله لى قلق ٠٠ هى انى بعد ما اتخرج ٠٠ وزارة الصحة حتكلفنى بالعمل فى قرية بالصعيد ٠٠ هى صحيح فرصة العمل كطبيبة فى الريف فرصة كويسة علشان الخبرة والممارسة ٠٠ بس يارب أروح فى حتة فيها ميه ونور ٠٠ ويكونوا الناس كويسين لأنى ماتعودتش اسيب أهلى . وكمان علشان أقدر أكمل الدراسات العليا فى الكلية .

أنا بافكر كتير قوى ازاى ان مرتب الحكومة حيكفينى أصرف على نفسى وفى نفس الوقت أقدر أحوش حاجة علشان لما آجى أتجوز ٠٠ طبعا المرتب بتاع الحكومة مش ممكن حيكفينى ٠٠ فلازم في المستقبل أشتغل فى مستشفى خاص لحد ما ربنا يسهلها وأقدر أفتح عيادة .

انا مش عارفة حاقدر أواجه المستقبل ازاى .. واتجوز واكون أسرة ٠٠ أنا من أسرة على قد حالها ٠٠ وكمان شكلى على قد حاله ٠٠ فمافيش قدامى فرصة انى أتجوز راجل غنى ياخدنى بهدومى ٠٠ وفى الحالة دى لازم أنا وهوه حنشترك سوا فى تكاليف السكن والفرش وكل حاجة ٠٠ طيب اذا كان مرتبى حيبقى أقل من ١٠٠ جنيه وهوه مرتبه حيبقى كده برضه حندفع منين للشقة والعفش وباقى المصاريف .

المشكلة فى البلد دى دلوقتى فى موضوع الواسطة ٠٠ كل حاجة ماشية بالمعرفة وبالواسطة ٠٠ بابا كان نفسه يشتغل أى حاجة بعد ما طلع على المعاش خصوصا وان لسه سنه صغير ٠٠ انما داخ وحفيت رجليه ومافيش فايده ٠٠ مش لاقى شغل لأن ماعندوش واسطة ٠٠ أنا شخصيا كنت أتمنى أن يكون لينا قريب وزير والا مدير علشان يخدمنى فى حكاية التكليف ٠٠ أنا نفسى لو ان التكليف بتاعى يكون فى القاهرة أو على الأقل فى قرية قريبة من القاهرة .. انما احنا علاقاتنا محدودة وماعنديش واسطة علشان الحكاية دى .

وسائل الاعلام دى ماوراهاش الا الكلام ونشر الموضوعات الهايفة أو اللى مبتهمش الناس بصورة مباشرة ٠٠ يعنى موضوع الايدز ده ٠٠ الجرايد والمجلات والتلفزيون قعدوا فترة طويلة مالهاش كلام الا على مرض الايدز ٠٠ مع انه مش ظاهرة مرضية فى المجتمع المصرى ٠٠ لأن الدين والقيم الاجتماعية فى مصر غير الدين والقيم الاجتماعية الموجودة فى الدول اللى ظهر فيها المرض ده .

وقت الفراغ بتاعى باقضيه فى انى أساعد ماما فى شغل البيت لأن اخواتى البنات اتجوزت ٠٠ وباتفرج على التلفزيون ٠٠ وأحيانا بنعمل زيارات عائلية ٠٠ انما طبعا مافيش سينما ولا مسرح ولا متاحف ولا كازينوهات ولا حاجة من الحاجات دى ٠٠ من ناحية ان المواصلات زى

الزفت وباروح الكلية بالعافية ٠٠ ومن ناحية ثانية ان كل خطوة بقرش٠٠ والقروش يادوب على قد القد ٠

ديون مصر على عينا وراسنا ٠٠ انما لو كان فيه امكانية ٠٠ المفروض ان اللى يسدد الديون دى الناس اللى عندها عمارات وشركات وعربيات ٠٠ وكمان التجار وأصحاب الأعمال الحرة من أولهم لآخرهم ٠٠ ده السباك دلوقتى بقى دخله أحسن من أستاذ الجامعة ، أو يسددها الناس اللى سرقوا أموال الشعب ، احنــا سمعنا ان فيه ناس من مراكز القوى فى عهـد عبد الناصر أصبحوا دلوقتى مليونيرات وباعتراف الجهات الرسمية نفسها فى الصحف ٠٠ سمعنا ان واحد منهم انقتل فى شقة فى لندن ولقوا فى شقته مليون جنيه استرلينى ، طبعا ده غير اللى حطه فى البنوك ٠٠ ده كان مجرد ضابط على قد حاله ٠٠ وطبعا فيه غيره كتير ٠٠ حتى فى العهد اللى بعده واللى بعده ٠٠ كان فيه ناس فى القاع وفجأة بقوا مليونيرات لأنهم قرايب أو اخوات الناس اللى على راس السلطة ٠٠ كانت الحكومة فيز، وهيه سايباهم ينهبوا مال الشعب ٠٠ ويغرقوا الدولة فى الديون ٠٠ المفروض انها تصادر أموال الناس دى وتسدد بيها ديونها٠٠مش تطالب الشعب الغلبان بانه يسددها ٠

التحليل والتعليق على الحالة

تمثل هذه الحالة صورة شبه عامة وشائعة للأسرة المكافحة العصامية، حيث استطاع الأب الذى بدأ حياته كجندى متطوع أن يقوم بتعليم أبنائه الستة حتى مراحل الدراسة الجامعية ، فمنهم الطبيب والمهندس ٠ ونرى من خلال هذه الحالة أن انخفاض الدخل لم يكن عائقا بالنسبة لهذه الأسرة فى تحقيق طموحاتها بالنسبة للأبناء ٠ مما يشير الى قدر هائل من المعاناة والتضحيات التى مرت بها لتيسير عمليات التعليم بكافة مراحلها ٠

وتتميز الحالة بالطموح والرغبة فى اثبات الذات وقهر الفقر عن طريق ايمانها بأن المعاناة التى يمر بها الطبيب فى فترات الممارسة الأولى فى الريف هى أضمن الوسائل لاكتساب الخبرة ، وكذلك عن طريق رغبتها فى الاستمرار فى الدراسات العليا ٠

وترتبط المشــكلات التعلمية للحـــالة بالدرجة الأولى فى الأوضاع الاقتصادية ، حيث يمثل ارتفاع سعر الكتاب الجامعى أولى هذه المشكلات،

وتمثل عدم مقدرتها على أخذ الدروس الخصوصية رغم المعاناة التى تقابلها فى مادة التشريح ثانى هذه المشكلات ٠

وتعانى الحالة من الشعور بالضعف ازاء القوة ، حيث يتمثل هذا الضعف فى استشراء عمليـــات الوساطة التى تعجـز امكانيات الأسرة واتصالاتها الخاصة من الوصول اليها ، بحيث تتمكن عن طريق هـذه الوساطة من أن يتم تكليفها فى احدى القرى القريبة من القاهرة حتى لا تبتعد كثيرا عن أسرتها ٠

وعلى الرغم من أن ظاهرة الوساطة تعتبر فى حد ذاتها سلبية بالنسبة للنسق القيمى للمجتمع ، الا أن الاتجاه المتنامى تجاه هذه الظاهرة فى المجتمع المصرى قد انعكس بدوره على تلك الحالة ٠

ويمثل العامل الاقتصادى طرفا من أطراف المشاكل المستقبلية فى حياة الحالة ، حيث تتركز مخاوفها فى عدم امكانية المواءمة بين المرتب الذى ستتقاضاه من الحكومة ، وبين احتياجاتها المستقبلية الخاصـــة بتوفير امكانيات الزواج ، وامكانية تكوين عيادة خاصة بها ٠

وقد انعكست القيم المادية السائدة على تفكير الحالة واتجاهاتها حيث لم تشر الى الأهداف الانســانية وراء رغبتهــا فى أن يكون لديها عيادة خاصة ، انما تركزت تلك الأهداف فى مجرد الرغبة فى رفع مستوى الدخل لمواجهة نفقات المعيشة ، حيث يمثل هذا الاتجاه نوعا من أنواع المتاجرة والاتجاهات النفعية التى امتدت فى السنوات الأخيرة الى مهنة الطب ، حيث تغلب هذا الاتجاه على القيم الانسانية التى يجب أن تكون لها الغلبة على كل القيم الأخرى ٠

وتنعكس الحالة الاقتصادية على أسلوب قضاء وقت الفراغ ، حيث نجد أن وقت فراغ الحالة موزع بين الأعمال المنزلية ، ومشاهدة التلفزيون، والزيارات العائلية ، ولا يمتد الى الذهاب الى السينما أو المسرح أو المتاحف أو الأماكن التى تتطلب مستوى معينا من الانفاق ٠

وبالمثل فان الوضع الاقتصادى ينعكس أيضا على طريقة الحالة فى اظهار مشاعر الانتماء للمجتمع ، وذلك فيما يختص بالمساهمة فى تسديد ديون مصر ، اذ تقف الحالة الاقتصادية حائلا بينها وبين تلك المساهمة ٠

وعلى الرغم من أن الوضع الاقتصادى يشكل عائقا بالنسبة للحالة فى اظهار مشاعر انتمائها للمجتمع ، الا أن هناك أبعادا أخرى أكثر أهمية

تؤثر على درجة هذه المشاعر · فهى ترى أن تراخى الدولة فى حيادية تطبيق قانون الكسب غير المشروع قد أدت الى افراز مجموعة من الأفراد الذين ينتمون الى القوى السياسية المتعاقبة ممن استغلوا هذا الانتماء فى تحقيق ثروات غير مشروعة على حساب أفراد المجتمع ·

ومن خلال ملاحظاتى الخاصة لتلك الحالة ، لاحظت أنها فتاة محجبة هادئة ، وخجولة ، وتعانى من الشعور بالدونية والاحساس بالنقص حيث عكست طريقة تصرفاتها وحديثها هذا الانطباع ، اذ كانت تميل الى التحدث بصورة أقرب الى الهمس ، وقد توجهت بنظراتها الى الأرض وأحنت رأسها فى انكسار · كما التزمت طوال الوقت بوضع شبه ثابت يعكس هدوءا داخليا طبيعيا ، تمثل فى التزامها بوضع يديها على حجرها بصورة شبه دائمة ·

حالة رقم (٢) : الدراسة الثانية ١٩٨٤ ـ ١٩٨٩

تزوجت هذه الحالة بعد تخرجها من الكلية بعام واحد ، ويعمل زوجها طبيب فى احدى المستشفيات الحكومية ، ولديها طفل واحد يبلغ من العمر السنتين ، وتسكن الحالة فى شقة صغيرة مكونة من حجرتين وصالة بالمطرية ، بالقرب من منزل أسرتها ، وهى حاليا فى اجازة خاصة لرعاية الطفل ، وتفكر فى ترك العمل نهائيا ويبلغ دخل الأسرة الشهرى نحو ٤٠٠ جنيه ٠

والندع الحالة تتحدث عن نفسها :

أول ما اتخرجت اتعينت فى وزارة الصحة ٠٠ لينا قرايب عندهم اتصالات جامده٠٠قدروا يخلوا تعيينى فى مكتب صحة فى مصر الجديدة٠٠ الحقيقة حاسة انى ضيعت ٧ سنين فى الكلية على الفاضى ٠٠ مافيش حاجة من اللى اتعلمتها فى الكلية باطبقها أو باستفيد منها فى شغلى ٠٠ باحس أن مافيش فرق بينى وبين الحكيمة اللى بتشتغل معايا ٠٠ يمكن هيه أشطر منى فى الحقن والتطعيم٠٠حسيت انى بانسى الطب شوية شوية٠٠

الشغل بتاعى مريح جدا ٠٠ لأن فى الحقيقة مافيش شغل ٠٠ كلها حاجات روتينية وادارية ٠٠ باقعد أنا وزمايلى معظم الوقت ندردش ونشرب شاى ٠٠ ونقرأ الجرنال ٠٠

بابا لما طلع من الجيش أخد مكافأة نهاية الخدمة ٠٠ وبنى فوق البيت شقة صغيرة عملها عيادة ليه أنا وأخويا٠٠كان بيفوت عليه بالأسبوع من غير ما حد من العيانين يقوللى انتى فين ٠٠ المنطقة مليانه عيادات ٠٠ وفاتحين بقالهم سنين ٠٠ مش ممكن العيانين حيسيبوهم وييجوا عندى وأنا يا دوب لسه على قد حالى ٠٠

مرتبى كله كان بيتصرف على المواصلات والشاى ومجاملات أصحابى ٠٠ اللى عندها عيد ميلاد ٠٠ أو اللى ولدت ٠٠ أو اللى اتجوزت ٠٠ حسيت ان اللى باخده مابيكفيش حتى اللبس ٠٠ وعشان كده قررت انى أسيب الشغل ٠٠

أيام الجامعة ماتتعوضش ٠٠ صحيح كانت الكلية صعبة ٠٠ وكنت باذاكر من نار ٠٠ انما كان بالى رايق ٠٠ وماكنتش متحملة مسئولية حد تانى ٠٠

أنا من يوم ما سبت الجامعة ماسافرتش ولا مره فى أى رحلة ٠٠ ولا حتى لحد الهرم ٠٠ الحياة بقت صعبة ٠٠ ومافيش فلوس بتكفى ٠٠ ليه زمايل دكاتره بياخدوا رشواى عينى عينك٠٠ بيبيعوا ضميرهم ويعطوا اجازات مرضية لناس مش عيانين أنا باستحرم الحكاية دى ٠٠ انما لما حد بيدينى هدية باخدها ٠٠ النبى قبل الهدية ٠

جوزى كان بيشتغل معايا فى مكتب الصحة ٠٠ لما فاتحنى فى الجواز وافقت على طول ٠٠ لقيته شاب طيب وابن حلال ٠٠ ومن أصل ريفى زينا ٠٠ وحسيت أنه راجل وممكن يتحمل المسئولية ٠٠

طبعا كان نفسى أتجوز واحد مرتاح ماليـا ٠٠ انما الغنى حيبص لواحده غنيه زيه ٠٠ ماعادتش قضية ان الست تكون دكتوره أو مهندسه ٠٠ انما القضية هيه ساكنه فين ٠٠ وأهلها عندهم ايه ٠٠ وحتجيب الجهاز بكام ٠٠ أنا حاسه ان اختيارى كان موفق لأن عندى استعداد أننا نكافح سوا ونكبر سوا ٠

زمان كان نفسى أتجوز واحد أكبر منى على الأقل بخمس سنين ٠٠ جوزى أكبر منى بثلاث شهور٠٠انما باحس أنه ناضج جدا ومتدين جدا٠٠ وكفاية انى ضامنه ان ماكانش عنده تجارب قبل الجواز ٠٠ لأنى كنت باخاف انى لو اتجوزت واحد كان عنده تجارب مع بنات تانيين ٠٠ انه يعمل دايما مقارنات بينى وبينهم ٠

بابا كان متواضع جدا فى طلبات الجواز ٠٠ يعنى الشبكة والمهر والحاجات دى ٠٠ كان مقدر ظروف المادية ٠٠ وكان بابا محوش قرشين للجهاز ٠٠ قدرنا فى حدودهم همه والاهر ان نفرش فرش متواضع ٠
باحاول على قد ما أقدر أحوش ٠٠ وكل ما نحوش مبلغ نشترى بيه حاجة من الحاجات اللى ناقصه فى البيت ٠٠ صحيح شقتى لحد دلوقتى على قد حالها انما حاسه ان أحلامنا كلها حاتتحقق ما دام قلبنا على قلب بعض ٠٠ وكل حاجة حتيجى مع الوقت ٠

جوزى مرتبه بالبدلات مابيكملش ١٥٠ جنيه ٠٠ انما بيشتغل بعد الظهر فى عيادة شاملة فى جامع جنبنا ٠٠

الحالة رقم (٢) : الدراسة الثالثة

لا زالت الحالة تحيا فى نفس المسكن المكون من حجرتين وصالة بأحد الأحيــاء الشعبية ، وقد اضطرت تحت ضغط الظروف المادية الى ممارسة نفس عملها القديم بأحد مكاتب الصحة ، وتمارس مهنــة الطب فى حدود ضيقة فى العيادة المشتركة بينها وبين أخيها الطبيب فى نفس الحى ٠٠ وما زال زوجها يعمل فى نفس مجالاته السابقة ، ويبلغ طفلها الأول الآن حوالى الثامنة من عمره وهو فى مدرسة خاصه تجريبية بمنطقة مصر الجديدة ، وقد رزقت بابنة أخرى فى الخامسة من عمرها الآن وتذهب الى مدرسة للحضانة فى نفس حيهم السكنى ، وكذلك بطفلة أخرى فى الثانية من العمر ٠

ولندع الحالة تتحدث عن نفسها :

أيام ما اتجوزت جوزى ما كانش معاه عشان الفرح غير ٤٠٠ جنيه ، بابا صمم اننا نعمل فرح ٠٠ الحقيقة كان فرح حلو قوى ٠٠ وربنا بارك فى القرشين ٠٠ ده حتى فستان الفرح اشتريته من الموسكى بتمانين جنيه وكان حلو قوى ٠٠ وعملنا علب كرتون فيها ساندوتشات وجاتوه ووزعنا شربات وبومبونى ٠٠ وأجرنا عشر دست كراسى ٠٠ وعملنا الفرح فوق السطوح وكل الجيران والقرايب والحبايب حضروا الفرح ٠٠ وأصحاب اخواتى جابوا لى واحد مطرب ورقاصه وعملو لى زفه فى الشارع قعدت ساعتين ٠٠ وواحد صاحب العريس كان بيصورنا بالفيديو ٠٠ وكان فيه ضرب نار ٠٠ وكمان كان فيه طلقات من مسدس صوت ، وواحد تانى صورنا فيلمين بالكاميرا ٠٠ يعنى كان فرح مافيش بعد كده ٠

الشبكة كانت حلوه قوى كانت سلسله ذهب فيها ما شاء الله وحلق وخاتم ودبلتين كلهم ذهب ٠٠ كانت غالية قوى ٠٠ وصلت حوالى ١٠٠٠ جنيه ٠٠ وأنا كنت فرحانه بيها قوى ٠٠ لأن دى أغلى وأحسن شبكه جت فى العيله ٠

قضينا شهر العسل فى اسكندرية ٠٠ قعدنا أسبوع بحاله فى نادى هناك بتاع ضباط الصف ٠٠ كانت أول مره فى حياتى أروح اسكندرية وأول مره فى حياتى أشوف البحر ٠٠ وبرضه كانت آخر مره ٠٠ لأن ما عنــدناش امكانيات اننا نصيف ٠٠ لأننــا اتلخمنا بالعيال من أول ما اتجوزنا واللى جاى يا دوب مكفى بالعافيه ٠

أنا ما عنديش وقت فراغ .. حتى التليفزيون باتفرج عليه بالعافيه علطول مشغوله وملخومه ومش فاضيه .. حتى معنديش فرصه انى اقرا الجرنال براحتى الا وأنا فى الشغل الصبح .. ويوم الجمعة اللى مفروض انه أجازه ، أنا بالنسبة لى بيكون يوم أشغال شاقه من ساعة ما بصحى لحد ما أنام غسيل وتنفيض وطبخ وعيال .. وحكايات مالهاش نهايه ..

كنت فاكره انى لما اتجوز حاحقق كل الحاجات اللى كنت محرومه منها .. وانى حا أسافر واتفسح واتفرج على مصر كلها .. لأن عمرنا ما رحنا مصيف .

عشان أنا وجوزى من الريف .. كان لازم اننا نورى الفوطه اللى عليها دم البكاره لأهلى وأهله .. أنا عارفه انها حاجة سخيفه .. انما بقى أعى عادات أهالينا .. وماما فضلت مخليانى شايله الفوطه فى البيت لحد ما حملت .. لأنها بتقول ان رمى الفوطه ممكن يمنع الخلف . بابا كان يقدر يحجز لينا فى نوادى ضباط الصف .. انما احنا عددنا كبير وكانت السفرية حتتكلف مبالغ منقدرش عليها عشان كده عمرنا ما رحنا مصيف .. حتى الرحلات اللى كنت باروحها مع الجامعة كانت معظمها داخل القاهرة ومرة واحده رحت الفيوم .. لأن الرحلات البعيده زى اسكندرية وبورسعيد كانت بتبقى غاليه .

أمنية حياتى أن نشترى عربية نص عمر .. ساعتها جوزى ممكن يوصلنى أنا والأولاود ويوفر عليه العذاب اللى باشوفه كل يوم..العربيات غاليه قوى .. أقل حاجة فى السوق بكذا ألف .. ويا دوب اللى جاى على قد اللى رايح .. الأسعار كلها بقت نار .

جوزى راجل ابن حلال .. انما مش عايز يعترف بان الست اللى بتشتغل مش زى ست البيت .. مش مستعد اطلاقا انه يساعدنى فى أى حاجه .. كل حاجه عليه .. حتى الحاجات اللى المفروض انه يقدر يعملها ما بيعملهاش .. زى شرا الحاجات من السوق مثلا .. الخضار والبقالة واللحمه .. كل ده عليا أنا .. بيقوللى أنا أشطر منه وأفهم أكتر منه فى الحاجات دى .. انما هوه الحقيقة مش متعود .. لأنه طول عمره كان عايش مع أهله .. وكانت كل حاجه بيلاقيها على الجاهز .. أنا عمرى ما طلبت منه يعمل حاجة فى البيت .. حتى الشاى بتاعه ..أنا اللى أحب أعمله .. برضه الراجل راجل والست ست .. وأى حاجه جوه البيت المفروض دى تبقى من واجبات الزوجه .. أمال تبقى ست بيت ازاى .. صحيح أنا اتعلمت واشتغلت زيى زيه بالضبط .. انما برضه فى حاجه اسمها أصول .. وأنا أحب ان الراجل يبقى راجل .. يعنى مش متصوره انى أشوف جوزى فى يوم بيمسح ولا بيكنس دى حاجه

قله قيمة فعلا للراجل ٠٠ الحاجة الوحيدة اللى جوزى ممكن يعملها وهوه قاعد فى البيت ٠٠ انه يقعد يلعب مع الأولاد اذا كان فى ايدى حاجة باعملها ٠٠ انما أول ما العيل يعيط ويكون عايز ياكل أو يغير هدومه يروح مناديني عشان أسيب اللى فى ايدى وأشوف العيل عايز ايه ٠٠ يعنى أنا اللى أرضع وأأكل وأحمي وأغير الهدوم ٠٠ وانا اللى أقعد أحكى حواديت علشان يناموا ٠٠ وأنا اللى أشخط وانطر واتعصب لو حد منهم عمل حاجة غلط، ٠٠ وهوه ما يظهـــرش أبدا الا اذا كان الجـو عال ٢٤ قيراط ٠

بالنسبة للولاده ٠٠ أنا ولدت ابنى الكبير فى البيت ٠٠ فيه دكتوره جنبنا ولدتنى فى البيت ٠٠ وكنت باتردد عليهـــا ٠٠ وبرضه البنت الوسطانية ولدتها فى البيت ٠٠ البنت الصغيره بقى ولدتها فى المستشفى لانها كانت فى وضـع غلط فى الرحم ٠٠ ومع انى اخترت مستشفى صغيره أولد فيها ٠٠ ومع انى دكتوره انما دفعت لهم دم قلبى ٠٠ مافيش رحمه ٠٠ كل حاجه بتمنها ٠٠ ده حتى كلمة صباح الخير ناقص ياخدوا عليها فلوس ٠٠ همه صحيح جاملونى شويه لأنى أنا وجوزى دكاتره ٠٠ أنا مش عارفه لو كنا ناس عاديين كنا عملنا ايه ٠٠ والا لو كنت ولدت فى المرتين اللى قبل كده فى المستشفى كنت عملت ايه ٠٠ الله يكون فى عون الناس الغلابه ٠

ماما أصرت انى أعمل سبوع للأولاد كلهم ٠٠ وهيه بتفهم فى الحاجات دى أكتر منى ٠٠ يعنى حكاية القلة المتزوقه للبنت والأبريق للولد ٠٠ وحكاية رغيف العيش والسبع حبوب اللى تتحط فوق راس العيل ٠٠ وحكاية الغربال ودق الهون ٠٠ دى كلها حاجات أنا مش مؤمنه بيها ٠٠ انما لازم نعملها لأن الناس اللى حوالينا كلها بتعمل كده ٠٠ وآهى بينى وبينك غرامه برضه حكاية الاكياس اللى فيها سودانى وحمص وملبس دى ٠٠ انما أهى تقاليد أهالينا والمفروض اننا ما نتخلاش عنها ٠

ابنى برضه لما طاهرته وهوه عنده أربعين يوم كانت غرامه تانيه ٠٠ لأن ماما أصرت أن نعمل أكل وزيطه عشان عيلة جوزى ٠٠ يعنى احنا كنا أولى بالفلوس اللى بتتصرف فى الكلام الفارغ ده نجيب بيها لبس للأولاد ٠٠ أو نشترى حاجه للشقة اللى مش عارفين نحط فيها مسمار زياده ٠٠ واللى لسه ناقصه ميت حاجه مهمه ٠

حماتى وماما قاعدين بيزنوا عليه انى أطاهر البنات ٠٠ مع ان طهارة البنات ما بقتش مطلوبه ٠٠ وكمان مش صحيه ٠٠ انما ماما بتقوللى انها طاهرتنى أنا واخواتى البنات كلهم ومافيش مشكله ٠٠ وإن دى حاجة مهمة عشان مانكونش قلقانين على البنـات لما يكبروا ٠٠ أنا شخصـيا

ما عنديش مانع اذا كان اللى حيعمل العمليه دى دكتور ·· هوه أكيد حيكون أحسن من الدايه اللى عملتلنا الحكاية دى ·· واحنا صغيرين ·· ده حتى باباهم ما عندوش مانع لأنه برضه من الريف ·· وعندهم الحكايه دى مهمه قوى ·

طبعا أى قرار يخص عملى أو البيت أو الأولاد مش ممكن أقدر آخده لوحدى ·· لازم اتفاهم أنا وجوزى على كل حاجه ·· حتى لو كنت حاروح لماما أقعد معاها طول النهار برضه لازم يكون جوزى موافق على كده ·· حتى لو فيه مشكلة فى الشغل ·· ما أقدرش أحلها الا اذا كان جوزى هوه اللى يقوللى أعمل ايه ·· هو برضه راجل ورؤيته بتبقى أحسن منى·· وهوه كمان طبيعته من النوع اللى يحب ان كل تصرفاتى تبقى من خلاله ·· هوه عودنى على كده ·· وأنا كمان اتعودت على طريقته ··

مافيش فرق بين فلوسى وفلوس جوزى ·· مرتبى ومرتبه وأى فلوس خارجيه بتيجى من العياده أو من شغله بتاع بعد الظهر بنحطها كلها فى علبة معينه ·· وكل واحد بيسحب على قد ما هوه محتـاج ·· جوزى مالوش مصاريف لأنه مابيدخنش ووقته كله فى الشغل ·· وأنا كمـان ماليش طلبات ·· لا باشترى ماكياج ولا باعمل شعرى عند كوافير ·· ولا باحط أحمر ولا أخضر ·· ولا باشتريش لبس الا فى أضيق الحدود·· فلوسنا كلها يا دوب بتروح على مصاريف البيت والأولاد والمدارس ·· انما بنحوش وبنعمل جمعيه عشان نشترى عربيه ·· وكمان نفسى أشترى غسالة فول أتوماتيك لأن الغسالة العادية هدت حيلى وأشترى غسالة أطباق والعربية حتوفر علية مشكلة مدارس الأولاد اللى مالهاش حل ·· الحمد لله مافيش فى حياتنا أى مشاكل جامده ·· رغم ان أهله وأهلى دايما عايزين يتدخلوا فى حياتنا فى كل صغيره وكبيره ·· وهوه ما بيحبش يزعل أهله منه ·· وأنا كمان نفس الحكاية ·· مش عايزه أهلى يزعلوا منى ·· وعشان كده بنحاول اننا نريح أهله وأهلى حتى ولو بكلمة حاضر وطيب ·· وبعدين بنعمل اللى احنا عايزينه

طبعا طموحاتنا فى المستقبل محدوده جدا ·· يعنى كنت باحلم ان يبقى عندنا شقة أوسع شويه وفى منطقه راقيه عشان الأولاد تتربى فى وسط كويس ·· انما الشواهد كلها بتقول ان قدامنا عشرين سنه لحد ما نقدر نفكر فى ان يبقى عندنا شقه عدله وفرش كويس ·· ولحد ربنا ما يحقق لينا الحلم ده ويرحمنا من المنطقة اللى كلها مجارى وطفح اللى احنا ساكنين فيها ·· كفاية علينا اننا نقدر نحوش ثمن العربية اللى حتحل لينا نص مشاكلنا ·

أمنيتي أن نسافر فى اعاره لأى دولة عربية ٠٠ لأن ده الحل الوحيد اللى حيخلينا نقدر ننتقل من الشقة دى لشقة أوسع منها وفى مكان أرقى شويه وممكن فى الحالة دى أعمل جزء من الشقة عياده ٠٠ ده اذا ما قدرتش أشترى شقة ثانية وأعملها عياده على شرط انها تكون فى مكان أرقى من اللى احنا فيه دلوقتى ٠٠ لأن الناس اللى هنا معظمهم فقرا قوى وبيعتمدوا على المستشفيات الحكومية أو على المستوصفات الخيرية ٠

الحالة رقم (٣) الدراسة الأولى ١٩٨٤

وهى طالبة فى السنة النهائية بكلية الحقوق ، لديها أخ لا يزال طالبا بالكلية الحربية ، وأخت طالبة بكلية الطب ، كلا الوالدين من أصل حضرى ، والأب حاصل على شهادة الحقوق ويعمل باحدى الادارات الحكومية ، أما الأم فهى حاصلة على بكالوريوس معهد التربية الرياضية وتعمل مدرسة للرياضة البدنية ويبلغ الدخل الشهرى للأسرة نحو ٥٠٠ جنيه ، حيث يعمل الأب فى أحد مكاتب المحاماة فى الفترة المسائية ٠ وتسكن الأسرة فى شقة فى العباسية مكونة من خمس غرف وحمامين ٠

ولندع الحالة تتحدث عن نفسها :

احنا بالرغم من أن دخلنا كويس بالنسبة لناس كتير ٠٠ انما يادوب ماشيين بالعافية ٠٠ احنا اتعودنا على مستوى معين من المعيشة لأن بابا كان عنده أرض وباعها ٠٠ واحنا ملتزمين بمظهر معين مانقدرش نتنازل عنه ٠٠ انما ارتفاع الأسعار فى كل حاجة بقى مشكلة المشاكل ٠٠ مافيش يوم الا وواحد مننا بيشتكى من حاجة ٠٠ انما أعتقد ان ده وضع عادى وان مش احنا بس اللى تعبانين ٠٠ لأن ساعات كتيرة بافكر أمال الناس اللى دخلهم ٥٠ أو ٦٠ جنيه يعملوا ايه ٠٠

الحمد لله موضوع السكن بالنسبة لينا مافيهوش مشكلة ٠٠ الشقة اللى احنا ساكنين فيها تعتبر ممتازة ٠٠ وبعدين بالنسبة للمستقبل مستورة والحمد لله ٠٠ أول حاجة بابا فكر انه يعملها ليه أنا واخواتى انه باع الأرض اللى كانت عندنا وكمل على ثمنها واشترى أرض أرخص شوية وبنى عليها لكل واحد مننا احنا الثلاثة شقة ٠٠ لأن الواحد مش ضامن انه يلاقى عريس كويس وفى نفس الوقت عنده شقة ٠٠

بالنسبة لأهم مشاكل الكلية الزحمة بتاعة المدرجات ٠٠ لما بيكون عندى محاضرة فى المدرج يعنى مش سكشن ٠٠ باعمل حسابى انى أروح

على الأقل قبلها بساعتين ‥ وأحجز مكان بالشنطة أو بكشكول ‥ انما دايما فيه طلبة بتيجى قبلى ‥ وباقعد غالبا فى الصفوف اللى ورا ‥ ونادرا لما أسمع الدكتور بيقول ايه لأن المدرج كبير ‥ والصوت حتى لو فيه ميكرفون مابيكونش واضح ‥ وأحيانا آخدها من قصيرها وما أحضرش المحاضرة خاصة لما بيكونش فيه غياب ٠

أنا موضوع الشغل ده عامل لى قلق فى حياتى ‥ أنا طبعا نفسى أشتغل وأحقق ذاتى وأحس ان ليه قيمة ‥ انما أنا كل ما أدخل مكتب فى الكلية أو الجامعة ‥ طبعا مش مكاتب الأساتذة أو المديرين ‥ انما مكاتب الموظفين ‥ أقول يا خبر أبيض ‥ أنا حاقدر أستحمل انى أشتغل فى مكتب زى المكاتب دى ‥ أنا اتعودت فى البيت ان كل حاجة تكون زى الفل مرتبة ونظيفة وبتلمع ‥ واستحملت الكلية بقذارتها ووساختها على أساس انهم ٤ سنين ويعدوا ‥ انما لو اتحكم على انى أعيش بقية عمرى أشتغل فى أوده قذره ومكاتبها وكراسيها متبهدلة ‥ الحقيقة أنا مش عارفة حاقدر أواجه الموقف ازاى ٠

أنا متوقعة انى أشتغل فى الحكومة ‥ لأن محامية لسه متخرجة ملهاش فرصة فى أى شركة قطاع خاص أو بنك ‥ كمان أنا عمرى لحد دلوقتى ماسمعتش عن واحدة محامية مشهورة وفاتحة مكتب لوحدها ‥ معظمهم بيشتغلوا عند محاميين كبار ‥ ده فى حالة لو اتجوزت واحد على قد حاله وكان الدخل مش مكفى ٠

أنا فقدت الثقة فى أى كلام تقوله الحكومة أو يقولوه المسئولين أو الصحافة والكتاب ‥ أنا مش فاهمة ليه لما بيكون فيه حاكم معين ماسك البلد ‥ الناس بتوع وسائل الاعلام كلها مابيكونش ليها شغلانه الا انها ترفعه السما ‥ وأول ما يموت أو ينتهى ‥ كل الناس تبتدى تنتقد كل حاجة عملها ‥ ليه مايبقاش فيه قيم عند الناس دول ‥ وليه بيغيروا جلدهم مع كل حاكم جديد أو نظام جديد ‥ اذا كانوا بيخافوا يتكلموا وينتقدوا ‥ فالأحسن انهم يسكتوا خالص ‥ وبلاش يبقوا بميت وش ٠

مابيعجبنيش فى البلد ان العدالة والقانون مش واضحين ‥ يا ترى همه صح والا غلط ‥ الجرايد كل يوم بتطلع علينا بمجموعة من الأخبار عن جرايم سرقة ‥ وقتل ‥ واختلاسات ‥ ومخدرات ‥ وبعدين يتضح ان ده كله كلام جرايد ‥ أنا مش فاهمة ‥ يعنى ايه واحد قاتل والا مهرب

مخدرات ٠٠ والا تاجر عملة يتمسك ٠٠ ويبقى بينه وبين حبل المشنقة ¼ متر ، أو ان النيابة تطلب ليه السجن المؤبد ٠٠ وبعدين نفاجأ بانهم طلعوا براءة لأن اجراءات الضبط كانت غير قانونية أو كان فيها ثغرة ٠٠ ده بيخلينى أحيانا أتشكك فى مهنة القضاء والمحاماة ٠٠ كنت أتمنى ان بابا مايكونش محامى ٠٠ لان أحيانا كثيرة بياخد قضايا متأكد ان أصحابها يستحقوا العقاب ٠٠ ومع كده بيدافع عنهم ويطالب ليهم بالبراءة ٠٠ وكمان يمكن يظلم ناس تانيين ٠٠ ويمكن علشان كده أنا فرحت لما دخلت كلية الحقوق٠٠لأنى ناوية آخد القضايا اللى أدافع فيها عن المظلومين بس ٠

وقت الفراغ بتاعى عادة اما فى نادى مدينة نصر واما مع أصحابى فى بيوتهم أو عندنا فى البيت ٠٠ فى الصيف بنصيف ١٥ يوم فى اسكندرية تبع الشغل بتاع بابا ٠٠ أنا غاوية أقرأ قصص وأدب جدا ٠٠ كمان باحب الموسيقى الغربى ٠٠ وبالعب بيانو ٠٠ بالاضافة للفرجة على التلفزيون ٠٠ أنا بالعب تنس فى النادى وعندى شلة ظريفة بنقعد ندردش ونتكلم فى أى موضوع ٠٠ الشلة بتاعتنا فيها أولاد ٠٠ وبنعمل سوا أحيانا رحلات طول اليوم لأى مكان خارج القاهرة ٠٠ انما كلنا بنتعامل على اننا مجموعة أصدقاء مش أكثر من كده ٠٠ نادر لما ماما نيجى معايا النادى ٠٠ دايما مشغولة عننا ٠٠ الشغل أخد معظم وقتها ٠٠ ودايما شغل البيت ما بيخلصش لأنها بتحب البيت يبقى زى الفل ٠٠ ولما بيحصل وتكون فاضية بتقضى وقتها اما فى زيارات أو مجاملات اجتماعية ٠٠ صحيح احنا أصحاب جدا وبتوجهنى على قد ما تقدر ٠٠ انما أنا محتاجة أحس بيها أكثر

موضوع المساهمة فى ديون مصر ده موضوع مش داخل مخى ٠٠ لأن بلايين الدولارات دى راحت فين ٠٠ ماشفتاش مصنع كبير اتعمل ٠٠ ولا مستوى معيشة ارتفع ٠٠ بالعكس الناس بتشتكى ٠ : بيروح فين دخل قناة السويس والبترول والسياحة ٠٠ بلد غيرنا السياسة فيها مابتتغيرش مع كل وزير وكل مدير يتغير ٠٠ كان زمانها بقت حاجة فوق ٠

التحليل والتعليق على الحالة

تعكس هذه الحالة ، حالة فتاة ثورية ، متحضرة ، كما تعكس صورة للفتاة التقدمية بالمفهوم الشرقى الذى يصنع حدودا ومعايير ثابتة لعلاقة الفتيات بالجنس الآخر ٠

ويمثل الوضع الاقتصادى للأسرة وضعا وسطا الى ما ٠ اذ تلتهم تكاليف المعيشة كافة دخل الأسرة بما فى ذلك الدخل الاضافى الذى

يتقاضاه الأب من عمله فى الفترة المسائية ، وان ساعدت بعض جوانب الثراء النسبي السابق فى تأمين مستقبل الأبناء بالنسبة لمشكلة الاسكان ، حيث قام الأب ببناء بيت مكون من ثلاث شقق للأبناء الثلاثة ٠

وعلى الرغم من انتماء الحالة الى احدى الكليات النظرية ، الا أن طموحها ورغبتها الأكيدة فى التحصيل العلمى لم تجعل المشكلة العامة المتصلة بامكانيات التعليم فى الجامعة حائلا دون محاولتها المواظبة على حضـــور المحاضرات ، رغم اضطرارها الى التواجد فى المدرج قبل بدء المحاضرة بساعتين على الأقل لحجز مكان لها ٠

ويرتبط طموح الحالة التعليمى الى حد بعيد برغبتها فى تحقيق ذاتها أو هويتها عن طريق التفاعل الايجابى فى المهنة فى المستقبل ، رغم تخوفها الشديد من عدم قدرتها على مواجهة الواقع فى مجال العمل ، اذ تمثل الامكانيات المادية المتاحة فى مجال العمل من حيث انخفاض مستوى نظافة المكان ، وعدم توفير وسائل الراحة النفسية ، تعارضا مع مستوى مسكنها المريح والنظيف الذى اعتادت عليه ٠

ورغم تميز الحالة بالطموح الواضح والتمرد على الأوضاع القائمة ، الا أن وضع المرأة المصرية المتدنى فى بعض مجالات العمالة وعدم مساواتها الكاملة بالرجل ، انعكس على هذا الطموح ، اذ ترى عدم امكانية نجاحها فى الاستقلال بمكتب محاماة خاص تابع لها ، بسبب سيطرة الرجل بصورة كبيرة على هذا المجال ٠

وتتمتع الحالة بآراء ثورية ناضجة بالنسبة للمجال السياسى ، حيث تنتقد بعنف بعض الفئات التى تقوم بتغيير قيمهم واتجاهاتهم السياسية وفقا لتغير السلطة الحاكمة ، كما تنتقد الاجراءات القانونية القضائيـــة لغموضها وعدم وضوحها ٠ كذلك تتضح ثورية الحالة فى رفضها العقلانى للمجالات غير الواضحة وغير المعروفة التى أنفقت فيها المبالغ المتعلقة بديون مصر ، وكذلك تغير المسارات السياسية للدولة وفقا لتغير الشخصيات التى تتولى الحكم ٠

وتمثل الحالة نموذجا للفتاة المثقفة التى تجمع بين أنواع شتى من الهوايات والقدرات ، فهى تهوى القراءة ، كما تميل الى سماع الموسيقى ، وتعزف على البيانو ، وتمارس رياضة التنس ، بالاضافة الى استمتاعها بحياة اجتماعية سوية مع جماعات الأصدقاء من الجنسين سواء داخل النادى أو خارجه ٠

وبالنسبة لانطباعاتى الشخصية عن هذه الحالة ، فقد لاحظت أنها على قدر كبير من الوسامة ودقة الملامح ، أنيقة المظهر ، يدل تناسق ملابسها على مستوى عال من الذوق ، تتحدث بصوت واثق وبطريقة واضحة ، تتمتع بقدرة كبيرة على تنظيم أفكارها وتسلسلها ، كما تتميز بالقدرة على مواجهة نظرات محدثها ، وتستخدم يديها في التعبير عن آرائهـا بصورة رشيقة راقية ، كما أنها تتحدث من أدق أمورها الشخصية بطريقة تلقائية طبيعية ، ومن ثم فقد مثلت هذه الحالة من وجهة نظرى وفى حدود الأوقات التى قضيتها معها النمط المثالى للفتاة المصرية المثقفة ، والنموذج الرائع الذى يجب أن يحتذى ٠

الحالة رقم (٣) الدراسة الثانية ١٩٨٤ ـ ١٩٨٩

التحقت الحالة فور تخرجها بمكتب المحاماه الذى كان والدها يعمل فيه فى الفترة المسائية ، حيث كان عليها قضاء فترة تدريبية بهذا المكتب، لتأهيلها لممارسة مهنة المحاماه ، ثم تزوجت من المحامى صاحب المكتب بعد التحاقها بالعمل بعدة شهور ، والزوج محامى ناجح ويدير المكتب من خلال ثمان محامين يعملون معه ، ودخله الشهرى يصل الى ما يزيد عن خمسة عشر آلاف جنيه فى الشهر ، ويبلغ من العمر ٤٨ سنة ، أى يكبر الحالة موضوع الدراسة بنحو خمسة وعشرون عاما ، وتسكن الحالة فى شقة أنيقة بأحد الأحياء الراقية ٠

ولندع الحالة تتحدث عن نفسها ٠

أول ما اتخرجت حاولت أدور على أى مكتب محامى علشان أعمل فيه التدريب بتاعى ـ بابا عرض عليه فى الأول انى أشتغل معاه فى المكتب اللى بيشتغل فيه بعد الظهر ٠٠ انما صاحب المكتب كانت سمعته مش قد كده ٠٠ كنت باسمع من بابا عنه كلام مش كويس ٠٠ كان مشهور بانه بتاع فلوس ٠٠ وأنه بيكسب القضايا بتاعته بالطرق غير المشروعة ٠٠ عشان كده ماحبتش انى أشتغل عنده ٠٠ لكن فضلت كام شهر أدور على شغل ومالقيتش ٠٠ ماكانش قدامى الا انى أروح أشتغل عنده ٠٠ اتصورت ساعتها انى ممكن ما أشتغلش الا فى القضايا النظيفة ٠٠ وان حيكون عندى حرية ارادة وحرية اختيار للقضايا اللى حاشتغل فيها ٠

لما ابتديت فترة التدريب ٠٠ كنت باصطدم كتير مع زمايلى ومع صاحب المكتب٠٠حتى بابا كمان كنت باصطدم معاه٠٠بالتدريج لقيت انى انركنت ٠٠ ومابقاش يتحط على مكتبى ولا دوسيه قضية واحدة ٠٠ بابا ابتدى يحذرنى ٠٠ قالى ان صاحب المكتب سايبنى على قوة مكتبه مجاملة لبابا ٠٠ وأنه أكيد حيستغنى عنى بين يوم والتانى ٠٠ مجال المحاماه مجال ضيق ٠٠ ومعظم خريجين الحقوق مش لاقيين شغل ٠٠ حسبتها فى مخى ٠٠ أنا مش ضامنه انى أتجوز راجل مستريح ويقعدنى فى البيت٠٠ يعنى الشغل بتاعى حيساعدنى انى أحافظ على المستوى اللى كنت عايشاه فى بيت بابا ٠٠ كمان حسيت من مناقشاتى مع أصدقائى وزملائى الشباب ٠٠ وخاصة اللى لسه فى بداية حياتهم ٠٠ انهم بيفضلوا انهم يتجوزوا ست بتشتغل علشان يقدروا يشتركوا فى مسئوليات البيت والجواز ٠٠

حسيت ان الشغل اليومين دول معناه رخصة للبنت عشان تتجوز الأول .. وعشان بعد كده ماتتذلش لجوزها .. وابتديت أهدى اللعب فى المكتب .. وأجارى صاحب المكتب وأبين له انى حريصة على الشغل بأى وضع من الأوضاع .. وبطلت انتقادات ومناقشات واعتراضات .. وبقيت زيى زى باقى المحامين اللى معايا .

صاحب المكتب ابتدى شوية شوية يعتمد عليه .. وابتدى ياخدنى معاه أنا بالذات فى معظم القضايا اللى بيباشرها بنفسه .. ومع الوقت بقيت أنا أقرب واحده منه .. وبقيت أكتر واحده يثق فيها فى المكتب ..

صاحب المكتب وقتها كان عنده ٤٨ سنة يعنى كان أكبر منى بخمسة وعشرين سنة .. وكان متجوز بقاله ١٥ سنة وعنده بنتين .. وفهمت منه أنه تعبان مع مراته وعايز يتجوز .

ابتدى صاحب المكتب يلمح لى بانى عاجباه .. وابتدى يدى اهتمام أكتر لبابا .. وبقى مايفوتش مناسبة الا لما يجاملنا فيها أو يجيب هدية كبيرة .. ماما كانت مبسوطة منه لأنه لارج وكريم .. وبقت كل يوم والتانى تخلق فرصة عشان ييجى عندنا البيت أو نخرج سوا فى أى حته .. ولاحظت أنها كانت بتتعمد دايما تسيب لينا الفرصة اننا نقعد لوحدنا أو نخرج لوحدنا حتى لو مش رايحين المحكمة .. أو مش رايحين فى مشوار يتصل بالشغل .

فى الأول ماكنتش بابص له على أنه ينفع لى كزوج .. من ناحية لأنه كبير فى سن .. ومن ناحية تانية لأنه متجوز .. يعنى عمر ما أحلامى دارت حوالين واحد زيه أو فى ظروفه .. الكن بعد ما احتكيت بيه بكام شهر ابتديت أحس أنه فيه مزايا كتير قوى .. كفاية مستوى المعيشة اللى عايش فيه .. عشان كده لما فاتحنى فى الجواز حسيت انى خساره أضيعه .. خصوصا لما قالى أنه حيطلق مراته فى كل الأحوال .. وانه مش حيطلقها مخصوص علشانى ، انما حيطلقها لأن الحياة بينهم بقت مستحيلة ..

ماما وبابا كانوا فرحانين بيه جدا لما اتقدم لى .. انما اخواتى كانوا بيعارضوا .. أخويا عنده واحد زميله ضابط فى الجيش .. وزميله ده كان نفسه يتجوزنى .. انما ماكانش حيلته حاجة يتجوز بيها .. صحيح مافيش مشكلة بالنسبة للشقة .. لأن بابا بانى ليه ولاخواتى شقق .. انما القضية مش قضية شقة وبس .. ولا قضية مهر وشبكة .. فيه حاجة أهم من كده .. وهيه ان ازاى شاب زى الضابط ده يقدر يفتح بيت ويوفر لى نفس مستوى المعيشة اللى اتربيت فيه .

أختي كمان كانت معترضة على جوازى ٠٠ كانت بتقوللى انتى بتبيعى شبابك وحياتك بالفلوس ٠٠ وان السكينة سارقانى ٠٠ ومش حاعرف غلطتى الا لما يكون مستقبلى وشبابى وحياتى ضاعوا خلاص ٠٠ هيه كانت بتقول الكلام ده كله لأنها كانت بتحب زميلها ٠٠ وأصرت أنها تتجوزه مع أنه على قد حاله ٠٠ واهه معيشها بالعافية ٠٠ منطقها غريب جدا ٠٠ بتقول كفاية علينا أننا نأكل حب ٠٠ ونشرب حب ٠٠ وننام على حب ٠٠ ونصحى على حب ٠٠ هو الحب بيملا جوع المعده ٠٠ والا بيغطى الجسم العريان ٠٠ الحب رفاهية ٠٠ أى حد يقدر يعيش من غير حب ٠

أنا لما اخترت اللى اتجوزته اخترته بعقلى مش بقلبى ٠٠ وآدى نتيجة الاختيار ٠٠ دلوقتى عندى باسمى شقة طويلة عريضة أحسن من الشقة اللى كان بابا حيديها لى ميت مرة ٠٠ وعندى بدل العربية اثنين ٠٠ وعندى مجوهرات تكفى أفتح بيهم محل ٠٠ وباسافر بره مرتين أو ثلاثة فى السنة ٠٠ وأحيانا بيكون عندى ٣ شغالات فى وقت واحد ٠٠ وآدينى ماكلفتش بابا ولا مليم ٠٠ جوزى رفض ان بابا يساعدنا بأى حاجة ٠٠ حتى قمصان النوم جوزى هوه اللى جابها لى ٠

جوزى حاول يغرينى انى أقعد فى البيت وما أشتغلشى ٠٠ انما أنا رفضت بشده ٠٠ أولا شغلى معناه دخل أكتر ٠٠ ثانيا أحيانا باحس انى مهددة أولا لأن جوزى مش صغير فى السن وعنده القلب وخايفه يجرى له حاجة ٠٠ وثانيا باخاف أنه فى يوم من الأيام يرجع لمراته وأولاده ٠٠ عشان كده حاسه ان الشغل هوه المستقبل الوحيد المضمون ٠

الحالة رقم (٣) الدراسة الثالثة ١٩٨٩ ـ ١٩٩٤

لا زالت الحالة تشارك زوجها العمل فى مكتب المحاماه الذى يمتلكه الزوج وهى لم تنجب حتى الآن وبعد مضى نحو ثمان سنوات على الزواج رغم محاولاتها المتكررة للعلاج ، وقد أعاد الزوج زوجته الأولى الى عصمته بعد طلاقها ، ويتردد عليها وعلى أولاده من فترة الى أخرى ، الا أن اقامته شبه الدائمة فى بيت الزوجية الثانى « مع الحالة » ٠

ولندع الحالة تتحدث عن نفسها :

أما باستعراض العشر سنين اللى فاتوا من عمرى بعد ما اتخرجت من الجامعه باحس ان اللى حصل فيها حصل لواحده تانية مش ليه أنا بالذات ٠٠ مش دى الحياة اللى كنت راسماها ولا باخطط ليها أيام ما كنت صغيره ٠٠ حاسه انى كبرت فى العشر سنين دول ميت سنة مرة واحدة ٠٠ حاسه انى عجزت وشخت قبل الأوان ، الظاهر ان الخمسة وعشرين سنة فرق بين عمرى وعمر جوزى انضافت لعمرى أنا ٠٠ وانى بدال ما أحس انى لسه عندى ثلاثة وثلاثين سنة ٠٠ باحس ان عندى ٥٨ سنة ٠

أول ما اتجوزت كنت متصوره ان جوزى ساب مراته الأولانية لأنه فعلا مش قادر يعيش معاها ٠٠ وانه كان حيطلقها ســواء اتجوزنى أو ما اتجوزنيش ٠٠ فوجئت بعد سبع سنين من الجواز انه رجع لمراته من مدة طويلة وانا نايمه على ودانى ومش دريانه ٠٠ لاحظت فى الأول انه بيغيب عن البيت ليلة أو ليلتين كل شهر ٠٠ وكان بيوهمنى ان عنده قضايا فى اسكندريه ٠٠ ماكنتش باشك فى غيابه لأنه كان ذكى جدا ٠٠ كان بياخدنى معاه أحيانا اسكندرية ٠٠ وكنا فعلا بنروح سوا المحكمة ٠٠ انما ابتدى يزوغ منى ويسافر لوحده ٠٠ المهم عرفت متأخر قوى انه ما كانش بيروح اسكندريه دايما ٠٠ وانه رجع لمراته ٠٠ ولما واجهته اعترف وقال انه رجع لها علشان الأولاد مش علشانها هيه ٠٠ المهم ٠٠ ما كانش قدامى الا أنى أسيبه ٠٠ أو انى أقبل الوضع زى ما هوه ٠٠ وقبلت الوضع زى ما هو ٠٠ أولا لأنه بيحاول يحسسنى ان مافيش حاجه اتغيرت فى حياته بالنسبه ليه ٠٠ وكمان لأن طلاقنا معناه انى أسيب المكتب وابتدى حياتى العملية من أول وجديد٠٠وعمرى ما حانجح كمحامية لو فتحت مكتب لوحدى ٠٠ لأن لسه الناس بتفضل تروح للمحامى مش للمحاميه ٠٠

الحاجة الثانية فقدت الثقة فى انى أقدر أبتدى حياة خاصة جديده كويسه مع راجل تانى وأنا فى السن ده ·· خصوصا وانى مش باخلف·· هوه مش مهتم بحكاية الخلف ·· انما بالنسبة ليه ·· دى هيه عقـدة حياتى ·· حاسه ان ناقصنى أهم وأكبر حاجة فى الدنيا ·· ثقتى فى نفسى بقت مهزوزه ·· حاسه انى ما أساويش حاجه ·

أول ما رجع جوزى لمراته الأولانية ·· حسيت بامتهان جامد جدا لكرامته ·· حسيت انى انشرخت من جوايا ·· عملته دى خلتنى أحس انى بقيت نص ست ·· وبعد ما يئست من انى أخلف وأبقى أم حسيت انى فقدت نصى الثانى ·· وبقيت ولا حاجه ·

الدكاتره حاولت كثير فى حكاية الخلف ·· مافيش قدامى دلوقتى الا أنى أجرب حكاية أطفال الأنابيب ·· انما أنا بقالى سنة وأنا باعمل محاولات فى اتجاه تانى خالص ·· باروح للمشايخ ·· وبتوع الجن ·· وكل ما أفشل مع واحد أسيبه وأروح لغيره ·· صرفت فى الحاجات دى الوقات ·· انما مافيش نتيجه ·· اللى يقوللى ان معمول ليه عمل·· واللى يقول ان فيه سحر ·· واللى يقول ان فيه مس شيطانى ·· حاجات كثير قوى مش عارفه أصدق منها ايه وأكذب ايه ·· انما اللى أنا واثقه منه ان الأذية اللى أنا فيها دى من مراته الأولانية ·· أكيد هيه عملت عمل عشان نرجعه ليها وكمان عشان تأذينى بعدم الخلفه ·

حكاية انه رجع لمراته كوم ومشكلة الغيره اللى عنده دى كوم تانى ·· ده بيغير عليه من دبان وشى ·· وخصوصا انه عارف ان مافيش عيل يربطنى بيه ·· وانى ممكن أسيبه فى أى لحظه ·· وفى الحقيقة أنا بالعب بالورقه دى كويس جدا ·· دايما باتفنن ازاى أثير غيرنه ·· عشان يتمسك بيه أكثر وما يطلقنيش ·· هوه حتى بعد ما رجع مراته لسه معيشنى فى مستوى كثير ما يحملوش بيه ·· كفايه ان كل فلوسى ما باصرفش منها ولا مليم على البيت أو على نفسى ·· آدينى باعمل حساب الزمن ·· مش عارفه ايه اللى ممكن يحصل خصوصا وان جوزى عنده القلب وما أعرفش بكره حيكون فيه ايه··جوزى بيحبنى جدا··مافيش مناسبة الا اما يجيب ليه هديه ·· حتى من غير مناسبه هوه كريم جدا معايا ·

علاقتنا فى البيت عاديه ·· يعنى أمور البيت كلها دى من اختصاصى أنا ·· صحيح أنا دايما عندى شغالين ·· انما ساعات باتزنق ومايكونش عندى ولا شغاله ·· فى الحالات دى ·· أنا بقى اللى باتدبس ·· لأن جوزى بالرغم من انه بيحبنى انما دى حاجه ودى حاجه تانيه ·· يا دوب ممكن يحضر شاى أو يحضر الفطار أو العشا اذا كان عايز يصالحنى أو لما يكون صابح رايح لمراته التانيه وحاسس انى متضايقه ·· يعنى لما يكون عامل عامله ·

علاقتي مع أهل جوزى مش قد كده ·· لانهم من الأول كانوا ضد جوازنا ·· كانوا متصورين ان أنا اتجوزته علشان طمعانه في فلوسه ·· وطبعا همه ليهم حق ·· لان مش عادى ان واحدة تتجوز واحد فى سن أبرها ·· أما علاقتنا بأهلى فهى كويسه جدا ·· وخصوصا ان جوزى بيحب ماما جدا لأنه عارف تماما انها أكثر واحده كانت حريصه على الجوازه دى ·· وفي الحقيقة لولا ان ماما ورايا علطول ما كانش جوزى اشترى باسمي الشقة اللى احنا عايشين فيها والفيلا بتاعة مراقيا ·· لأن ماما دايما تقوللى لازم تأمني نفسك لأن الرجاله مالهمش أمان ·· وفعلا ماما كانت صح وبتبص لبعيد ·· لأنه رجع لمراته وأولاده فعلا ·· ومش بعيد انه فى يوم من الأيام يطلقني ويتجوز واحده تانية ·· ولو أنى أشك أن ظروفه الصحية ممكن تساعده على عمله زى دى ·· وكمان غيرته الجنونية عليه مخلياني أحس انه ما يقدرش يعيش من غيرى ·· رغم ان وجودي في حياته عامل له أزمه مع مراته الأولانيه وأولاده ·· لأن كل سيرتى ما تيجي عندهم في البيت يدب خناقه هو ومراته وأولاده ·· ويلم هدومه وييجى يقعد عندى بالأسبوعين والثلاثة لحد ما يصالحوه ·· انما خلاص تعودت على حاجات كثير كنت بارفضها زمان ·· يعنى مثلا عندنا في المكتب دلوقتي قضايا تخص ناس متهمين في عمليات الارهاب ·· واحنا واثقين تماما انهم اشتركوا في حوادث التفجير اللى حصلت ·· ومع كده فاحنا بندافع عنهم وبنطلب لهم البراءة أو على أقل تقدير تخفيف الأحكام مع انى أيام ما اشتغلت جديد في المكتب كنت ضد إننا ناخد أى قضية الا اذا كنا واثقين ان صاحبها مظلوم أو صاحب حق ·· انما الظاهر ان المبادىء شيء · وأكل العيش شيء تانى ·

الحالة رقم (٤) : الدراسة الأولى ١٩٨٤

هى طالبة بالسنة النهائية بكلية البنات قسم اللغة الانجليزية ، الأم والأب من أصل ريفى ، الأب حاصل على شهادة مدرسة الصنايع ، وكان عاملا باحدى مصانع الأسمنت ٠٠ ثم أخذ يعمل فى صفقات صغيرة لبيع الأسمنت حتى تكونت لديه ثروة مكنته من امتلاك ثلاث مصانع للبلاط ٠٠ دخله الشهرى يفوق ١٠ آلاف جنيه شهريا ٠٠ الأم لم تكمل دراسة المرحلة الثانوية ٠٠ وهى ربة بيت ٠ المسكن مكون من حجرتين وصالة باحدى العمارات الكبرى بالجيزة ٠

ولنترك الحالة تتكلم عن نفسها :

الناس كلها بتحسد بتوع الانفتاح الاقتصادى ٠٠ ماتعرفش ان الانفتاح ده كان نكبة ومصيبة على بعض الأسر ٠٠ واحنا أسرة منهم ٠

بابا ابتدى حياته عامل بسيط فى مصنع للأسمنت ٠٠ وبعدين بقى فنى فى المصنع ٠٠ كان وقتها متجوز ومراته ماتت وسابت له ولد وبنت صغيرين ٠٠ ماما أصلا من بلد فى الدقهلية ٠٠ قرية صغيرة ٠٠ انما كانت من أحسن العائلات هناك ٠٠ وكانت متجوزة انما قعدت حوالى ٧ سنين ماتخلفش فجوزها الأولانى طلقها علشان عدم الخلفة ٠٠ كان عندها خالة ساكنة فى طره فراحت قعدت عندها ٠٠ ابن خالتها كان مقاول مبانى وبيتعامل مع بابا ٠٠ المهم بابا شافها واتقدم لها ٠٠ عيلة ماما ماكانتش موافقة عليه لأنه بيشتغل عامل ولأنه من أسرة فقيرة جدا ٠٠ انما الظاهر ان الفرص قدام ماما كانت قليلة لأن معروف انها مابتخلفش ، فوافقت انها تتجوزه وتربى أولاده ٠٠ أولاده كانوا صغيرين جدا ٠٠ الولد عنده ٣ سنين والبنت عندها سنتين ٠٠ بعد ما اتجوزوا ماما خلفت علطول ٠٠ أنا الأول وبعدين أختى ٠٠ وقت ماما ما اتجوزت كان لها أخ أستاذ فى الجامعة وعنده شقة صغيرة فى أكبر عمارة فى الجيزة وقتها ٠٠ واتنقل منها لشقة أكبر لما اتجوز وساب لها الشقة ٠٠ ماما وبابا سكنوا فيها واتولدت أنا وأختى فيها ٠٠ الشقة أودتين متوسطين وصالة ٠٠ كنت أنا واخواتى الثلاثة فى أوده وأوده لماما وبابا ٠٠ حياتنا كانت حلوة وكويسة وهادية ٠٠ زى أى أسرة عادية ٠٠ واخواتى اللى من بابا طلعوا يقولوا لماما يا ماما ٠٠ وماما كانت بتموت فيهم ٠٠ وما زالت لحد دلوقتى ٠٠ وأنا عمرى ماحسيت الا انهم اخواتى زى أختى الصغيرة بالضبط ٠٠

الحياة كانت حلوة وبابا كان بيصرف علينا كويس جدا لأنه كان بيشتغل حاجات تانية برضه خاصة بالأسمنت ٠٠ فكان مستوانا يعتبر كويس جدا ٠٠ الى جانب ان ماما كان عندها ٣٠ فدان بيتزرعوا قطن ٠٠ وكان ايرادهم كله بيتصرف علينا ٠٠

قبل الانفتاح بشويه بابا أقنع ماما انها تبيع الارض وياخد فلوسها يشغلها فى التجارة ٠٠ وماما بمنتهى البســاطه باعت الارض ٠٠ وكان الفدان وقتها يساوى ١٠٠٠ جنيه ٠٠ دلوقتى وصل لحوالى الـ ١٥ ألف ٠٠ المهم بابا ابتدى يشتغل كويس بالفلوس ويعمل صفقات اسمنت مع التجار لحد ما قدر يعمل لنفسه مصنع للبلاط ٠٠ دلوقتى عنده ٣ مصانع من أكبر مصانع البلد ٠٠ حياتنا فضلت فترة عادية ٠٠ انما بابا ابتدى يسهر بره كتير ويشرب خمره وأحيانا يبات بره ٠٠ وكان بيقول انه لازم يجارى التجار اللى بيشتغل معاهم علشان الشغل يمشى ٠٠ المهم اكتشفنا انه اتجوز واحدة سورية وخلف منها بنت ٠٠ ماما جت لها صدمة لأنه استغل فلوسها وبعدين اتجوز عليها ٠٠ انما سكتت علشان تربينا ٠٠ بعد كده اتجوز واحدة تانية وواحدة تالتة ٠٠ ثالث واحدة اشترطت عليه انه يطلق الثلاثة الأولانيين ٠٠ احنا سمعنا انها كانت رقاصة فى شــارع الهرم وطمعت فى فلوسه ٠٠ المهم من ساعة ماتجوزها وهوه تقريبا نسينا ٠٠ بييجى مرة كل شهر زى الضيف ويسيب ٥٠٠ جنيه للعيلة كلها مع انه دخله مش أقل من ١٠ آلاف جنيه فى الشهر ٠٠ بيغير عربيته كل سنة وعربية الست الجديدة ٠٠ واشترى لها فيللا فى الهرم بمليون جنيه واحنا لسه بنام زى السردين فى أودتين ٠٠ المبلغ اللى بيدفعه فى الشهر يادوب بيكفينا ٠٠ أختى الكبيرة اتجوزت وجوزها بيدرس بره ومسافرة معاه ٠٠ أخويا لسه فى آخر سنة فى كليــة التجارة لأنى أنا دخلت المدرسة صغيرة وكمان نطيت سنة ٠٠ كلنا بنلعن اليوم اللى بقى بابا فيه غنى لأن الفلوس خلته ينسى أولاده وينسى فضل الست اللى باعت أرضها علشــان تخليه مليونير ٠٠ الناس مابتشفش من بتوع الانفتاح الا العربيات والفيلات ٠٠ ما بتعرفش ان ده أحيانا بيكون على حساب ناس تانيين ٠

بالنسبة للمشاكل فى الكلية ٠٠ احنا عندنا مافيش مشكلة ٠٠ وبالذات فى القسم بتاعنا ٠٠ انما أنا أعرف مثلا ان فى كلية التجارة ٠٠ وفى كلية الحقوق بيوصل عدد الطلبة الفين و ٣ آلاف طالب فى السنة الواحدة ٠٠ والدكتور ممكن يكون بيعطى مادتين أو ثلاثة فى أكثر من سنة دراسية ٠٠ أنا مش فاهمة ازاى يقدر يقرأ الورق بتاع الامتحانات ولو حتى قراءة حرامه ٠٠والمعروف انهم مابيكونوش فاضيين علشان بيألفوا كتب يبيعوها للطلبة ٠

أنا ماباخدش دروس خصـــوصى لأن المدرسين بتوعنا كويسين فى الكلية ٠٠ ولو ان أحيـانا فيه مواد باحتاج فيهـا دروس ٠٠ انما بابا مابيرضاش يدفع ولا مليم أكثر من مصاريف البيت ٠٠

التفكير فى الشغل بالنسبة ليه مش مشـكله ٠٠ أنا بيتهيألى ان شغلانة مدرسـة دى شغلانة كويسـة ٠٠ أولا لأنى حاقدر أدى دروس خصوصية وأستغنى عن مساعدة بابا ليه ٠٠ لأن بالرغم من انه تقريبا مليونير انما مراته الأخيرة مسيطرة عليه جدا ٠٠ وبيصرف علينا بقلع الضرس ٠٠ بالاضافة لأن المهنة دى حتوفر لى الوقت اللى أسرتى حتكون محتاجاه بعد ما أتجوز ٠٠ طبعا أتمنى انى أتفرغ للبيت وما أشتغلش ٠٠ يمكن ربنا يسهل فى واحد ابن حلال يكون مرتاح ٠٠ بس مش عايزاه من بتوع الانفتاح ٠

لا الدولة ولا الجامعة قادرين يقدموا لينا أى خدمات خاصة ٠٠ احنا كشباب ٠٠ وكفئة من فئات المجتمع لينا مشاكل ٠٠ بعضهـا مشاكل خاصة ٠٠ وبعضها مشاكل عامة ٠٠ لا بنلاقى اللى يسـاعدنا فى حل مشاكلنا الخاصة ٠٠ ولا بنلاقى اللى يحل لينا مشاكلنا العامة ٠٠

احنا شباب ضايع ما بين مشاكل الأسرة ٠ وما بين مشاكل المجتمع٠٠ وكل مؤسسات الدولة ووسائل الاعـلام بتركز على السياسة الخارجية والسياسة الداخلية ٠٠ وناسيين ان الشباب ده فى يوم من الأيام هوه اللى حيوجه السياسة الداخلية والسياسة الخارجية ٠

أنا غاوية موسيقى ومعظم وقت الفراغ باقضيه قدام التليفزيون ٠٠ احنا ماعندناش فديو ٠٠ ماما بتدعى انه حيعطلنا عن المذاكرة ٠٠ وكمان مابتوافقش انى أخرج مع أصحابى حاولنا اننا نشترك فى نادى من النوادى انما كلها مابتاخدش أعضاء جداد ، وبتشترط دفع مبلغ رهيب كاشتراك ٠٠ وقت الفراغ بتاعى باقضيه فى قراية المجلات ٠٠ لأن ثمنها أرخص من الكتب أو بسـاعد ماما فى شـغل البيت ٠٠ أو أتمشى مع ماما واخواتى على الكورنيش ٠٠ انما هيه رافضة نشترى فديو ٠٠ أولا لأنه غالى وثانيا لأن ايجار الشرايط غالى ٠٠ ناس غيرنا كان زمان عندهم فيديو من أول ما طلع ٠٠ بابا عنده فى الفيلا ٣ فدبو حاطط واحد فى كل حتة ومستخسر فينا انه يشترى لينا واحد بس ٠

ديون مصر دى مش أى حد من الشعب يقدر يدفعها أو يسـاهم فيها ٠٠ اللى بيكلوا خير البلد همه اللى لازم يدفعوا ٠٠ واحد زى بابا شارى فيللا بمليزن جنيه لواحدة رقاصة ٠٠ يبقى عنده كام مليون ؟ وجابهم ازاى ٠٠ ؟ ما هوه جابهم من التهرب من الضرايب والتزوير فى

المستندات ٠٠ وبيع الأسمنت فى السوق السودا ٠٠ المفروض كل واحد فى البلد زادت ثروته عن مليون جنيه الحكومة تصادر الباقى لمصلحة الدولة ٠٠ شوفى العمارات اللى طالعة العمارة بتتكلف كام مليون جنيه ٠٠ ده معناها ان فيه مجموعة مستولية على خير البلد كله ٠٠ اللى دخله ألف جنيه يادوب تلاقيه ماشى مستور ٠٠ ده غير الغلابة اللى ممشينها بالعيش الحاف والا بالعدس والفول والطعمية وياريت لاقيينه ٠

التحليل والتعليق على الحالة

تمثل هذه الحالة نموذجا يصور الجانب الآخر لحياة بعض أصحاب الانفتاح الاقتصادى ، فاذا كان الانفتاح الاقتصادى نعمه بالنسبة لبعض أسر هذه الفئة ، فهو نقمة بالنسبة للبعض الآخر ، وهذا هو الوضع بالنسبة لتلك الحالة ٠

فالأسرة ضحية من ضحايا هذا الانفتاح ، حيث أدى الثراء الواسع الذى سبقته مرحلة طويلة من الفقر والمعاناة الى تمادى الأب فى الاغتراف من المتع الحسية والمادية الى أقصى حد ، وذلك على حساب كل القيم والمعايير الأخلاقية ، فالأم التى شاركت الأب سنين كفاحه ، واحتضنت أبناءه من زوجته الأولى منذ طفولتهم ، والتى ساهمت بكل ما تمتلك فى تكوين ثروته ، كانت أول الناس التى قابل معروفها بالنكران ، بعد أن تحقق له ما أراد من ثراء ، فترك زوجته ، وهجر أبناءه ، وانحرف فى تيار السهر ومعاقرة الخمر ومصاحبة النساء ، واتخاذ زوجة جديدة بعد الأخرى ، مما انعكس على الحالة موضوع الدراسة فى صورة حقد أسود تجاه فئة الانفتاح الاقتصادى بوجه عام ، وحيال والدها بشكل خاص ، كما انعكس أيضا فى صورة شقاء الحالة ومعاناتها من جراء ما أدى اليه ثراء والدها من تنكر ، واهمال لها ، ولأسرتها ٠

وعلى الرغم من أن المستوى الاقتصادى الحالى للأسرة يعد مستوى مناسبا بالمقارنة مع كثير من الأسر ، الا أن شعور الحالة بأن هذا أدنى بكثير مما كان يجب أن يكون عليه حالتهم الاقتصادية جعلها ترجع معظم مشكلاتها الراهنة الى عوامل اقتصادية ، وان كان ذلك فى حقيقة الأمر يعد اسقاطا لمشاعرها السلبيةً تجاه تصرفات أبيها ، فهى تشكو من عدم تمكنها من تلقى دروس خصوصية فى بعض المواد ، وتشكو من استمرار سكناهم فى شقة مكونة من حجرتين على حين أن الأب اشترى لزوجته الأخيرة فيللا بمليون جنيه ، وتشكو من عدم امكانية شراء فديو على حين أن الأب لديه ثلاثة أجهزة ، وتشكو من عدم قدرتهم على الاشتراك فى أحد النوادى

لارتفاع تكاليف هذا الاشتراك ، الى آخر هذه السلسلة من الشكاوى التى ترجع الى أسباب مادية بحتة ، والتى استهلكت الجانب الأكبر من أحاديثها •

وتمثل تلك الحالة نموذجا للشباب الذى يشعر بالضياع ، وذلك لوقوعه تحت طائلة مجموعة من الضغوط والصراعات التى تحكم العلاقات الأسرية الى جانب تلك التى تحكم العلاقات التفاعلية بين أفراد المجتمع ، ممثلة فى تركيز الدولة على السياسة الخارجية والداخلية لتدعيم الحكم ، وعدم توفير المؤسسات التى تقوم باحتواء الشباب وحل مشاكله •

وتتميز تلك الحالة بعدم الطموح الشخصى ، وعدم الرغبة فى تحقيق الذات عن طريق العمل المنتج ، اذ هى أكثر ميلا الى الزواج من أحد الأشخاص الأثرياء ، بحيث لا تتحمل عبء المشاركة فى بناء اقتصاديات الأسرة ، كما أنها أكثر ميلا الى اختيار احدى المهن التى ترى من وجهة نظرها أنها لا تحتاج الى الكثير من الجهد والعناء •

وقد أدى ثراء الأب الفاحش الذى لم ينعكس على الحالة وعلى أفراد أسرتها ، الى تهمش مشاعرها فيما يتعلق بالقيم الخاصة بالانتماء الى المجتمع ، والمتصلة بتسديد ديون مصر ، حيث أسقطت مشاعرها تجاه والدها على كافة فئة الانفتاح الاقتصادى • ومن ثم فهى ترى أن على الدولة مصادرة كل الثروات التى تزيد عن مليون جنيه ، اذ أن هذا الثراء كان نتيجة لعمليات التزوير فى المستندات والتهرب من الضرائب والاتجار فى السوق السوداء

أما عن انطباعاتى الخاصة عن الحالة ، فقد لاحظت أن أسلوبها فى الحديث يتسم بالغل والحقد والانفعال ، كما أن مشكلتها الأسرية كانت هى المحور الذى دارت حوله معظم جوانب حديثها ، حتى بالنسبة لتعليقها الخاص بتأليف الكتب لبيعها للطلبة ، ولم ترجعها الى أسبابها الحقيقية الموضوعية • وقد تميزت الحالة أيضا بالهامشية والسطحية فى التفكير ، وافتقار أسلوبها الى التسلسل والمنطقية والموضوعية • وعلى الرغم من أن الحالة تبدو جميلة لأول وهلة ، الا أن أسلوبها العنيف فى الحديث وحدة صوتها وارتفاعه ، واقتران حركات واشارات يديها الحادة بالحديث طوال الوقت ، أخفى مسحة الجمال التى تتسم بها ، كما عكست طريقة حديثها نمطا أقرب ما يكون الى الشخصية الانفعالية غير السوية ، حيث لعبت مشكلتها الأسرية دورا كبيرا فى انعكاس ذلك النمط •

الحالة رقم (٤) الدراسة الثانية ١٩٨٤ ـ ١٩٨٩

حاولت الحالة ولمدة سنتين الالتحاق بالعمل فى أى مجال من المجالات التى قد تحتاج الى تخصصها الدراسى وهو اللغة الانجليزية ، ولكن كل محاولاتها باءت بالفشل ٠٠ حتى نجحت أخيرا فى العمل كمدرسة للغة الانجليزية باحدى المدارس الاعدادية الحكومية ٠٠ وهى مخطوبة حاليا لشاب لم يستكمل دراسته فى المدرسة الثانوية ٠٠ ويمتلك معرض للسيراميك ومستلزمات الحمامات ٠

ولندع الحالة تتحدث عن نفسها :

أول ما اتخرجت ٠٠ حتى قبل ما أتخرج ٠٠ ماكنتش باسيب اعلان فى الجرنال عن وظيفة خالية الا لما كنت باتقدم ليها ٠٠ كان كل مصروفى رايح على الطلبات اللى باقدمها وعلى المواصلات ٠٠ كل يوم والتانى كنت أنزل وألف على كل الأماكن اللى عامله اعلان ٠٠ ومافيش فايده ٠٠ كل ما كنت أتصل ببابا وأقوله شوف لى واسطه عشان أشتغل كان يقول حاضر ٠٠ بس أنا مش فاضى اليومين دول ٠٠ كلمينى الأسبوع الجاى عشان تفكرينى ٠٠ وفات شهر ورا التانى ورا التالث ومافيش فايده ٠

حالتنا المالية فى البيت كانت تعبانه قوى لأن مصروف البيت اللى بابا بيبعته لينا مازادش بقاله ييجى ٨ سنين ٠٠ والأسعار بتزيد وكل حاجة بتغلى ٠٠

احنا ساكنين فى عماره كبيرة قوى فيها ٣٨ شقة ٠٠ وتقريبا نعرف معظم السكان ٠٠ أيام ما كنت فى الكلية كان أحيانا حد من أولاد الجيران بييجى لى عشان أشرح له حاجة مش فاهمها فى الانجليزى ٠٠ وأما تخرجت لقيت الحكاية زادت ٠٠ كل يوم والثانى عندى واحد أو اتنين ٠٠ فكرت ليه ما أديش دروس بفلوس ٠٠ ؟ نشرت بين السكان انى بادى دروس خصوصية ٠٠ فى الأول كنت باخد بالماده ٠٠ يعنى أشرح المادة كلها وآخد آخر السنة ٢٠٠ جنيه من كل واحد ٠٠ السنة اللى بعدها بقيت آخد بالحصة ٠٠ كنت بآخد فى الساعة خمسة جنيه ٠٠ بعد كده لما لقيت ان عدد الأولاد كبر ومابقاش عندى وقت رفعت الأجر لعشرة جنيه فى الساعة ٠٠ وعلى العموش ده مش كتير لأنه السعر اللى ماشى فى السوق ٠٠

أيام ما كنت فى الكلية كنت عايزه أطلع مدرسه ٠٠ كنت فاكره انها شغلانه سهله ومش متعبة ٠٠ وكمان حكاية الدروس الخصوصية كانت عامله ليه اغراء ٠٠ أنا أول ما اتخرجت كان نفسى أشتغل فى مجال الترجمـــة ٠٠ فى شركة سياحية مثـــلا ٠٠ أو فى بنك أو فى شركة استثمارية ٠٠ لكن لقيت كل الأبواب مقفلة قدامى ٠٠ ومالقتش الا حكاية التدريس ٠٠ هيه شغلانه مش بطاله انما متعبة ٠٠ لكن اللى بيخفف تعبها انى بالاقى نفسى كل شهر ٠٠ خصوصا الشهور اللى قبل الامتحانات ٠٠ عامله لى كام ألف ٠٠ وخصوصا خصوصا بعد ما اشتغلت فى المدرسة ٠٠

بابا لما لاقانى كل يوم والتانى باكلمه عشان يشوف لى شغل ٠٠ حب يخلص من الحاحى وزنى ٠٠ فجاب لى الشغلانه اللى فى المدرسة اللى أنا فيها دلوقتى ٠٠ طلع ان فيه واحد صاحبه أخوه مدير ادارة فى وزارة التربية والتعليم ٠

فى المدرسة بأقول ليهم ان مدير الادارة ده يبقى خالى ٠٠ وساعات كتير باكلمه بالتليفون من أودة الناظر ٠٠ وعشان كده كل المدرسة بتعمل حسابى ٠٠ وماحدش يقدر يكلمنى ٠٠

صحيح أنا باحاول انى أدرس المادة بتاعتى كويس على قد ما أقدر٠٠ انما أحيانا كتيرة بابقى تعبانه وهلكانه ومش مستحمله هوسة الفصل ٠٠ ده الفصل عندى بيبقى فيه ٥٠ أو ٦٠ تلميذ ٠٠ حتى بيتهيألى أن نفسهم بس بيعمل دوشه ٠٠

عمرى ما طلبت من تلميذاتى أى هديه ٠٠ انما همه متعودين يدونى هدايا فى عيد الأم وعيد رأس السنة ٠٠ ماباقدرش أرد الهدايا عشان ما أكسفهمش ٠٠ ساعات بيجيبوا لى حاجات أنا مش محتاجة ليها ٠٠ فطلبت ان كل مجمـوعة تشترك مع بعضها ويجيبوا حاجات معينـة أنا باكون عايزاها ٠٠

كل اللى اتقدموا لى ومعاهم شهادات ٠٠ كانوا موظفين ٠٠ وكان يا دوب حالتهم على قدهم ٠٠ يعنى لازم حيبصوا للقرشين اللى باعملهم من الدروس ٠٠ طبعا أنا اتعلمت من الدرس اللى ماما أخدته لما باعت أرضها وادت الفلوس لبابا قبل ما يبقى راجل أعمال ٠٠ وبعد ما بقى مليونير رماها ورمانا وراح اتجوز بدل المرة تلاتة ٠٠

بابا هوه اللى جاب لى العريس ده ٠٠ شاب شكله مش حلو قوى ٠٠ انما عنده مرسيدس آخر موديل ٠٠ هوه أكبر منى بخمس سنين ٠٠ مش غاوى قرايه خالص حتى ولا الجرنان ٠٠ دايما بنختلف فى وجهات نظرنا

.. مافيش لغة مشتركة بيني وبينه .. بيحاول دايما أنه يسيطر عليه ويفرض رأيه حتى لو كان غلط .. انما مش حالاقي زيه .. كفاية مستواه المادي .. دي الشقة اللي أبوه شاريها له ٦ أود .. مش مشكلة بالنسبة لي أنه ماعندوش شهادة .. همه اللي انقطع قلبهم في الدراسة وأخدوا شهادة عملوا بها ايه .. ؟

خطيبي متربي في منطقة شعبية .. أبوه كان تاجر في الأزهر .. وكان نفسه انه يعلم ابنه .. انما هوه ماكانش غاوي تعليم .. فاشتغل مع أبوه في التجارة .. ولما كبر .. أبوه فتح له المعرض بتاعه ..

زمايلي سواء بتوع أيام الجامعة .. أو المدرسين اللي معايا دلوقتي في المدرسة بيستغربوا ازاي رضيت أتجوز واحد تعليمه أقل مني .. لسه عايشين في الوهم بتاع الشهادة والمستوى الاجتماعي ..

أنا كل يوم باحاول أغير حاجه في خطيبي .. له تصرفات كتير بلدي في طريقة لبسه .. طريقة أكله .. طريقة كلامه .. انما أنا واثقة اني مع الوقت حا أقدر أنسيه أنه كان متربي في الدرب الأحمر .

خطيبي عايزني أسيب الشغل لما نتجوز .. انما أنا مصره اني أفضل في الشغل علشان أضمن مستقبلي ومايحصليش اللي حصل لماما .. أنا مصره اني أفضل في الشغل .. واني أفضل أدي دروس .. أنا لازم أعمل قرش للزمن .. وأنا فهمت خطيبي من الأول أن فلوسه حاجة وفلوسي حاجة .. وأنه لازم يكون مسئول عني في كل صغيرة وكبيرة .. وطبعا هوه ما بيعارضش .. ده حتى بيديني من دلوقتي مصروف كل شهر ..

خطيبي بيقولوا عليه أنه كان لعبي قوي .. هوه بيحاول ينكر .. انما أنا واثقه أن البنات ما كانتش سايباه في حاله .. ان ما كانش عشان شخصيته فعشان العربية والفلوس اللي بيرميها حواليه ..

أنا عمري ما صاحبت شاب .. باحس ان الشباب كلهم استغلاليين .. ومش ممكن واحد يتجوز واحده مشي معاها ..

الحالة رقم (٤) : الدراسة الثالثة ١٩٨٩ ـ ١٩٩٤

لا زالت الحالة تعمل فى مجال التدريس ٠٠ حيث تمكنت من الانتقال من المدرسة الحكومية الى مدرسة أخرى خاصه ٠٠ حيث فتح ذلك أمامها المجال للتوسع فى اعطاء الدروس الخصوصية فى مجال اللغة الانجليزية نظير أجور مرتفعة نظرا لانتماء التلاميذ الى أسر منتعشه نسبيا من حيث الناحية المادية ٠٠ وقد تزوجت الحالة سنة ١٩٨٩ ، ولديها ابنه فى الرابعة من عمرها وأخرى فى الثانية من عمرها ٠

ولندع الحالة تتحدث عن نفسها :

لما اتجوزت اتعمل لى فرح حلو قوى ٠٠ لأن بابا من ساعة الفلوس ما جريت فى ايده وهوه بيحب المنظره والفشخره ، وأهل جوزى كمان رغم انهم ناس بلدى انما الفلوس اديتهم الفرصة انهم يعملوا اللى بيعمله أكابر البلد ٠٠ الفرح اتعمل فى أوتيل كبير جدا وبابا عزم كل معارفه وأصحابه من رجال الأعمال والوزرا والفنانين ٠٠ كل تكاليف الفرح كانت على العـريس من أول فستان الفـرح اللى اشتريته بحـوالى ٤ آلاف جنيه لحد أجرة الكوافير اللى عمل ليه واخواتى شعرنا ٠٠ وكان فيه نمر كتير لرقاصات ومطربين من المشهورين جدا ٠٠ والزفه لوحدها قعدت حوالى ساعة ٠٠ والفرح خلص حوالى الساعة ٣ الصبح ٠

الشبكة بتاعتى كانت ذهب ٠٠ أنا عارفه طبعا ان الألماظ أشيك ٠٠ انما الألماظ قيمته بتنقص لما ييجى يتباع ٠٠ انما الذهب ما بينقصشى ان ماكانش بيزيد ٠٠ وأنا اتعلمت من تجربة أمى ان الزمن غدار وانى لازم أعمل حساب بكره كويس قوى ٠٠ وعموما أنا اشتريت كمية حاجات ذهب تمنها يساوى أى خاتم ألماظ عليه القيمة ٠٠ وعلى أى حال جوزى وأهله مايعترفوش الا بالذهب ٠٠ انما يوم الفرح ولأنه كان على مستوى كبير قوى كنت لابسه كوليه ألماظ استلفته من واحده قريبتنا ، واشتريت اسوره وخواتم فالصـــو انما شـكلهم ماكانش يفرق حاجة عن الألماظ الحقيقى ٠

شهر العسل قضيناه فى رحله بالطيـاره للأقصر ، ومن الأقصر لاسوان بمركب ٠٠ وبعد ما رجعنا الأقصر سافرنا على الغردقة ٠٠ كنا نازلين فى أحسن الأوتيلات ٠٠ وجوزى فعلا لارج جدا جدا فى المصاريف وعامل زى بابا فى حب المنظره والفشخره ٠٠ أنا كنت مبسوطه جـدا

بالرحلة لأني مغرمه بتاريخ مصر القديم والآثار ‥ انما جوزى كان طول النهار ينفخ ويبرطم ومش داخل مخه ان الناس تطغ المشوار ده كله عشان يشوفوا شوية حجاره ٠

ظروفنا الماليه تعتبر ممتازة ‥ لأن جوزى بيكسب كويس جدا ‥ وبيصرف على البيت وعليه بمنتهى الكرم وأحيانا كثيره بسفه ‥ على حين ان أنا مدبره جدا وباعمل للقرش ميت حساب ‥ وعشان كده مابطلتش حكاية الدروس الخصوصية بعد الجواز ‥ ده حتى كمان فرشت الشقة اللى بابا اشتراها لى وبأجرها مفروشه ‥ ولو ان حكاية الارهاب دى أثرت قوى على موضوع ايجار الشقة السنة دى والسنة اللى فاتت ٠

جوزى عارف ان عندى حساب فى البنك ‥ وانى باحط كل قرش يخصنى فيه ‥ وهوه عمره ما اعترض على الموضوع ده ‥ بل أحيانا كثيرة وفى المناسبات زى الأعياد أو المواسم أو عيد زواجنا أو عيد ميلادى بيدينى مبلغ محترم علشان أحطه فى البنك ‥ وأنا من الناحية دى بافهم فى الأصول فلازم أشترى له هديه فى أى مناسبه ٠

علاقتى بأهل جوزى مش بطاله ‥ همه ناس طيبين ‥ بس أنا مش باقدر أتعامل معاهم بطريقة مريحه ‥ فيه فرق كبير بين طريقة حياتى وبين طريقة حياتهم ‥ اهتماماتى غير اهتماماتهم وتفكيرى غير تفكيرهم ‥ وده نفسه هوه اللى بينى وبين جوزى ‥ باحس ان أنا فى وادى وهوه فى وادى تانى ‥ حياته كلها للشغل ووقت الفراغ عايز يقضيه فى المسارح والملاهى وقدام التليفزيون ‥ مافيش قضية سياسية أو قضية عامة أقدر أتناقش فيها معاه ‥ وده طبعا عشان الفرق الثقافى اللى بيننا ‥ وده اللى بيخلينى أحس أحيانا ان حياتنا صعب تستمر وأفكر فى الطلاق ٠

من الحاجات التانية اللى خليتنى أفكر فى الطلاق أكثر من مره ‥ وحتى خليتنى أطلب وأصر على الطلاق ثلاث أربع مرات ‥ ان لسانه طويل جدا ‥ وسريع الغضب ‥ ولما يغضب مابيقدرش يمسك نفسه ويمد ايده عليه علطول‥ولولا تدخل أهلى وأهله كان زماننا اتطلقنا ‥ وعموما هوه شخص قلبه أبيض ويروق بسرعة ويقعد يعتذر لى ويبوس راسى وايديه ‥ انما باحس فى كل مره بيمد فيها ايده عليه ‥ انه بيشرخ حاجة جوايا ‥ ومهما اعتذر بعد كده باحس أن نفسى مابتصفاش من ناحيته ‥ واعتقد ان طبعه ده لو ما اتغيرش حيكون هوه السبب فى انى اسيبه فى يوم من الأيام ٠

حماتي ساعات لما تهزر مع بناتي تقول « عقبال يوم ما نطاهرث » وطبعا أنا بأزعل جدا من الحكايه دى ٠٠ لأن أنا ضدها تماما ٠٠ على حين انها بحكم تفكيرها والبيئة اللى اتربت فيها شايفه ان دى حاجه مهمة جدا .

جوزى مالوش أى دعـوه بأى حاجه ٠٠ كل اللى عليه انه يدينى الفلوس اللى أطلبها ٠٠ يعنى ما يشلش كبايه من مطرحها ٠٠ وأحيانا لما يكون فيه مسئوليات كثير عليه ٠٠ أو تكون الشغاله مسافره ٠٠ مابيكونش عنده استعداد انه يتنازل عن أى حق من حقوقه ٠٠ واذا دخلت معاه فى نقاش أول حاجة يقولها لى اقعدى فى البيت وبطلى دروس خصوصية ٠٠ أنا كان لازم أتجوز ست بيت زى أمى .

علاقتى بزوجى كان ممكن تبقى علاقة تسلطيه من ناحيته لولا أن شخصيتى قويه وما بأديلوش فرصه انه يسيطر عليه أو يتحكم فيه ٠٠ خصوصا وانما دايما باحسسه انى مش محتاجاه ماديا ٠٠ بدليل انى طلبت الطلاق أكثر من مره .

اعتقد كمان ان رغبته فى السيطرة والتسلط وان كلمته هيه اللى لازم تمشى ٠٠ سببها انه حاسس انى متميزه عنه من ناحية مستوى عيلتى وكمان مستوى تعليمى ٠٠ والحكايه دى محسساه بالنقص ٠٠ وبيحاول يعوضه بانه مايسبش فرصه الا ويؤكد على ان الراجل راجل والست ست ٠٠
البنات عندى هاديين قوى ٠٠ والبنت الكبيره عندها ميول فنيـه واضحة خصوصا بالنسبة للموسيقى ٠٠ ودنها موسيقيه بدرجة غير عاديه ٠٠ عشان كده اشتريت لها أورج صغير من وهيه عندها ٣ سنين ٠٠ وناويه أجيب لها مدرسة فى البيت تعلمها العزف على النوتة .

جوزى بيحب البنـات بطريقه غير عاديه ٠٠ وبيدلعهم على طول الخط ٠٠ ولما واحده فيهم تعمل حاجه غلط ما يحاولش حتى مجرد انه يلفت نظرها ان ده غلط ٠٠ ويخلينى أنا اللى أعاقبهم أو ألفت نظرهم ٠٠ لما باحاول أفهمه ان ده غلط وان الدلع الزيادة بيبوظ البنات ٠٠ يقوللى « هوه انتى عايزه البنات تكرهنى » .

أنا دايما باستخدم أسلوب الثواب والعقاب مع البنات ٠٠ ودايما اشجعهم وأشكرهم على أى حاجة كويسه يعملوها ٠٠ وأبين ليهم انى زعلانه اذا عملوا أى حاجه غلط .

الغيره أحيانا بتعرف طريقها لنفسى ٠٠ هيه فى الحقيقه مش غيره انما خوف من ان واحده تانيه تقدر تعوض جوزى عن اللى أنا مش قادره

اديهوله ٠٠ يعنى أنا مثلا ما باقدرش ــ حتى لو حاولت انى أمثل ــ أوحى لزوجى انى منبهره بشخصيته أو طريقة تفكيره ٠٠ على حين ان فيه ستات تانيه من اللى بيحتك بيهم فى مجال عمله بيعطوه الشعور بأنه شخصية وانه حاجة ما حصلتش وانه شيك ٠٠ وهوه من ناحيته طيب وأى كلام من الشكل ده بيأثر فيه وبيصدقه ٠٠ وبيحاول دايما انه يفهمنى ان الستات بتجرى وراه ٠

الحالة رقم (٥) : الدراسة الأولى ١٩٨٤

وهي طالبة في السنة النهائية بكلية الزراعة قسم انتاج حيوانى ٠٠ الأب من أصل ريفي والأم من أصل حضرى ، يعمل الأب حاليا كضابط أمن في احدى الشركات الخاصة ، بعد أن أحيل الى التقاعد من القوات المسلحة على درجة لواء ، الأم حاصلة على الثانوية العامة ٠٠ وتعمل منذ خمس سنوات مشرفة في احدى المدارس الخاصة ، بمرتب قدره ٦٠ جنيها شهريا ٠٠ الدخل العام للأسرة يبلغ حوالى ٤٥٠ جنيها في الشهر ٠٠ مبلغ مكافأة نهاية الخدمة وهو حوالى ٢٠ ألف جنيه تم ايداعه في البنك لمواجهة تكاليف الزواج للطالبة ولأختها التى لا تزال في الثانوية العامة ٠ المسكن مكون من ٤ غرف وصالة وحمامين بمدينة نصر ٠

ولنترك الحالة تتكلم عن نفسها :

احنا كنا بنعتبر نفسنا من أحسن طبقات البلد ٠٠ مرتب بابا كان كويس والبدلات كانت كويسة ٠٠ والعلاج في المستشفى كان ببلاش ٠٠ عندنا أحسن النوادى ٠٠ وكنا بنصيف كل سنة في نوادى الضباط في أى مصيف من المصايف ٠٠ انما الكام سنة الأخرانيين دول خلوا الواحد يحس انه صغير قد النملة ٠٠ ليه صديقات كنت أنا أحسن منهم بميت مرة أيام ثانوى ٠٠ دلوقتى راكبين مرسيدس وأنا بأروح الكلية محشورة في الأتوبيس ٠٠ بابا أول ما طلع معاش عمل كام صفقة استيراد عربيات مستعملة من ألمانيا ٠٠ انما خسر لأنه أصلا مش تاجر ٠٠ فراح حاطط الفلوس في البنك وقال كده أأمن ٠٠ وبيشتغل شغلانة مش بطالة ٠٠

احنا دايما بنشترى حاجتنا من الجمعية بتاعة الجيش ٠٠ انما ماما أحيانا بتحب تشترى لحمة البوفتيك من عند الجزار ٠٠ وفي مرة رحت معاها ٠٠ وكان فيه واحد لابس جلابية بلدى زى المعلمين عمال يقول للجزار اقطع عشرة كيلو من الحتة دى ٠٠ وعشرة من الحتة دى ٠٠ وعشرة من الحتة دى ٠٠ وكانت عربيته المرسيدس واقفة بره ٠٠ والعمال حطوا اللحمة في العربية ٠٠ وبعدين دفع يمكن أكثر من ٢٠٠ جنيه للجزار ٠٠ ووزع حوالى ١٠ جنيه بقشيش وهوه واقف ٠٠ وكان كل العمال مشغولين بخدمة الراجل ده ٠٠ وبعدين لما خلصوا ومشى ٠٠ ماما طلبت من الجزار كيلو بوفتيك يكون من حتة خلوة ٠٠ وراح الجزار باصص لها حتة بصة غريبة ومادرش عليها ٠٠ ووزن لها اللحمة من حتة كانت قدامه ٠٠

ولما ماما دفعت ٢٥ قرش للعامل اللي لف اللحمة ٠٠ راح قالبها في ايدم وماقالش حتى متشكر ٠٠ الحقيقة دى كانت أول مرة أحس فيها ان احنا فقرا ٠٠ وان الفقر مر ٠٠ ومن ساعتها ما دخلتش ومش حا أخش عند جزار تاني ٠

احنا ساكنين في شقة حلوه قوى ٠٠ علشـان كده أنا خايفة من المستقبل ٠٠ لأنى مش متصورة انى أعيش فى شقة أقل من اللى أنا عايشة فيها ٠٠ وعلشان كده أهم حاجة في الشخص اللي حيتقدم لى ان يكون عنده شقة كويسة ٠٠ بعد كده أقدر افكر فى باقى الشروط اللى أنا حطاها في ذهنى ٠٠

أول ما دخلت الكلية كان عندى طموح ونشاط انى أقدر أعمل حاجة أو أساهم فى أى مجال ٠٠ انما النظام الموجود في الجامعة أو الكلية مش قادر يستوعب نشاط الطلاب وحماسهم ٠٠ حتى الاتحاد ٠٠ حاجة مختلفة خالص عن التصور اللى كان عندى زمان ٠٠ أيام انتخابات الاتحاد ٠٠ الواحد بيحس ان الجامعة والكلية حيبقوا حاجة ثانية غير اللى احنـا عارفينها ٠٠ وعود ٠٠ وكلام ٠٠ واعلانات ٠٠ وشعارات ٠٠ وحاجات شكلها عظيم جدا ٠٠ وبعد الانتخابات ماتخلص ٠٠ مابنشفش الا اعلانات عن الرحلات والحفلات وبس ٠

كنت أتمنى ان حالتنا المادية تكون أحسن من كده شوية ٠٠ علشان أقدر أعمل مشروع خاص لما أتخرج ٠٠ انما الفلوس اللى فى البنك ماما بتقول ماحدش يقرب لها لأن دى تكاليف الجواز بتاعى أنا وأختى علشان نظهر قدام أهل العرسان بمظهر كويس ٠٠ أنا مجالى محدود بعد التخرج جدا ٠٠ علشان أعمل مشروع زى تربية مواشى أو دواجن مثلا ٠٠ لازم يكون عندى رأسمال أبتدى بيه ٠٠ واحنا والحمد لله تقريبا ماعندناش حاجة زيادة ٠٠ يعنى مافيش قدامى غير شغل الحـكومة ٠٠ رغم ان فلوسها ما اسمهاش فلوس ٠٠

أكثر حاجة بتلفت نظرى في وسائل الاعلام التلفزيون ٠٠ انه أصبح سلاح ذو حدين ٠٠ حد بيوجه التوجيه السليم ٠٠ والحد التانى بيبوظ القيم ٠٠ لأنه بيفسد العقول ٠٠ وتأثيره فى الاصلاح أو البوظان جامد جدا ٠٠ لأنه دلوقتى فى كل بيت ٠٠ فمهما كانت الأسرة محافظة وعاملة كونترول على أولادها الكنترول ده بيبـوظ بسـبب التلفزيون ٠٠ أنا حاتكلم عن الحاجة اللى تخصـنى أنا ٠٠ مثلا الاعـلانات المختلفة عن الماركات العالمية لوسائل التجميل ٠٠ دايما بيربطوها بأن الجمال هو أساس لفت أنظار الشباب لأى بنت ٠٠ مافيش بنت فى سننا مش عايزه

تيان جميلة ٠٠ ومن الاعلانات دى ٠٠ أنا شخصيا باحس انى لازم أشترى الحاجات دى علشان أبقى معقولة ٠٠ وده تقريبا سبب الخناقات بينى وبين ماما دايما ٠٠ أولا لأنها مش عايزانى أحط مكياج ٠٠ ثانيا لأن الماكياج بيتكلف مبالغ مهولة ٠٠

فيه حاجات فى البلد أنا مش باقدر أفهمها ٠٠ احنا بنقرا كتير عن الضغوط اللى بيواجهها القضاء فى مصر ٠٠ القاضى بيكون عنده ٣٠ والا ٤٠ قضية فى وقت واحد ٠٠ ازاى يقدر يقراهم كلهم ويستوعبهم علشان يكون عادل فى حكمه ٠٠

بالنسبة لوقت الفراغ ٠٠ أنا باساعد ماما فى شغل البيت لأنها بترجع تعبانة من المدرسة ٠٠ ضغوط الحياة المادية بقت صعبة قوى ٠٠ ماما اضطرت تشتغل بعد ما كبرنا أولا علشان تتسلى ٠٠ ومن ناحية تانية علشان توفر لينا بعض مطالبنا ٠٠ ولو ان الشغل ده بقى على حسابنا وعلى حساب البيت ٠٠ وبابا بيشتغل الصبح وبعد الظهر ٠٠ وبيرجع آخر الليل على النوم ٠٠ وقليل لما بنتلم كلنا مع بعض ونقعد ندردش ٠٠ ماما رافضة تشترى فديو لأنه حيعطلنا عن المذاكرة ٠٠ وكما لأن تأجير الشرايط عايز بند لوحده ٠٠ احنا مشتركين فى نادى الضباط ٠٠ وليه شلة كبيرة هناك ٠٠ وباروح باستمرار النادى أو أتفرج على التلفزيون أو أسمع موسيقى ٠٠ ماما صعبة قوى ٠٠ أى نشاط بره النادى ممنوع ٠٠ حتى الأولاد اللى باتكلم معاهم فى النادى ممنوع انى أقعد معاهم على ترابيزة أو ان نخرج سوا حتى ولا أكلمهم فى الشارع لما أقابلهم ٠٠ ماما بتقول ان الشباب تحب البنات المتحررة ٠٠ انما لما بيجى الواحد يتجوز فهوه بيختار البنت المحافظة ٠

ديون مصر ايه اللى الشعب يساهم فيها ٠٠ هوه الشعب حيلته حاجة ٠٠ اللى يدفع الديون دى اللى بيقدروا يشتروا لحمة من عند الجزارين ولا اللى عندهم ثلاث أربع عربيات ٠٠ يسبونا فى حالنا ويدوروا على اللى بيعملوا أفراح لأولادهم بتلاتين أو اربعين الف جنيه علشان ليله وأنا كل اللى يخصنى ١٠ آلاف جنيه ما بين جهاز وفرش ولبس وتكاليف فرح ٠

التحليل والتعليق على الحالة

وتعكس هذه الحالة مشاعر الأسى التى يحملها بعض الشباب تجاه التغيرات التى طرأت على القيم الاجتماعية نتيجة انحسارها أمام طوفان القيم المادية فى المجتمع ، وما نتج عنه من تهمش فى المحكات الأساسية

التي كانت تحكم مفهوم الطبقة الاجتماعية كالثروة المتوارثة والدخل والتعليم والمهنة وأسلوب كيفية قضـــاء وقت الفراغ ، وما الى ذلك من محكات حضارية ، حيث أصبحت السيادة والسيطرة لدى ما يعكسه الثراء من امكانيات مالية ومادية ٠

فالحالة قد اصطدمت لأول مرة بذلك الواقع من خلال التجربة التي مرت بها في محل الجزارة ، ويبدو من خلال حديث الحالة أن الأسرة قد غالت في حماية الابنة من الاحتكاك بالعالم الخارجي ، بحيث أصبح هذا العالم بالنسبة لها عالما مغتربا عنها ، وقد تمثلت تلك الحماية في حرص الأم الشديد الذي يصل الى درجة الشجار على عدم استخدام الابنة لأدوات التجميل ، اذ يعد هذا الاتجاه من جانب الأم نوعا من السعي لحماية الابنة من أن تكون محطا لأنظار الشباب ، كما يتضح أيضا من خلال التشدد في نوعية العلاقات التي تقوم بين الابنة وبين الأصدقاء من الذكور ، بدعـوى أن الشـباب يسعى الى تكوين علاقات غير سوية مع الفتيـات المتحررات ، ولكنهم يفضلون الفتاة المحافظة عند التفكير في الزواج ٠

وعلى الرغم من أن دخل الأسرة يقوم الى حد ما بالوفاء باحتياجات الحالة الآنية ، الا أن النظرة المستقبلية يحيطها الكثير من اليأس والتساؤم فيما يختص بالنواحي المادية ، حيث تشكل قضية مسكن المستقبل أولى المشكلات المستقبلية من وجهة نظر الحالة ، كما تمثل عدم القدرة المادية على اقامة مشروع خاص لتربية الدواجن أو المواشي ، وعدم امكانية الاعتماد على الدخل المحدود من الوظيفة الحكومية ثاني هذه المشكلات ٠

وقد أدركت الحالة مثلها في ذلك مثل العديد من طلاب الجامعـة الانفصال التام بين طاقاتها واستعداداتها في بداية مرحلة الدراسة الجامعية وبين امكانية توجيه تلك الطاقة وهذه الامكانيات في بعض الأنشطة الفعالة داخل الكلية ، حيث انعكس هذا الادراك في شكل أزمة ثقة بالنسبة للاتحادات الطلابية نظرا للفرق الشاسع بين الوعود والشعارات التي تسبق عمليات الانتخابات وبين ما تنتهي اليه هذه الوعود ٠

وتمتد أزمة الثقة لدى الحالة الى الشك في مدى قدرة العدالة القضائية على تحقيق العدل وارساء دعائمه في ضوء الضغوط التي يواجهها القضاة في مصر ، من حيث كثرة القضايا التي تسند اليهم ، وبين امكانية القضاة البشرية ٠

وتنعكس أزمة الثقة وعدم الشعور بالتوازن الاجتماعي على مشاعر انتماء الحالة للمجتمع ، حيث ترى أن مسئولية تسديد ديون مصر تقع على عاتق الفئة التي تشتري اللحم من لدى الجزار ، وممن يمتلكون ثلاث

أو أربع سيارات ، وممن ينفقون عشرات الآلاف من الجنيهات لاقامة حفلات الزواج ٠

أما بالنسبة لانطباعي الخاص عن هذه الحالة ، فهي نموذج للكثير من الفتيات المصريات اللاتي لا تترك لهن أسرهن فرصة مواجهة العالم الخارجي ومعايشة الواقع ، حيث تلجأ الأسر الى فرض العديد من القيود بهدف حمايتهن ، الا أن طبيعة العلاقات الانسانية التفاعلية تقف حائلا دون استمرارية فعالية هذه القيود ، حيث أن الفرد عندما يبدأ في التعامل مع الآخرين في المجتمع الخارجي تتكشف له بعض الحقائق التي قد تصدم مشاعره لتعارض الواقع في بعض الأحيان مع القيم التي تطبع بها الفرد خلال مراحل التنشئة الاجتماعية ٠

وتعد هذه الحالة نموذجا للفتاة الطيعة سهلة القيـاد ، التي تلقت جانبا كبيرا من التوجيه والتربية الحازمة ، حيث انعكس ذلك في طريقة حديثها الذي أخذ طابعا بالغا من التهذيب والرقة ، على الرغم مما كان يشوب حديثها أحيانا من مرارة نتيجة تعارض قيمها الخاصة مع بعض القيم الأخرى ٠

الحالة رقم (٥) الدراسة الثانية ١٩٨٤ ـ ١٩٨٩

تزوجت هذه الحالة بعد شهرين فقط من تخرجها ٠٠ حيث تقدم لها شاب يعمل مهندسا فى السعودية منذ سبع سنوات ٠٠ وهو وأسرته يسكنون فى نفس العمارة التى تسكن فيها الحالة ٠٠ وتم زواجها بالطريقة التقليدية ٠٠ حيث تمت اجراءات الخطوبة والزواج خلال اجازته القصيرة التى كان يقضيها فى القاهرة ٠٠ وزوج الحالة يكبرها فى العمر بخمسة عشر عام ، وكان قد سبق له الزواج ولكنه لم ينجب من الزوجة الأولى ٠

والحالة غادرت القاهرة فى صيف سنة ١٩٨٥ ولم تعد اليها منذ ذلك الحين الا مرتين فى زيارات خاطفة لم أكن أعلم بموعدها ٠٠ وبالتالى سقطت هذه الحالة من دراستى التتبعية الحالية ٠

الحالة رقم (٥) الدراسة الثالثة ١٩٨٩ ــ ١٩٩٤

ما زالت الحالة تقيم مع زوجها بالسعودية ·· وتتردد على القاهرة في السنوات الأخيرة خلال الاجازة الصيفية فقط ·· مما لم يتح لى فرصة لقاءها الا مرة واحدة فى صيف ١٩٩٢ ·· حيث أمضت فى السعودية قرابة العشرة أعوام ·· وهى تعمل منذ سفرها فى احدى المدارس ·· على حين لا زال زوجها يعمل كمهندس فى احدى المؤسسات الحكومية ··

وقد وجه الزوجان مدخراتهما فى شراء شقة للاستقرار بها بعد عودتهم النهائية ــ والتى لم يتحدد موعدها بعد ــ كما قاما بمحاولة استثمار جانب كبير من المدخرات فى احدى شركات توظيف الأموال عندما كانت فى أوج مجدها ·· أما باقى مدخراتهم فان والد الزوج يقوم حاليا باستثمارها من خلال سوبر ماركت فى مدينة نصر ·

وحيث ان الحالة تقيم اقامة شبه دائمة فى السعودية ، مما يعنى عدم معايشتها الكاملة للمتغيرات البنائية التى يمر بها المجتمع المصرى ·· وبالتالى عدم تأثرها الكامل بها وهو ما تدور حوله دراستنا الحالية ·· فقد تم اسقاط هذه الحالة من دراستنا الحالية ·

ثانيا : حالات الذكور

الحالة رقم (٦) الدراسة الأولى ١٩٨٤

طالب في كلية التربية ·· ويعمل مساء في أحد الفنادق الكبري فى قطاع المطابخ ، الوالد حاصل على الثانوية العامة ويعمل موظفا باحدى الادارات الحكومية ، والأم حاصلة على الابتدائية وهى ربة بيت ، مرتب الأب ١٢٠ جنيها ، ومرتب الابن من عمله فى أحد الفنادق ٨٠ جنيها ، الأسرة تتكون من الحالة وأخوين من الذكور وأنثى وجميعهم فى مراحل الدراسة المختلفة ، وتسكن الأسرة فى شقة مكونة من ٣ حجرات وصالة ودورة مياه فى حى شبرا ·

ولنترك الحالة تتحدث عن نفسها :

احنا بنعيش أزمة عدالة اجتماعية ·· ناس فوق فى السما ·· وناس فى الأرض ·· واللى فى الأرض همه أغلبية الشعب العرقان ·· ناس محتارة تودى الفلوس اللى عندهـا فين ·· وناس بتشـوف المر علشان ماتنامشى من غير عشا ·· مبلغ ٥٠ ألف جنيه دلوقتى مابقاش يساوى حفل زواج فى أى فندق من الفنادق الكبيرة فى مصر ·· ومافيش فندق فى مصر الا وقاعاته كلهـا محجوزة كل يوم لأفراح من النـوع ده ·· أنا باستغرب ·· اللى يدفع ٥٠ ألف جنيه فى ٣ أو ٤ ساعات ·· يبقى عنده كام ميت ألف والا كام مليون جنيه ·· ده حتى ٥٠ ألف جنيه مبلغ كبير قوى الواحد مايعرفش يعده ، انما اهى الدنيا حظوظ ·· ناس بتصرف ٥٠ ألف جنيه على ليلة ·· وناس زى حالاتى بتشوف المر علشان ٨٠ جنيه فى الشهر كله ··

مشكلة السكن فى المستقبل دى أكبر مشكلة فى حياتى ·· لأنى مهما اترقيت فى الشغلانة بتاعتى حاقدر أحوش كام يعنى ·· الحل الوحيد انى ألاقى عند العروسة شقة ·· او انى حتى أسكن معاها عند أهلها ·· أو حتى عند أهلى ·· ولو ان البيت يادوب مكفينا بالعافية ·· ده حتى الشقة اللى فى مستوى شقة أهلى دلوقتى مش أقل من ٣٠ أو ٤٠ ألف جنيه ·· حتى لو ربنا سهل ووقعت فى صاحب عمارة ابن حلال بيأجر

الشقق بتاعته .. عايز على الأقل ١٠ آلاف جنيه مقدم .. ما يقدر على القدرة الا الله .. الحل الأخير انى أنسى حكاية الجواز دي علشان أريح بالى ..

أنا ماعنديش أى مشاكل بالنسبة للكلية .. أنا آخدها سنة علشان آخد الشهادة وبس .. أنا ناوى استمر فى الشغل فى الأوتيل على طول .. قدامى الفرص انى أترقى وأبقى فى يوم من الأيام حاجه .. انما علشان أشتغل مدرس بالمؤهل اللى حاخده .. ده مرتبه مايكفيش آكل بيه عيش حاف .. المشكلة اللى عاملة لى قلق هوه الخوف من المرض .. الدكاترة بقت تجار بيرفعوا أسعارهم زى مايعجبهم .. والعلاج المجانى ده مشكلة لواحده .. بابا كان أصيب فى حادثة ونقلته عربية الإسعاف على مستشفى الدمرداش وماعرفناش بالحادثة الا تانى يوم .. ولما رحنا هناك قررنا انه لازم يخرج ونوديه مستشفى خاص .. صحيح فيه هناك دكاترة ممتازين انما الخدمة والتمريض مستواهم سىء جدا .. ولأن دى كانت أول مرة نتعامل فيها مع مستشفيات سمعنا كلام الناس وأخدناه لمستشفى مشهورة فى روكسى .. انما للأسف طلعت تبع الانفتاح .. اليوم كان حيتكلف حوالى ١٠٠ جنيه على الأقل .. وبابا مرتبه فى الشهر بحاله ١٢٠ جنيه فأخدناه ورحنا على مستشفى على قدنا بعد ماما ماباعت كل الدهب اللى جيلتها ، وبعد ما اديتهم كل اللى كنت محوشه .. ولسه لحد دلوقتى بنسدد باقى ديون العلاج ده .. دلوقتى كل أملى اللى باتمناه فى الدنيا .. انه ما نمرش بالتجربة دى تانى .. مش علشان قسوة المرض فى حد ذاته .. انما علشان قسوة الفقر والمعاناة اللى الواحد بيعانيها فى توفير مصاريف العلاج .

المشكلة التانية انى من يوم ماوعيت وأنا والحمد لله باصلى وباعرف ربنا .. وباحاول انى أبعد عن أى نوع من المعصية .. انما الاغراء للمعصية بيحاصرنا جوه بيوتنا .. يمكن ٩٠٪ من اعلانات التلفزيون بتحرك فينا المشاعر والغرائز اللى احنا بنحاول نسيطر عليها لحد مانتجوز .. لأن الدين بيقول كده .. واحنا اتربينا على كده .. أى اعلان بيعلن عن بارفان أو نوع من الصابون أو الكوكاكولا .. أو أى حاجة هايفة لازم يحشروا فى الوسط علاقة بين راجل وسيم جدا وست جميلة جدا .. الكلام ده كويس فى دولة مافيهاش دين قوى زى الاسلام .. انما فى مصر .. ده بيتعارض مع القيم اللى اتربينا عليها .. وبيخلى الواحد أحيانا يفكر انه يمشى ورا الشيطان .. وبعدين عندك الأفلام ٩٠٪ منها مابتهدورش الا حوالين الجنس والمخدرات والخمارات وكأن أهل مصر كلهم عايشين فى كباريه كبير ..

فيه كلام كتير قوى مابقالوس معنى ولا أى رد فعل عندى . سمعنا من أيام ماكنا فى ابتدائى عن الديمقراطية .. والحرية .. والمساواة .. والعدالة الاجتماعية .. والاشتراكية .. وحاجات كتير قوى بقيت أتلخبط من كترتها .. اذا كنا حنعترض ان فيه ديمقراطية وحرية .. يمكن همه شايفين كده .. طيب فيه المساواة والعدالة الاجتماعية .. المساواة ان ناس يكون عندها بدل العربية اتنين تلاتة .. وبقية الشعب ينحشر فى الأتوبيسات زى السردين أو المواشى .. المساواة ان ناس تروح فى السنة مرتين تتفسح فى أوربا .. وبقية الناس بتحسبهـا فى مصر بالقرش والمليم .. المساواة ان ناس تعمل فرح يتكلف ٥٠ ألف جنيه فى حتة ليلة .. وناس فى عرض نص المبلغ ده والا ربعه علشان يحلوا أزمة عيلة كاملة عشر سنين قدام .

كل حاجة فى البلد ماشيه لورا .. الدول بتتقدم .. واحنا بنتخلف .. وللأسف احنا اللى بنصنع التخلف ده بايدينا .. بسلوكنا .. وبطريقتنا فى التعامل .. بابا لما حصلت له الحادثة .. ماحدش من زمايله قبض له المرتب بتاعه .. الظاهر ماخدوش بالهم انه ماكانش لسه قبض المرتب .. فكرت انى أروح الشغل أقبض المرتب بتاعه .. دى كانت أول مرة فى حياتى أواجه البيروقراطية والروتين .. أولا كتبت طلب على عرض حال دمغة .. وفضلت أروح بالطلب من مكتب للتانى حوالى ٤ أيام ورا بعض .. بالرغم من ان كل زمايل بابا كانوا بيساعدونى .. وبالرغم من ان الادارة كلها كانت عارفة انى ابنه .. وان حصلت له حادثه .. وانه ماقبضش المرتب .. المهم ما استلمتش المرتب الا بعد ما وقع على الطلب ١٢ واحد من الموظفين واحد بعد التانى .. أهو موضوع صغير بالشكل ده ... واحنا بنسأل احنا بترجع لورا ليه ..

وقت الفراغ بتاعى محدود جدا .. انما لما بيحصـل .. ويكون ماعنديش حاجة اعملها .. باروح السينما مع أصحابى لأن ماعندناش فديو .. أو نقعد على قهوة ندردش .. أو نتمشى فى الشارع ونتفرج على المحلات .

أنا عمرى ما حاولت أجرب المخدرات والخمور .. مع انه كان قدامى أكتر من فرصة .. يمكن بأحس انه ده حرام .. ويمكن لأنى أخدت عبرة من واحد صاحبى كان بيشم من أيام ثانوى .. وفشل فى دراسته وحالته دلوقتى سيئة جدا .. الى جانب ان الحاجات دى عايزة فراغ وعايزة فلوس .. وأنا لا عندى فراغ ولا عندى فلوس

موضوع ديون مصر ده موضوع صعب الواحد يتكلم فيه .. لأنه بالرغم من العيوب اللى ماليه البلد .. الواحد برضه بيحب مصر ونفسه

تبقى أحسن بلد فى العالم ٠٠٠ انما المشكلة أن الواحد فقد الثقة فى السياسة اللى ماشيه بيها البلد ٠٠ من يوم ماوعيت واحنا مابناخدش غير كلام ٠٠ يعنى الديون دى لو اتسددت الأمور حتتغير ٠٠ مشاكل الناس حتتحل ٠٠ الناس حتلاقى شقق وحتعرف تاكل ٠٠ والا حيرجعوا يقولوا اصبروا وضحوا لحد ما الاقتصاد يتحسن ٠٠ هوه الاقتصـــاد بتاعنا تعبان ٠٠ دى دعاية ٠٠ الدليل على كده شوفى العمارات اللوكس اللى ماليه البلد ٠٠ ما هو ده دليل على ان الاقتصاد منتعش ٠٠ انما التوجيه بتاعه هوه اللى غلط ٠٠ وكمان دليل على ان مجموعة صغيرة من الناس بتستغل بقية الشعب العرقان التعبان ٠٠ المفروض انها هيه اللى أثرت على اقتصاد البلد ٠٠ وهيه اللى عليها انها تدفع ديون البلد ٠

التحليل والتعليق على الحالة

يمثل تلك الحالة نموذجا من نماذج الشباب المكافح الطموح ، الذى جمع بين الدراسة والعمل فى وقت واحد لاعانة أسرته على مواجهة تكاليف المعيشة ٠ والأسرة تعد من الأسر التى تواجه ضغوطا اقتصادية واضحة ، اذ يصل الدخل الاجمالى لها ٢٠٠ جنيه شهريا ، ومن ثم فان نصيب الفرد الواحد من الدخل الشهرى يصل فى المتوسط الى ٤٠ جنيها ، مما لا يهيىء لهم الا أدنى مستوى من المعيشة ٠

وقد انعكست الأوضاع الاقتصادية على الحالة ، بحيث يعانى الشعور بأزمة العدالة الاجتماعية ، خاصة بالنسبة للمقارنة بين أوضاعهم الاقتصادية المتدنية ، وبين أوضاع الفئة التى تتمتع بقدر عال من الثراء ، مما يمكن أفراد هذه الفئة من انفاق ٥٠ ألف جنيه فى الليلة الواحدة على احدى حفلات الزواج ٠

ويمثل الشـــعور بأزمة العدالة الاجتماعية لدى الحالة ، احـــدى التجارب التى مرت بها الأسرة ، حيث اضطرت نتيجة تعرض الأب لاحدى الحوادث أن تتعامل مع احدى المستشفيات الخاصة التى تتسم بالصبغة التجارية ، مما مثل لهم عبئا اقتصاديا لا قبل لهم بمواجهته ، اذ استنفد كل مدخرات الأسرة من نقود ومصاغ الى جانب اضـــطرارهم للاستدانة لمواجهة هذه النفقات ٠

وتؤدى معاناة الحالة من ازمة العدالة الاجتماعية الاقتصادية الى خلق أزمة أخرى ، وهى أزمة الثقة فى مؤسسات الدولة وتوجيهاتها القيمية ، فهو ينتقد اتجاهات بعض وسائل الاعلام لتركيزها على جوانب اثارة الغرائز والانحرافات بكافة صورها ، وما يؤدى اليه ذلك من وقوع الأفراد فريسة للصراع ، لتعارض ما تقدمه وسائل الاعلام مع القيم الدينية والاجتماعية

فى المجتمع ، كما يعلن الحالة عن عدم ايمانه بالشعارات والعبارات التى تؤكد على الديمقراطية والمساواة الإجتماعية ، لتعارضها مع ما هو كائن بالفعل ، ومن ثم يواجه الحالة أزمة ثقة حادة مع مؤسسات الدولة •

وتمتد أزمة الثقة الى انتقاد الحالة لأساليب أجهزة ومؤسسات الدولة ، لعدم مرونتها وملاءمتها لمقتضيات التطور الحضارى ، حيث تؤدى التعقيدات الإدارية والروتين والبيروقراطة الى تعطيل مصالح الأفراد ، والى تراجع وتخلف المجتمع •

والحالة تعانى وان لم تصل المعاناة الى حد الشكوى ، من عدم وجود وقت الفراغ الكافى الذى يحتاجه عادة الشباب فى تلك المرحلة العمرية ، وذلك لجمعه بين الدراسة والعمل فى وقت واحد ، ومن ثم اتسم نشاطه فى أوقات الفراغ القليلة التى تتاح له ، بانحصاره فى حدود ضيقة تتراوح بين الذهاب الى السينما ، أو الجلوس على مقهى ، أو التنزه فى الشوارع ، وتمثل القيم الدينية جانبا أساسيا فى حياة الحالة ، اذ تقف حائلا بينه وبين امكانية الانحراف الجنسى أو تعاطى المخدرات أو المسكرات •

ويؤدى عدم ثقة الحالة بمؤسسات الدولة الى الايمان بعدم وجود أزمة اقتصادية تواجهها الدولة ، وأن الأزمة تتمثل فى سوء توجيه الاقتصاد المصرى ، مما ترتب عليه أزمة العدالة الاجتماعية الإقتصادية التى يعانى منها غالبية فئات المجتمع • كما وأن تسديد ديون مصر لن يؤدى الى تحسين الأوضاع الإجتماعية للأفراد ، ومن ثم فان عبء تسديد هذه الديون يقع على عاتق الفئة التى استفادت من المسار غير السليم للاقتصاد المصرى •

وبالنسبة لانطباعاتى الخاصة عن تلك الحالة ، فقد لاحظت سيطرة الروح الاستسلامية والانهزامية عليه ، بالنسبة لاعتقاده استحالة تحسن الأوضاع فى المستقبل ، ومن ثم فهو يواجه مستقبلا يحوطه الغموض والتشاؤم ، على الرغم من محاولته التغلب على تلك المشاعر عن طريق العمل نحو تحقيق طموحاته وآماله على المستوى البعيد •

وقد لاحظت من ميل الحالة الى الهدوء والتحدث بطريقة آلية أن هذا المظهر يخفى وراءه عاصفة من الانفعالات والثورة المكبوتة على كل ما هو قائم فى المجتمع ، حيث اتجهت معظم أحاديثه تلك الوجهة ، وان أخذت تلك الأحاديث شكل عرض هادىء متزن •

ويعكس مظهر الحالة رغم حرصه الشديد على نظافة وكى ملابسه ، معاناة اقتصادية شديدة ، تمثلت فى حذائه الذى حاول بطلائه أن يخفى ما به من تشققات ، وتآكل ياقة قميصه ، وتهرؤ نسيج بنطلونه عند مستوى الركبة ، مما جعلنى أدرك دوافعه تجاه الشعور بأزمة العدالة الإجتماعية فى المجتمع

الحالة رقم (٦) الدراسة الثانية ١٩٨٤ ـ ١٩٨٩

استمر صاحب هذه الحالة فى عمله بالفندق الذى كان يعمل فيه منذ ان كان طالبا بالجامعة ٠٠ وفى نفس السنة الأخيرة له بالجامعة تمكن من الحصول على دبلوم فى الطهى من أحد معاهد الفنادق الخاصة ، ثم تم تعيينه فى وظيفة مساعد طباخ فى الفندق الذى كان يعمل فية على نظام المكافأة ٠٠

وأرسله الفندق الى فرنسا بعد ذالك للحصول على دبلوم فى المطبخ الفرنسى لمدة ستة أشهر ، انقطعت أخباره تماما منذ ذلك الحين ، حيث علمت مؤخرا أنه قد استقال من الفندق بعد حصوله على الدبلوم ، وأنه يعمل حاليا فى واحد من أشهر المطاعم الفرنسية بباريس ، وقد تزوج من ابنة صاحب المطعم ، كما علمت أيضا أنه لم يعد الى مصر منذ أن غادرها ، وأنه لا يستطيع العودة اليها حتى ولو فى زيارة ، بسبب تهربه من الخدمة العسكرية ، كما علمت أنه قد أصاب حظا كبيرا من النجاح والثروة بحيث أصبحت امكانياته المادية الحالية تمكنه من ارسال تذاكر طيران سنوية الى أفراد أسرته لزيارته فى فرنسا ٠٠

وبذلك تكون هذه الحالة أيضا قد انتهت بالنسبة للدراسة التتبعية الحالية ٠

الحالة رقم (٦) الدراسة الثالثة ١٩٨٩ ــ ١٩٩٤

سافرت الحالة الى فرنسا سنة ١٩٨٥ حيث حصل على دبلوم الطهى ٠٠ ثم تزوج من فتاة فرنسية من عائلة على جانب كبير من الثراء ٠٠ ومن خلال أسرة زوجته تمكن من القيـــام ببعض المشروعات التجـارية والاستثمارية الناجحة فى فرنسا والتى يسرت له فرصة تكوين رأسمال لا بأس به ٠٠ وفى ضوء الانتعاش السياحى الذى عايشته مصر فى سنوات من قبل حرب الخليج ٠٠ تمكن من اقناع أسرة زوجته بمشاركته فى انشاء مشروع سياحى بسيناء ٠٠ وعاد هو وزوجته وابنه الذى يبلغ من العمر حاليا ست سنوات للاقامة الدائمة فى مصر بعد أن قام بتسوية وضعه فيما يختص بتخلفه عن الخدمة العسكرية ٠٠ وحيث يسرت له الدولة كافة الظروف الممكنة بوصفه واحـدا من المستثمرين فى مجـال السـياحة ٠

وفى الدراسة التبعية السابقة كنا قد أسقطنا هذه الحالة بسبب انقطاعه التام عن زيارة مصر ٠٠ الا أن المراسلات التى لم تنقطع بينى وبينه خلال سنوات اقامته فى فرنسا ٠٠ جعلتنى على صلة شبه دائمـة بكل المتغيرات التى انعكست على حياة الحالة ٠٠ مما كان مدعاة لأن نتناول حالته فى دراستنا التتبعية الحالية ٠

ولندع الحالة تتحدث عن نفسها :

بعـد ما وصلت فرنسا بكام يوم ٠٠ اتعرفت على زوجتى الحالية لانها كانت بتدرس معايا فى نفس المعهد ٠٠ نشأت علاقة بيننا وعرفتنى بأهلها ٠٠ ومن خلال ترددى عليهم فى البيت ابتديت أحس ان والدها معجب بيه ٠٠ وبدأ يعرض على انى أشتغل فى المطعم بتاعه جنب الدراسة بتاعتى ٠٠ وبدأ يدخلنى فى مشاريع شراء وبيع عقارات جنب اشرافى على المطعم ٠٠ وشوية شوية لقيت انى باخرج من مشروع علشان أخش فى مشروع تانى ٠٠ انما مع توسع مشروعاتى ابتديت أحس أن شغلى وجهدى وسهرى وعرقى مصر أولى بيهم من أى مكان تانى فى العالم وبدأت أفكر انى أنقل نشاطى لمصر ٠٠ وانى أبتدى أعمل حاجة فى مجال السياحة لأنه المجال الوحيد اللى كل الدلائل بتشير ان ليه مستقبل فى مصر ٠

المهم ٠٠ عملت اتصـالات فى مصر وسـويت مشكلة التخلف عن

الخدمة العسكرية ·· وبدأت أقنع والد زوجتي في مشاركتي في انشاء فندق في سيناء ·

لما وصلت مصر اشتريت شقة كويسة في مصر الجديدة ·· وكنت باوزع وقتي بين القاهرة وسينا لحد ما استقرت أحوال الفندق وتم افتتاحه بالفعل في أوائل سنة ١٩٩٢ وكانت المؤشرات كلها بتقول ان المشروع هيغطى تكاليفه في مدى ١٠ سنوات على الأكثر ·· لكن للأسف بدأت حركات الارهاب وابتدى حجم السياح يتقلص بصورة ملحوظة ·· لدرجة انى استغنيت عن أعداد كبيرة جدا من العاملين في الفندق ·· انما حتى الأعداد القليلة اللى لسه موجودة أنا بادفع مرتباتهم من جيبى دلوقتى ·· وعموما أنا أحسن من غيرى لأن ما أخدتش أى قروض من البنوك ·· انما اللى في ورطه صحيح همه أصحاب المشروعات السياحية اللى آخدين قروض ·· لأن لو وضع السياحة استمر بالشكل ده معناه ان بيوت الناس دى حتتخرب وحيخسروا اللى وراهم واللى قدامهم ·

لما اتجوزنا معملناش فرح زى الأفراح بتاعة مصر ·· انما عملنا عقد زواج في مجلس المدينة اللى كنا عايشين فيها في فرنسا ·· وبالليل عملنا عشا كبير في مطعم والدها وكان عدد المعازيم مايزيدش عن ٢٠ فرد · همه في فرنسا ناس عمليين قوى بالرغم من أن حالتهم المالية كويسة ·· وهدايا الفرح كانت عبارة عن حاجات تنفع في البيت لأن الشقة اللى كنا قاعدين فيها في أول جوازنا كان ناقصها حاجات كتير ·

ابنى بنحاول نربيه بصورة علمية أوربية ·· بمعنى ان طالما اننا قررنا أن نخلف فده معناه ان حياتنا كلها تدور حوالين ابننا ·· الناس في مصر بتخلف من غير تخطيط ومن غير هدف ·· أهه لمجرد انه النتيجة الطبيعية للجواز ·· انما المفروض ان الواحد يفهم انها رسالة ·· ورسالة مش سهلة ·· وان الطفل مجرد ما يخرج للدنيا ·· فمن حقه ان حياة اللى حواليه كلهم تكون مكرسة لخدمته بمعنى الكلمة ·· الطفل الصغير مش مجرد كائن محتاج أكل وتنظيف وغيارات ·· انما ده محتاج حب وحنان وتربية ·· والتربية دى هيه أهم حاجة في العملية كلها ·· كل لحظة في حياة الأم والأب لازم تكون في خدمة الطفل ·· لأ ن ده حقه الطبيعى ·· هوه ماجاش للدنيا بمزاجه ·· احنا اللى جبناه ·· وواجبنا اننا نوفر له كل الحاجات اللى تخلى حياته كلها سعادة ·· لأن احنا اللى بادينا ان نخلى حياته كلها سعادة أو كلها تعاسة ·

الطفل كائن ليه شخصية من يوم ما يتولد ·· مش مجرد كائن فى

لحم ودم ·· ودور الأم والأب انهم يحترموا شخصيته ويساعدوا فى تكوينها التكوين السليم ·· يعنى مثلا حياتى أنا ومراتى اختلفت تماما من ساعة ما خلفنا ·· تقريبا نسينا كل المتع اللى ممكن تتعارض مع مصلحة ابننا ·

مراتى من ساعة ما خلفت وهيه متفرغة تماما للولد ·· سابت الشغل الثلاث سنين الأولانيين بعد الولادة لحد ما ابتدا الولد يروح الحضانة ·· هيه شايفة ان الشغل كان حيبقى على حساب تربيته ورعايته ·· وحتى بعد ما رجعت لشغلها وقتها كله كان مكرس ليه ·· يعنى ممكن تقعد ساعات تحكى له حواديت ·· وتلعب معاه باللعب بتاعته ·· وغالبا أنا باشترك معاها فى الحاجات دى ·· ده غير ان عملية الخروج والفسحة مع الولد تقريبا كل يوم شىء مقدس ·· مافيش حاجة اسمها مش فاضيين أو تعبانين ·· الطفل محتاج ان أهله يكونوا واعيين تماما بأن كل فترة عمرية لها أنواع معينة من اللعب ·· وكل سنة تمر على الطفل بيتغير شكل ومضمون اللعبة ·· يعنى ابنى دلوقتى عنده كمبيوتر والبرامج بتاعته غير البرامج اللى كانت عنده السنة اللى فاتت ·

علاقتى بزوجتى علاقة ديمقراطية ·· مافيش واحد مننا ياخد قرار لوحده أو يفرض رأيه على التانى ·· فيه مناقشة وفيه حوار حوالين كل صغيرة وكبيرة تخص حياتنا ·· وده لأنى باعتبر انى أنا ومراتى عاملين شركة سوا ·· وعايزين الشركة دى تنجح وتكبر كل يوم ·· ومش ممكن ده يحصل اذا كان فيه واحد من الشركاء عايز ينفرد بكل حاجة لوحده دون اعتبار للشريك التانى ·

حتى الواجبات المنزلية ·· كل واحد فينا حاسس انها مصلحة مشتركة مافيش واحد يبقى عليه كل حاجة والتانى قاعد يتفرج ·· صحيح البيت سواء أما كنا فى فرنسا أو هنا فى مصر فيه كل الأدوات الكهربائية اللى بتسهل شغل البيت ·· وفيه شغالة بتيجى مرتين فى الأسبوع ·· انما مافيش مانع انى أمسك المكنسة وأنظف البيت اذا كانت مراتى مشغولة فى حاجة تانية ·· أو اننا نقف مع بعض فى المطبخ نساعد بعض فى عمل أكلة وتنظيف المطبخ بعد كده ·· يعنى مافيش حاجة اسمها أنا تعبان لأنى باشتغل بره البيت طول النهار ·· لأنها هيه كمان كانت بتشتغل طول النهار ·· بس هيه بتشتغل عند ابنى جوه البيت ·

فلوسنا احنا الاتنين مشتركة ·· يعنى مافيش قرش ليه وقرش ليها ·· حتى حسابنا فى البنك مشترك ·· ده حتى الشقة اللى احنا فيها دلوقتى اشتريتها باسمى وباسمها ·

أهلى مبسوطين من مراتى قوى وبيحبوها جدا ·· وهيه كمان بتحبهم ·· وعموما أنا قدرت من الأول انى أخلى فيه حـدود لتـدخل أهلى فى حياتنا ·· يعنى فيه حاجات معينة مش من حق أهلى انهم يتدخلوا فيها حتى ولو بمجرد اقتراح ـ يعنى احنا لينا خصوصياتنا اللى ما حدش يقدر يقرب منها ·· ودى حاجة مريحة كل الأطراف ·· ومخلية علاقة أهلى كلها احترام وحب ·

الحالة رقم (٧) الدراسة الأولى ١٩٨٤

طالب فى السنة النهائية بكلية الهندسة ·· الأم والأب حاصلين على درجة الدكتوراه ، ويعملان بسلك التدريس الجامعى · وكلاهما حاصل على درجة الأستاذية ، وتتكون الأسرة من الطالب (الحالة) ومن أخت فى كلية الطب · الدخل الشهرى للأسرة يصل الى حوالى ٢٥٠٠ جنيه شهريا (المرتب الأساسى بجانب مختلف أنواع البدلات مضافا اليه ايراد أرض زراعية تبلغ مساحتها ٢٥ فدانا) ، وتسكن الأسرة فى فيللا تمتلكها مكونة من دور واحد ، وتحتوى على خمس حجرات وصالتين ودورتى مياه ، ولها حديقة أمامية صغيرة ، وتقع الفيلا فى حى مصر الجديدة ·· وفى أعلى الفيلا شقتين لم يتم الانتهاء من تشطيبهما ·

ولندع الحالة تتكلم عن نفسها :

أنا لحد وقت قريب جدا كنت حاسس ان احنا من أعلى طبقة فى البلد ·· ماما وبابا أساتذة فى الجامعة ·· وعندنا حوالى ٢٥ فدانا مأجرينها لناس ·· وعايشين فى فيلا بتاعتنا ·· وعندنا شقة فى اسكندرية بنصيف فيها ·· انما دلوقتى لما أعمل مقارنة بينا وبين سكان الفيلا اللى جنبنا ، باحس ان احنا بالنسبة ليهم ولا حاجة ·· الراجل اللى اشترى الفيلا كان سباك ·· وبعدين دخل فى عمليات المقاولات ·· دلوقتى بقى مليونير ·· هوه عنده ٤ عربيات واحنا عندنا اتنين ·· هو بيسافر كل سنة يصيف فى أوربا ·· واحنا لسه بنصيف فى اسكندرية ·· هوه كل يوم والتانى عامل حفلة بيكلفها كام ألف جنيه ·· واحنا لما بنعمل حفلة عيد ميلاد بنقعد نحسب حنتكلف كام ·· المعايير اتقلبت ·· وبقى اللى بيكونوا أعلى طبقة فى المجتمع دلوقتى مجموعة من الجهلة أو الحرامية أو المهربين ·

بالنسبة للكلية ·· أنا أصلى لعبى شويه ·· وما ابتديش مذاكرة الا قبل الامتحان بتلات شهور ·· أصل كلية الهندسة دى مش داخلة مزاجى ·· أنا غاوى قراية فى التاريخ والأدب ·· وبألقى نفسى اتزنقت زنقة جامدة قوى قبل الامتحان ·· فاضطر آخد دروس مع بعض زمايلى ·· وطبعا ماما وبابا بيدونى موشح كل ما أطلب آخد دروس لأن مهما كان احنا برضه دخلنا محدود ·· انما الدروس دى بتخلينى أعدى كل سنة

الامتحان لأنى باستوعب بسرعة ٠٠ الدروس لها فايدة تانية ٠٠ وهيه
باضمن درجات أعمال السنة ٠٠ لأن عادة المعيد اللى بيعطينا الدرس
كون هوه اللى بياخد الغياب فى السكشن ٠

للأسف كل اللى بندرسه فى كلية الهندسة عبارة عن نظريات فى
٠٠ حتى المعمل اللى المفروض انه الجانب العملى ٠٠ مابنستفيدش
بدرجة كافيه ، والمشكلة ان كل اللى بندرسه مش حنقدر نستفيد منه
اشتغلت فى مصنع أو وقفت قدام ماكينة أو جهاز ٠٠ وفى الحالة دى
كون معلومات العامل الفنى أكتر منى أنا خريج كلية الهندسة ٠٠ وعلشان
صل للخبرة اللى عند العامل الفنى ٠٠ عايز على الأقل ٣ أو ٤ سنين ٠

بالنسبة للمستقبل والجواز والسكن أنا ولله الحمد مش شايل هم
بابا عامل حسابه يبيع جزء من الأرض علشان يكمل شقة ليه وشقة
ختى ٠٠ ويواجه نفقات الجواز ٠٠ ولو انى غالبـــا بافكر انى أهاجر
أفضلش فى مصر ٠

أنا من الأول كان نفسى أدخل كلية الآداب قسم اجتماع أو قسم
٠٠ لأنى غاوى جدا الموضوعات الفكرية والانسانية ٠٠ انما والدى
نعنى أدخل كلية الهندسة ٠٠ ودلوقتى بافكر انى لما أتخرج أشتغل
مجال السياحة ٠٠ لأنه مجال مفتوح ومتنوع ٠٠ وفيه علاقات اجتماعية
٠٠ وفيه فرصة انى ألاقى نفسى فيه ٠٠ انما كل العيلة ضد الفكرة
٠٠ بيقولوا انت درست هندسة ٠٠ يعنى لازم تبقى مهندس ٠

بالنسبة للشغل أنا طبعا شايل من مخى انى أشتغل فى الحكومة ٠٠
مرتب الحكومة مش حيكفى لا السجاير اللى بادخنها ٠٠ ولا بنزين
عربية اللى باركبها ٠٠ انشاء الله بابا حيحاول يساعدنى فى انى أشتغل
أى مشروع خاص ٠٠ واحتمال كبير انى أهاجر لأوربا أو أمـريكا
، الفرد هناك بيتعامل على انه بنى آدم له قيمته ٠٠ الدولة مسئولة
وقته وعن مواصلاته وعن تخليص مصالحه بسرعة ٠٠ وعن توفير كل
سائل الراحة فى الحيـاة اليومية ٠٠ وتوفير جو نظيف ومريـح ٠٠
سافرت السنة اللى فاتت سويسرا فى فترة تدريب ٠٠ كل حاجة هناك
زى الساعة ٠٠ كل جهاز حكومى أو خاص بياخد منك قرش بيديلك
خدمة تساوى عشرة قروش ٠٠ هناك الواحد بياخد قد ما بيدى ٠٠
الواحد بيدى دايما ومابياخدش حاجة ٠

المشاكل اللى بتواجهها الدولة كلها بسبب نظام التعليم ٠٠ وتوزيع
لطلاب على الكليات اللى الدولة مش محتاجة لعملهم بعد ما يتخرجوا ٠٠
ن سنة ما كنت فى توجيهى — لأن قبل كده الموضوع ده ماكانش يهمنى —

يعنى من أكتر من ٦ سنين ·· مافيش ولا سنة قبل بداية العام الدراسى ·· الا نقرا بالمانشيت العريض فى الجرايد لمدة شهر وأكتر عن تغيير شامل فى نظام القبول بالجامعات ·· أنا أفهم انهم علشان يغيروا نظام القبول بالجامعات لازم يكون فيه تغيير جذرى من نظام التعليم ·· من أول أولى ابتدائى ·· وحتى من أول أولى حضانة ·

أنا عندى علامات استفهام حوالين القضاء فى مصر ·· ده كان نتيجه انى عملت حادثة بالعربية وعورت واحد مع ان الغلطة ماكانتش غلطتى ·· واتعملت لى جنحة ·· طبعا مافيش داعى أحكى على اللى شفته فى القسم ·· وانى قضيت ليلة كاملة فى الحجز مع الحرامية وبتوع المخدرات ·· واللى كانوا بيعاملونى كأنى واحد منهم بالضبط ·· المهم ان أثناء نظر القضية ·· اتضح ان القاضى بيكون عنده أحيانا ١٥٠ قضية فى الجلسة الواحدة ·· لأن مرة كان دورى فى الرول رقم ١٢٧ ·· ولما سألت الحاجب قال ان القاضى عنده النهارده ١٥٧ قضية ·· الحاجة المهمة فى الموضوع ·· ان القاضى معندوش وقت يسمع كويس للمتهم ولا للشهود ·· وهو طبعا معذور لأن ده معناه ان الأربعة وعشرين ساعة مش حيكفوه ·· وبالتالى السؤال بتاعى اللى دايما بافكر فيه ·· اذا كان ده هوه وضع القضـاة فى مصر ·· يا ترى يبقى فيه عدالة فى القانون ·

عادة وقت الفراغ باقضيه مع أصحابى ·· أحيانا بنلف بالعربيات ونعاكس البنات ·· أو نقعد فى النادى نتكلم فى السياسة والدين وأى موضوعات جادة ·· بالاضافة لأنى غاوى قراية جدا ·· وعندنا مكتبة كبيرة فى البيت بالاقى فيها دايما كل اللى أنا عايزه ·· ده بالاضـافة لأنى بالعب كمال أجسام فى النادى وباحب الموسيقى الأجنبية ·· مافيش حد من الشلة بيتعاطى أى نوع من المخدرات ، أنا مثلا عمرى ما فكرت فيها لأنى بالعب رياضة ·· ممكن إشرب بيرة لو كان فيه مناسبة ·· انما فيه شباب مجرد معارف ·· بيدخنوا حشيش فى النادى ·

للأسف أنا فقدت ايمانى بالاعلام والصحافة المصرية ·· اللى بنسمعه وبنقراه فى وادى والحقيقـة دايما فى وادى تانى يمكن تكون صـحف المعارضة بتركز على الأخبار المثيرة ·· انما أنا حريص انى أقراها لأنها دايما بتطرح أحداث وأخبار بيكون عندنا عنها فكرة عن طريق الاشاعات ·· انما فى نفس الوقت بتتجاهلها الصحافة الرسمية وكأن أهل البلد نايميين على ودانهم ·· ومش حاسين الدنيا رايحه فين وجايه منين ·

ماما وبابا بيفكروا يساهموا فى ديون مصر ·· انما أنا شخصيا ضد الفكرى دى ·· الفلوس اللى عندنا دى نتيجة شقى سنين طويلة ·· من يوم ما اتولدت وأنا شايف ماما وبابا مشغولين ·· اما عندهم محاضرات فى

أو اجتماع أو ندوة بره البيت .. واذا قعدوا فى البيت يبقى
المفضل فى المكتب بيعملوا أبحاث وكتب .. حتى وأنا صغير ماما
بتودينى الحضانة مع ان كان عندنا شغالة وماكانتش بتروح الجامعة
يوم .. انما كانت بتودينى الحضانة علشان تقدر تتفرغ للأبحاث
كانت بتعملها ..

ماما وبابا طول عمرهم بيدرسوا وبيشتغلوا وبيتعبوا .. واللى احنا
ده مايساويش واحد على عشرة من اللى قدموه للبلد .. ماحدش فيهم
يروح بلد عربى .. مش لأن عندنا فلوس مكفيانا .. بدليل ان
قادرين نشطب الشقق الا اذا بعنا جزء من الأرض اللى وارثينها ـ
احنا شخصيا استفدنا ايه .. اللى استفاد الناس اللى زى السباك
صاحب الفيلا اللى جنبينا .. هوه واللى زيه المفروض يدفعوا
العز اللى همه فيه لمصر .. مش ناس زينـــا سهرت وتعبت
..

التحليل والتعليق على الحالة

ويمثل هذه الحالة أزمة الطبقة المثقفة فى المجتمع ، فعلى الرغم من
التعليمى والمهنى المتناهى فى الارتفاع للأبوين ، الا أن قيمة التعليم
المهنة لم تعد هى القيم الحقيقية التى يتم عن طريقها تحديد الطبقات
المجتمع ، وذلك بسبب انحســـار هذين العاملين أمام القيم المادية
افدة .

وتنعكس تلك الأزمة على الحالة ، وذلك من خلال مقارنة بين وضع
الاقتصادى الذى يعد وضعا أقرب الى التميز ، وبين وضع جارهم
ى بدأ حياته سباكا ثم انتهى الآن الى أن أصبح مليونيرا ، حيث يتحدى
كانياته المادية الصارخة كل امكانيات الأسرة بأبعادها الثقافية والعلمية
هنية والمادية .

وتتمثل فى الحالة مشكلة الصراع بين الأجيال التى ينزلق اليهـا
الفئات المثقفة فى المجتمع ، حيث يشير الحالة الى أن ميوله تجاه
راسة فى كلية الهندسة ليست هى ميوله الأصيلة ، وانه اتجه الى هذا
وع من الدراسة نتيجة ضغوط أسرية انعكست عليه فى عدم التزامه
واجباته التعليمية ، والتجائه الى الدروس الخصوصية ، ويمتد تأثير
سرة على الحالة بمحاربة اتجاهه حيال الرغبة فى العمل فى مجال السياحة
التخرج ، واصرارهم على توظيف مؤهله فى مجال الهندسة .

ويتمتع الحالة بدرجة كبيرة من النظرة المستقبلية المتفائلة ، يساعده
ذلك تأمين الوالد لهذا المستقبل بتوفير السكن له ولشقيقته ، الى

جانب تمتع الوالد ببعض العلاقات والاتصالات التى تؤمن مستقبل الحالة بالنسبة للعمل ·

وعلى الرغم من أن الحاله تتمتع بالعديد من المزايا الأسرية والاقتصادية والاجتماعية ، الا أن طموحاته تتعدى ذلك الى الرغبة فى الهجرة لأوربا أو الولايات المتحدة ، لتحقيق قدر أكبر من النمط المعيشى الأكثر رقيا وتحضرا ، ويعد ذلك نتيجة طبيعية لتطور الأشياء ، فالفرد عندما يأمن فى يومه ، ولا يخشى من غده ، فان طموحاته تتجاوز المحسوسات ، وتسعى الى المزيد من التقدم والرقى والكمال · حيث يتمتع الأفراد فى الدول المتقدمة بمستوى مرتفع من الخدمات فى كافة المجالات ، يعادل أو يفوق مستوى الفرد فى أدائه لواجباته ، وهو ما لا يتفق مع الأوضاع السائدة فى المجتمع المصرى ·

وينتقد الحالة بشدة نظام الدراسة بالكلية ، اذ يرى أن الانفصال النظرى عن المجال التطبيقى للدراسة يعد عقبة فى طريق أى مهندس وذلك بالنسبة لمجال اتقان العمل · ويرجع تدهور الأوضاع التعليمية فى الجامعة الى تخلف النظام التعليمى فى المراحل الدراسية المبكرة ، وليس الى نظام القبول بالجامعات ·

وحيث أن الرأى العام لدى الأفراد يتكون بالدرجة الأولى من خلال المعايشة ، فقد عكست تجربة الحالة مع القضاء رأيا جديرا بالاهتمام ، وان كان قد تحول الى أزمة ثقة فى العدالة القضائية فى مصر · فقد لمس من خلال معايشته لبعض الاجراءات القضائية ، ان بعض القضاة يقع عليهم عبء النظر فى نحو ١٥٧ قضية فى الجلسة الواحدة ، مما أثار تساؤل الحالة عما اذا كانت قدرة القاضى البشرية تمكنه من التزام العدل والموضوعية ·· حيال هذه القضايا ·

ويتمتع الحالة بكل ميزات الفترة العمرية للشباب ، فهو قارىء جيد ، مثقف ، يميل الى المناقشة والحوار فى الشئون السياسية والدينية ، يمارس الرياضة ، ويستمع الى الموسيقى ، ولم تجرفه امكانياته المادية الى أى نوع من الانحرافات الحادة كتعاطى المخدرات ، رغم علاقاته السطحية ببعض الشباب ممن يقومون بهذا التعاطى · وعلى الرغم من كل تلك المميزات الا أنه شأنه فى ذلك شأن كثير من الشباب المصرى المقيد بمجموعة من القيم والأعراف الاجتماعية التى تضع حدودا للعلاقات بين الجنسين ، مما يؤدى بهم الى تفريغ طاقاتهم فى معاكسة الفتيات لمجرد الاستمتاع بهذا النوع من السلوك ·

ويحمل الحالة مسئولية تسديد ديون مصر ، على فئة الانفتاح الاقتصادى من أمثال السباك صاحب الفيلا المجاورة لسكنهم ، اذ يرى أنه

هو وأمثاله قد حصلوا على امتيازات سياسة الانفتاح ، على حين أن أسرته مثلها فى ذلك مثل باقى أفراد المجتمع ، قد قدمت الكثير من الخدمات والتضحيات للدولة ، وأن المستوى الاقتصادى الذى حققته أسرته رغم تواضعه بالمقارنة بمستوى فئة الانفتاح ، قد تم عن طريق العمل والمعاناة لسنين طويلة ، ومن ثم فقد دفعوا ضريبتهم للدولة ، وعلى الذين حظوا بخيرات الانفتاح أن يدفعوا ما عليهم ٠

وبالنسبة لانطباعاتى الخاصـــة عن الحالة ، فقد عكست نموذجا للشاب المثقف والمهذب ، الذى تلقى قدرا كبيرا من التربية والتثقيف الفكرى ، كما لاحظت أن امكانياته قد وفرت له أن يعيش فترة شبابه بكل أبعادها ومباهجها ، وان لم يفصله هذا عن الواقع الذى تعيشه الأغلبية الساحقة لأفراد المجتمع ، اذ يشاركهم مشاعر معاناتهم وآلامهم وأزماتهم ٠ وقد عكست طريقة ملابسه ، ومظهره الرياضى الترف النسبى الذى يتمتع به ٠ كما عكست طريقته فى سرد الأحداث ، شخصية متزنة ، تتمتع بقدر عال من الثقة بالنفس والاعتزاز بالشخصية ٠

الحالة رقم (٧) الدراسة الثانية ١٩٨٤ ـ ١٩٨٩

يعمل صاحب هذه الحالة حاليا فى مجال السياحة ، بعد أن حصل على شهادة فى الارشاد السياحى . ويبلغ دخله الشهرى من عمله فى السياحة ما يقرب من ١٥٠٠ جنيه فى الشهر ، وهو ما زال أعزب لم يتزوج ، وما زال يقيم مع أسرته فى نفس مسكنهم .

ولندع الحالة تتحدث عن نفسها :

لما اتخرجت .. كنت مقتنع مليون فى الميه انى ما اتخلقتش عشان اشتغل مهندس .. انما أنا أخذت الشهادة وخلاص .. وعلى فكره أخذتها بجيد .. يعنى ما كانش فيه مشاكل .. انما أنا مش باحب الهندسة .. تفرق ان الواحد يتعامل مع سلوك أو آلات أو حاجات جامدة .. وأنه يتعامل مع البنى آدمين ..

أول ما اتخرجت فكرت انى أشتغل فى السياحة .. انما أهلى ماكانش عاجبهم المجال ده .. بيقولوا عليه أنه مجال محتاج واحد شاطر وفهلوى وابن سوق لأنه بيحتك بنوعيات كثير ومختلفة ..

فكرت انى أهاجر لأوروبا أو أمريكا وأشتغل أى حاجة هناك .. لانى بصراحة مش طايق مصر .. أهلى أقنعونى انى لو سافرت حافضل طول عمرى مواطن من الدرجة الثانية أو الثالثة .. فضلوا يغرونى بانى أشتغل فى السلك الدبلوماسى .... واقتنعت بالفكرة .. لأن ده معناه انى أقعد فى الخارج أربع سنين وأرجع أقعد فى مصر أربع سنين .. خفت انى لو نجحت فى امتحانات السلك الدبلوماسى انهم يودونى أفريقيا أو الدول العربية .. ناس قالوا لى ان اللى عندهم لغة ألمانى بيكون عندهم فرصة كبيرة أنهم يفضلوا طول عمرهم فى سفارات أوربا .. وعشان كده قررت آخذ كورس فى الألمانى .

لأول مرة فى حياتى من ساعة ما دخلت المدرسة .. ألاقى نفسى بأكل الكتب أكل .. سياسة دولية .. وجغرافية سياسية .. وقانون دولى .. حاجات طول عمرى كنت باحبها واقرأ فيها .. وأحس أنها بتشدنى .. حتى اللغة الألمانية .. لقيت نفسى ماشى فيها زى الصاروخ .. وخصوصا ان كان عندى شوية ألمانى مش بطالين ..

لأول مرة فى حياتى ٠٠ أقعد على المكتب بالعشر ساعات ٠٠ عمرى ما قدرت أذاكر أكثر من ساعتين ثلاثة فى اليوم حتى فى أيام امتحانات الثانوية العامة وامتحانات كلية الهندسة ٠٠ قعدت سنة بحالها ما وارايبش حاجة الا انى أذاكر وأستعد للامتحان ٠٠ انما للأسف طلعت آوت ٠٠ مانجحتش ٠٠ مانجحتش لأن ماعملناش واسطه ٠٠ أيامها ماما وبابا قالوا احنا مش حنكلم حد ٠٠ لأن الامتحان ده معروف ان مافيهوش مجاملات٠٠ انما اتضح بعد كده ان مافيش حاجة فى مصر بتمشى من غير واسطة ولا مجاملات ٠٠ وطبعا رفضت انى أكرر المحاولة ٠٠ ورفضت انى أدخل الامتحان مره تانى ٠

ابتديت بعد كده أفكر بجد فى مجال السياحة خصوصا وأنا عندى لغة انجليزى وألمانى كويسه جدا ٠٠ مجال السياحة واسع ومفتوح ٠٠ انما سياحة عن سياحة تفرق ٠٠ وعشان أشتغل فى شركة سياحية كويسه ٠٠ كان لازم يبقى عندى واسطه كويسه ٠٠ وقدروا معارف ماما وبابا انهم يشغلونى فى أحسن شركة سياحية فى مصر ٠٠

ابتديت فى السياحة أعرف حاجات كثير ماكنتش باعرفها٠٠وابتديت أعمل حاجات عمر ما كنت أتصور فى يوم انى حاعملها ٠٠

قبل ما أشتغل عمرى ما فكرت معايا فلوس والا معاييش ٠٠ صحيح بابا دايما كان بيدينى أكثر من اللى أنا عايزه ٠٠ انما كانت الفلوس مالهاش قيمة عندى ٠٠ وعمرى ما كنت أعرف أنا فى جيبى قد ايه أو صرفت قد ايه ٠٠ كنت أنكسف جدا انى أتكلم عن الفلوس بأى صورة من الصور ٠٠

أول مرة سافرت مع جروب ألمانى الأقصر ٠٠ راحوا فى آخر الرحلة مقدمين لى ظرف فيه البقشيش ٠٠ اتكسفت آخده منهم ٠٠ حسيت بأنها حاجة واطية ٠٠ لأن الشركة بتدفع لى أجرى ٠٠ السواق اللى كان معايا ٠٠ قال لى ٠٠ ايه يا باشمهندس ٠٠ ده البقشيش ده هو الشغل ٠٠

ومن ساعتها وأنا اتغيرت فى حاجات كثير ٠٠ بقيت أقعد أعد عدد السياح اللى معايا عشان أحسب حاخد كام تقريبا بقشيش آخر الرحلة ٠٠ اتعلمت أغير عمله مع انى مرة اتخانقت مع واحد صاحبى وخاصمته لما لقيته بيسأل عن سعر الدولار فى السوق السوداء ٠٠ وقتها اتهمته أنه خاين لبلده ٠٠ لأنه بيخرب اقتصاد مصر ٠٠

اتعلمت حاجات كثير أهلى ما كانوش يعرفوا يعلموها لى ٠٠ اتعلمت ازاى أتفق مع التجار فى خان الخليلى أننا نسرق السياح ٠٠ التجار تبيع السلعة بعشر أضعاف ثمنها ٠٠ وأنا آخد ٤٠ أو ٥٠٪ من الثمن ٠

فى الأول كنت باقول لأ عيب وحرام ·· كل اللى معايا فى الشغل كانوا بيقولوا عنى عبيط ·· قررت انى أعمل زيهم عشان ما أبقاش عبيط·

أهلى بيطاردونى عشان أتجوز ·· أتجوز ليه هو أنا عبيط ·· وحتى يوم ما أحب أتجوز مش ممكن أتجوز واحدة مصرية ·· وأنا أصلا مش ناوى أقعد فى مصر ·· مصيرى انى أهاجر ·

أنا عملت علاقات كثير مع البنات ·· لو كنت لاقيت واحده منهم قدرت تشدنى كنت اتجوزتها ·· الولد والبنت من حقهم يكون ليهم تجارب قبل الجواز ·· يعنى ماعنديش مانع انى أتجوز واحدة لها تجارب مهما كانت نوعها حتى لو ما كانتش فيرجن « عذراء » ·· ماهو أنا ليه تجارب ·· اشمعنى أحلل لنفسى حاجات وأحرم الحاجات دى عليها ·· بس فيه فرق ·· البنت يكون لها تجارب آه ·· لكن تكون صايعة ·· يعنى مع كل واحد شويه ·· ده لأ ·· ما أقبلوش ··

لو عملنا مقارنة بين البنت المصرية والبنت الأجنبية ·· حتلاقى ان البنت الأجنبيـــة تساوى عشرة من المصريات ·· شوفها فى بيتها وتربيتها ونظامها ونظافتها ·· دى لو لقت ورقة فى الشارع بتاخدها من الأرض ·· شوفيها فى اهتمامها برشاقتها وجمالها وصحتها ·· شوفيها فى صدقها وأمانتها ·· مابتعملش حاجة عشان النـــاس ·· مابيهماش ان النـــاس تحترمها والا لأ ·· كفاية انها تكون محترمة نفسها ·· انها تكون أمينة مع الناس ومع نفسها ·· دى الست الأجنبية المتجوزة يوم ما بتحس أنها بتميل أو مرتاحة لواحد غير جوزها ·· بتقول لجوزها ·· شوفى بقى البنت المصرية ·· بنات كثير بيصاحبوا ·· انما بيتظاهروا أنهم أشرف من الشرف ·· وفيه ستات كثير متجوزه انما بيخونوا أجوازهم ·· يمكن بيخونوهم عشـــان فسحة والا أكله ·· والا هــديه ·· والرجاله غلابه مخدوعين ·· الراجل يحلف بشرف مراته ·· وهيه ممرطه شرفه فى الوحل ·· أنا بقى ما أحبش شرفى يبقى فى الوحل ·

صحيح فيه ستات وبنات محترمة ·· انما اليومين دول بقى صعب ان الواحد يعرف الكويس من الوحش ·· عشان كده يوم ما أفكر انى أتجوز حاتجوز واحدة أجنبية ·· على الأقل أضمن انها يوم ما تكرهنى حتقولى عشان نسيب بعض ·· مش حتبقى مضطره أنها تأكل معايا فى طبق واحد ·· وفى نفس الوقت بتفكر تتخلص منى ازاى ·· بالسم ·· والا بالساطور ·

الحالة رقم (٧) الدراسة الثالثة ١٩٨٩ ـ ١٩٩٤

ما زال الحالة يعمل في مجال السياحة ٠٠ وقد ترك منزل الأسرة بصورة شبه دائمة بسبب اقامته الدائمة في الغردقة ٠٠ ويتردد على منزل الأسرة في القاهرة في اجازاته بين الحين والآخر ٠

وقد ارتبط بعلاقة عاطفية مع احدى الفتيات الأجنبيات من خلال عمله في مجال السياحة الا أن اختلاف طباعهما ووجهات نظرهما أدت الى انهاء هذه العلاقة ٠٠ حيث يسرت له الظروف مرة أخرى فرصة التعرف الى فتاة أوربية أخرى أكثر قربا من طريقة تفكيره ومنهجه في الحياة ٠٠ وقد ارتبط بها بالزواج منذ سنتين حيث تقيم معه حاليا في الغردقة ٠٠ وقد استغنت عنه شركة السياحة التى كان يعمل بها منذ بدء الضربة التى وجهت للسياحة ٠٠ وهو حاليا وبمساعدة والده بصدد انشاء مشروع سياحى خاص به فى الغردقة ٠

ولندع الحالة تتحدث عن نفسها :

أنا كنت باشتغل فى شركة السياحة زى العبد ٠٠ كنت باشتغل ما بين ١٧ و١٨ ساعة فى اليوم ٠٠ مافيش حاجة اسمها مواعيد للعمل ٠٠ ومافيش حاجة اسمها شغل معين أنا مسئول عنه ٠٠ ممكن النهارده فى الأقصر٠٠ وبكره لازم أكون فى سيناء٠٠ وبعده ممكن أكون فى الغردقة٠٠ كنت باشتغل من نار ٠٠ وكان كل قرش باخده من الشركة أو عمولة بيساوى ١ ٪ من اللى مفروض ان الشركة تدفعه ليه ٠٠

اللى حصل بقى ان الشركة بعد بداية نكسة السياحة ابتدت تعاملنا ماليا معاملة فى غاية القسوة ٠٠ ونسيت ان الملايين اللى كونتها فى السنين اللى فاتت كانت من عرقى أنا وزملائى ٠٠ ولقيت ان الفلوس اللى باخدها من الشركة مابتكفيش حتى أجرة الفندق اللى ساكن فيه فى الغردقة ٠٠ فرحت مقدم استقالتى وسبت الشركة ورجعت قعدت مع أهلى فى القاهرة عشان أدور على شغل تانى ٠

أنا صحيح خريج كلية هندسة ، والهندسة عمرها ما بتتأثر بأى مشكلة ممكن تتعرض ليها زى السياحة لما انضربت فى حرب الخليج أو عشان الارهاب انما أنا مشكلتى انى برمجت حياتى انى أبقى بتاع سياحة ومش بتاع حاجة تانية ٠٠ وعشان كده كنت مصر انى أكمل مشوار حياتى فى مجال السياحة ٠٠

طبعا لقيت أبواب السياحة كلها مقفلة ·· لأن شركات السياحة كلها يا دوب بتشتغل بالعافية على مستوى سينا والبحر الأحمر ·· وكلها استغنت عن أعداد مهولة من الناس اللى كانوا بيشتغلوا فيها ·· وابتديت أحس انى بقيت عبء على أسرتى وأنا ومراتى ·· ولقيت ان الحل الوحيد هوه انى أعمل مشروع خاص بيه أبتدى فيه من الصفر ويكون برضه فى الغردقة وفى مجال السياحة ·

والدى كان اشترى قطعة أرض صغيرة فى الغردقة ما كانش عندنا امكانيات مالية اننا نبنيها ·· فقررت أنا ومجموعة من أصدقائى اللى غاويين السياحة زيى وكلهم خريجين طب وهندسة وتجارة اننا نعمل مركز غطس ·· واتفقت مع والدى انى أبيع شقتى اللى فى القاهرة لأن عمرى ما حافكر انى أستقر فيها وأدخل بثمنها وبالأرض فى المشروع ·· وفعلا دلوقتى احنا فى مرحلة اعداد المشروع ·

شىء صعب جدا على النفس ان الواحد يكون عنده ٣٠ سنة ، أو أكثر شوية وتخليه الظروف عالة على أهله ·· منهم لله بتوع الارهاب خربوا بيوتنا وقطعوا لقمة عيشنا ·· ويا عالم ايه اللى مستنينا بكره ·· لأن كل اللى حيلتنا أنا وأصحابى حنحطه فى مركز الغطس ·· وحتبقى كارثة لو ان السياحة مارجعتش زى الأول ·· ده فيه مليارات النـاس حطينها فى مشاريع سياحية··ولو استمر الحال على كده حتخرب البلد·

طول عمرى كنت باحلم انى أتجوز واحدة أجنبية ·· مش عشان مجـرد انهم بيض وشـعرهم أصـفر ·· انما لأن بتعجبنى طريقتهم فى الاستمتاع بالحياة ، انما كان ليه تجربة مريت بيها مع واحدة أجنبية خلتنى أحس انى حافضل مصرى وشرقى حتى النخاع ·· واتعرفت ببنت أجنبية حسيت انها بطريقة تفكيرها وتصرفاتها وسلوكياتها قدرت تجمع كل اللى بتمناه فى البنت الأجنبية والبنت المصرية فى نفس الوقت ·· يعنى فيها الجوانب الجميلة اللى فى ثقافة الغرب مع استعداد ممتاز للتفكير والتعرف والحياة بالأسلوب الشرقى التقليدى ·· واستقرت معايا فى مصر بعد ما خلصت دراستها ·· رغم انها عارفة كويس انى مش حاقدر أوفر لها حاليا ظروف المعيشة المناسبة ·· انما هيه فيها صلابة وقوة تحمل واستعداد للتضحية بصورة صعب انى كنت ألاقيها فى واحدة مصرية ·· يعنى جوازها منى ماكانش صفقة بالنسبة لها ·· انما فمه نوع من الود والمحبة المبنى على التعقل خلاها تتحمل المعيشة معايا فى الظروف الصعبة اللى أنا بامر بيها دلوقتى ·· لدرجة انها قبلت تشتغل فى الغردقة فى عمل هيه مش مستريحة فيه··وبتقول ان لازم تستحمل المعيشة تحت أى ظرف لحد ما نقف على رجلينا ·

الظريف فى مراتى انها دبلوماسية جدا فى التعامل ٠٠ بتعرف امتى نتكلم وامتى تسكت ٠٠ وبتعرف من مجرد نظرة عينيه أنا عايز ايه ومش عايز ايه ٠٠ وممكن قوى انها تيجى على نفسها أحيـــانا كثيرة علشان ترضينى ٠٠ وفى مقابل كده أنا كمان باعاملها بنفس الطريقة ٠٠ يعنى باتنازل كثير عن حاجات معينة ٠٠ وباعمل حاجات ماكنتش أتصور فى يوم من الأيام انى أعملها ٠٠ يعنى لو ما عنديش شغل بره البيت ٠٠ مافيش مانع انى أطبخ أو أنظف البيت علشان أما هيه ترجع من الشغل بتاعها ما يبقاش وراها شغل فى البيت ٠٠ الحياة معاها رحلة مريحة وممتعة رغم ظروفنا الصعبة حاليا ٠

أنا عصبى شوية بطبيعتى ٠٠ انما هيه مابتدنيش فرصة انى أطلع عصبيتى عليها ٠٠ بتسيبنى لما أهدأ ٠٠ وبتخلق الجو الهادى المريح ٠٠ وبعدين تفتح بلباقة الموضوع اللى ممكن تحس انه مضايقنى ٠٠ بحيث أن نمتص أى غضب جوايا ٠

احنا مأجلين موضوع الخلفة شوية ٠٠ طبعا ده بناء على اتفاقنا مع بعض هيه شايفة ان تأجيل الحمل فرصة اننا نعرف بعض أكثر ونفهم بعض أكثر ونستمتع بحياتنا بدون مسئوليات ٠٠ ده بالاضافة الى أن ظروفنا المالية حاليا مش ظروف مناسبة لأن يكون عندنا أولاد ٠٠ هيه شايفة ان الناس بتجيب الأولاد عشان تسعدهم وتوفر ليهم الحياة المريحة الناعمة ٠٠ مش نجيبهم عشان نتعسهم ٠

احنا عايشين فى شقة مفروشة متواضعة جدا ٠٠ مافيش وجه شبه بين حياتنا الحالية وبين حياتى أيام ما كنت قاعد مع أهلى ٠٠ ومراتى شافت أن أهلى وأختى وقرايبى عايشين فى مستوى شكله ايه ٠٠ ومع كده بتحسسنى علطول ان شقتنا دى سرايا ماتطمعش فى أحسن منها ٠٠ وهيه الحقيقة بلمسات بسيطة من الذوق زى نباتات الزينة أو الديكور البسيط الرخيص حولت الشقة لمكان دافىء ومريح ٠

علاقتها بأهلى علاقة رائعة بمعنى الكلمة ٠٠ هيه مبهورة بمعاملة أهلى ليها وليه ٠٠ مش قادرة تصدق ان فيه أب أو أم يفضلوا يراعوا أولادهم بعد ما يتجوزوا ويستقلوا بحياتهم زى ما أهلى بيعملوا معانا ٠٠ هيه معتبرة انها ما اتجوزتنيش لوحدى ٠٠ انما اتجوزت أهلى معايا ٠

الحالة رقم (٨) الدراسة الأولى ١٩٨٤

طالب بالسنة النهائية بكلية الألسن قسم اللغة الفرنسية وله من الاخوة ، أخت فى كلية الصيدلة ، وأخ ما زال فى المرحلة الثانوية ، الأب حاصل على بكالوريوس التجارة ويعمل فى أحد البنوك المصرية ، والأم حاصلة أيضا على بكالوريوس التجارة وتعمل موظفة فى التأمينات الاجتماعية . دخل الأسرة يصل الى نحو ٨٠٠ جنيه شهريا نتيجة الحوافز والمكافآت السنوية التى يحصل عليها الأب .. والأسرة تسكن فى شقة مكونة من خمس غرف وصالة وحمامين .. وهم يمتلكون العمارة التى فيها الشقة .. ولكن ايجار العمارة كلها لا يتجاوز ٥٠ جنيها فى الشهر بسبب قدمها .. وتقع العمارة فى أحد الشوارع الرئيسية بحى المعادى .. والشاب موضع الدراسة مرتبط بالخطوبة مع احدى الفتيات من نفس الحى السكنى .

ولندع الحالة تتحدث عن نفسها :

لو ان فيه عدل فى المجتمع ماكناش نبقى اسمنا أصحاب العمارة .. وكل اللى بيدخل لنا ٥٠ جنيه فى الشهر من خمس شقق .. يعنى زى ايجار شقة قد علبة الكبريت فى أى حى شعبى .. صحيح هيه اتبنت أيام الرخص .. انما دى لو أرض فاضية دلوقت كانت تجيب لينا مش أقل من ¼ مليون جنيه .. انما حظنا بقى .. باطلع وأنزل وأتحسر على نفسى وان النادى دى كلها ساكنة بملاليم .. وأنا طالع عينى فى التدوير على شقة .. زمان أيا م ما كانت الشقق كتير كان صاحب العمارة يقدر يطلع الساكن لو ان حد من أولاده عاوز يتجوز .. انما دلوقتى اللى ساكن فى شقة كأنه امتلكها .. هوه صحيح حرام ان يكون فيه قانون بالشكل ده دلوقتى لأن اللى حيطلعوه من الشقة معناه انه ينام فى الشارع لأن الناس معظمها فقرا وحالتهم على قدهم ومايقدروش يدفعوا المقدمات الخيالية اللى الواحد بيسمع عنها .. انما حرام كمان اللى احنا فيه ده .

بالرغم من ان دخلنا كويس وعايشين مرتاحين انما المستقبل هوه اللى باين عليه مش حيبقى كويس وحيبقى كله مشاكل ومتاعب.. صحيح أنا وخطيبتى متفاهمين جدا .. مش مهم الجهاز ولا المهر ولا الشبكة .. ولا الحاجات دى .. أنا جمعت اللى أهلى وأهلها مخصصينه للجواز وبندور على شقة .. انما المشكلة ان المبلغ اللى معانا مايكفيش شقة

تمليك ولا فى عزبة النخل٠٠وفي نفس الوقت ما أقدرش أأجر شقة فى مكان شعبى بعد ما عشت أنا وخطيبتى فى المعادى طول عمرنا ٠٠ وعلشان أسكن بالايجار فى مكان معقول يبقى لازم أدفع كل المبلغ اللى معانا مقدم ٠٠ وتتبقى بعد كده مشكلة دفع الايجار اللى حيوصل مش أقل من ١٥٠ جنيه فى الشهر ٠٠ وحتى لو اشتغلت أنا وهيه شغلانة كويسه ٠٠ حيكون مرتبنا قد ايه ٠٠ يعنى علشان أقدر أدفع المبلغ ده كل شهر ٠

أنا معنديش مشاكل بالنسبة للتعليم ٠٠ أو على الأقل عندى حاجات أهم من كده لأنى خلاص كلها كام شهر وأواجه المستقبل وأواجه مسئوليات من نوع جديد ٠٠ مثلا عندك حكاية الشغل دى ٠٠ يا ترى ايه الشغلانه اللى حتكون من نصيبى ٠٠ أنا أكره مهنة التدريس جدا ٠٠ بالرغم من انها مجال كويس للدروس الخصوصية ٠٠ وخصوصا وان تخصصى فرنساوى ٠٠ انما باحس انها عملية مش انسانية لأنها عبارة عن ابتزاز بيتساوى فيه اللى يقدر يدفع واللى مابيقدرش ٠٠ فيه ناس بتستلف أو بتعمل جمعيات طول السنة علشان تدى أولادها دروس ٠٠ وبتقعد طول السنة تضيق على نفسها بسبب الجمعيات ٠٠ كل خوفى ان القوى العاملة تعينى مدرس ٠٠ أنا مش ممكن ألاقى نفسى فى المهنة دى ٠٠ أنا عايز مهنة أقدر أطور نفسى فيها وأبقى حاجة لها قيمتها ٠٠ بأتمنى لو انى أكون مترجم فى مجال السياحة أو الآثار ٠٠ لأن هوايتى بالاضافة للفرنساوى هيه التاريخ والآثار ٠

أنا بالنسبة ليه شايف ان شغلانة الحكومة معقولة ٠٠ لو كان فيه عمل تانى اضافى ٠٠ على أساس ان العمل فى الحكومة مضمون ٠٠ الى جانب انه بيكون فيه معاش كويس ٠٠ انما علشان أعتمد على عمل الحكومة بس ٠٠ يبقى مش حأقدر أصرف على بيتى ٠٠ ولا حأقدر أوفر لأولادى الحياة اللى أنا عشتها طول عمرى ٠٠ ده مش ممكن يتم الا عن طريق عمل اضافى ٠٠ أو انى أهاجر لبلد عربى ٣ أو ٤ سنين ٠

أنا مش قادر أتكلم معاكى بالصورة اللى كنت ممكن أتكلم بيها من سنة أو اتنين قبل ما أخطب وأخش فى المسئوليات ٠٠ انما كل اللى مسيطر على دلوقت أى موضوع يتصل بموضوع السكن ٠٠ المشكلة دى خلت الواحد يفقد الثقة فى الدولة وفى الحكومة وفى الوزارة وفى كل حاجة ٠٠ لأن الواحد ماعدش بيصدق حاجة ٠٠ الحكومة بقى لها ميت سنة بتقول انها حتحل أزمة الاسكان ٠٠ وتنعقد لجان ٠٠ وتنفض لجان ٠٠ وكل لجنة جديدة تسخف الحلول اللى قالتها اللجنة اللى قبلها ٠٠ ونلاقى لا الأولى حلت حاجة ٠٠ ولا التانية حلت حاجة ٠٠ ودلوقتى وبعد ما كانت طبقة الانفتاح هيه الطبقة اللى عايشه وبس ٠٠ الظاهر كمان انها حتبقى

الطبقة اللى تقدر تتجوز وبس ٠٠ لأن عندهم الامكانيـــات اللى يقدروا يشتروا بيها بدل الشقة اثنين ٠

ديون مصر ايه اللى الجرايد نازلة فى الكتابة عنها ٠٠ راحت فين الديون دى ٠٠ اتصرفت على ايه بالضبط ٠٠ طيب مش بيقولوا اذا كنتوا اخوات اتحاسبوا ٠٠ أما نتحاسب الأول نبقى نفكر فى موضوع تسديد ديون مصر ٠٠ ولو ان دى مش مشاكلنا دى مشكلة الحكومة ٠٠ ماكانش فيه داعى تخش فى مشاريع هيه مش قدها ٠٠ كانت الأول تركز على المشاريع اللى بتوفر دخل ثابت ومضمون زى السياحة وقناة السويس والتوسع الزراعى وبعد ما يبقى فيه فائض انتاج كانت تعمل المشروعات اللى هيه عايزاها ٠٠ مشروعات من الناتج القومى ٠٠ مش تعمل زى الناس اللى بتتمنظر على الفاضى وهيه عايشه شكك ٠٠ آدى نتيجة المشروعات بتاعتها ٠٠ بقت البلد مقسومة طبقتين ٠٠ طبقة صغيرة آخذه خير البلد كله ٠٠ وطبقة كبيرة يا اما عايشين بالعافية زى حالتنا ٠٠ يا اما مش عايشين خالص وهى أغلبية الشعب ٠ أما الاقى الدولة بتعاملنى على انى بنى آدم ليه حقوق كمواطن ٠٠ وتطبق اللى موجود فى الدستور ٠٠ أبقى افكر انى أقف جنبها ٠٠٠ حتى لو انى أقلع الهدوم اللى عليه ٠

التحليل والتعليق على الحالة

تعتبر هذه الحالة حالة فريدة بالنسبة لحالات الدراسة كلها ، فهو الحالة الوحيدة التى نجد أن صاحبها مرتبط مع احدى الفتيات بالخطوبة ، مما يعكس أبعادا جديدة فى حالة الدراسة ٠

فالحالة تتمتع بمستوى اقتصادى اجتماعى لا بأس به ، اذ يصل دخل الأسرة نحو ٨٠٠ جنيه شهريا ، كما أن الأبوين حاصلان على شهادات جامعية ، وحيث أن كل حالة تعكس وجها من أوجه معاناتها من خلال تجاربها الخاصة ، فقد تركزت معاناة الحالة فى حاجته الشديدة والملحة الى ايجاد مسكن للتمكن من الزواج ٠ ومن ثم فقد انعكست هذه الأزمة على كل جوانب أحاديثه ، بحيث كانت مشكلة السكن دائما وأبدا طرفا فى أى موضوع يتم التطرق اليه ٠

وقد أدت به حدة الأزمة الى السخط على كل ما هو قائم ، فهو ساخط على سكان العمارة التى يمتلكها والده ، لأن ايجار الشقة لا يتجاوز ١٠ جنيهات شهريا ، على حين أن عليه أن يدفع ما لا يقل عن ١٥٠ جنيهـا شهريا فى مقابل مثل هذه الشقة عدا مقدم الايجار أو الخلو ، وان اتسم هذا السخط بمشاعر انسانية تتمثل فى تعاطفه مع السكان لتمسكهم بهذه الشقق بسبب الأزمة الاسكانية الطاحنة ، وبسبب ارتفاع نسبة الفقر بينهم ٠

ويتمثل سخط الحالة فى أنه لا يستطيع التنازل عن مستوى المعيشة الذى اعتاد عليه هو وخطيبته من حيث السكن فى حى من أرقى الأحياء ، والتمتع بمزايا اقتصادية واجتماعية لا يمكن توفرها فى ظل ما سوف يتقاضاه هو وخطيبته من مرتبــات بعد التخرج ، ومن ثم فان النظرة المستقبلية للحالة شابها التخوف والاحباط امشديد ٠

وقد انعكس سخط الحالة على مشاعره حيال الدولة فهو قد فقد الثقة نظرا للوعود المتتالية حيال حل أزمة الاسكان حيث لم تقم أى وزارة من الوزارات التى قامت الواحدة بعد الأخرى بحل هذه المشكلة ٠ وتمتد حدة التشاؤم لدى الحالة ، اذ يرى أن طبقة الانفتاح الاقتصادى ستكون هى الطبقة الوحيدة القــادرة على الزواج ، وذلك من واقع امكانياتهم المادية المتاحة ٠

ويمتد سخط الحالة أيضا الى السياسة الاقتصادية للدولة ، حيث يرى أزمة ديون مصر ترجع الى التوجه نحو الاستثمارات غير الحيوية ، وعدم التركيز على المشروعات المضمونة ذات الدخل الثابت ٠ ومن ثم فهو يعترض على أدنى حد من المساهمة فى تسديد هذه الديون ، وذلك كرد فعل لعدم مساعدة الدولة له ، وعدم احترام حقوقه الدستورية بتوفير حاجاته الأساسية ٠

وتعد تلك القضية قضية أساسية وجوهرية فى حياة أى فرد يحيا ويتفاعل مع أية جماعة اجتماعية ، اذ أن العلاقات التفاعلية بين الأفراد والجماعات ، تقوم أساسا على معايير محددة من الحقوق والالتزامات المتبادلة ، ومن ثم فان اخلال الفرد أو اخلال الجماعة بأى من تلك المعايير ، يعد نقضا لأسس تلك العلاقات ٠

أما عن انطبــاعاتى الخاصــة عن هذه الحالة ، فقد شعرت حيــاله بدرجة كبيرة من التعاطف ، اذ عشت معه أزمة ملايين الشباب المصرى الذى يمثل له الاستقرار الاقتصادى والزواج وتكوين الأسرة آخر الحلقات وأهمها بالنسبة له ٠ ولكن الامكانيات المتاحة والواقع المعاش يقف حائلا دون تحقيق هذه الغاية ، ومن ثم فلا غرو ان نجد أن الشباب من أمثلة تلك الحالة يقع فريســة سهلة لأنواع الصراع التى قد تنعكس عليهم بالدرجة الأولى ، كما تنعكس بالتالى على المجتمع بأسره ٠

ورغم تمتع الحالة بدرجة كبيرة من اللباقة والأسلوب الراقى فى الحديث والقدرة على التفكير المنطقى ، الا أن مشكلته الشخصية والممثلة فى عدم توفر المسكن الملائم ، جعلته رغما عنه وبصورة لا ارادية يقوم بتوجيه كافة الآراء والأفكار والأحاديث التى تناولناهــا ، لتنصب فى النهاية الى تناول الموضوع من منظور مشكلته الخاصة ٠

الحالة رقم (٨) الدراسة الثانية ١٩٨٤ ـ ١٩٨٩

فور تخرج الشاب صاحب هذه الحالة من الجامعة ٠٠ استطاع والده بحكم عمله فى البنك ايجاد عمل له فى نفس البنك ٠٠ ثم تعرض الشاب بعد ذلك لمجموعة من الأزمات مع خطيبته الى حد اضطراره لفسخ الخطوبة ٠٠ وكان عدم قدرته على الحصول على الشقة المناسبة هو السبب الذى كانت تدور حوله كافة الخلافات بينه وبين خطيبته ٠

وقد انتهت اتصالاتى بهذه الحالة بعد اعلانه فسخ الخطوبة بعدة شهور ، حيث علمت أنه قد وجد عملا فى الكويت لدى أسرة كويتية ثرية لتدريس اللغة الفرنسية لأبنائها ، وتذكرت احدى عباراته التى دونتها فى الدراسة الأولى اذ يقول : « أنا بأكره مهنة التدريس جدا » ٠

وقد قيل لى عند سفره ، أنه سيعود للعمل بالقاهرة فور حصوله على ما يكفى لشراء شقة للزوجيـة ، ولكن مضت أربع سنوات ولم يعد حتى الآن ٠

وبذلك تكون هذه الحالة قد سقطت من دراستى التتبعية الحالية -

الحالة رقم (٨) الدراسة الثالثة ١٩٨٩ ـ ١٩٩٤

كانت هذه الحالة قد خرجت من دراستي التتبعية السابقة بسبب سفره للعمل بالكويت كمدرس للغة الفرنسية سنة ١٩٨٥ .. وقد تمكنت من متابعة الحالة بصورة ما عن طريق أفراد أسرته وكذلك خلال زياراته المتقطعة لمصر خلال السنوات الخمس التى قضاها فى الكويت .. ثم تمكنت بعد ذلك من مواصلة تتبع أخباره اثر عودته النهائية لمصر خلال أحداث غزو العراق للكويت .

ولندع الحالة تتحدث عن نفسها :

أول ما سافرت الكويت اشتغلت مدرس خصوصى عند أسرة كويتية .. الأسرة دى كانت من الأسر اللى لها وضع وكلمة فى البلد .. قعدت معاهم سنتين .. كنت ساكن فى مبنى ملحق بالفيلا بتاعتهم أو تقدر تقول السرايا اللى كانوا قاعدين فيها .. المبنى ده كان بيسكن فيه معايا كل الناس اللى بتخدم الأسرة دى .. وكان مكون من جناحين .. جناح للحريم وجناح للرجالة .. كنت عايش مع السواقين والشغالين والجناينية والطباخين والسفرجية وكلهم أجانب ما بين هنود ومصريين ومن شرق آسيا .. مرتبى ما كانش كبير فلو كنت سكنت بره كان يا دوب المرتب حيكفينى آكل وشرب من غير ما أقدر أحوش حاجة .

الأسرة دى كان عندها بنتين وولد وكلهم كنت باعلمهم اللغة الفرنسية .. وكنت باحط القرش على القرش وأبعت الفلوس لوالدى عشان يحطهم فى البنك لحد ما أحوش ثمن شقة .. وفعلا اشتريت شقة مش بطالة جنب عمارة والدى .

ابتدى والدى بعد كدة يغرينى انى أشترى أرض من الأراضى المستصلحة على أساس ان يبقى عندى مشروع أقدر أعيش منه بعد ما أرجع لمصر ..

أول ما سافرت الكويت كنت متصور انى يا دوب أحوش ثمن شقة وأعمل قرشين أرجع أتجوز بيهم .. انما جاتنى فرصة كويسة عن طريق الأسرة اللى كنت بادرس لأولادها انى أشتغل مدرس فرنساوى فى مدرسة هناك..وفعلا اشتغلت حوالى ٣ سنين لحد ما حصل موضوع غزو الكويت وكنت والحمد لله وقتها فى اجازة فى مصر لأن والدى كان تعبان .

والدى ووالدتى اقنعونى انى ما أرجعش تانى للكويت وانى أستقر

في مصر وأبدأ في رعاية المزرعة اللي والدى كان فعلا اشتراها ليه وأنا في الكويت ومساحتها ٢٠ فدان في حتة اسمها الصف بعد مدينة حلوان بحوالى ٥٠ كيلو ٠٠ في الحقيقة أنا ما صدقت ٠٠ لأني مابحبش الغربة ٠٠ وربنــا يعلم أنا الأيـام اللي قضيتها بعيــدا عن أهلى وعن مصر كنت باقضيها ازاى ٠

في الأول كان عندى أحلام وردية انى حابقى صاحب عزبة بعد سنتين ثلاثة ٠٠ لدرجة انى فكرت انى أستقر وأعيش فيها بعد ما أتجوز ٠٠ وفعلا بنيت فيها بيت صغير يكفى أسرة في بداية حياتها على أساس انى أتوسع فيه فيما بعد ٠٠

ما تتصوريش المصاريف اللي بلعتها الأرض دى ٠٠ وما تتصوريش المجهود والتعب اللي الأرض دى أخدتهم منى ٠٠ الأرض بعيدة جدا عن أى مجارى مائية ٠٠ وكل جيرانى أصحاب المزارع بيعتمدوا على الآبار ٠٠ وفعلا ساهمت أنا وثلاثة من جيرانى في حفر بير واشترينا موتور كبير لرى الأرض ٠٠ الموتور بعد سنة تقريبا انهارت الأرض تحته ووقع في البير ، حاولنــا بكل الوســائل اننا ننتشله انما فشلنا فاضطرينا لشراء واحد تانى ٠٠ طبعا الموتور بيشتغل معظم الوقت عشان يغطى مساحات الأرض بتاعتنا احنا الثـلاثة فبيتعرض لضغط عمل كبير ٠٠ فنبص نلاقيه مرة اتحرق ٠٠ ومرة عايز قطعة غيار ٠٠ وكل يوم والتانى فيه مشكلة ٠

احنا بنستخدم الري بالتنقيط لأن كمية المية محدودة ٠٠ وعشان كدة ما نقــدرش نزرع كل حاجة ٠٠ انمــا الزراعات اللي بتنفع بالرى بالتنقيط محدودة زى العنب والتين والجوافة والزيتون ٠٠ والزراعات التانية بتحتاج الرى بالغمر ودى محتاجة كميات مية كتير صعب اننــا نوفرها فى الأرض الصحراوية المستصلحة ٠

مشكلتي ومشكلة كل الناس اللي حواليه ان استغلال الأرض بطريقة سليمة عايز آلافات ٠٠ ولأن الأرض أصلا صحراوية فعايزه رعاية ومصاريف جامدة جدا ٠٠ يعنى مثلا الميه اللي بتيجى من البير فيها نسبة ملوحة عالية وده بيعجز الزرع فيحتاج مخصبات بنسبة كبيرة ٠٠ فتلاقى الناس مش قادره تراعى الأرض كويس ٠

أنا حواليه ١٨ قطعة أرض زى الأرض بتاعتى ٠٠ كنا كلنا زارعين فواكه وكانت البشاير بتقول ان الأرض حتجيب نتيجة كويسة لو احنا اهتمينا بيها وصرفنا عليها كويس ٠٠ انما اللي حصل ان تكاليف رعاية الأرض أكبر بكتير من امكانيات أصحاب الأراضى ٠٠ فبدأ بعض الناس

يهملوا فى عملية استخدام الكيماويات والمبيدات الحشرية فكانت النتيجة ان الأراضى اللى أصحابها مهتمين بيهـا وبيصرفوا عليها بالهبل تجيلها اصابات وآفات مش نافع فيها أى مقاومة ٠٠ فابتدى بعضهم يهمل الأرض تماما ويسيبها تبور ٠٠ يعنى دلوقتى فيه عشر مزارع من التمنتاشر سابت الأرض تبور لأن مافيش أى عائد جاى منها ٠٠ أما أنا والناس المناضلين زى حالاتى لأن الأرض دى بالنسبة ليه قضية حياة أو موت وقضية مستقبل ٠٠ اضطريت انى أخلع كل شجر الفاكهة اللى كان عندى لأن مش قادر أقاوم الآفات ومكتفى دلوقتى بزراعة التين والزيتون لأنهم مش محتاجين مصاريف كتير ٠٠ ومع كده برضه أنا لسه باصرف من جيبى على الأرض دى ٠

أسعار الكهربا نار ٠٠ لأن موتور البير بتاع الميه بيشتغل ليل ونهار ٠٠ بادفع حوالى ٥٠٠ جنيه فى الشهر والحكومة المفروض تعفى أصحاب الأراضى المستصلحة من أعباء الكهربا عشان تقلل من خسايرنا شوية ٠٠ ده طبعا غير تكاليف المبيدات والأسمدة اللى بنشتريها بالسعر الحر من غير دعم ٠٠ غير أجرة العمال الزراعيين اللى بنحتاج لهم ٠٠ يعنى ساعات بيبقى هاين عليه انى أسيب الأرض تبور وأوفر المصاريف اللى باصرفها عليها واللا أتجوز بيها ٠٠ والمشكلة ان الناس كلها ابتدت تعرف ان استصلاح الأراضى فى المنطقة دى وبالصورة دى معناها خراب ببوت فمافيش حد مستعد انه يشترى مننا الأرض ٠٠ يعنى بالعربى كده احنا ادبسنا فيها ٠

حكاية جوازى معقدة قوى ٠٠ لأن كل ما أتقدم لواحدة ٠٠ بيكون أول سؤال أهلها بيسألوه دخلك كام فى الشهر ٠٠ طبعا باقعد أحكى وأعيد وأزيد عن حكاية المزرعة وان الموضوع عايز صبر ٠٠ وان اللى حتتجوزنى لازم تكون مستعدة تضحى ٠٠ وتعيش معايا فى المزرعة علشان أراعيها وبتنتهى القصة طبعا بالفشل ٠٠ لأن مافيش واحدة عايزة تستحمل وتضحى ٠٠ كلهم عايزين حاجة على الجاهز ٠

لو الأمور بتاعة المزرعة استمرت بالشكل ده ٠٠ فمافيش حل الا أنى أسيب الأرض تبور ٠٠ وعوضى على الله فى شقى عمرى اللى راح فيها ٠٠ وأفكر بقى أنى أهاجر أو أرجع الكويت تانى أو أى بلد عربى وأمرى لله ٠

الحالة رقم (٩) الدراسة الأولى ١٩٨٤

وهو طالب فى السنة النهائية بكلية العلوم ، الوالد عامل (ساعى) فى احدى كليات الجامعة ، يقرأ ويكتب الى حد ما ، الأم ربة بيت ، وهى أمية ، الموطن الأصلى لكل من الوالدين احدى قرى الصعيد ، عدد الأبناء عدا الحالة موضوع الدراسة ثلاثة من الذكور وثلاث من الاناث ، تزوجت احداهن بعد حصولها على الاعدادية ، والفتاتان الباقيتان لاتزالان فى مرحلة التعليم الأساسى ، وبالنسبة للذكور فان أحدهما طالب بكلية التربية ، والثانى فى النانوية العامة ، أما الثالث فهو يعمل صبى ميكانيكى لفشله فى التعليم · مرتب الأب ٧٥ جنيها وما يتقاضاه الابن الأصغر ٣٠ جنيها شهريا ، وبذلك يكون دخل الأسرة الشهرى ١٠٥ جنيهات ، السكن مكون من حجرتين وصالة ودورة مياه فى منطقة عين شمس ·

ولندع الحالة تتحدث عن نفسها :

حضرتك عارفه ان أنا ساكن فى عين شمس ·· يمكن عمرك مارحتى هناك ولا حتروحى ·· البيت بتاعنا فى حارة ·· والحارة غرقانة صيف وشتا فى المجارى ·· الشارع مش مسفلت ·· ومع المجارى بتبقى معجنة ·· الناس حطة قوالب طوب علشـــان تعدى من عليها علشـــان ماتغرزش فى الطين ·· ومع كده يمكن كل يوم حدومى بيطرطش عليها الطين ·· الشارع مالوش رصيف ·· لأن لما بنوا المساكن بنوها بالقدرة وبقوة الدراع ·· فالناس لازم تمشى فى وسط الشارع ·· وبتبقى نكبة لو عربية عدت فى الشارع وفيه حد ماشى ·· لأن ده معناه انهم لازم يستحموا بالطين ·· ده الشارع بتاعنا ·· وده الحى بتاعنا ·· هوه كده علشان ماعندناش وزير والا مدير ساكن فى الحتة ·· أوصفلك بقى البيت بتاعنا ·· البيت عبارة عن حاجة بيسموها بيت ·· انما هيه أصلا الظاهر كانت معمولة للمواشى ·· وبعدين حصل خلط بينا وبين المواشى ·· البيت خمس أدوار ·· واحنا ساكنين فى الدور الرابع ·· وعلشان الواحد يطلع وينزل كل يوم من غير ماينكسر فيه حاجة ·· لازم يقرأ الفوانح علشان ربنا يسلم ·· لأن السلالم متاكل نصها ·· المهم ·· الشقة عبارة عن أودنين وصالة ·· الصالة أقل من ٣ × ٣ ·· انما ربنا مبحبحها بنمشى فيها كتير ·· واحنا أصلا عددنا كبير فبتوسع ·· عاملينها أودة صالون وسفرة وأنتريه ومكتب ·· ماما واخواتى البنات بيناموا فى أودة ·· وأنا واخواتى الصبيان فى الأودة التانية وفى الصـــالة ·· المشـــكلة مش فى اننا بنام زى السردين ··

انما المشكلة ان الشقة كلها على مناور ·· وبتبقى ظلمة كحل فى عز الظهر ·· فلازم النور يفضل منور طول النهار ·· دى لوحدها مشكلة لأن فاتورة الكهربا كل شهر بتعمل لينا أزمة فى البيت ·· وخصوصا دلوقتى بعد مارفعوا أسعار الكهربا على كل الناس ·· الصالح والطالح ·· الغنى والفقير ·· أصل البلد فيها عدل جامد فلازم كل حاجة نتوزع على الناس بالعدل ·· بيقولوا انهم قسموا استهلاك الكهربا لشرايح ·· احنا لا عندنا فيديو ولا تكييف ولا مكنسة كهربا ·· انما ربنا حكم علينا ان نور البيت كله يفضل منور من ساعة مانصحى فى الفجر لحد آخر الليل ·· يمكن علشان كده هما اعتبرونا شريحة عليا · وننتقل بقى على المطبخ والحمام ·· المطبخ ده مشكلة سهلة ·· على الأقل بيكفى أمى تقف براحتها وهيه بتطبخ ·· انما بتبقى مشكلة لو حد حب ياخد حاجة من المطبخ ·· لأن أمى لازم تخرج من المطبخ علشان التانى يقدر يدخل ·· المشكلة بقى اللى بجد عندنا هيه الحمام ·· ده حكايته حكاية ·· هوه صحيح حمام بلدى متر فى متر ·· انما فيه دش ·· انما المشكلة أولا أن الدش ده ديكور ·· لأن الميه مابتطلعش لحد فوق الا بعد الساعة ١٢ بالليل ·· ويادوب تنزل فى حنفية الحمام لأنها أوطى حنفية فى البيت ·· وأمى بقى شغلانتها انها تملى الأطشاط ·· والحلل والجرادل طول الليل علشـان نستخدمها بالنهار ·· انما المشكلة التانية بقى ·· ان علشـان الواحد يحب يسـتحمى ضرورى نعلن حالة طوارىء فى البيت ·· وان كل الحاجات اللى مليانة ميه فى الحمام لازم نخرجها فى الصالة والمطبخ علشان توسع مكان للى يستحمى ·· طبعا مشكلة الميه دى مشكلة ثانوية ·· انما الحاجة الأساسية بقى ·· ان مواسير الصرف الصحى الخارجية ضاربة فى الحيطة بتاعة البيت كله ·· والحيطان مليانة شروخ ·· وكل مانشترك مع السكان ونصلحها ترجع تضرب تانى ·· أنا خايف بيجى يوم مانصحاش فيه الصبح ·· لأن البيت ممكن يقع فى أى لحظة ·· كل اللى الواحد شايفه ده ·· وبعدين تبص تلاقى جايبينلك اعلان فى التليفزيون عن الأدوات الصحية المستوردة بيقول « تخلص من حمامك القديم ، انسفه نسفا » ·· هوه فين الحمام الأول وبعدين نبقى ننسفه ·· طب قبل ما أنسف الحمام وبعدين أجدده ·· أنسف الشارع الأول وأصلحه علشان البنى آدمين تمشى زى البنى آدمين ·

شوفى احنا عايشين ازاى وبنقاسى قد أيه ·· وشوفى المهازل اللى بتحصل فى مجتمع الكفاية والعدل ·· أخويا الصـــغير كان عنده مرض عصبى ·· ودخنا بيه فى المستشفيات الحكومية ·· وبعدين قررنا نضحى ونعرضه على دكتور مشهور ·· وفوجئنا ان سعر الكشف العادى ٤٠ جنيه ·· والكشف المستعجل ٨٠ جنيه ·· سلمنا أمرنا لله ودفعنا الـ ٤٠ جنيه ·· عارفه خرجنا من العيادة الساعة كام ؟ ·· الفجر كان بيدن الله أكبر ··

وعارفه الدكتور قعد معانا قد أيه ‥ ؟ خمس دقايق ‥ صحيح الدكاترة الكبار المشهورين لازم يرفعوا أجورهم علشان يحدوا من عدد المرضى اللى بيترددوا عليهم ‥ انما يوصل انه يبيع الخمس دقايق للمستعجل بـ ٨٠ جنيه ؟ ‥ هوه المريض ده مستعجل على دخول مباراة خايف حته تضيع منها ‥ والا خايف على قطر يفوته ‥ ده مستعجل لأنه مريض وتعبان وبيتألم وعايز حد يلحقه ‥ اللى بيحصل ده فى عرف وبنا مش حرام وبس ‥ انما ده سرقة عينى عينك ٠

طبعا مشاكل التعليم عموما عايزه قاعدة لوحدها ‥ بتسألينى هل الأجهزة والوسائل التعليمية متوفرة فى الكلية ‥ أجهزة ووسائل تعليمية ايه ‥ ؟ قصدك يعنى كمبيوتر وفيديو وبروجكتر ومعامل حديثة ‥ الكلام ده فى أمريكا وأوربا مش هنا ‥ الحاجات دى بنقرأ عنها فى الكتب وبس ‥ التعليم هنا عبارة عن محاضرة بيقولها أستاذ مخه مشغول بميت حاجة ‥ وكتاب بنشوف المر علشان نقدر نشتريه ‥

اتحـاد الكليـة مثلا ‥ اسـم على غير مسمى ‥ مجرد منظرة ‥ الحرب والتكتكة اللى بنشوفها أيام الانتخابات كلها علشان يوصلوا للاتحاد بس ‥ وكأنهم حيوصلوا لمقاعد الحكم ‥ طيب بيعملوا أيه لحل مشاكل الطلاب مع الكتاب الجامعى ‥ ومع مواعيد الدراســة والمحاضرات غير المناسبة ‥ ومع والكراسى المكسرة اللى مابتكفيش نص أعداد الطلبة ‥ ولا حاجة ‥

مشاكل الحياة محاوطة كل الناس ‥ الأستاذ أو الدكتور بشر زى كل الناس ‥ عندهم همه كمان مشاكلهم ومسئولياتهم انما المشكلة ان أستاذ الجامعة زيه زى القاضى بالضبط ‥ لازم يكون عادل وموضوعى فى تصحيح الامتحانات ‥ لأنه بيحدد مصير انسان ‥ طيب ازاى ده يحصل اذا كان عنده ألفين والا تلات آلاف ورقة يصححهم ‥ ده لو قعد يقيس كل ورقة بالشبر ‥ ويحط الدرجات على أساس فيه كام شبر مكتوب فى كل الورقة ‥ يبقى عايز له على الأقل شهرين تفرغ ‥ أنا سمعت ان فيه أساتذة بتخلى المعيدين تصحح الورق ‥ طيب هوه المعيد دخل عقل الأستاذ علشان يعرف هوه عايز الاجابة يكون شكلها ايه ‥ ده حتى امكانيات المعيد اللى لسه متخرج واللا حتى اللى بقاله ٣ أو ٤ سنين ماتخليهوش يقدر يقيم الورقة اللى قدامه ‥ حاجة بالعقل كده مش عايزه حسابات ولا كمبيوتر ‥ ازاى كل طالب ياخد حقه بالضبط فى الدرجات ‥ وازاى الواحد يضمن ان فيه عدل ٠

فيه طلبة كتير ماشيه على الدروس الخصوصية ‥ أما أنا شخصيا عمرى ما أخذت دروس ‥ دروس ايه ‥ هوه الواحد لاقى ياكل والا يلبس

زى الناس لما الواحد حياخد دروس ·· حتى لو كان معايا فلوس ·· أنا ضد الدروس الخصوصية لأنها عملية مافيهاش أخلاق ولا ضمير ·· أنا أعرف ان الدكتور أو حتى المعيد عليه واجب والنزام أخلاقى لازم يأديه ·· لما كل واحد يحاول يهلبش من التانى دى تبقى غابة بقى ·· ماتبقاش دنيا بتاعة بنى آدمين ·· الواحد بيتعقد كل ما بيسمع عن انهيارات الأخلاق والضماير ·· ياترى قريتى فى الجرنال عن خبر أستاذ التشريح اللى اتحكم عليه بالسجن والغرامة لأنه حول بيته مشرحة خاصة بيدى فيها دروس للطلبة فى مقابل ٢٠٠٠ جنيه لكل واحد ·· أنا والله مش عارف الألوفات دى بتيجى منين ·

أنا والدى لأنه مش متعلم وطول عمره بيشتغل فى وسط طلبة وأساتذة كان كل همه انه يعلمنا كلنا ·· لو كان يعرف ان المستقبل كله للناس اللى خابت فى التعليم زى أخويا الصغير كان شغلنا فى أى حرفة ·· أنا ماعنديش مانع انى أشتغل أى عمل يدوى بعد ما أتخرج ·· سباك ·· نجار ·· ميكانيكى ·· بتاع قيشانى ·· أو حتى شيال ·· انما المهم أحط الشهادة فى جيبى ·· علشان يوم ما أتقدم أخطب واحدة مايبقاش اسمى عامل جاهل ·· انما اسمى عامل مثقف ·· يعنى الشهادة بالنسبة ليه حتة « برستيج » ·· أنا مستعد أشتغل أى شغلانه تجيب قرش كويس ·· طبعا ده ماينطبقش على الشغل فى الحكومة ·· شغل فى الحكومة ايه ·· أنا عايز أنط ·· كفاية انى عايش من يوم ما اتولدت مع الناس اللى تحت ·· عايز بقى أطلع على وش الدنيا وأعيش مع النـــاس اللى فوق ·· بانام وأقوم وأنا باحلم اما انى أروح بلد عربى أو أهاجر على أستراليا أو أمريكا ··

الناس دلوقتى مابقالهاش قيمة الا بكمية الفلوس اللى معاها ·· أو بالواسطة اللى مسنودة عليها ·· وده اللى ماشى دلوقتى ·· أمى دايما تقول اللى مالهوش ظهر ينضرب على بطنه ·· وده صحيح فى الأيام دى ·· اللى مالهوش واسطة ·· لا حتنفعه شهادة ولا امكانيات ولا ثقافة ·· ولا أى حاجة أبدا ·· المعايير دلوقتى ان الواحد يكون اما قريب مدير أو وزير ·· أو جاى من طرف واحد معرفة أو صديق ··

علشان تمشى حالك يايكون عندك واسطة ·· يا اما تدفع رشوة ·· المشكلة مش فى الرشوة فى حد ذاتها ·· لأن فيه ناس غلابة كتير مرتباتهم ماتفتحش بيوت ·· والرشوة أو البقشيش لأنه نوع من الرشوة ·· مورد أساسى بيعتمدوا عليه بالاضافة لدخولهم ·· انما المشــكلة ·· فى انهم بيفترضوا ان كل الناس أغنى منهم ·· وان أى واحد لازم يفتح مخه علشان شغله يمشى ·· طيب أنا لما أكون واحد غلبان ويمارس على واحد قوى

ضغوط مختلفة علشان أدفع له رشوة أنا أصلا مش قادر عليها ·· طيب ما أنا حأستغل فى يوم من الأيام قوتى أو سلطتى علشان أبتز اللى أضعف منى ·

الواحد ماعادش بيثق فى أى شعارات أو كلام بنقوله الدولة·· سمعنا فى الكام سنة اللى فاتو دول كلام كتير قوى عن رفع المعاناة عن كاهل الشعب ·· وآدى النتيجة ·· أمى بتنزل تجيب شوية خضار للطبيخ والسلطة بترجع معهاش ولا قرش من الخمسة جنيه ·· همه قصدهم ينفضوا جيوب الشعب علشان يبقى خفيف ·· فيه ايه ماغليش على الشعب المسكين ·· ده حتى سندوتش الفول والطعمية اللى كان بيحل الأزمة بقى بخمسة صاغ ·· أنا أفهم انهم يرفعوا سعر اللحمة والفراخ ·· لأن فيه ناس فوق تقدر تشتريها حتى لو الفرخة بقت بميت جنيه ·· انما يرفعوا سعر الفول ·· طب الناس اللى تحت ياكلوا ايه ·

أنا صحيح اتولدت بعد ثورة ٢٣ يوليو بحوالى ١٠ سنين ·· يعنى ما أقدرش أتكلم عنها الا من خلال الكتب ومناهج الدراسة والقراءات الخاصة ·· وده مخلينى أقف محتار ·· أصدق ايه ·· وأكذب ايه ·· فى فترة كنا مع روسيا وبنادى بالاشتراكية ·· وفى نفس الوقت كانت الحكومة بتقبض على أصحاب الاتجاهات اليسارية ·· وفى فترة تانية كنا دولة العلم والايمان ·· وفى نفس الوقت برضه كانت المعتقلات مليانه بأعضاء الجماعات الدينية ·· فى فترة كان عبد الناصر معبود الشعب كله ·· وبعد ما مات بقى هو السبب فى النكبة اللى احنا عايشينها ··

وسائل الاعلام خصوصا التلفزيون عاملة ليه واللى زيى أزمة فى حياتهم ·· مافيش بيت دلوقتى تقريبا الا وعنده تلفزيون ·· حتى الأسر اللى على قد حالها زينا بيكون التلفزيون أول حاجة تفكر فيها ·· احنا مانقدرش على فلوس المسرح أو السينما ·· والتلفزيون هو التسلية الوحيدة لينا ·· وفى نفس الوقت هوه النكبة التكنولوجية الوحيدة اللى دخلت بيتنا ·· بنبقى متغديين قرديحى ·· والا فتة عدس ·· ونبص نلاقيهم بيعلنوا عن السلع الغذائية المستوردة أو على الأقل بتاعة الطبقة اللى فوق زى الهامبورجر والسوسيس « الأخرانى ده أنا ما أعرفش شكله ايه » وأنواع الشكولاته والبسكويت والآيس كريم ·· وبيفترضوا ان الناس كلها عارفه الحاجات دى ومتعودة عليها ·· وان الاعلانات دى نوع من المنافسة لشركات أو مصانع تانية ·· ومابيعرفوش انه نوع من المنافسة للعدس والفول والطعمية اللى هيه قوت أغلبية أفراد الشعب ·· والا الاعلان اللى بيقول تخلص من حمامك القديم ·· انسفه نسفا ·· وزى ما قلتلك قبل كده هوه فيه حمام قديم لما أنسفه ·

وسائل الاعلام كلها مابتخدمش الا مصالح الأفراد اللى بيشـــتغلوا فيها ٠٠ وده من خلال خدمتهم لمصالح الساسة والنظام السياسى ٠٠ بص فى أى جرنان أو مجلة كده ٠٠ حتلاقى ٩٩ر١٩٪ منه بتتكلم عن السياسة وعن أخبار المشاهير والفنانين ٠٠ اللى انجوز ٠٠ واللى اتطلق ٠٠ واللى أخد ١٥ أو ٢٠ ألف جنيه فى فيلم من ورا عرق الشعب الســـاذج اللى بيروح يتفرج على أفلامهم الساذجة ٠٠ الواحد من عشرة فى الميه التانية بتتكلم بسطحية وبسرعة عن بعض مشاكل الشعب والأفراد اللى ماحدش بيقول لهم انتو فين ٠٠

بالنسبة لوقت الفراغ ٠٠ أنا غاوى لعب كورة ٠٠ لكن مافيش نادى بيرضى ياخد الناس الفقرا اللى زينا ٠٠ دى حتى لو قدرنا ندفع الاشتراك، علشان كده بالعب فى الشارع ٠٠ صحيح بابقى طويل وكبير على اللعب فى الشارع ٠٠ انما ما باليد حيلة ٠٠ أنا غاوى قراية ٠٠ بس باقرأ أى حاجة تقع فى ايدى ٠٠ ماعنديش امكانية انى أشــترى الكتب اللى أنا عايزها فعلا ٠٠ معظم باقى الوقت باقضيه مع أصحابى على النواصى ٠٠ الشلة بتاعتنا فيها اتنين بيدخنوا حشيش وحاجات تانية ٠٠ همه صنايعية معاهم فلوس ٠٠ انما أنا حتى لو معـــايا فلوس مش ممكن كنت حاقرب من الحاجات دى ٠

الحكومة نازلة بحملة جامدة قوى علشان تسديد ديون مصر ٠٠ وفى مقابل كده بتحاول تصور ان المستقبل لونه وردى ٠٠ احنا شبعنا عهود ووعود ٠٠ على رأى أم كلثوم « ماتفكرنيش بوعــود وعهود أنا فاض بيه ومليت ٠٠ وربنى انته الاخلاص ٠٠ وأنا أضحى مهما قاسيت » ٠٠ رئيس الوزارة فى بيان للحكومة النهاردة فى الأهرام ٠٠ نازل وعود رائعة وخلابة بعزم الحكومة على مصارحة الجماهير بالمشاكل اللى الحكومة بتقابلها ٠٠ وازاى حتعالج المشاكل دى ٠٠ وكلام كتير زى اللى طول عمرنا بنسمعه وماشفناش منه حاجة لحد دلوقتى ٠٠ احنا حنقعد نضحى لحد امتى ٠٠ كل واحد دلوقتى بيقول ياللا نفسى ٠٠ أنا شخصيا هأنتهز أول فرصة وأسيب البلد دى ٠

التحليل والتعليق على الحالة

تعد هذه الحالة من أكثر حالات الدراســة تميزا ، فهى والحالة رقم (١) ، يعدان نموذجين فريدين للتناقض الحاد والصارخ فى المجتمع المصرى ٠

وقد أدت طرافة الحالة « وهى طرافة مؤلمة » الى أن أدون تقريبا

الموضوعات التى تعرض لها الحالة بالحديث مما ترتب عليه وقوعها فى عدد كبير من الصفحات ٠

فأسرة الحالة المكونة من تسعة أفراد ، تعد نموذجا للأسر التى تقع فى قاع المجتمع ، وذلك رغم تميزها بالكفاح ومحاولة قهر الصعاب ، والتغلب على الأوضاع الاقتصادية المتردية ، اذ استطاع الأب الذى يقرأ ويكتب بالكاد ، أن يقوم بتعليم ستة من أولاده السبعة ، وأن يتحمل سنين طويلة من المعاناة والمشقة ٠

وباستعراض وصف الحالة للمنطقة السكنية ، وكذلك حالة المسكن والمشكلات المتعلقة به ، يتضح مدى الأوضاع المهينة واللاانسانية التى تحياها الأغلبية من أفراد المجتمع ، وقد انعكست هذه الأوضاع على الحالة فى صورة نقد لاذع تناول به العديد من أوجه العلاقات الانســـانية ، ومؤسسات الدولة وكذلك السياسة العامة لها ، فهو يسخر من سخافة الاعلانات التى يقدمها التلفزيون واستخفافهم بآلام الناس ومعاناتهم ، ويضرب العديد من الأمثلة على ذلك ، فالاعـــلان الذى يعلن عن أدوات الحمامات المستوردة والذى يدعو الى التخلص من الحمام القديم ونسفه ، يفترض أن كل الأفراد لديهم حمامات صالحة للاستخدام ولكن تنقصها اللمسة الجمالية ، وكذلك الحال بالنســـبة للاعلانات الخاصة بالمواد الغذائية الترفيه فى الوقت الذى لا يتيسر للعديد من الأفراد الا القدر الذى يسدون به رمقهم ٠

وتنقلب السخرية الى نقد لاذع وهو يتناول الجوانب التى تشير الى انعدام العدالة الاجتماعية فى الدولة ، فهو ينتقد متاجرة الاطباء فى الطب كمهنة انسانية ، ويضرب المثل بالطبيب الشهير الذى تقاضى ٤٠ جنيها فى مقابل خمس دقائق أمضاها مع المريض ، وهو يصف مثل هذا التصرف بأنه نوع من أنواع السرقة ٠٠ وهو ينتقد طريقة تصحيح الامتحانات داخل الجامعة ، ويتســـاءل كيف يتوفر العدل اذا كان الأستاذ مطالبا بتصحيح ثلاثة أو أربعة آلاف ورقة فى مدى محددة ٠ وهو ينتقد نظام الدروس الخصوصية ، ويرى أنه انهيار للأخلاق والضمائر ، اذ يقوم على عملية من الابتزاز التى لا تكافؤ فيها ٠ وهو ينتقد تهاوى القيم وتساقطها عندما يستخدم الفرد نفوذه للتحكم فى مصالح ومصائر الآخرين ، وهو يضرب مثالا على ذلك بتفشى ظاهرة الوساطة والمحسوبية ، وان الكفاءات المادية والامكانيات الثقافية لم تعد هى المعايير التى يقوم على أساسها تقييم الفرد ٠ اذ أصبح الفرد يقيم على أساس ما لديه من امكانيات مادية ، وبالتالى انعكس ذلك على مدى تلبية حاجات الأفراد ، وتأدية الخدمات لهم ، اذ أصبح ذلك يعتمد على مدى ما للفرد من وساطة أو علاقات خاصـــة

أو على مدى قدرته على تقديم الرشوة فى مقابل تلك الخدمات ، التى هى فى الأصل حقا من حقوقه ٠

وينتقد الحالة نظام التعليم بكل أبعاده ، وينتهى الى أن المؤهل لم يعد يضمن الحياة الكريمة للأفراد ، حيث أصبحت المهن والحرف اليدوية صاحبة النصيب الأكبر فى العائد المادى كما ينتقد اتجاه صحافة الدولة فى التركيز على الموضوعات التى تخدم مصالح الدولة وفئة قليلة من الأفراد ، حيث تفرد الجانب الأكبر منها للموضوعات الهامشية التى تتعلق بحياة الفنانين وأخبارهم ، على حين تتقزم المساحة المخصصة لمعالجة ومواجهة وعرض مشكلات الأغلبية فى المجتمع ٠

وقد انتهت سخريته ونقده الى حد فقدانه الثقة فى مؤسسات الدولة الرسمية وغير الرسمية ٠ حيث فقد الثقة فى شعارات الدولة ، وخاصة ما يتصل منها برفع المعاناة عن كاهل الشـــعب ، لتناقض مثل تلك الشعارات مع اتجاه الدولة الفعلى لرفع الأسعار ، وخاصة بالنســـبة لأسعار المواد الغذائية الشعبية ، التى تكاد تكون هى الامكانية الوحيدة المتاحة للغالبية من أفراد المجتمع ٠ ويؤدى فقدان الثقة فى شعارات الدولة الى التشكك فى أيديولوجياتها بســـبب تغير هذه الايديولوجيات بتغير السلطة الحاكمة ٠

وتعد الكيفية التى يقضى بها الحالة وقت فراغه مؤشرا على تدهور أوضاعه الاقتصادية ٠ اذ لا يتمكن من ممارسة هوايته المفضلة وهى القراءة بسبب ارتفاع أسعار الكتب ، كما تعد مؤشرا على عدم قدرة مؤسسات الدولة على احتواء طاقات الشباب ، حيث نجد أن الحالة يهوى ممارسة رياضة كرة القدم ، ولكنه يضطر الى ممارستها فى الشارع العام ، لعدم توفر الأماكن التى يمكن عن طريقها ممارسة تلك الهواية ٠

وقد أدت مجموعة المشكلات التى يعانى منها الحالة الى خلق وتكوين اتجاهات سلبية لديه ، وأحداث احباطات عامة له ، تمثلت فى عزمه على الهجرة النهائية الى استراليا أو أمريكا ، أو الهجرة المؤقتة الى احدى الدول العربية بهدف تحقيق طموحاته المادية ليرتفع من قاع المجتمع ، وينعم بما ينعم به من يعيشون على سطحه ٠

وبالنسبة لانطباعاتى الخاصة عن هذه الحالة ، فقد تميز بقدر كبير من الذكاء ، والثقافة ، والقدرة على ادارة دفة الحديث ٠ كما تميز بقدر كبير من القدرة على تغليف نقده الساخر بصورة من صور الفكاهة اللاذعة ، مما أعطاه طابعا مميزا ٠ وبالرغم من رقة الحال الواضحة التى تتجلى فى مظهره ، الا أن القدر الكبير من الثقة بالنفس الذى يتمتع به ، والشـــعور

بالذات ، جعلته من وجهة نظرى يمثل الشخصية السوية التى تستند فى أساسها على الكفاءات والقدرات والامكانيات الخاصة • وقد مثل لى الحالة، نموذجا من نماذج الشـــباب الطموح الذى لا يستسلم لعوامل اليأس والضياع ، حيث يدفعه هذا الطموح الى تخطى العقبات التى تعترض طريقه، أملا منه فى مستقبل أكثر اشراقا من الحاضر ، يستطيع من خلاله أن يحقق هويته وذاته •

الحالة رقم (٩) الدراسة الثانية ١٩٨٤ ــ ١٩٨٩

يعمل الشاب صاحب الحالة « كمبلط » للقيشانى والسيراميك ·· وهو يعمل فى هذا المجال منذ أربع سنوات ·· وهو لا زال يعيش مع أفراد أسرته بأكملها فى نفس المسكن الذى تركزت حوله معظم الدراسة السابقة ·· وتتمتع الأسرة حاليا بمستوى اقتصادى لا بأس به بالمقارنة الى ما كانت تعانيه فى السابق ، حيث يساهم الشاب الحالة فى مصروفات الأسرة ، وحيث يصل دخله الشهرى ما بين ٨٠٠ الى ١٥٠٠ جنيه فى الشهر ، يدخر نصفهم ، ويقوم بانفاق النصف الثانى على نفسه وعلى أسرته · وهو لم يتزوج بعد ·· ولكنه يبحث عن « عروسه » ·

والندع الحالة تتحدث عن نفسها :

والله أنا دقت المر من يوم ما اتخرجت ·· انما اهه ربنا فرجها علينا فى الآخر ·· بقت عال والقاشية معدن على رأى ولاد الكار بتاعنا ·· ما هو أنا دلوقتى صنايعى ·· ودى لغة الصنايعية ·

ساعات باحزن على الكام سنة اللى ضاعوا من عمرى فى الجامعة·· آل أبويا كان نفسه تتقلع له عين ويشوف واحد من ولاده موظف قد الدنيا ·· آدينى اهه بقيت صنايعى ·· اياك على الله أخويا بتاع كلية التربية ينوله اللى فى نفسه ·· اهه اتخرج وبيقولوا أنه حايتعين بعد الجيش ·· الخوف اليكون تعيين مدرسين الابتدائى كمان عايز واسطه ·· يبقى طلع نقب أبويا على شونه ·· لأننا والحمد لله واسطتنا ربنا ··

لو كان عندنا واسطه ماكنتش بقيت صنايعى ·· كان زمانى دلوقتى باحث قد الدنيا فى مركز بحوث والا فى مصنع ·· ده أنا كنت غاوى الدراسة بتاعتى قوى ·· وكنت حاسس انى فى يوم من الأيام حاكون عالم والا مخترع ·

ساعات باحمد ربنا ان ما عندناش واسطة ومانعرفش حد من الناس الواصلين ·· كان زمانى بقيت موظف ·· وباخدلى ٥٠ أو ٦٠ ملطوش فى الشهر ·

أيام ما كنت فى الجامعة كان عندى اثنين أصحابى من الحته عندنا بيشتغلوا مبلطين قيشانى ·· كنت ساعات باروح معاهم لما بيكون عندهم شغل واقعد أتفرج عليهم ·· أحسن من قعدتى على القهوة ·· وعموما أنا

ما كانش بيبقى معايا فلوس عشان أقعد على القهوة ٠٠ كانوا بيقعدوا يهزروا معايا ويقولولى ٠٠ ما تياله نعلمك صنعه أحسن من المذاكرة اللى مش حاتجيب تمنها ٠٠ أيامها لقطت أساسيات الصنعة ٠٠ بعدين لما حلصت امتحانات آخر سنة ٠٠ قلت أقسم وقتى نصين ٠٠ نصه أقضيه فى شغل القيشانى ٠٠ ونصه أقضيه فى التدوير على الوظيفة ٠٠ قعدت سنة بحالها متشتت ٠٠ ومافيش وظيفة ٠٠ فى الآخر قلت لازم أبقى واقعى ٠٠ ٩٠٪ من اللى بيتخرجوا من كلية العلوم ما بيلاقوش شغل ٠٠ القوى العاملة ما بقتش زى زمان ٠٠ لو كنت حاستنى التعيين فى الحكومة معناها انى أقعد عواطلى أربع أو خمس سنين ٠٠ زمايلى اللى متخرجين قبلى بدفعتين وبثلاثة لسه قاعدين على فيض الكريم ومابيشتغلوش ٠٠ وحتى لو ظهر شغل فى الحكومة ٠٠ مش ممكن حاقدر أتعين الا لو كنت مخلص جيش ٠٠ ماكنتش أقدر أخش الجيش الأول ٠٠ لأن أخويا ٠٠ الوحيد اللى كان بيشتغل فينا كان فى الجيش ٠٠ كان ميكانيكى ٠٠ والقرش اللى كان بيجيبه اتقطع ٠٠ أهلى كانوا محتاجين كل قـرش باشتغل بيه فى القيشانى ٠٠ وخصوصا انى فى الأول ماكنتش لسه بقيت أسطى ٠٠ والقرش اللى كان بيدخل لى قليل ٠٠ المهم واحده واحده بقيت أسطى كويس ٠٠ طبعـا محـــدش بيقوللى يا أسـطى ٠٠ كلنـــا بيتقال لينا يا باشمهندس ٠٠ حتى اللى مابيعرفش يفك الخط فينا ٠

أما رحت الجيش ٠٠ ودى قصة لوحدها ٠٠ كنت فرخة بكشك ٠٠ خصوصا لما الضباط عرفوا أن معايا صانعه ٠٠ كلهم كانوا بيتخانقوا عليه ٠٠ كنت الأول رايح وكاشش ٠٠ حياة عسكرية وضبط وربط ونوم على الأرض ٠٠ وعدس برمله ٠٠ ورز بظلطه ٠٠ انما الحمد لله مانمتش فى المعسكر الا كام يوم يتعدوا على الصوابع ٠٠ كنت على طول بأنزل اجازات ٠

كان القائد يدينى تصريح بأسبوع والا عشر أيام ٠٠ ويكون عامل حسابه ومحضر لى شغل ٠٠ مرة عنده ٠٠ مرة عند حد قريبه ٠٠ مرة عند زميله ٠٠ أنزل أعمل الشغلانة ٠٠ أخلصها فى ثلاث أو أربع أيام أنا وشـطارتى ٠٠ وبقية الاجازة ألقط رزقى بره ٠٠ كان بيبقى هوه كسبان ٠٠ وأنا كمان ما باخسرش ٠٠ أخدت حاجة من الشغلانه اللى من طرفه أو ما أخدتش مش مهم ٠٠ آدينى ربنا بيفتحها عليه من أبواب تانيـــة ٠

فيه ضباط منهم لله ٠٠ يمصوا دم الواحد ٠٠ يمرمطوه فى بيوتهم وبيوت قرايبهم ٠٠ ويعملوا وذن من طين وودن من عجين ويأكلوا عرقه وماينطهوش ولا مليم ٠٠ ويقولوا كفاية عليك بنديك اجازة تشوف فنها

لقمة عيش ‧‧ وفيه نوع ثانى من الضباط ‧‧ بيعاملوا ربنا يستحرموا أن عسكرى يدق مسمار فى بيت واحد فيهم ومايخدش عرقه ‧‧ فعلا صوابعك مش زى بعضها ‧

أحلى حاجة بقى فى شغلانتنا دى ‧‧ ان الضرائب مابتعرفش سكتنا ‧‧ مش والنبى دى بلد تضحك ‧‧ يبقى راجل غلبان قاعد فى كشك متر فى متر ‧‧ والا حاطط باترينه فيها شوية سجاير ‧‧ وكل يوم والثانى بتوع الضرايب قارفينه ‧‧ حتى لو ما أخدوش منه حاجة ‧‧ آهه برضه بيقرفوه ‧‧ وأنا واللى زيى طالعين نازلين زى المناشير وما حدش يقدر يقول لينا انتوا بتعملوا ايه ‧‧ احسبى كده فيه كام صنايعى فى مصر ‧‧ وفيه كام حرفى ‧‧ وشوفى فيه كام مليون جنيه مفروض دول يسددوها للدولة ‧‧ مافيش حد منهم بيدفع حاجة ‧‧ لا همه ولا حتى أصحاب الأعمال اللى رؤوس أموالها كبيرة ‧‧ الوحيد الغلبان فى البلد دى هوه الموظف بتاع الحكومة ‧‧ مرتبه بتقصقصه الضرائب قبل ما يحطه فى جيبه ‧

أنا ماعنديش مانع أروح لحد بتوع الضرايب ‧‧ وأقول لهم يا جماعة أنا بيدخللى كذا جنيه فى الشهر ‧‧ شوفوا حق الحكومة كام وأنا حادفعه من عنيه الاثنين ‧‧ انما مارحش أنا أعمل كده ‧‧ وألاقى الناس الثانية بيمصوا دمنا ‧‧ وفى نفس الوقت عندهم ألاعيبهم اللى بيتهربوا بيها من دفع الضرايب ‧‧ عندك كام دكتور مشهور فى مصر ‧‧ وكام محامى ‧‧ وكام مكتب هندسى ‧‧ وكام محل تجارى ‧‧ وكام ‧‧ وكام ‧‧ تفتكرى حق الحكومة من الضرايب المفروض يدفعوها الناس دول كام ‧‧ أكيد ما يقلش عن دخلنا من السياحة والا قناة السويس ‧‧ انما المؤكد اللى بيندفع فعلا ملاليم ‧

أحلام الهجرة بطلتها خلاص ‧‧ انما لسه باحلم بانى أروح بلد عربى أقعد لى كام سنه وأعمل قرشين حلوين وأرجع ‧‧ ساعتها حيبقى عندى رأسمال مش بطال أقدر أعمل بيه مشروع ‧

أيام الدراسة كنت تقريبا خاطب واحدة زميلتى ‧‧ كان بينا قصة حب ‧‧ وكنا متعاهدين على الجواز أول ما نتخرج ‧‧ وأول ما ألاقى شغل ‧‧ وبعدين لما لقيت الحكاية حتطول ومافيش شغل ‧‧ وفكرت انى أشتغل مبلط قيشانى ‧‧ رفضت وقالت أقول ايه لأهلى وأصحابى لما يسألونى بتشتغل ايه ‧‧ ؟ ما كانش قدامنا حل اللا أننا نسيب بعض ‧

أمى دلوقتى بتدور لى على عروسه ‧‧ هيه مصره أن يكون معاها شهادة زيى ‧‧ عشان ما أبقاش أخذت واحدة أقل من اللى كنت عايز

أتجوزها ٠٠ أمي عرضت عليه بنات كثير معاهم شهادات عالية ٠٠ وماعندهمش مانع بالنسبة لحكاية شغلي ده ٠٠ انما لسه النصيب ماجاش ٠٠ وأنا بالنسبة لى مابقنش تفرق ٠٠ معاها شهادة والا مامعهاش ٠٠ أنا مش حاخليها تشتغل وتتمرمط ٠٠ تقعد وتتستت فى البيت أحسن ٠٠ حتاخد ايه من البهدلة فى الشوارع والمواصلات ٠٠ ده اللى حتاخده فى شهر ممكن أجيبه أنا فى يوم ٠٠ انما طبعا لازم ماتكنش جاهله يعنى بالقليله معاها ثانوية عامة عشان تعرف تربى الأولاد كويس ٠

أنا ما يهمنيش أن اللى حاتجوزها تكون غنية والا فقيرة ٠٠ المهم تكون متربية وعايزه تعيش ٠٠٠٠ لو فيه واحده حسيت أنها كويسه وماحيلتهاش حاجة ٠٠ مش حاتردد انى أخطبها ٠٠ حاخدها بهدومها ومش حاطلب من أهلها قشايه ٠٠ ربنا دلوقتى فتحها عليه ٠٠ والخير كثير ٠٠

البنت اللى حاتجوزها لازم تكون خام ـ احنا اتربينا على كده ٠٠ مافيش عندنا واحدة تصاحب واحد وياتجوزه يامنجوزوش ٠٠ أنا صحيح كنت مصاحب زميلتى ٣ سنين ٠٠ انما أنا كنت ناوى على جواز ٠٠ مش لعب ٠

الحالة رقم (٩) : الدراسة الثالثة ١٩٨٩ ـ ١٩٩٤

تزوج الحالة فى أعقاب دراسته السابقة بعدة شهور ٠٠ ولديه الان طفل يبلغ من العمر سنة واحدة ٠ والزوجة ابنة عمه وهى لا تعمل رغم حصولها على شهادة جامعية ٠٠ وقد تمكن خلال السنوات الماضية من الانتقال من نطاق العمل كمبلط للقيشانى الى مجال المقاولات فى تشطيب الشقق والعمارات السكنية الجديدة ٠٠ وهو حاليا شبه مسئول عن أسرته كبيرة العدد وخاصة عن أبيه الذى بلغ سن المعاش منذ سنتين ٠ والحالة يسكن فى شقة تمليك حاليا بعين شمس أيضا ولكن فى منطقة سكنية أرقى بدرجة كبيرة من تلك التى تسكن فيها أسرته الأصلية ٠

ولندع الحالة تتحدث عن نفسها :

ربنا فتح عليه من عنده ٠٠ ورزقى واسع دلوقتى والحمد لله ٠٠ أنا طول عمرى واصحابى وولاد حتتى حرفيين وصنايعية ٠٠ ولما ابتديت أشتغل فى حكاية تبليط القيشانى والسيراميك والناس عرفت انى مش مجرد صنايعى عادى ٠٠ ابتدت تقصـدنى فى أنى أدلهم على الصنايعية الكويسين ٠٠ ايشى عايز بتاع محارة ٠٠ واشى عايز نقاش ٠٠ واشى عايز سباك ٠٠ ابتديت من هنا أعرف السوق وأخش جواه وأعرف زخانيعه ٠٠ وشوية شوية انوسعت وبقيت آخد مقاولات كاملة على بعضها ٠٠ وربنا كرمنى آخر كرم وأمورى بقت عال العال ٠

وقت ما اتجوزت كانت حالتى المالية ابتدت تتبشبش٠٠يعنى القرش كان جرى فى ايدى ٠٠ اشتريت الشقة وفرشتها على الآخر ٠٠ ويا دوب أهل مراتى جابولها هدومها ٠٠ واشتريت لها اسـورة ذهب وسلسلة وخاتم ٠٠ وعملنا الفرح فى نادى من نوادى الجيش ٠٠ مراتى عاقلة قوى ومدبرة قوى وبتحط القرش والمليم فى محله ٠٠ عشان كده هيه أصرت اننا ما نتوسعش فى الفرح قوى ٠٠ وأحاسب على القرشين اللى كانوا معايا عشان أعمل مكتب للمقاولات بدال ما باشتغل كده من منازلهم ٠

مراتى كانت مخطوبة قبل كده كذا سنة ٠٠ وكان فيه كلام حواليها وحوالين خطيبها الأولانى ٠٠ عشان كده كان لازم نثبت لأهلى وأهلها انها

كانت بكر ساعة ما اتجوزنا ٠٠ ورينا العلامة لكل الأهل والجيران عشان خاطر كرامتها وسمعتها ٠

بعد الفرح سافرنا اسكندرية وقعدنا أسبوعين هناك فى شقة مفروشة عشان ناخد راحتنا أكثر ٠٠ عادة شهر العسل بيكون الفرصة الوحيدة ان العريس والعروسة يعرفوا بعض ويفهموا بعض ٠

أنا كنت طول عمرى ضد جواز القرايب ٠٠ لأنى خريج كلية علوم وعارف المشاكل اللى ممكن تحصل من جواز القرايب ٠٠ انما النصيب غلاب ٠٠ واللى كنت خايف منه حصل ٠٠ مراتى حملت وسقطت ٣ مرات ٠٠ الدكاترة بتقول ان رحمها ضعيف ٠٠ انما أنا بيتهيألى ان ده لأننا قرايب ٠٠ على العموم آخر مرة ربنا ستر ٠٠ انما هيه تعبت آخر تعب ٠٠ طول فترة الحمل ٠٠ من أول يوم فى الحمل الدكتور طلب انها تنام فى السرير وماتتحركش ٠٠ وبعد ما تمت ٣ شهور عمل الها عملية ربط رحم عشان ما يحصلش سقط تانى ٠٠ وأهه أخيرا والحمد لله بقى عنـدنا ولى العهد ٠

ابنى دلوقتى عنده سنة ٠٠ وأمى رفضت اننا نطاهره وهوه صغير٠٠ قالت نطاهره لما يبقى عنده ٣ أو ٤ سنين بس مش عارف ليه ٠

السبوع بتاع ابنى كان فرجة ٠٠ عملنا ليلة أجدع من الفرح بتاعنا ظيطه وأكل ومعازيم وملبس وحاجة كانت الحتة كلها بتحكى عنها ٠٠ وجاله نقوط أكثر من النقوط اللى جانا يوم جوازنا ٠٠ وعلى العموم كله سلف ودين ٠٠ لأن النقوط بيترد وأكثر كمان شوية ٠

طبعا احنا ناس ولاد بلد ٠٠ الراجل راجل والست ست ٠٠ انما الست الشاطرة هيه اللى تخلى جوزها يتصرف زى هواها وعلى مزاجها من غير ما تحسسه بالحتة دى ٠٠ وأنا مراتى شاطرة قوى فى الحكاية دى٠٠ يعنى دايما تقوللى ٠٠ ايه رأيك ان نعمل الشىء الفلانى ٠٠ مش برضه لو عملنا كذا يبقى أحسن ٠٠ أنا عايزة الشىء العلانى انما قلت الأول لازم آخد رأيك ٠٠ يعنى هيه فعلا بنت بلد ناصحة وواعية ويمكن اللى مساعدها فى كده انها متعلمة كمان ٠

رغم أنى متربى فى بيئة شعبية ٠٠ واتربيت على ان الراجل ليه الشغل بره البيت ٠٠ والست لها شغل جوه البيت ٠٠ انما لأنى باحب مراتى مابيهمنيش هيه عليها ايه وأنا عليه ايه ٠٠ يعني ممكن آكون واقف

على رجليه طول النهار قدام العمال٠٠ولما أرجع البيت ألاقيها تعبانة ٠٠ أقوم أنا داخل المطبخ ومحضر العشا ٠٠ أو آخد منها الولد وأخليها تخش تنام شوية ٠٠ أو أساعدها في تشطيف الولد أو أرضعه أو أغير له هدامه ٠٠ دى حتى لما كانت حامل وممنوعة من الحركة كنت أنا اللي باعمل تقريبا كل حاجة في البيت اذا أمي أو أمها فوتو يوم ماحوش فيه ٠

أمي بتزعل قوى لما تلاقيني باعمل حاجة في البيت ٠٠ وخصوصا لو حد غريب أو حد من الجيران حس اني باشتغل جوه البيت ٠٠ هيه شايفة انها قلة قيمة للرجل انه يعمل الشغل بتاع الستات ٠٠ انما أنا شخصيا شايف ان ده شيء عادي جدا لأني باشتغل جوه بيتي مش في بيت الجيران ٠٠ وأما أريح مراتي فده من باب حبي ليها وخوفي عليها ومش لأني ضعيف أو هفية ٠

مراتي كانت بتشتغل قبل ما نتجوز ، انما أنا ماضغطتش عليها انها تسيب الشغل ٠٠ هيه فضلت انها تقعد لأن مرتبها كان بيتصرف على اللبس والمواصلات ٠٠ وحبيت اني أرحمها من البهدلة ٠٠ وأنا باديها مصروف كل شهر لها شخصيا تحوشه تشتري بيه ذهب تديه لأهلها أو ترميه في الشارع وهيه حرة تعمل اللي تعمله بيه ٠٠ انما هيه اللي بتتولى الصرف على البيت ٠٠ يعني أنا باديها أول كل شهر مبلغ معين وهيه وشطارتها بقى تصرفه كله أو تحوش منه أنا ماليش دعوة٠٠انما الحمد لله عمرها ما جت قبل آخر الشهر وقالت ان الفلوس خلصت ٠

أنا باساعد أسرتي بمبلغ معين كل شهر ٠٠ ده أقل حاجة أعملها ليهم أرد بيها الدين اللي في رقبتي لأمي وأبويا٠٠ومراتي عمرها ما اعترضت على الحكاية دي ٠

احنـــا ما عندناش وقت فراغ نقضيه بره البيت ٠٠ البيت عندنا مفتوح زي دوار العمدة ناس داخلة وناس خارجة ٠٠ أهلي بيني وبينهم ناصيتين وأهل مراتي بينا وبينهم ٣ أو ٤ نواصي بنحب اللمة والعزوة ٠٠ والخير كثير والحمد لله ٠٠ وطبعا التليفزيون مفتوح من أول الارسال لحد ما ينتهي الارسال آهي حاجة تسلي اللي داخل واللي خارج ٠

الحالة رقم (١٠) الدراســـة الأولى ١٩٩٤

طالب فى السنة النهائية بكلية الآداب قسم التايخ ، الأب حاصل على بكالويوس الهندسة ، وكان يعمل فى قطاع الحكومة ‥ ولكنه قام مؤخرا بافتتاح ورشة للأعمال الكهربائية ، الأم حاصلة على مؤهل عال ، ولكنها لا تعمل ، الأسرة مكونة من ثلاثة أبناء بما فيهم الحالة موضوع الدراسة ‥ وهما طالب فى الثانوية العامة وطالبة فى السنة الثانية ثانوى ، الأب والأم من أصل ريفى ، ويصل دحل الأسرة الى حوالى ٤٠٠ جنيه فى الشهر ‥ المسكن مكون من ٤ حجرات وصالة ودورة مياه بمنطقة حدائق القبة ‥

ولنترك الحالة تتحدث عن نفسها :

بابا كان بيشتغل فى مصلحة التليفونات ‥ المرتب كان بسيط جدا ‥ كان عنده طموح انه يشتغل أعمال حرة ‥ ساب المصلحة ‥ وهوه دلوقتى بياخد نص معاش بس لأن مدة خدمه كانت قليلة ‥ كان فيه تحت البيت ورشة أصحابها عايزين يبيعوها ‥ ماما وبابا كان عندهم أرض صغيرة فى البلد باعوها واشتروا الآلات ودفعوا خلو لصاحب الورشة وصاحب العمارة ‥ انما المسكلة ان الحاجات دى عايزة واحد متمرن على التجارة ومعاملة الزباين من صغره ٠ بابا منفف وخجول ومافيهوش روح التجارة فالورشة يادوب ماشية بالعافية مع ان بابا شاطر جدا كمهندس ‥ هيه ورشة تصليح أدوات كهربائية ‥ انما معظم اللى جابهم يشتغلوا فى الورشة كانوا أولاد سوق ‥ كانوا بيسرقوه من غير مايحس ‥ ولحد دلوقت ‥ معاه اتنين بيساعدوه انما هوه مش واثق فيهم لأنه أخد مقالب كتير قبل كده ‥

صحيح احنا حالتنا دلوقتى كويسه والحمد لله ‥ وعايشين مرتاحين ‥ انما المشكلة ان كل الدخل بيتصرف أول بأول علينا وعلى البيت ‥ يعنى مافيش أى حاجة للمستقبل ‥ أنا صحيح لما أتخرج ممكن أشتغل فى الورشة وأساعد بابا فى ان دخل الورشة يزيد ‥ انما مهما اشتغلت حاحوش كام علشان أكون مستعد للجواز ‥ حاحوش كام علشان أقدر اشترى أو أأجر شـقة ‥ وأدفع مهر ‥ وتكاليف الزواج اللى مالهاش آخر ‥ يعنى انشاء الله كده على مايبقى عندى خمسين والا ستين سنة يادوب أكون عملت قرشين أقدر أجوز بيهم ٠

مشكلتى فى الكلية بتنحصر فى ان الكتب بتاعتنا كتيرة ·· وغالية ·· و كل سنة الدكاترة يغيروا حاجة فى الكتاب أو يعملوا كتب جديدة علشان مانقدرش ناخد كتب الطلبة اللى سبقونا بسنة ·· ونضطر نشترى كتب جديدة ·· أنا هوايتى انى أروح معرض الكتاب كل سنة ·· أو كل فرصة يكون فيها معرض ·· انما عادة باروح للفرجة ·· واذا ربنا أكرمنى قدرت أطلع بكتاب أو كتابين ·· وعادة مابيكونوش نفس الكتب اللى كان نفسى أشتريها ·· لأن سعر الكتاب الجيد بقى مرتفع جدا ·· وبيتهيألى مش أى واحد يقدر على الأسعار الحالية دى ·

المشكلة التانية ·· ان اتحاد الكلية مايعبرش عن القاعدة الطلابية ·· ولا الجامعة بتدينا الفرصة للتعبير عن الحاجات اللى جوانا ·· مافيش فى البلد كلها أى هيئة أو مؤسسة بنقدر نعبر فيها عن رأينا ·· المفروض يدونا فرصة اننا نتكلم ·· حتى لو كان الكلام غلط من وجهة نظر اللى ماسكين البلد ·· انما ده حق من حقوقنا خصوصا داخل الجامعة ·· لأن اذا ماقلناش اللى احنا عايزينه دلوقتى حنقوله امتى ·

أنا مش واثق ان بابا حيقدر يفضل فاتح الورشة ·· بينكلم كتير عن أنه يبيعها ويدور على شغل فى أى قطاع خاص ·· ده اذا حصل يبقى لازم أنا كمان أدور على شغلانه ·· أنا باترعب كل ما أفكر انى ممكن مالاقيش عمل فى القطاع الخاص ·· وأتوزع عن طريق القوى العاملة ·· أنا خايف يعينونى فى فرن والا فى جمعية تعاونية زى ما حصل لبعض زمايلى اللى متخرجين من قسم تاريخ ·

أنا عندى حيوية ونشاط واستعداد كبير على بذل أى نوع من الجهد ·· أنا مش متصور انى فى يوم من الأيام أبقى موظف زى الموظفين اللى بنشوفهم فى كل حتة ·· ماوراهمش حاجة الا قراية الجرنال ·· وحل الكلمات المتقاطعة ·· أنا أهون عندى انى أشتغل فى الفاعل انما ما أقعدش القعدة دى ·· على الأقل حاحس انى باعمل حاجة ··

ممكن أشتغل فى الحكومة لو كان فيه فرصة عمل فى مجال تخصصى ·· على الأقل بيكون ليها معاش مضمون ·· انما طبعا لو جت لى فرصة للهجرة لأى بلد عربى مش ممكن أضيعها ·

علشان أشتغل شغلانة كويسة لازم يكون ليه واسطة كويسة ·· لأن دلوقتى معايير الكفاءة والاجادة فى العمل ماعادتش موجودة ·· دى حاجات بندرسها نظرى ·· المعايير دلوقتى ازاى الواحد يكون عنده واسطة جامدة ·· وازاى يعرف يتحليط ·· وينافق ·· علشان أموره تمشى ··

أنا ليه خال أكبر منى بشويه ٠٠ كان ممتاز فى مستوى كفاءته فى الشغل ٠٠ وكان بيحب شغله جدا ٠٠ انما المدير بتاعه كان واخد منه موقف ما أعرفش ليه ٠٠ وبعدين حصلت ظروف ان خالى سافر بره وجاب هدايا لزمايله ومن بينهم المدير بتاعه ٠٠ الشىء الغريب ان الراجل اتغير ناحيته ٠٠ واختلفت معاملته ليه جدا ٠٠ ومن ساعتها وخالى بيعرف يمشى أموره ٠٠ يا بكلمة حلوه يا بحليطه ٠٠ يا بهدية ٠٠ وهوه اللى كسبان ٠

الواحد فقد الثقة فى العدالة الاجتماعية ٠٠ لأن المشكلة اللى معظم أفراد الشعب بيعانوا منها ان الدولة ماعرفتش تحمى الشعب ٠٠ سابت الحبل على الغارب لمجموعة قليلة عشان تتحكم فى بقية الناس ٠٠ والحكومة واقفة تتفرج ٠٠ أنا مش فاهم ازاى الدولة تسيبنا فريسه لبتوع الانفتاح الاقتصادى ٠٠ وللسباك ٠٠ والميكانيكى ٠٠ والدكتور ٠٠ والبقال ٠٠ والفكهانى ٠٠ والخضراتى ٠٠ وكل واحد فى ايده ورقة بيلعب بيهـا علشان فى الآخر يقش مننا احنا ٠٠ لو ان فيه نظام ضرايب صح ٠٠ ولو ان مافيش خراب فى زمم الكبار قبل الصغيرين ماكانش بقى ده الحال ٠

بابا لو كان من الناس اياهم كان زور فى المستندات علشان يتهرب من الضرايب ٠٠ انما لأن عنده مبادىء ٠٠ واشتغل الشغلانه دى على كبر بيحسبهـا بالقرش والمليم ٠٠ وبيقول ده نوع من الزكاة لازم ندفعـه بالمليم ٠٠ وعلشا نكده مكسب الورشة يا دوب فاتح البيت ٠٠ أنا مقتنع ان ده خير وبركة من عند ربنا ٠٠ انما الواحد بيتألم لما بيحس انه بيخسر من ورا القيم ٠٠ على حين ان ناس كتير من اللى بيشتغلوا فى الأعمال الحرة والحرف ممكن يبيعوا نفسهم للشيطان علشان يزودوا أرباحهم ٠٠ وتكون النتيجة ان همه يبقوا عايشين أحسن مننا بمراحل مع ان مجال العمل قريب من بعضه ٠

العيب فى المجتمع بتاعنـا ان مفيش تخطيط ٠٠ حاجة ماشـيه بالارتجال أو بالقدرة ٠٠ كل وزير ييجى يلغى اللى عمله الوزير الأولانى ويبدأ من جديد ٠٠ حتى الرؤساء بتوعنا دايما الحاجات اللى اتعملت قبل مايبقوا فى الحكم ٠٠ بيشوهوها بالرغم من انهم أحيانا بيكونوا مشتركين فيها ٠٠ عندك مثلا ثورة التصحيح ٠٠ سمعنا عنها ٠٠ وسمعنا عن التهم اللى مالهاش آخر من مراكز القوى ٠٠ هوه اللى عمل ثورة التصحيح مش كان فى الحكم أيام مراكز القوى والا ايه ٠٠ ؟

من العيوب الموجودة اللى هيه السبب فى التخلف اللى بنعانى منه ٠٠ حكاية الروتين ٠٠ الواحد بقى بيخاف يدخل مكتب من مكاتب الحكومة

علشان يخلص أوراق له ‥ أنا أحيانا كثيرة باخلص حاجات خاصـــة بالورشة ‥ زى الضرايب أو التأمينات ‥ الكلمات اللى الواحد بقى يكره يسمعها كلمة فوت علينا بكره ‥ واصبر مفتاح الفرج ‥ وعيه الدنيا طارت ‥ ومعلهش ‥ وخلى بالك طويل ‥ والأكثر من كده لما واحد بقولك عيني عينك ‥ فتنخ مخك وهيه تمشى ‥ فتح مخك يعنى يا اما رشوة يا اما تشوف واسطة يخلص لك الشغل بتاعك ٠

علشان الواحد يمشى حاله أو يخلص مصالحه لازم يفقد ضميره علشان يعامل الناس زى مابيعملوه ‥ يعنى اما انه يشوف واحد على مستوى ياخد منه كارت ‥ أو يكون ليه صديق فى الجهة أو الادارة اللى ليه فيها مصلحة ‥ واما بقى وده اللى ماشى دلوقت انه يدفع رشاوى علشان مصلحته تتقضى ٠

وقت فراغى باقضيه فى الورشة انما بعد الورشة ماتقفل باقضى الوقت مع أصحابى ‥ نتفرج عادة على الفديو عند أى واحد من الشلة أحيانا مسرحيات أو أفــلام جديدة وأحيانا بسيطة أفــلام جنسية ‥ الموضوع بتاع الأفلام الجنسية ابتدى من ان واحد صاحبى والده اشترى أفلام جنسية وهوه راجع من الخارج ‥ وصاحبى شافها بالصدفة ‥ وانفرجنا عليها مرة وأهله مسافرين ‥ وبعد كده بقينا نأجر الأفلام دى من نادى فديو معين احنا عارفينه ‥ وندور مين من الشلة أسرته مش موجودة فى البيت لأى سبب ونتفرج عليها عنده ‥ الأفلام دى غالية شوية ‥ انما بنشترك فى ثمنها ‥

أنا غاوى قراية جدا ‥ انما الكتب ثمنها غالى على ‥ لأنى مش حاقدر أشترك فى ثمنها مع حد ‥ أنا كنت بالعب رياضة زمان انما فى الجامعة مافيش مجال للهواه ‥ بيهتموا بس بالناس اللى ممكن يدخلوا بيهم مباريات أو مسابقات ‥ واحنا مش مشتركين فى نادى النوادى بتطلب مبلغ جامد كاشتراك مبدئى ‥ ده اذا فتحت باب العضوية ‥

أنا جربت الحشيش مرة واحدة من باب العلم بالشىء ‥ انما أنا مش مقتنع بيه ‥ حتى لو معايا فلوس زيادة ‥ أفضل انى أشترى بيها كتب أو أتفسح بيها ‥ انما ما أصرفهاش على الحشيش ٠

يا دوب دلوقتى الحكومة حست ان عليها ديون ‥ وعايزة الشعب يساهم فى تسديدها ‥ الأول تعمل كشف حساب الفلوس اتصرفت فى ايه ‥ دى أى أسرة عادية لازم تعمل كشف حساب تشوف الدخل قد ايه واللى اتصرف قد ايه ‥ واتصرف على ايه ‥ الدولة بالنسبة للموضوع ده زى الأسرة بالضبط ‥ مسئولة قدامنا انها تورينا فلوس الشعب

بتروح فين ٠٠ أنا شخصيا لو معايا اللى أقدر أساهم بيه حافكر مليون مرة أساهم والا لأ ٠٠ وغالبا حيكون لأ ٠

التحليل والتعليق على الحالة

تمثل أسرة الحالة نموذجا من النماذج التى بدأت أن تشق طريقها من خلال العمل الحر غير الحكومى ، وذلك أملا منها فى مزيد من الدخل حتى تتمكن من مسايرة الأوضـــاع السائدة ، الا أن مستوى الأب التعليمى المرتفع ، وارتباط هذا المستوى بمجموعة من القيم والقواعد الأخلاقيه جعله لا يتمكن من أن يتشق طريقه بنجاح فى مجال العمل الحرفى الحر أسوة بالآخرين من أصحاب الأعمال الحرفية ٠

فعلى الرغم من معاناة الأسرة فى سبيل الاستقلال باحـدى ورش الأعمال الكهربائية ، والتى من المعروف أنها تدر أرباحا كبيرة ، الا ان القيود الأخلاقية التى اتبعها صاحبها والمتمثلة فى الالتزام المطلق بدفع كاسة الضرائب ، حدت من قيمة العائد المادى لهذا العمل ، بالاضافة الى استغلال العاملين بالورشه عدم خبرة ودراية صاحبها بالأعمال التجارية فى القيام باختلاس جانب من الدخل ٠

ويغطى دخل ألأسرة احتياجاتها الأساسية بصورة مناسبة ، الا أن المستقبل يمثل الأزمة الكبرى فى حياة الحالة ، حيث يرى عدم امكانيه مواجهة الحياة فى المستقبل من خلال المرتب الحكومى المحدود ، بالاضافه الى ما يمثله العمل الحكومى من اهدار لقوة ونشاط وحيوية الشباب ، وذلك بسبب البطالة المقنعة بين فئات موظفى الدولة ، وتكدس المكاتب بمن لا عمل لهم ٠ ومن ثم فهو ضائع بين أن يقوم بالعمل فى الورشة مع والده ، وبين اضطراره لقبول العمل الحكومى اذا قام والده ببيع الورشه لعدم انتاجيتها ، كما أنه موزع بين هاتين الفكرتين وبين الرغبة فى الهجرة الى احدى الدول العربية بهدف تأمين مستقبله ٠

وقد أدى غموض وعدم وضوح الرؤية المستقبلية بالنسبة للحالة مثله فى ذلك مثل سائر الشباب الى ادراك مدى التناقضات الحادة فى المجتمع ، فهو يرى أوجه التناقض داخل الكلية ممثلة فى اتجاه بعض الأساتذة الى تغيير أو تعديل الكتب التى يعتمد عليها الطلاب فى الدراسة ، بدافع تحصيل أكبر عائد من وراء توزيعها ، رغم علم هؤلاء الأساتذة بالضغوط الاقتصادية التى تحياها الشريحة الكبيرة من المجتمع ٠

وهو يرى هذا التناقض فى الهدف من انشاء الاتحادات الطلابية ، والذى يتمثل فى تمكين الطلاب من التعبير عن أنفسهم ، حيث يتناقض

ذلك مع ما هو قائم بالفعل ، بالاضافة الى عدم اهتمام الدولة بتكوين قنوات يستطيع الشبا بمن خلالها التعبير عن آرائهم ومعاناتهم ٠

وتنعكس المتناقضات التى يزخر بها المجتمع على ثقة الحالة فى المعايير المتعلقة بالكفاءة ، والاجادة فى العمل ، ويرى أن الوساطة والنفاق هى المعايير السائدة ، ومن ثم فان على الشخص أن يتلاءم مع تلك المعايير الجديدة ويقوم بمسايرتها ٠

وقد أدت هذه المتناقضات الى انعدام ثقة الحالة فى العدالة الاجتماعية ، حيث يلقى العبء على سياسة الحكومة التى لم تتمكن من حماية أفراد المجتمع من جشع الفئات الحرفية وفئة الانفتاح الاقتصادى ، اذ لم تتمكن الدولة من اقامة نظام ضرائبى سليم يقوم بالحد من عمليات التلاعب الضرائبى ، التى تعود نتائجها السلبية على الأغلبية من أفراد المجتمع ٠

كما أدت هذه المتناقضات الى نقده الحاد للتعقيدات الادراية والروتين والبيروقراطية التى تعوق مصالح الأفراد ، والتى سرعان ما تنحسر أمام الرشاوى التى يقدمها أصحاب المصالح ، أو الاستعانة بأى نوع من أنواع الوساطة لانجاز مصالحهم ، مما يؤدى بالأفراد الى النزوع نحو التخلى عن قيمهم رغبة منهم فى مجاراة الجو العام ٠

وعلى الرغم من أن كيفية قضاء وقت الفراغ لا تعتمد بالضرورة على الأوضاع الاقتصادية للفرد ، الا أن هذه الأوضاع لم تيسر للحالة ممارسه مجالات هواياته ، وخاصة بالنسبة لمجالى القراءة والرياضة ، فى الوقت الذى يقوم فيه بتوجيه جانب من مصروفه الشخصى فى مشاركة أصدقاءه استئجار الأفلام الجنسية ، وهذا يعكس التأثير السلبى لاستخدام أجهزة الفديو ، حيث مهدت لشكل جديد من الانحرافات الأخلاقية التى لم تكن شائعة فى المجتمع من قبل ٠

وقد أدت أزمة الثقة فى مؤسسات الدولة الى شعور الحالة بالانسلاخ عن الدولة ، وعدم التعاطف معها بالنسبة لقضية تسديد الديون ، لعدم ايمانه بحقيقتها وأبعادها ، والأوجه التى أنفقت فيها ، ومن ثم فهو يرى أن على الدولة تقديم كشف حساب لأفراد المجتمع عن أوجه انفاق هذه المبالغ ٠

أما عن انطباعاتى الخاصة عن الحالة ، فقد لاحظت أنه يعانى الى حد كبير من عدم الثقة فى النفس ، حيث يتعارض ذلك مع أناقته البادية

واهتمامه الكبير بملابسه • وتتجلى مظاهر عدم الثقة فى النفس فى اتجاهه بنظرات الى الأمام وهو يتحدث معى • كما كان يكف عن الحديث فجأة كلما شعر أن هناك من يقترب من مكان جلوسنا ، وكان ينتظر منى دائما أن أكون المبتدئة بالحديث وكأنما يخشى أن يتجه حديثه وجهة لا تتفق مع وجهة نظرى • كما كانت قدرته على الربط بين الموضوعات ضـئيلة وضعيفة الى حد كبير ، بحيث كنت فى كثير من الأحيان أعاود السؤال مرة أخرى وبطريقة تختلف عن سابقتها ، حتى أستطيع أن أستشف آراءه وأفكاره التى لم يستطع أن يعبر عنها بصورة تلقائية مباشرة ، مما عكس عليه مظهر الشخصية المهتزة غير الواثقة ، والتى يتصارع فيها داخله مع خارجه •

الحالة رقم (١٠) الدراسة الثانية ١٩٨٤ ـ ١٩٨٩

الشاب صاحب الحالة متزوج منذ ثلاث سنوات ، أى عندما كان يبلغ من العمر ٢٤ سنة ٠٠ وهو يعمل حاليا فى الورشة التى يمتلكها والده ٠٠ ولديه طفلة لها من العمر سنة واحدة ٠٠ ويعيش الحالة مع زوجته فى منزل أهل الزوجة منذ زواجهم وحتى الآن ٠٠ دخله الشهرى يصل الى نحو ٥٠٠ جنيه ٠٠ بالاضافة الى مرتب زوجته الذى يصل الى نحو ٢٠٠ جنيه شهريا ٠

ولندع الحالة تتحدث عن نفسها :

أول ما اتخرجت فكرت انى أخلص الأول الخدمة العسكرية ٠٠ انما كنت حاطط عينى على بنت الجيران وكان أهلها عارفين انى عايز أخطبها٠٠ وكانت والدتها بتلح انى أتقدم لها ٠٠ خفت انى لو رحت الجيش تطير منى وتتخطب لحد تانى ٠٠

كان نفسى أتجوز واحدة معاها شهادة زيى ٠٠ انما كنت خايف أنها تعمل راسها برأسى ٠٠ وتترسم عليه٠٠وتبقى طلباتها كثيرة٠٠وخصوصا أن ماعنديش شقة ٠

خطيبتى أصغر منى بثلاث سنين ٠٠ انما مخها يوزن جبل ٠٠ عاقله قوى ومؤدبه قوى ٠٠ على العموم أنا شخصيا عمرى ما مشيت مع بنت ٠٠ حتى البنات اللى كانوا بيصاحبونى ٠٠ كنت باحلم بيهم من بعيد لبعيد ٠

والدى كان على المعاش ٠٠ وكان من حقى انى أأجل الجيش ٠٠ لحد ما أخويا يتخرج ٠٠ على بال أخويا ما يتخرج ويروح الجيش ٠٠ حاكون أنا عديت سن التجنيد ٠٠ عشان كده ما دخلتش الجيش ٠٠ لما اتقدمت لخطوبة بنت الجيران اللى قلت لك عليها ٠٠٠ كان معروف أنى مش حاقدر أتجوز بسرعة لأن ماعنديش شقة ٠٠ وشقة أهلى يا دوب كانت مكفيانا ٠٠٠ مامتها عرضت عليه أن نتجوز ونقعد معاها فى الشقة لأنهم قاعدين لوحدهم ٠٠ بصراحة كانت فرصة ماحدش يرضى يضيعها ٠٠ لأن ده كان معناه ان مش حيكون مطلوب منى شقة ولا مهر ولا أدوات كهربائية ٠٠ وعموما همه مبسوطين ٠٠ مامتها ساعدتنى فى ثمن الشبكة ٠٠ وماخلتنيش أتكلف قرش واحد فى الجواز ٠

وفعلا اتجوزنا بعد ما اتخرجت بسنة وشوية ٠٠ وقاعد فى بيت أهل مراتى ٠٠

مراتي بتشتغل من زمان ما أول ما أخدت دبلوم التجارة ٠٠ مرتبها دلوقتي حوالى ٢٠٠ جنيه لانها بتشتغل فى شركة قطاع خاص لما ولدت كانت عايزه تاخد اجازة سنة والا اتنين عشان تربى البنت ٠٠ أنا خفت ان الشغل بتاعها يستغنى عنها ويعين حد تانى ٠٠ فأقنعتها أنها ترجع للشغل وماتشلش هم البنت ٠٠ لأن مامتها موجودة فى البيت ٠٠ وكمان أهلى قريبين مننا ٠٠ وفعلا رجعت الشغل بعد ٣ شهور من الولادة ٠٠ لأن احنا محتاجين كل قرش نقدر نوفره ٠٠ عشان ننتقل فى شقة نقعد فيها لوحدنا ٠٠ لأن حماتى متعبة ومسيطرة على بنتها وبتدخل فى كل حاجة ٠٠ وساعات بتقويها عليه ٠

من قبل ما أتخرج وأنا ماعنديش أمل انى ألاقى شغلانة كويسة ٠٠

أنا متخصص فى التاريخ ـ عمرى ما حالاقى شغل الا فى الحكومة٠٠ كان ممكن أصبر لحـد ما أتعين ٠٠ انما كنت حآخد ايه ٠٠ ده مرتب الحكومة مايكفبش العيش الحاف ٠٠ طبعا كنت أتمنى انى أشتغل فى مجال تخصصى ٠٠ انما مش كل حاجة الواحد يعوزها بياخدها ٠٠ عموما اللى باكسبه دلوقت من الورشة قد اللى حاخده من الوظيفة عشر مرات ٠٠ وعشان كده كنت بانزل أقعد فى الورشة وأساعد بابا ٠٠ وقدرت أكتسب خبـرة فى الكام سنة اللى فاتت ٠٠ حسـبت انى حتى لو اشتغلت أى شغلانه ٠٠ حأكون مربوط برضه بالورشة ٠٠ لأنى أكبر اخواتى ٠٠ ولأن بابا صحته تعبت ٠٠ ولأن برضه الورشة دخلها كويس ٠٠ يعنى أهو دخلها فاتح بيت والدى ٠٠ وفاتح بيتى أنا كمان ٠

بابا دلوقتى ساب كل حاجة تقريبا عليه ٠٠ خصوصا الحاجات اللى بتحتاج احتكاك بالناس سواء جوه الورشة أو بره الورشة ٠٠ زى محاسبة العمال ٠٠ أو التعامل مع هيئة التأمينات ٠٠ أو بتوع الضرايب٠٠ بابا كان حقانى قوى ٠٠ وما بعرفش يلف ويدور ٠٠ السوق دلوقتى مش عايز كده ٠٠ الواحد لازم يفتح مخه عشان يمشى حاله ٠٠ والشطاره أن الواحد يعرف الانسان اللى بيتعامل معاه بساوى ايه ٠٠ لأن كل واحد له ثمن ٠٠ ممكن واحد يكون ثمنه سجاره زى عسكرى المرور اللى واقف فى حته مافيهاش ضغط مرور جامد٠٠انما لو العسكرى واقف فى ميدان٠٠ ثمنه بيزيد لربع جنيه أو نص جنيه ٠٠ وقيس على كده بقى كل الناس اللى الواحد بيتعامل معاهم من ساعة ما يصحى من النوم لحد ما ينام ٠٠ ابتداء من بواب العمارة لحد أكبر راس فى البلد ٠

الحالة رقم (١٠) الدراسة الثالثة ١٩٨٩ ـ ١٩٩٤

يبلغ عمر الحالة حاليا ٣٣ سنة ٠٠ وهو متزوج منذ سبع سنوات ولديه طفلة تبلغ الخامسة من العمر وطفل فى الثانية من عمره ٠٠ وما زال يعيش مع زوجته فى منزل أسرتها ٠٠ وتعانى الزوجة حاليا من البطالة بعد استغناء مصنع البردى الذى كانت تعمل به عنها ٠٠ وهى فى حالة دائمة من البحث عن عمل ٠٠ ولا زال يعمل فى ورشة والده ٠

ولندع الحالة تتحدث عن نفسها :

الفرح بتاعنا كان فرح بسيط جدا ٠٠ عملناه فى دار للمناسبات لأن ظروفنا المالية ماكانتش تساعدنا أن نعمله فى نادى أو فى أوتيل ٠٠ ومراتى عاقلة جدا ومابيهمهاش المظاهر وعايزة تعيش ٠٠ عشان كده كان من رأيها أن الفرح يكون فى أضيق الحدود ٠٠ لدرجة انها استلفت فستان الفرح من واحدة صاحبتها ٠٠ كانت بتقول خسارة ان نحط ٣٠٠ أو ٤٠٠ جنيه فى فستان حيتلبس مرة واحدة وبعد كده يتركن أو يتشحت ٠٠ حتى الشبكة طلبت انها تكون حاجة بسبطة لمجرد الذكرى ومش مهم ثمنها كام ٠

ما عملناش شهر عسل زى النـاس ما بتعمل ٠٠ يا دوب قفلت الورشة ٣ أيام وبعد كده نزلت الشغل ٠٠ ما كانش معانا فلوس نروح أى حتة ولا حتى اسكندرية ٠٠ لأن دخل الورشة بيتقسم بينى وبين والدى واخواتى ٠٠ ومافيش حاجة زيادة نقدر نتفسح بيها ٠

كان نفسى يبقى عندى ٣ أو ٤ أولاد٠٠انما الحياة صعبة والمصاريف كثير ٠٠ ومراتى حالتها الصحية على قد حالها رغم ان أمها عايشة معانا وشايلة كل مسئوليات البيت ٠٠ وعشان كده بنقول كفاية علينا الولد والبنت ٠

مراتى بتشتغل من زمان أول ما أخـدت دبلوم التجارة ٠٠ كانت بتشتغل فى قطاع خاص ٠٠ لما ولدت أول مرة كانت عايزة تاخد اجازة سنة والا اثنين عشان تربى البنت ٠٠ أنا خفت ان الشغل بتاعها يستغنى عنها ويعين حد تانى ٠٠ فأقنعتها انها ترجع الشغل ٠٠ وفعلا رجعت الشغل بعد ٣ شهور من الولادة ٠٠ لأن احنا محتاجين كل قرش نقدر نوفره عشان ننتقل في شقة نقعد فيها لوحدينا ٠

الحلم الوحيد اللى فى حياتى .. انى أسكن أنا ومراتى فى شقة لوحدنا .. أنا حاسس انى مش متجوز مراتى بس .. انما كمان متجوز أمها معاها .. بتحط مناخيرها فى كل حاجة .. وبتحشر نفسها فى كل صغيرة وكبيرة .. ساعات باحس انها بتقوى بنتها عليه ودايما بتقف جنب بنتها حتى ولو غلطانة .. انما اللى مخلينى أستحملها ان مراتى عاقلة قوى وبتحاول على قد ما تقدر انها تبعد أمها عن التدخل فى حياتنا .

الحياة بقت صعبة قوى .. وكل حاجة بقت غالية نار .. والحاجة الوحيدة التى بترعبنى ان حد مننا يجيله مرض خطير أو يحتاج لعلاج غالى ونتبهدل فى المستشفيات .. مراتى ناصحة قوى علطول بتعمل جمعيات لأن أنا ايدى مخرومة وماباعرفش أحوش حاجة .. أو على الأصح نقدر نقول ان اللى جاى على قد اللى رايح .. ولولا الجمعيات دى ماكناش عرفنا نواجه الظروف اللى ممكن البنى آدم يقابلها .. زى حكاية الصفرا اللى جت لبنتى الصغيرة .. بعد الولادة .. لولا الجمعيات لا كانت أمها قدرت تولد فى المستشفى ولا كنا قدرنا نحط البنت فى الحضانة .

رغم انى اتجوزت مراتى عن حب لأنها كانت جارتنا .. الا أنهـا مجنـونة بحاجة اسـمها الغيرة .. يمكن دى أكثر حاجة بتعكنن علينا حياتنا .. بيتهيأ لها ان أى واحدة باكلمها تبقى حطه عينها عليه وأنا طبعا بابقى مبسوط لما أحس انها بتغير عليه .. لأن ده دليل على حبها ليه .. انما ساعات بتزودها وتخلينى مش طايق أقعد فى البيت .

أنا ماليش فى شغل البيت أو المساعدة فى أى حاجة فى البيت .. أولا لأن أنا ما اتعودتش على كده عند أهلى .. وثانيا ان حماتى عايشة معانا .. وتقريبا شايلة هم كل حاجة فى حياتنا .. وان كان كل شىء بثمنه .. لأنها بتمشى حياتنا كلها بالطريقة اللى بتعجبها .. بيتهيأ لى لو كنت أنا ومراتى عايشين لوحدنا كنت أكيد حا أساعدها فى شغل البيت ورعاية الأولاد لانها بتشتغل زيى زيها ويبقى صعب عليها انها تشتغل بره وجوه .

مراتى مابتعملش فرق بين فلوسها وفلوسى .. كلها فلوس البيت والأولاد .. وهيه شايفة ان كل قـرش بييجى من الورشة بيتحط فى ايديها .. وعشان كده هى بتحط كل مرتبها فى البيت رغم ان أمها دايما تقول لها انها لازم تشيل فلوسها للزمن وتأمن مستقبلها .

أنا مش ضد ان الست يبقى لها فلوسها الخاصة اللى بتكسبها من شغلها .. انما الوضـع بيختلف لما يكون دخل الزوج محدود وتكون طموحات الزوجين أكبر من الدخـل ده .. فى الحالة دي مفروض ان

مصروفات الأسرة تعتمد على دخل الاثنين لأن دخل الراجل لوحده مش ممكن يكفى فى الزمن اللى احنا فيه ده ٠٠ دى مصروفات المدرسة بتاعة بنتى تفتح لوحديها بيت ٠٠ انما كان لازم نوديها مدرسة كويسة عشان نضمن مستوى تعليم كويس ٠

بيتهيأ لى ان مافيش بيت فى مصر الا واتأثر بمشكلة الارهاب بشكل أو بآخر ٠٠ يعنى مثلا مراتى بقالها سنة تقريبا مابتشتغلش ٠٠ وطول النهار عمالة تقرأ اعلانات الوظائف الخالية فى الجرائد ٠٠ مراتى بعد الشركة الاستثمارية اشتغلت فى مصنع بردى ٠٠ ويا دوب بعد شهرين ثلاثة ٠٠ المصنع استغنى عنها وعن مجموعة كبيرة من اللى كانوا بيشتغلوا هناك ٠٠ لأن سوق السياحة لما انضرب بسبب الارهاب ٠٠ صناعة البردى انضربت برضه ٠٠ على العموم احنا أحسن من غيرنا كتير ٠٠ أنا الحمد لله عندى شغلى ٠٠ وأقدر أفتح البيت وأصرف عليه من دخل الورشة ٠٠ انما المصيبة بقى بالنسبة للى بيشتغلوا فى مجال السياحة وماعندهمش مصدر دخل تانى ٠٠ المفروض ان الحكومة تعدم فى الميادين العامة كل واحد يثبت فعلا انه اشترك فى أى عمل ارهابى ٠٠ ده أقل جزاء للناس اللى زى دول ٠

قائمة المراجع العربية والأجنبية

أولا : المراجـع العربيـة

أولا ـ المراجـــع العربيـــة :

ـــ القــرآن الــكريم .

مؤلفـــات وبحـــوث ومقـــالات :

١ ـ ابراهيم سعد الدين ، المرأة الريفية والتعاونيات ، الندوة الدولية عن المرأة الريفية والتنمية ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٠ .

٢ ـ ابن خلدون ، ساطع الحصرى ، أحاديث فى التربية والاجتماع ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، سنة ١٩٨٥ .

٣ ـ اجلال اسماعيل حلمى ، دراســات عربية فى علم الاجتماع الأسرى ، دار القلم للنشر والتوزيع ، الطبعــة الأولى ، دبى ، ١٩٩٠ .

٤ ـ أحمد أبو زيد ، البنــاء الاجتمــاعى ، مدخل لدراســة المجتمع (الانساق) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثالثة ، الاسكندرية ، سنة ١٩٧٩ .

٥ ـ أحمد النكلاوى ، القاهرة ، دراسة فى علم الاجتماع الحضرى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٨٠ .

٦ ـ أحمد بدوى ، فى موكب الشمس ، الجزء الأول فى تاريخ مصر الفرعونية من فجره الصادق حتى آخر الضحى ، الطبعة الأولى ، مطبعة لجنة البيان العربى ، سنة النشر لم تذكر .

٧ ـ أحمد حسين ، موسوعة تاريخ مصر ، الجزء الثالث ، دار الشعب، القاهرة ، سنة ١٩٧٣ .

٨ ـ أحمد صادق سعد ، صفحات من اليسار المصرى فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، سنة ١٩٧٦ .

٩ ـ أحمد عامر ، المرأة المصرية والمشاركة السياسية ، مؤتمر حول

بعض الجوانب الاجتماعية والقانونية للمرأة فى مصر ، المطبعة العربية الحديثة ، الاسكندرية ١١ ــ ١٦ يونيو ١٩٨٨ ·

١٠ ــ أحمد عامر ، نظام الثأر كحقيقة حضارية والضبط السياسى فى سيناء والصعيد والصحراء الغربية ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٢ ·

١١ ــ أحمد عبد الله ، التمثيل السياسى للشباب المصرى ، مؤتمر الحوار الوطنى للنقابة العامة للمحامين ، القاهرة ، ٩٤/٣/٢٧ ــ ٩٤/٤/١٤ ·

١٢ ــ أحمد مجدى حجازى ، العمل المنتج وقضايا التخلف فى العالم الثالث ، رؤية سوسيولوجية ، ندوة الفلاحون والتغير الاجتماعى فى العالم العربى ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ، ٦ ــ ٨ مايو ١٩٨٦ ·

١٣ ــ أرنست هلجارد ، مختارات من علم النفس ، ترجمة عبد الرحيم عجاج ، سلسلة الألف كتاب ، عدد ١٥٤ ، دار الطباعة الحديثة ، القاهرة ، سنة النشر لم تذكر ·

٢٤ ــ اسماعيل حسن عبد البارى ، المرأة والتنمية فى مصر ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، سنة ١٩٧٨ ·

١٥ ــ الرازى ، مفاتيح الغيب ، الشهير بالتفسير الكبير ، الجزء الثانى، دار النشر لم تذكر ، سنة النشر لم تذكر ·

١٦ ــ الزمخشرى ، الكشاف عن حقائق التنزيل وتجديد الأقاويل فى وجوه التأويل ، الجزء الأول ، دار النشر لم تذكر ، ١٩٦٦ ·

١٧ ــ السيد الحسينى ، نحو نظرية اجتماعية نقدية ، سلسلة علم الإجتماع المعاصر ، الكتاب الحادى والخمسون ، القاهرة ، سنة ١٩٨٤ ·

١٨ ــ السيد الحسينى ، المدينة ، دراسة فى علم الاجتماع المصرى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٨٠ ·

١٩ ــ السيد محمد عاشور ، مركز المرأة فى الشريعة اليهودية ، دار الاتحاد العربى للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٤ ·

٢٠ ــ أوسفالد كوله ، ولدك هذا الكائن المجهول ، ترجمة أمين رريحه ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٤ ·

٢١ ــ اسيبوف ، قضايا علم الاجتماع ، دراسة نقدية لعلم الاجتماع

الرأسمالى ، ترجمة سمير نعيم وفرج أحمد فرح ، دار المعارف ، ١٩٧٠ .

٢٢ – باسمة كيال ، سيكولوجية المرأة ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، سنة ١٩٨٣ .

٢٣ – برتراند راسل ، نحو عالم أفضل ، ترجمة درينى خشبة ، وعبد الكريم أحمد ، العالمية للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٥ .

٢٤ – بنجامين سبوك ، حديث الى الأمهات ، ترجمة منير عامر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٧ .

٢٥ – بنجامين سبوك ، موسوعة العناية بالطفل ، ترجمة عدنان كيالى وآخرون ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٥ .

٢٦ – جابريل بيير ، دراسات فى التاريخ الاجتماعى لمصر الحديثة ، ترجمة عبد الخالق لاشين ، وعبد الحميد فهمى الجمال ، مكتبة الحرية ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، سنة ١٩٧٦ .

٢٧ – جالبريث ، جون كينيث ، ترجمة محمد ماهر نور ، أضواء على التنمية الاقتصادية ، عالم الكتب ، القاهرة ، سنة ١٩٦٢ .

٢٨ – جورج بلتخانوف ، تطور النظرة الواحدية للتاريخ ، ترجمة محمد مستجير مصطفى ، سلسلة السياسة والمجتمع ، دار الطليعة ، بيروت ، سنة ١٩٧٥ .

٢٩ – جوكوفسكايا ، أحاديث عن تربية الأطفال ، دار التقدم ، موسكو ، سنة ١٩٧٧ .

٣٠ – جمال سليم ، البوليس السياسى يحكم مصر ١٩١٠ – ١٩٥٢ ، القاهرة للثقافة العربية ، سنة ١٩٧٥ .

٣١ – حسن شحاتة سعفان ، الموجز فى تاريخ الحضارة والثقافة ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

٣٢ – ديفيد هلنج ، فجوة البناء التحتى ، مقال فى كتاب الاقتصاد والمجتمع فى العالم الثالث ، ترجمة محمد الجوهرى وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢ .

٣٣ – رالف ل. بيلز وهارى هويجر ، مقدمة فى الانثروبولوجيا العامة ، ترجمة محمد الجوهرى ، ومحمد السيد الحسينى ،

الجزء الأول ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٦ ٠

٣٤ ـ رمزى زكى ، مشكلة التضخم فى مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، سنة ١٩٨٠ ٠

٣٥ ـ زينب عبد المولى ، المرأة والعمل ، مطبعة الحرية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٩٣ ٠

٣٦ ـ زيدان عبد الباقى ، علم الاجتماع الاسلامى ، الطبعة الثانية ، مطبعة السعادة ، سنة ١٩٨٤ ، ص ٣١ ٠

٣٧ ـ سالم عبد العزيز محمود ، المعوقات الاجتماعية والاقتصادية لتخطيط التعليم ، دراسة تطبيقية على ظاهرة التسرب فى التعليم الابتدائى فى مصر ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، قسم الاجتماع كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، سنة ١٩٧٦ ٠

٣٣٨ ـ سامية الساعاتى ، الدور الوظيفى للزوجين فى الأسرة المصرية، دراسة دكتوراه غير منشورة ، قسم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٣ ٠

٣٩ ـ سامية الساعاتى ، الاختيار للزواج والتغير الاجتماعى ، الطبعة الثانية ، دار الفكر والثقافة ، القاهرة ، سنة ١٩٧٢ ٠

٤٠ . سعاد عثمان أحمد ، الجيرة ، دراسة انثروبولوجية لمجتمع محلى حضرى ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، قسم الاجتماع ، كلية البنات ، جامعة عين شمس ، سنة ١٩٨٥ ٠

٤١ ـ سلوى سليمان ، البطالة فى مصر ، المؤتمر الأول لقسم الاقتصاد، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٢ ٠

٤٢ ـ سليمان الطماوى ، ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ بين ثورات العالم ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، سنة ١٩٦٥ ٠

٤٣ ـ سعد الدين ابراهيم،مستقبل الوطن العربى بين الممكن والمستحيل، ندوة النظام العربى المعاصر ، آفاق الثمانينات ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ، سنة ١٩٨٥ ٠

٤٤ ـ سمير نعيم ، النظرية فى علم الاجتماع ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، سنة ١٩٧٩ ٠

٤٥ ـ سمير نعيم ، التكوين الاقتصادى الاجتماعى وأنماط الشخصية

فى الوطن العربى ، مجلة العلوم الاجتماعية ، عدد ٤ ديسمبر سنة ١٩٨٤ .

٤٦ ـ سمير نعيم ، أثر التغيرات البنائية فى المجتمع المصرى خلال حقبة السبعينات على أنساق القيم الاجتماعية ، ومستقبل التنمية ، جهاز تنظيم الأسرة والسكان ، القاهرة ، سنة ١٩٨٠ .

٤٧ ـ سمير نعيم ، أهل مصر ، دراسة فى عبقرية البقاء والاستمرار ، مركز كمبيوتر وأوفست المنصورة ، ١٩٩٣ .

٤٨ ـ سهير لطفى ، رؤية للأيديولوجيات الاسلامية فى حقبتى الستينات والسبعينات فى الوطن العربى ، ندوة « النظام العربى المعاصر ، آفاق الثمانينات » ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٥ .

٤٩ ـ سهير لطفى ، وضع المرأة فى الأسرة العربية وعلاقته بأزمة الحرية والديمقراطية ، ندوة المرأة ودورها فى حركة الوحدة العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٢ .

٥٠ ـ سونيا أبادير رمزى ، مناهج التعليم فى البلاد العربية ، ومناسبتها لدور المرأة ، الندوة الاستشارية حول « تحديد مظاهر عدم المساواة التى تعانى منها النساء فى التعليم » ، مكتب اليونسكو الاقليمى للتربية فى الدول العربية بالتعاون مع اللجنة الوطنية السودانية لليونسكو ، آكتوبر ١٩٨٢ .

١١ ـ سيجموند فرويد ، اليهودية فى ضوء التحليل النفسى ، ترجمة عبد المنعم الحفنى ، مطبعة الدار العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٧٢ .

٥٣ ـ سيد ابراهيم على ، دراسة اجتماعية لقرية حمالى الجمارك بالاسكندرية ، معهد العلوم الاجتماعية ، الاسكندرية ، ١٩٥٠ .

٥٤ ـ سيد حسين نصر ، الإسلام ، أهدافه وحقائقه ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٤ .

٥٥ ـ سيد عويس ، حديث عن المرأة المصرية المعاصرة ، دراسة ثقافية اجتماعية ، مطبعة أطلس ، ١٩٧٧ .

٥٦ ـ شادية قناوى ، ظاهرة الرشوة فى المجتمع المصرى ، دراسة اجتماعية ميدانية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، سنة ١٩٧٦ .

٥٧ ـ شكرى نجار ، ظاهرة انتقاص المرأة ، مجلة الفكر العربى ، معهد الانماء العربى ، بيروت ، سبتمبر ١٩٨٠ .

٥٨ ـ صافيناز كاظم ، الحقيقة وغسيل المخ ، الزهراء للإعلام العربى ، القاهرة ، سنة ١٩٨٥ .

٥٩ ـ ضياء الدين رشوان ، العنف فى مصر : المسببات ـ الممارسات ـ المعالجات ، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر الحوار الوطنى ، النقابة العامة للمحامين ، القاهرة ، ٩٤/٣/٢٧ ـ ١٩٩٤/٤/١٤ .

٦٠ ـ عاطف أحمد فؤاد ، الانحراف عن القاعدة القانونية ، بين المسئولية الأسرية والرؤية الاجتماعية ، مركز دراسات المرأة والتنمية ، جامعة الأزهر ، الكتاب السادس ، سنة ١٩٧٧ .

٦١ ـ عاطف أحمد فؤاد ، السلطة والطبقات الاجتماعية فى مصر ، دراسة اجتماعية تاريخية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، قسم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، سنة ١٩٧٥ .

٦٢ ـ عبد الباسط حسن ، أصول البحث الاجتماعى ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة البيان العربى ، القاهرة ، سنة ١٩٦٦ .

٦٣ ـ عبد الحميد الهاشمى ، المرشد فى علم النفس الاجتماعى ، ديوان المطبوعات ، الجزائر ، ١٩٨٢ .

٦٤ ـ عبد الحميد لطفى ، علم الاجتماع ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ .

٦٥ ـ عبد الخالق علام وآخرون ، رعاية الشباب مهنة وفن . مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، سنة ١٩٦٢ .

٦٦ ـ عبد الرازق حلبى ، دراسات فى المجتمع والثقافة والشخصية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، سنة ١٩٨٨ .

٦٧ ـ عبد الرحمن الرافعى ، عصر محمد على ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٥٨ .

٦٨ ـ عبد الرحمن الرافعى ، عصر اسماعيل ، الجزء الثانى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٤٨ .

٦٩ ـ عبد الرحمن الرافعى ، مصطفى كامل « باعث الحركة الوطنية » مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٥٠ .

٧٠ ـ عبد الرحمن الرافعى ، محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ، تاريخ مصر القومى من سنة ١٩٠٨ الى سنة ١٩١٩ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٥٥ .

٧١ ـ عبد الرحمن الرافعي ، مقدمات ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٦٤ .

٧٢ ـ عبد الرحمن الرافعي ، في أعقاب الثورة المصرية ، الجزء الثالث ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٥١ .

٧٣ ـ عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩١٨ الى ١٩٢٦ ، سلسلة دراسات فى القومية العربية ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٦٨ .

٧٤ ـ عزت حجازى ، الشباب العربى ، والمشكلات التى يواجهها ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت سنة ١٩٧٨ .

٧٥ ـ علياء شكرى ، الاتجاهات المعاصرة فى دراسة الأسرة ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، القاهرة ، سنة ١٩٧٩ .

٧٦ ـ علياء شكرى ، بعض ملامح التغير الاجتماعى والثقافى فى الوطن العربى ، دراسات ميدانية فى بعض المجتمعات المحلية فى المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، سلسلة علم الاجتماع المعاصر ، القاهرة ، سنة ١٩٧٩ .

٧٧ ـ على الجريتلى ، خمسة وعشرون عاما ، دراسة تحليلية للسياسات الاقتصادية فى مصر ١٩٥٢ ـ ١٩٧٧ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، سنة ١٩٧٧ .

٧٨ ـ على لطفى ، التنمية الاقتصادية ، دراسة تحليلة ، مكتبة عين شمس ، القاهرة ، سنة ١٩٨٠ .

٧٩ ـ على ليلة ، العالم الثالث ، مشكلات وقضايا ، سلسلة علم الاجتماع المعاصر ، الكتاب السابع والخمسون ، سنة النشر لم تذكر .

٨٠ ـ على ليلة ، دور العمالة المصرية فى التنمية العربية ، ندوة النظام العربى المعاصر ، آفاق الثمانينات ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ، ٩ ـ ١١ فبراير سنة ١٩٨٥ .

٨١ ـ على ليلة ، الشباب والمجتمع ، ملامح الانفصال والاتصال ، المؤتمر الدولى الثانى للاحصاء والحسابات العلمية ، جامعة عين شمس ، سنة ١٩٧٦ .

٨٢ ـ غاستون ميالاريه ، ترجمة نسيم نصر ، مدخل الى التربية ، منشورات عويدات ، بيروت ، سنة ١٩٨٢ .

٨٣ ـ فاروق فريد شكرى ، العنف السياسى والتطرف الدينى فى مصر وأثره على أمنها القومى ، أكاديمية ناصر العسكرية العليا ، كلية الدفاع الوطنى ، القاهرة ، ١٩٨٦ .

٨٤ ـ فايزة عبد المنعم سليم ، الوضع الاجتماعى للمرأة فى مستويات مغايرة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، سنة ١٩٨٥ .

٨٥ ـ فرج عبد القادر طه ، علم النفس وقضايا العصر ، مكتبة سعيد رأفت ، سنة ١٩٧٨ .

٨٦ ـ قبارى محمد اسماعيل ، علم الاجتماع والايديولوجيات ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، سنة ١٩٧٩ .

٨٧ ـ كمال رفعت ، ناصريون نعم ، القاهرة للثقافة العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٧٦ .

٨٨ كونستانتينوف ، دور الأفكار التقـدمية فى تطوير المجتمع ، دار دمشق للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٧١ .

٨٩ ـ لويس عوض ، أقنعة الناصرية السبعة ، مناقشة توفيق الحكيم ومحمد حسنين هيكل ، دار القضايا ، بيروت ، السنة لم تذكر .

٩٠ ـ لويس مليكه ، سيكولوجية الجماعات والقيادة ج ٢ ، مطبعـة التقدم ، القاهرة ، سنة ١٩٧٣ .

٩١ ـ مارسيل لولومب ، تطور مصر من سنة ١٩٢٤ حتى سنة ١٩٥٠، ترجمة زهير الشايب ، مكتبة سعيد رأفت ، سنة ١٩٧٢ .

٩٢ ـ مجدى صبحى ، الأزمة الاقتصادية والاجتماعية فى مصر ، مؤتمر الحوار الوطنى ، النقابة العامة للمحامين ، القاهرة ٩٤/٣/٢٧ ـ ١٩٩٤/٤١/٤ .

٩٣ ـ محمد ابراهيم السقا ، هجرة العمالة المصرية المؤقتة ، وآثارها على هيكل العمالة فى جمهورية مصر العربية ، سلسلة دراسات سكانية ، جهاز تنظيم الأسرة والسكان ، عدد ٦٨ ، سنة ١٩٨٤ .

٩٤ ـ محمد ابراهيم عبد النبى ، ثقافة الفلاحين وأيديولوجية الدولة ، ندوة الفلاحون والتغير الاجتماعى فى العالم العربى ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ، ٦ ـ ٨ مايو سنة ١٩٨٦ .

٩٥ ـ محمد الجوهرى ، الانثروبولوجيـا ، أسس نظرية وتطبيقـات عملية ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

٩٦ - محمد باقر الصدر ، اقتصادنا ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ١٩٧٧ .

٩٧ - محمد حلمى مراد ، الموجز فى قانون العمل والتامينات الاجتماعية، مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ، ١٩٧١

٩٨ - محمد سيد حافظ ، الملامح الأساسية للنظام الاجتماعى فى مصر فى ظل الانفتاح الاقتصادى ، ندوة « النظام العربى المعاصر » - آفاق الثمانينات ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٥ .

٩٩ - محمد شفيق ، التشريعات الاجتماعية العمالية والأسرية ، المكتب الجامعى الحديث ، القاهرة ، ١٩٨٧ .

١٠٠ - محمد شفيق ، التنمية الاجتماعية ، دراسات فى قضايا التنمية ومشكلات المجتمع ، المكتب الجامعى الحديث ، الاسكندرية ، ١٩٩٤ .

١٠١ - محمد شفيق ، مشكلة البطالة فى مصر : حجمها - أسبابها - بحث مقدم الى ندوة دور القوات المسلحة فى المساهمة للقضاء على مشكلة البطالة فى الدولة ، مركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة ، القاهرة ، ١٩٩٣ .

١٠٢ - محمد شفيق ، الارهاب وعلاقته بالمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية، أكاديمية الشرطة ، القاهرة ، ١٩٩٣ .

١٠٣ - محمد شفيق ، الأبعاد الاجتماعية للتطرف العقائدى : طبيعته وأسبابه وآثاره ومواجهته : بحث مقدم الى ندوة قضايا الساعة الأمنية تحت المجهر ، أكاديمية الشرطة : هيئة التدريب والتنمية، معهد القادة لأمناء الشرطة ، القاهرة ، يوليو ١٩٨٧ .

١٠٤ - محمد شفيق ، الجريمة والمجتمع ، محاضرات فى الاجتماع الجنائى ، والدفاع الاجتماعى ، المكتب الجامعى الحديث ، الاسكندرية ، ١٩٨٧ .

١٠٥ - محمد شعلان : الاضطرابات النفسية عند الأطفال ، الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية ، القاهرة ، سنة ١٩٧٧ .

١٠٦ - محمد عاطف غيث ، القرية المتغيرة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٢٩٦ .

١٠٧ ـ محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، سنة ١٩٧٩ ٠

١٠٨ ـ محمد عاطف غيث ، التغير الاجتماعى والتخطيط ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، سنة ١٩٨٧ ٠

١٠٩ ـ محمد على محمد ، الشباب والتغير الاجتماعى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، سنة ١٩٨٧ ٠

١١٠ ـ محمد محمد اسماعيل ، دور المثقفين فى التنمية ، دراسة نظرية مع التطبيق على مصر ، الجزء الأول ، دار النشر لم تذكر ، ١٩٨٥ ٠

١١١ ـ محمود أبو النيل ، علم النفس الاجتماعى ، دراسات مصرية وعالمية ، الطبعة الثانية ، الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية ، القاهرة ، سنة ١٩٧٨ ٠

١١٢ ـ محمود عودة ، الفلاحون والدولة ، سلسلة علم الاجتماع المعاصر، العدد ٢٨ ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٧٩٠

١١٣ ـ محمد عودة ، أساليب الاتصال والتغير الاجتماعى ، دراسة ميدانية فى قرية مصرية ، دار المعارف ، سنة ١٩٧١ ٠

١١٤ ـ محمود سلام زناتى ، الزواج والأسرة فى الشرائع الحديثة ، كتاب الموسم الثقافى لجامعة الكويت ، العام الجامعى ١٩٦٩/٦٨ ٠

١١٥ ـ محمود سلام زناتى ، شريعة منو (ترجمة) مجلة الدراسات القانونية ، جامعة أسيوط ، كلية الحقوق ، ١٩٨٧ ٠

١١٦ ـ مصطفى الديوانى وآخرون ، أطفالنا ومشاكلهم الصحية ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٦ ٠

١١٧ ـ مصطفى بوتفنوشت ، العائلة الجزائرية : التطور والخصائص الحديثة ، ترجمة رمزى أحمد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٨٤ ٠

١١٨ ـ مصطفى حجازى ، التخلف الاجتماعى ، سيكولوجية الانسان المقهور ، معهد الانماء العربى ، بيروت ، سنة ١٩٨٠ ٠

١١٩ ـ مصطفى سويف ، الأسس النفسية للتكامل الاجتماعى ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، سنة ١٩٦٠ ٠

١٢٠ ـ مصطفى فهمى ، سيكولوجية الطفولة والمراهقة ، مكتبة مصر ، القاهرة ، سنة ١٩٧٩ ٠

١٢١ ــ نادية بدراوى وآخرون ، الطفل عناية وتربية ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، سنة ١٩٨٣ .

١٢٢ ــ نادية رضوان ، رؤية مستقبلية لأمان الأجنة والأطفال الرضع ، دراسة اجتماعية ميدانية ، مؤتمر « أطفال فى خطر » معهد الدراسات العليا للطفولة ، جامعة عين شمس ، ١٩٩٥ .

١٢٣ ــ نادية رضوان ، تخلف الوعى الصحى ومعوقات التنمية ، دراسة اجتماعية ميدانية فى مجال علم الامجتماع الطبى ، مكتبة ايزيس ، القاهرة ، ١٩٩٥ .

١٢٤ ــ نبيل رمزى اسكندر ، الأمن الاجتماعي وقضية الحرية ، دار المعارف الجامعية ، الاسكندرية ، سنة ١٩٨٨ .

١٢٥ ــ نوال السعداوى ، الأنثى هى الأصل ، الطبعة الأولى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٤ .

١٢٦ ــ نوال السعداوى ، الرجل والجنس ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

١٢٧ ــ هبة رؤوف عزت ، المرأة والعمل السياسى ، رؤية اسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٢ .

١٢٨ ــ هربرت ماركيوز ، الانسان ذو البعد الواحد ، ترجمة جورج طرابيشى ، الطبعة الثالثة ، منشورات دار الآداب ، بيروت ، سنة ١٩٧٣ .

١٢٩ ــ هيرمان كان وآخرون ، العالم بعد مائتى عام ، الثورة العلمية والتكنولوجيا خلال القرنين القادمين ، ترجمة شوقى جلال ، سلسلة كتب ثقافية ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، سنة ١٩٨٥ .

١٣٠ ــ وداد سليمان ، العوامل الاجتماعية المؤثرة على خصوبة المرأة العاملة ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٣ .

١٣١ ــ وائل عثمان ، أسرار الحركة الطلابية ، مطابع مدكور ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

١٣٢ ــ وارين طومسون ودافيد لاس ، مشكلات السكان ، ترجمة راشد البراوى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٦٩ .

١٣٣ ــ يوسف سعد ، نصائح للمرأة فى الحب والزواج ، المركز العربى الحديث ، القاهرة ، سنة النشر لم تذكر .

تقــارير واحصــاءات :

١٣٤ ــ الأحوال الشخصية للمسلمين طبقا لأحدث التعديلات ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٩٨٥ ٠

١٣٥ ــ البنك الدولى ، تقرير عن التنمية فى العالم ١٩٩٤ ، التنمية الأساسية من أجل التنمية ، مؤشرات التنمية الدولية ، مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ، ١٩٩٤ ٠

١٣٦ ــ الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، التشريع الربع سنوى لبحث العمالة بالعينة فى جمهورية مصر العربية ، مايو ١٩٩٣ ٠

١٣٧ ــ الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، الكتاب الاحصائى السنوى ١٩٥٢ ــ ١٩٥٣ ، القاهرة ، ١٩٩٤ ٠

١٣٨ ــ الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، الكتاب الاحصائى السنوى لجمهورية مصر العربية ، سنة ١٩٨٢ ٠

١٣٩ ــ المرأة المسلمة فى المجتمع المسلم ، ورقة عمل مقدمة من الاخوان المسلمون ، مؤتمر الحوار الوطنى ، النقابة العامة للمحامين ، القاهرة ، ٢٧/٣/٩٤ ــ ١٤/٤/١٩٩٤ ٠

١٤٠ ــ بحث مشكلات الطلاب المصريين بجامعة عين شمس ، قسم الاجتماع بكلية الآداب ، جامعة عين شمس ، مطبعة جامعة عين شمس ، سنة ١٩٧٣ ٠

١٤١ ــ المجلس الأعلى للشباب والرياضة ، تقرير عن أعمال المجلس فى الفترة من ١٩٥٨ ــ ١٩٥٩ ، مطبعة مخيمر ، القاهرة ، سنة ١٩٥٩ ٠

١٤٢ ــ جريدة صوت الجامعة ٢٩ يناير سنة ١٩٧٧ ، مقال بعنوان أين المسئولية ؟ دعوة الى نقاش مفتوح وصريح » ٠

١٤٣ ــ صحيح البخارى بشرح السندى ، الجزء الأول ، مطبعة دار احياء الكتب العربية ، سنة النشر لم تذكر ٠

١٤٤ ــ قانون العقوبات ، مكتبة دار النشر للجامعات المصرية ، سنة النشر لم تذكر ٠

١٤٥ ــ معهد التخطيط القومى ، تقرير التنمية البشرية سنة ١٩٤٤ مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ، ١٩٩٤ ٠

١٤٦ ــ وزارة التخطيط ، الاطار العام للخطة الخمسية ١٩٨٠ ــ ١٩٨٤ القاهرة ، سنة ١٩٧٩ ٠

ثانيا : المراجع الأجنبيــة

1. Afanasyev, V., Marxist Philosophy, a Popular Outline, Progress Publishers, Moscow, 1968.
2. Ammar, Hamed., Growing up in an Egyptian Village : Selwa, a Province of Aswan, Routledge end Kegan Paul, London, 1966.
3. Ananichev K., Environment. International Aspect, Progress Publishers, Moscow, 1976.
4. Aubert, Vilhelm., Elements of Sociology, Heneman Publishers, London 1968.
5. Bane, Jo Mary., Here to Stay : Parents and Children, in Family in Transition, Arien S. Sholnick and Jermo H. Sholnick (eds.), Littel Brawn and Co., Toronto, 1983.
6. Beisecker, D. Thomas end Donn W. Parson., The Proces of Social Influence, Englewood Cliffs, New Jersey, 1972.
7. Bendix, Reinhard., Max Weber : an International Portrait, Adoubleday Anchor Book, NeW York, 1962.
8. Blau, M Peter., Parameters of Social Structure, in Approaches to the study of social structure, Peter M. Blau (ed.), Open Book, London, 1976.
9. Blood, Robert O. JR., Marriage, the free press of Glencoe, New York, 1992.
10. Biocher, H. Doneld., Wanted : a Science of Human Effectiveness, in Foundation of Guidance and Counsilling, CE. Smith and O. G. Ming (eds.), J.B. Lipincot Co., Philadelphia, 1969.
11. Bowman, Henry A., Marriage for Moderns, McGrow Hill, New York, 3rd (ed.), 1954.
12. Brim, G. Orville, Jr., and Stantan Wheeler ; Socialization after childhood John Wiley and Sons., Inc., Sydney, 1966.

13. Buxbaum, Edith., Understending your child, Crover Press, Inc., New York, 1962.
14. Chamberlain, W. Neil., Remaking American Values, Basic Books, New York, 1977.
15. Chertok, Léon and others., Motherhood end personality, Translated by D. Graham, Tavistock Publications, London, 1973.
16. Chirol, Valentine., the Egyptien Problem, Macmillan, and Co., London, 1920.
17. Conway, Margeret and Frank B. Feigert., Political Analysis : An Introduction 2nd (ed.) Allyn and Bacon, Boston, 1978.
18. Coombs, Lolagen, C and Ronald Freedman., University of Michigan, Population Studies Center, Reprint No. 171, 1993.
19. Davis, Kingsley., Human Society, the Macmillan Company New York, 1949.
20. Eisenstadt, S.N., Archtypal Pattern of Youth, in the Challenge of Youth, Erik H. Erikson (ed.) Doubleday Anchor Book, New York, 1965.
21. Elken, Frederrick., the child end Society, Random House, New York, 1960.
22. El-Sherbini. Ahmed F., Maternal Mortality : a Community Health Problems, in proceedings of the safe motherhood conference, Ismeilia, Egypt, 1988.
23. Goldberg, J. Archur., Technology sets New Task, in the Challenge of Youth, Erik Erikson (ed.), Doubleday Anchor Book, New York, 1965.
24. Hopkins, Lori., Women Roles in Modern Life, MacGrow Hill, New York, 1992.
25. Horton, B. Paul, Chester L. Hunt., Sociology McGrow-Hill Book C., New York, 1964.
26. Jocano, Landa., Slum as away of life, a study of coping Behaviour in an Urban Environment Philipin University Prese, Quezon City, 1976.

27. Jones. Derek, Llewellyn., People jopulation, Faber and Faber Ltd., London, 1975.

28. Kingston, Keneth., Youth and Dissent, Harcourt Brace, Jocanovich Inc., New York, 1971.

29. Keniston, Kenneth., Social Change and Youth in America, in the Challenge of Youth, Erik H. Erikson (ed.), Doubleday Anchor Book, New York, 1965.

20. Linton, Relph ., The study of man, appleton Centry Co., New York, 1936.

31. Lipset, Semour Martin., Social Structure and Social Change, in Approaches to the study of socia structure, Peter M. Blau (ed.), Open Book, London, 1976.

32. Merton, Robert., Social Theory end Social Structure, John Willey, New York, 1957 .

33. Mills. C. Wright., The Power Elite, Oxford University Press, New York, 1976.

34. Mohie El-Din, I., Manpower Fortune in Egyptian Economy, Institute of Arab Research and Studies, Cairo, 1979

35. Morton, Deutsch and Robert Krauss ; Theories in Social Psychology. Basic Books Inc., Library of Congress, 1965.

36. Murdock, G. P., Social Structure, MacMillan Co., New York, 1949.

37. Nispet. A. Robert., The Social Bond, Alfred A. Knof., New York, 1970.

38. Nisbet, R., The Study of Social Problems in R. Merton and R. Nisbet, (eds.) Contemporary Sociel Problems, Harcurt, New York, 1971.

39. Ogburn, F. William Social Change, Vitino Press, New York. 1932.

40. Papanek, L. Miriam., Authority and Sex Rols in the Family, Journal of Marriage and the Family, No. 3, 1969.

41. Persons, Talcot., The American Family, its relations to personelity and the social structure, in T. Parsons and

R. E. Bales, Family Socialization and Interaction Process, Routledge and Kegan Paul, London, 1956.

42. Parsons, Talcott., Youth., in the Context of American Society, in the Challenge of Youth, Erik H. Erikson (ed.), Doubleday Anchor Book, New York, 1965.

43. Parsons, Talcot., The Social System, Routledge and Kegan Paul, Ltd., London, 1970.

44. Pepper, C. Stephen., The Sources of Value, University of Calipéress, 1958, p. 7.

54. Philips, S. Bernard., Social Structure and Change, Mac-Milan Company, New York, 1970.

47. Radwan, Nadie., Youth and Value Development, the 30th Anniversary Conference of the Council of International Progrems, U.S.A., Cleveland, 1985.

48. Richman, William B., Urbanization, Englowood Cliffs New Jersy, 993.

49. Sargent, Stanford., Concepts of Role and Ego, in contemporary psychology. In Johns H. Rohrer and Muzaffer Sherif (eds.) Social Psychology at the crossroads, Harper and Brothers, New York, 1951.

50. Seabury, Florence Guy., The General Attack on the supordiretion of woman in the New Feminism in Twentieth Century, Health and Company, ,London, 1991.

51. Sellaro, Sandra., Marriage and Love, Freeman and Company, New York, 1993.

52. Shachnazerof et al., Man. Science and Society, Progress Publishers, Moscow, 1966.

53. Smith, E.C. and O.G. Mink (eds.) Foundations of Guidance and Councelling J.B. Lippincott Co., New York, 1969.

54. Sahay, Arun., Sociological Analysis. Routledge and Kegan Paul, London, 1972.

55. Theodorson, A. George., and Achilles G. Theodorson ; a Modern Dictionary of Sociology, Barnes and Noble Books, New York, 1969.

46. Thomas, Edwin., end Brace J. Biddle., The Nature and History of Role Theory, in : Brace J. Biddle (ed.), Role Theory, Academi Press, New York, 1979.

57. Tibi, Bassam., Islam and the Cultural Accommodation of Social Change, Translated by Clare Krojzl, Fredrick. A. Preager, Publisher, London, 1991.

58. Van, Delf, Marolein., Single Motherhood : Choice or Reality of the Future ? Fourth International Interdisciplinery Congress Press, Netherland, 1989.

59. Wegner, Max., Greek Masterwork of Art, Translated by Charlot La Rue, George Braziller, New York, 1961.

60. Weller, R., Employment of Women : Role incompatibility and Fertility, Milbank Memorial Fund Quaterly, No. 4, October 1966.

61. Worsly, Peter et al., (eds.), Introducing Sociology, Penguin Books, London, 1978.

62. Zayed, A. Ahmed., Popular Culture and Consumerism in Underdeveloped Urban Areas. Conference of Mass Culture, Life-Worlds, Popular Culture in the Middle East, February, Germany, Bielefeld, 1985.

الفهـــــرس

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٧/٢٧٢٢

ISBN — 977 — 01 — 5102 — 3

الكتاب: ثلاث دراسات تتبعية

الأولى: تدور حول مجموعة معينة من الشباب (خمسة ذكور وخمسة إناث) في السنوات النهائية بكلياتهم. حيث كانوا يتعثرون بين مفترق الطرق؟ بين كونهم لازالوا تحت رعاية أسرهم نفسياً ومادياً، وبين كونهم على أعتاب عالم جديد ملىء بالغموض والإبهام لحياتهم المستقبلية

الثانية: نفس مجموعة الشباب بعد تخرجهم من جامعاتهم وبدأ معترك الحياة فى الاعتماد على النفس بعيدا عن كنف الأسرة وكانت معظم الاهتمامات فى هذه الدراسة تدور حول قضايا الاختيار والزواج وما حققوه من نجاح أو فشل.

الثالثة: هؤلاء الشباب الذين تم زواجهم تحولت قضاياهم عن الاهتمام بذواتهم إلى الاهتمام بذوات الآخرين من أعضاء أسرهم الجديدة.

وقد جاءت نتائج هذه الدراسة لتشير إلى هموم الشباب ومشكلاته في كافة المراحل. إنعكاساً لهموم المجتمع ونتاج الصراع بين القيم فى العقود الأخيرة.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب